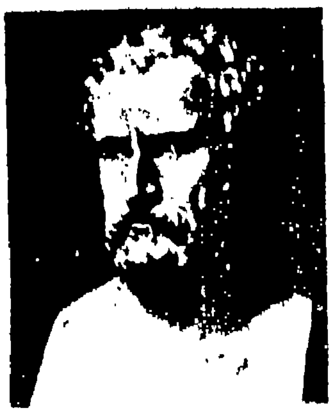
حملة العشرة آلاف

« الحملة على فارس »

للمؤرخ الإغريقي زينوفون

ترجمها عن الإنكليزية

يعقوب أفرام منصور



Xenophon

تصدير

بقلم الأستاذ فؤاد سفر

مفتش التنقيبات العام

كتاب «الأناباسس»[١] أو «حملة العشرة آلاف مقاتل» من الكتب التاريخية ذات الشهرة العالمية، وضعه المؤرخ الأغريقي (زينوفون) بأسلوب شيّق سلس، حكى فيه قصة محاولة الامير الفارسي (كورش) استلاب العرش من أخيه الملك الشرعي - (أرتحشَشتا) الثاني - في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، وسجّل فيه ذلك الحدث التأريخي، تسجيلاً مفصلاً رائعاً.

جمع (كورش) - وهو في آسيا الصغرى - كلّ ما تمكّن من تجميعه: من مال وفير، وسلاح كثير، ورجال من مختلف الملل والنِحل، وسار بهم الى بلاد (بابل)، سالكاً طريق الفرات. واحتدم الأقتتال بين جيوش الأخوين في معركة (كوناكسا) في أعالي سهل (بابل). حيث لقي (كورش) حتفه وسط المعركة، فتفرّق شمل جيشه، وتبعثر شذر مذر؛ فأستسلمت وحدات منه، وأبيدت وحدات أخرى؛ ولم يصمد سوى (اليونان) الذين كانوا قد تطوّعوا في صفوف جيش (كورس). وكان عددهم عشرة آلاف مقاتل، شقّوا طريق العودة الى بلادهم عبر الصحاري والجبال بمآثر وبطولات، تُذكر لهم بإجلال وتقدير مدى الأجيال.

---

(١) ANABASIS. كلمة إغريقيه تعني الصعود أو تقدم عسكري - المترجم.

تتلمذ (زينوفون) على الفيلسوف الكبير (سقراط). فكان عميق الفكر، سديد الرأي، واسع الأطلاع، حسن التعبير. وكان لكتابه هذا ولمؤلفه الآخر[٢] عن (كورش) أعظم الأثر في نفوس أبناء بلاده، حتى ليقال إنّ (الأناباسس) فتح نافذة واسعة أمام (اليونان)، فأطلّوا منها على حضارات الشرق القديم، التي كانت لا تقلّ ازدهاراً عن مدنيّتهم. ولعلّ (الأناباسس) من جملة الحوافز لتوسع الأسكندر المقدوني نحو بلدان الشرق القديم.

والكتاب ذو أهمّية لدراسة تاريخ العراق وجغرافيته، لما فيه من وصف أحوال البلاد الأجتماعية والأقتصادية والجغرافية كما كانت في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد.

يطيب لي أن أصدّر هذا الكتاب لأخواننا قرّاء العربية، فقد قام بتعريبه تعريباً كاملاً السيد يعقوب أفرام منصور، وأضاف إليه الشيء الكثير من الشروح والتعليقات، ممّا لا غنى عنه. وقد بذل في ذلك جهداً مشكوراً، يستحق عليه الثناء والتقدير.

فؤاد سفر

بغداد - ١٩٦٥/١٢/٢٩

(٢) لم أوفّق في العثور على هذا الكتاب ولعله كتاب (الذكريات) الذي ذكره عبدالرحمن بدوي في مقدمته لكتاب (الحكمة الخالدة) - أنظر مقدمة المترجم والحاشية رقم (٢) - المترجم.

ثبت بالمراجع والمصادر
التي استعين بها

١ ـ تاريخ كلدو وآشور . للمطران أدي شير .

٢ ـ الحكمة الخالدة لابن سهل وابن مسكوية ـ مكتبة النهضة المصرية .

٣ ـ القاموس الموسوم :

College Standard Dictionary

Funk & Wagnalls Co. 1946 USA.

٤ ـ المرشد الى مواطن الآثار والحضارة . للأستاذين طه باقر وفؤاد سفر. المرحلة الثانية .

٥ ـ بين المد والجزر . للآنسة مي .

٦ ـ تاريخ مختصر الدول . لابن العبري .

٨ ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ الجزء الثاني للأستاذ طه باقر .

٨ ـ أطلس الموسوعة البريطانية لعام ١٩٤٧ .

٩ ـ فيضانات بغداد في التاريخ ـ القسم الاول . للدكتور أحمد سوسة .

١٠ ـ وادي الفرات ومشروع سدة الهندية . للدكتور أحمد سوسة .

١١ ـ الفرات الأوسط . للمستشرق الجيكوسلوفاكي (ألويز موسيل)

The Middle Euphrates

By Alois Musil- New York, 1927

١٢ ـ العراق في الخوارط القديمة . جمع وتحقيق الدكتور أحمد سوسة

١٣ ـ مجلة (سومر) ـ العدد العشرون لعام ١٩٦٤ .

١٤ ـ التوراة .

١٥ ـ الانجيل .

١٦ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد الحادي عشر .

١٧ ـ مجلة الدراسات الهيلينية-العدد (٣٣ L) لعام ١٩٦٣ .

١٨ ـ المرشد الى مواطن الآثار والحضارة ـ الرحلة الاولى .

١٩ ـ تاريخ هيرودوتس .

كلمة المترجم

لم يتبادر الى ذهني أن أكون يوماً مترجم مؤلفٍ تاريخي. فقد مارستُ النقلَ الأدبي فحسب، نظراً لابتعادي عن الجو العلمي البحت، والمجال التاريخي الصرف. ولعل المصادفة قد لعبت دوراً كبيراً في ترجمة هذا الأثر.

فإنّي وان كنتُ أعزو كثيراً من الظروف والأحداث والتطورات والأعمال، على اختلافها، الى المصادفات؛ فأنا أعتقد، رغم ذلك، أن المصادفات ذاتها، والأتفاقات عينها جزء خفيّ من النظام العام، وشطر من الناموس الكلي في الطبيعة والحياة. فكثير من الأختراعات والأكتشافات مردّها الى مصادفات، وعديد من الأفعال والأعمال والحوادث سببّتها إتفاقات. وبعض الوقائع والأحداث تعود الى مصادفات وأفكار طارئة آنية فجائية، واجتماعات غير متوقعة، ومشاعر عارضة. وعندما أتأمل هذه الأمور والوقائع، وأتمعن في العلل والنتائج، أميل الى الاعتقاد بحتمية حدوثها وبروزها لتكوين الأحداث التاريخية ـ كما حدثت وسجلت منذ نشوء الخليقة ـ ولتسير الحياة الحضارية في المسالك والأتجاهات التي قطعتها منذ بدئها حتى الآن والى المنتهى. فمظاهرها السالفة والحالية والقابلة مشدودة ببعضها شدّاً وثيقاً، وكلّ حادث من حوادثها المنصرمة والراهنة والمقبلة مرتبط الحلقات إرتباطاً متيناً بشكل لا مجال فيه للأستغناء عن بعضها أو لأهمال البعض الآخر.

وعندي، أنّ قصة نقلِ هذا الكتاب من هذا القبيل. فهو مدين للمصادفة، والمصادفة خاضعة للنظام الكوني الحضاري العام السائد، والذي يهيمن على تصرفات الفرد، وإن شعر في كثير من الأحايين بتأدية أفعاله وأعماله بحرية

وانطلاق واختيار، بعيداً عن كل قيد أو مؤثر. فذات مساء، جمعني مجلس بصديق متفف، وتشعب بنا الحديث الى الكلام عن النحل وأسراره وخصائصه، وعن الشَهْدِ الذي يصنعه. فأبَنْتُ للصديق - وهو يملك خلية في بيته - أني قد طالعت مرّة، في عدد قديم من مجلة (الهلال)، بحثاً عن العسل، أفاد وجود أنواع سامّة منه، ويعلّل العلماء ذلك بأن النحل، الصانع هذا الشهد، يمتص الرحيق من زهور سامة كالدفلة وغيرها. وأفصحت عن دهشتي لعدم تسمّم وموت النحل الماص ذلك الرحيق السام. وإن فرضنا موته مسموماً، فكيف نعلل صنع العسل المجتنى المسموم؟! إذ لا يُعقل موت النحل بعد صنع وإفراز العسل من أحشائه.ومن يدري؟! فقد يسم هذا الشهد الانسان، بينما يكون ذات الرحيق عديم المفعول في النحل الذي يمتصه. وعلى اساس هذه الأرجحية لايستبعدوجود العسل السام. ولعل هذه ظاهرة او ميزة عجيبة اخرى من عجائب هذا الحيوان، نترك تفسيرها لعلماء هذا القرن او الذي يليه. فقال لي الصديق: «اني ادعم ما ابديت بصدد العسل السام. فقد قرأت عن ذلك في كتاب تاريخي يدعى (الحملة الفارسية) لمؤلف اغريقي يدعى (زينوفون)، مترجم الى اللغة الانكليزية، وهي سابقة لحملة الاسكندر المقدوني بنصف قرن». فرجوت الصديق أن يطلعني على الكتاب في فرصة قادمة.

وفي اجتماع لاحق، ناولني الكتاب. فتصفحته مطالعاً بعض عناوينه وجمله، فاستأثرت بعض الأوصاف بإعجابي، وشوقني ذكر بعض المناطق في العراق القديم وما بين النهرين الى نقله الى العربية، مرجحاً أنه غير منقول. ومما رغبني في نقله شغفي - منذ كنت يافعاً - بمظاهر الحضارتين الأغريقية والفارسية اللتين سبقتا الحضارة العربية التي ازدهرت في بلاد الرافدين والشام والأندلس، والتي اقتبست من سابقتيها وتأثرت بهما تأثراً بالغاً، كما أن

الحضارتين الفارسية والأغريقية تأثرتا بالحضارة البابلية والكلدانية ، واستقتا منهما[1] . فأنا مازلت أذكر ، منذ حداثتي ، وقوفي على روعة أساطير الحب والجمال الأغريقية ،ومجد آثينا أيام (بركليس) ، وعبقرية الفكر اليوناني بأفذاذه : سقراط وافلاطون وارسطو وفيثاغورس وارخميدس ، ومشرعيه ومتفننيه وأطبائه ؛ مما حدا بالمؤرخ الشهير (ابن العبري) في كتابه (تاريخ مختصر الدول) ان يقول عن الاغريق : «أما اليونانيون ، فكانوا أمة عظيمة القدر في الامم ، طائرة الذكر في الآفاق ، فخمة الملوك ... والفلاسفة منهم من أرفع الناس طبقة ، وأجل أهل العلم منزلة ، لما ظهر منهم من الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية والمعارف الطبيعية والالهية والسياسات المنزلية» .

ان ابسط المطلعين على التاريخ العالمي ، يعلمون شيئاً عن حملة الاسكندر المقدوني على العراق ودحره جيش (دارا) الفارسي في معركة فاصلة بجوار مدينة أربيل ، لكن قلة جداً ، وأنا أحدها قبل وقوع الكتاب بيدي ، قد سمعت بتجريدة يونانية ـ فارسية سابقة ، زحفت من الاناضول على العراق ، واشتبكت مع الفرس الاخمينيين في معركة لم تدم سوى ساعة واحدة أو أقل على سهل بمحاذاة الفرات الاوسط وعلى مسيرة يومين من بابل .

بعد شروعي في ترجمة الكتاب ، حاولت الوقوف على بعض جوانب أخرى من حياة المؤلف ، لان المترجم من الاغريقية الى الانكليزية لم ينوه عنه سوى

---

(١) من جملة الشواهد على ذلك ، ذكر (أدي سير) في مقدمة كتابه (تاريخ كلدو وآشور) أن بيروس (برحوشا) الكلداني البابلي ـ كاهن بعل ـ درّس العلوم الكلدانية في آثينا سنة (٣٤١ ق . م) وأحبه الأثينيون حتى أنهم نصبوا له تمثالاً لسانه من ذهب . وهو الذي كتب تاريخ ملوك بابل المستقى من الألواح المحفوظة في هياكل بابل .

كونه صديق (سقراط) الفيلسوف الآثيني العظيم . فأخذت أنقب وأبحث حتى اهتديت الى ان لزينوفون كتاباً آخر يدعى (الذكريات) وذلك في كتاب (الحكمة الخالدة)[٢] في معرض كلام محققه والمقدم له الاستاذ عبدالرحمن بدوي عن لغز (قابس الثيبي) صاحب أفلاطون . فقال في ص (٤٨) ما نصه : «ويذكره أكسينوفون[٣] (الذكريات 12, 48 من بين تلاميذ سقراط الذين يودّون ان يكونوا تلاميذ ليصبحوا رجالا أخياراً ومواطنين صالحين.» ولم يتح لي العثور على كتاب (الذكريات) حتى تهيئة هذه السطور .

أما عمره ، فيبدو أنه بلغ التمانين ، وذلك استناداً الى القاموس الامريكي (College Standard Dictionary) ص (١٢٨٨) ، حيث ورد : «٤٣٥ - ٣٥٥ ق.م.(؟) : مؤرخ وجندي اغريقي ، جعل قائداً اثناء تقهقر العسرة آلاف يوناني» لكن ذلك مشكوك فيه لوجود علامة استفهام بمحاذاة سنة (٣٥٥ ق.م.) في القاموس المذكور . ومعنى ذلك ان سنّه ، اثناء قيادته الحملة المتقهقرة ، كانت (٣٤) سنة - اي انه يكبر «سايروس» (كورش الصغير) زهاء عشرة اعوام. لان كورش هذا من مواليد سنة (٤٢٤ ق.م.) ، استناداً الى القاموس آنف الذكر . ولقد حاولت العثور على إسم (زينوفون) في كتاب افلاطون الموسوم «آخر ايام سقراط» - The Last Days of Socrates - فلم أصادفه لأن (زينوفون) كان آنذاك منفياً من أرض اليونان بأيعاز من الاسپرطيين ، فلم يحضر سجن ووفاة (سقراط) التى حدثت سنة (٣٩٩ ق . م.)

---

(٢) كتاب الحكمه الخالده (جاويدان خرد) لابن سهل وابن مسكويه - تحقيق وتقديم عبدالرحمن بدوي . طبع مكتبة النهضة المصرية .

(٣) يُكتب (XENEPHON) ويُلفظ زينوفون .

كما ورد ذكر (زينوفون) في كتيب (المرشد الى مواطن الاثار والحضارة) للاستاذين طه باقر وفؤاد سفر - الرحلة الثانية : بغداد - سامراء - الحضر - في معرض الكلام عن (بلد) و(السيد محمد) ، ما نصه : «توجد في الضفة الشرقية من دجلة بقايا أثرية تواجه بقايا أخرى على الضفة الغربية تعرف بـ (تل الذهب) وهي الى الشمال بقليل من التقاء نهر العظيم بدجلة . وقد اعتقد بعض الباحثين بأن هذه البقايا هي مدينة (أوبس) الشهيرة التي ذكرها هيرودوتس وزينوفون . الا أنه لا توجد أدلة قاطعة على ذلك .»[٤] كما ذكر في نفس الكتيب ، في مجال الكلام عن السور المادي : «والشائع أن (نبوخذ نصر) الملك البابلي (٦٠٥ - ٥٦٢ ق . م .) قد شيده للدفاع عن مملكة بابل أزاء الماديين . ومن هنا جاء اسمه - اي السور المادي - كما ذكره مؤرخون إغريق ورومان منهم هيرودوتس (القرن الخامس ق .م .) وزينوفون (٤٠١ ق .م .)»[٥] بينما يعتقد آخرون أن هذا السور يرقى عهد تسييده الى حدود عام (٣٣٠) ب . م . ، وان (سابور) الثاني أراد به صد هجمات القبائل العربية ومنها (بكر) .

وتوخياً للمزيد من الاستفادة ، استنسخت واحدة من خرائط الكتيب المذكور ، حيث يتيسر رؤية السور المادي ، يجدها القارىء مثبتة في صدر الكتاب . كما رسمت خريطة عربية تبين اتجاه الحملة وتراجعها ، وذلك تسهيلا للذين لا يحسنون اللغة الانكليزية .

وقد وقعت مؤخراً على ذكر (زينوفون) في كتاب الآنسة مي - رحمها الله - الموسوم (بين المد والجزر) ذاكرة اياه في عداد المؤرخين الاغريق[٦] .

---

(٤) الصفحة الثالثة من الكتيب المذكور - سلسلة مطبوعات الثقافة الشعبية ١٩٦٢ .

(٥) الصفحة السابعة من الكتيب المذكور - سلسلة مطبوعات الثقافة الشعبية ١٩٦٢ .

(٦) بين المد والجزر - ص (٢٦) .

اما العاهل الفارسي الاخميني (أرتاكزركسس)، فالقاموس الامريكي الذي سلف ذكره، يورد سني حكمه من سنة (٤٠٥) الى (٣٦٢) ق.م. وقد ذكر عنه (ابن العبري) ما يلي: «أرطحششت الثاني المعروف بالمدبر. واليونانيون يسمونه (أرطاكسراكسيس). ملك أربعين سنة وتزوج بأستير العبرية الصالحة، وصَلَّب هامان العملقي الذي زاول زوال الجالية من بني اسرائيل. وذلك بدعاء أستير ومردخاي الصدّيق صاحبها. وفي سنة خمس عشرة من مملكة هذا أرطحششت، أخرب أفريقيانوس قائد الأفرنج مدينة قرخيدونيا، وسمي بلدها باسمه افريقية.»[٧].

وعندما رجعت الى (تاريخ كلدو وآسور) للمرحوم الاسقف (ادي شير)، الفيت ذكراً للعاهل المذكور وللمعركة التي سقط فيها سايروس (كورش) شقيقه صديقاً صريعاً. اذ قال:

«ومات درياوش (داريوس ويسمى دارا أيضاً)[٨] الثاني سنة (٤٠٥) وخلفه ابنه (أرتحسستا) الثاني. وكان له اخ اسمه (كورش). كان في زمان ابيه قد جعلت له ولاية آسيا الصغرى. فاراد ان يأخذ التاج من اخيه. فجهز له جيشاً مؤلفاً من مئة الف جندي، وامده السپارطيون أيضاً بجيش عظيم. فخرج بهم (كورش) على اخيه (أرتحسستا) والتقى به على مسافة يومين من بابل. وسقط كورش قتيلا في المحاربة سنة (٤٠١). واما اليونانيون، فلم يفشلوا، بل ضربوا في سهول آسور، وصعدوا جبال (قردو) وارمينية حتى بلغوا مدينة (طرابزون)،

---

(٧) تأريخ مختصر الدول - ص (٥٢) - المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٨.
(٨) ما ورد بين القوسين للمترجم.

ومن هناك ، قصدوا وطنهم .»[9] وطرابزون هذه كانت تسمى حينذاك (طرابزوس) . كما قال :

«منذ سنة (٤٠٥) فاستمان عليهم أرتحتشتا بالسپارطيين ، وانغلب المصريون لكنهم في سنة (٣٧٤) قهروا الفرس واخرجوهم من مصر . وتوفي ارتحشتا الثاني سنة (٣٦٢) ق.م.»[10] .

وقد ذكر (ادي شير) في مقدمة كتابه ان (اكتازياس الكنيدي) الاغريقي كان طبيب ارتحتشتا التاني ، وهو الذي جمع أخبار كلدو وآشور من الكتب الفارسية في القصر الملكي .

اما ميدان المعركة التي خر فيها (كورش) صريعاً ، فأرجح أنه في مكان قريب من (الفلوجة) اليوم او (الانبار) قديماً . ولقد اجتهدت ان اتمكن من اثبات ذلك ، فلم افلح حتى هذه اللحظة . وارجو ان اوفق فأشير الى ذلك في حاشية من حواشي الكتاب عند كتابة فصل تلك المعركة (كوناكسا) او بعد الفراغ من الكتابة النهائية ، او حتى بعد دفعه الى المطبعة ـ باذن الله .

وأراني غير قادر على اختتام البحث بدون ان اعرب عن رايي الشخصي في المؤلف ، وانطباعي عنه . فأنا أعده واحداً من المتكلمين اللبقين ، يمتلك منطقاً سليماً ، وعقلا ثاقباً ، وبسالة نادرة . ولا ادل على ذلك من كثير من المواقف الكلامية الجدلية التي دافع خلالها عن رأيه وعن نفسه تجاه التهجمات والتخرصات على شخصه من قبل ضعاف العقول ومناوئيه وحساده والمغرضين ؛ ومن حسن معالجته الامور والاوضاع ، ونواضعه وتوقعه الاشياء ، وواقعيته المكينة في

---

(٩) تاريخ كلدو وآشور لأدي شير ـ طبع بيروت ـ المجلد الأول ص (١٥٦) .

(١٠) نفس المصدر السابق .

تصرفاته، وتمام ادراكه المسؤولية الجسيمة التي اخذها على عاتقه، وهي ارجاع الجيش الى الوطن بأقل ما استطاع من الخسارة.

كما اعتقد اتصافه بخصلتين أخريين، هما: الدقة في الوصف والسرد، والتجاؤه الى استشارة الآلهة وتقديم القرابين، والى التنجيم والعرافة قبل اقدامه على الاعمال الخطيرة كالحملات والغارات، وعندما تنغلق امام باصرته المسالك والسبل فلا يدري ما قد خبأ له القدر واضمرت له الاحداث. فالخصلة الاولى، سيدركها القاريء من مطالعته عند ذكر الانهار وعرضها، والروافد وعمقها، وعند وصف الاسوار وارتفاعها وسمكها، وعمق الوهاد، وبعد المسافات المقطوعة سيراً، وأسماء الاشخاص والمحاربين والمواقع، وذكر الكلمات والاحاديث والخطب بالنص. مما يحملني على الاعتقاد الراسخ انه اما ان يكون حائزاً ذاكره قوية خارقه أو أنه كان يدون أغلب تلك المعلومات والارقام والقياسات والاحاديث والخطب، وان تطرق الى بعض الريب ان ما اشتمل كتابه من احاديث وخطب وتحاور قابل للزيادة والنقصان بالنسبة الى ما تفوه به الاشخاص فعلا في حينه. اما الخصلة الثانية، اعنى بها الكهانة والعرافة ـ فمن الغريب حقاً ان جميع التكهنات والدلائل، التي زودته بها القرابين والاضحيات ـ ثبتت صحتها ودقتها. والحقيقة ان استشارة الالهة، كانت أيامئذ امراً شائعاً وحتمياً قبل الاقدام على الحملات والاعمال الخطيرة.

ان السهور التي عستها مترجماً هذا الكتاب تعد من امتع فترات العمر. واني لفخور ان اكون ناقله الى لسان الضاد، الذي اعتز ان اكون احد الناطقين به. فعسى ان يجد فيه القاريء، من المتعة والفائدة ما وجدت. فهو

كتاريخ(١١) حقبة هامة، جدير باهتمام المؤرخ ورجال التاريخ : وهو كعملية حربية ومجازفة عسكرية حري بان يطالعه العسكريون ويتمعنه القـادة ـ ولو تقـدم الزمان، وتنوعت واسـتحدثت فنون القتال. اما الجغـرافيون والبلدانيون والقصاصون والمتقفون، فلن يعدموا بين دفتيه الفائدة والمتعة والتلذذ.

ومن الله ـ سبحانه ـ التوفيق والسداد والعون.

يعقوب أفرام منصور

بغداد

١٤ تشرين الاول سنة ١٩٦٤

---

(١١) في الحقيقة إن الأسم الحقيقي لمؤلَّف (زينوفون) بالأغريقية هو (ANABASIS) والقاموس الأنكليزي الذي لديّ (College Standard Dictionary) يشرح هذه الكلمة بأنها تعني الصعود أو التقدم العسكري وخصوصاً حملة كورس الأصغر عام (٤٠١) ق. م مع عشرة الآف إغريقي. أو مؤلف (زينوفون) الذي يصف هذه الحملة وتقهقر العشرةآلاف الى اليونان. ويعيد أصل الكلمة الأغريقي الي (ANA) التي تعني فوق أو الصعود و (BAINO) التي تعني الذهاب أو الأنطلاق وهذا هو نص القاموس الأنكليزي : ـ

ANABASIS-1 : A GOING UP: A MILITARY ADVANCE, ESPECIALLY THAT OF CYRUS THE YOUNGER, 401 B.C. WITH 10,000 GREEK AUXILIARIES. 2 : THE WORK OF XENOPHON, DESCRIBING THIS EXPEDITION AND THE RETREAT OF THE TEN THOUSAND TO GREECE.

لكنني قبل أن أدفع بالكتاب الى الطبع، عثرت في المجلد العشرين من مجلة (سومر) لعام ١٩٦٤ على بحث عنوانه (زينوفون في العراق) بقلم الأستاذ فؤاد جميل أفاد فيه أن ANABASIS) تعني (بمعنى الى الداخل). فإذا أخذنا شرح القاموس الآنف الذكر بنظر الأعتبار، نلاحظ إختلافاً ظاهراً في تفسير عنوان الكتاب. وقال صاحب البحث المذكور أن كتاب (زينوفون) هو الذي حفّز الأسكندر المقدوني على فتح الشرق، وأنه قد اعتمد في تعريب نقول بحثه على ترجمة الكاهن (وطسون) J. S. WATSON الانكليزية الموسـومة ANABASIS OR EXPEDITION OF CYRUS AND THE MEMORABILIA OF SOCRATES المشـتملة على شرح جغـرافي بقلم أينزورث (W.F. AINSWORTH) والصادرة سنة ١٨٩١ ـ ص ٢٢٧ وص ٢٢٨.

المقدمة

مع ان قصة زحف (زينوفون) على فارس والاوبة الى اليونان ، في حد ذاتها ، ذات قدر واف من الوضوح ، وممتعة لمجرد كونها كسجل حافل بالمجازفة والمهارة العسكرية وضروب متباينة من اخلاق الرجال ، فالقاريء سيزداد استمتاعاً بالقصة ، اذا كان حائزاً على نصيب من الثقافة التاريخية .

ان الحقبة بداية القرن الرابع قبل الميلاد . كان (زينوفون) آنذاك شاباً آثينياً ، ينظر الى بلدته بالذات ، على انها المدينة التيما فتئت مركزالتقافة الاغريقية ، والتي أضحت فيما بعد أقوى قوة استعمارية في البحر الابيض المتوسط ، واندحرت اندحاراً تاماً في الحرب مع الاسپرطيين وحلفائهم . لقد انصرم الى الأبد ، الائتمان واليسر والمجال في عهد (بركليس) . وفي الحقيقة ، كانت المثالية القديمة (الديمقراطية التامة) ، مقترنة بالاستعمار ، غير ذات اعتبار اطلاقاً لدى كثير من الآثينيين ، ومن جملتهم (زينوفون) نفسه . كانت الأخطاء جلية جداً ، وكان على الجيل المقبل ان يغدو جيل الفرد والمحنك والزعيم . كانت حقبة حافلة بالتناقضات . فمن جهة ، كان ثمة التباس فكري جم ، وهو ، الى حد ما ، تركة الحرب المديدة . كانت اسس الاخلاقية والوطنية والدين مزعزعة . ومع هذا القلق من خيبة الظن والسكية ، كانت دعائم الفكر الاوربي في طور الوضع من قبل سقراط وافلاطون وارسطو . ومع ان التنافس الحاد بين الولايات الاغريقية استمر كسالف العهد ، طفق المفكرون ، في تزايد ، يرثون لهذا الهزال الداخلي ، ويتوسلون بوحدة الهيلينية ؛ ويدركون بان الحكم الذاتي بعينه ،

والمستقل بشكل ناجز ، سيكون باهظ الكلفة . لقد لاحظوا انه بينما كانت كل من آثينا واسبرطة تمزق ذاتها في الصراع المردي ، فان ما اصاب اليونان من حيف اجمالا ، يكاد الا يرجى اصلاحه ، وبالتالي فالمستفيد من وضع كهذا إنْ هو الا الامبراطورية الفارسية العظيمة في القارة . الم يكن في وسع الاغريق الاتحاد مجدداً ، كما فعلوا في الايام العظيمة السالفة ، عندما قهروا جبروت الشرق عند (ماراتون) و(سلاميس) و(پلاتاي) ؟[1] .

ان الذين فكروا على هذه الشاكلة في مطلع القرن الرابع[2] . لابد انهم تطلعوا الى اسبرطة من اجل الزعامة اللازمة . كانت اسبرطة متفوقة . لقد حكم حكامها ذات الولايات التي كان سكانها رعايا وحلفاء آثينا سابقاً . ان النصر الحاسم صيرها فيصل اليونان الذي لا يمكن تحديه . لقد كانت فرصة مؤاتية عظيمة ، لكن اسبرطة اخفقت اخفاقاً تاماً تقريباً في الانتفاع منها . فتوحيد اليونان ، والفتح العظيم الذي تم في الشرق ، وقد انجزا من قبل ولاية (مقدونيا) شبه البربرية في عهد عاهليها (فيليبوس) و (الاسكندر) . بيد انه ، في عهد صبا (زينوفون) ، لم يكن في مقدور أحد ان يحدس مستقبلا كهذا بعيد الاحتمال . كان في وسع (زينوفون) فقط ان يرى حقائق انهيار آثينا ، وتفوق اسپرطة . لقد كان اسپرطي النبول ، كغيره العديدين من الآثينيين الذين باتوا تحت تأثير سقراط ، معجباً بالنظام الاسپرطي والمثالية الارستقراطية، طموحاً في ذاته ، موقناً انه لا يستطيع تحقيق مطامحه في مناهضة اسپرطة . واخيراً ، أقصي عن آثينا ، وانفق الاعوام الاخيرة من عمره في عقار ريفي ، وهبه أياه الاسپرطيون ، صياداً ، كاتباً ، معيداً في كتبه ايام الحملة الفارسية العظيمة ، ومثله في الملكية ،

(١) كان ذلك في سنتي (٤٩٠ ق . م) و(٤٨٠ ق . م) .

(٢) المقصود هو القرن الرابع قبل الميلاد .

ممتلة بسايروس[٣] ، واحترامه كل الصفات العسكرية ، وكذلك اسيه واثر من الاستغراب) اعجابه بسقراط ، ليس لورع سقراط فحسب ، بل بحدسه الذهبي . ذلك ان (زينوفون) ، بالرغم من مساعره ذات الميول الاسبرطية ، كان أتينياً حقيقياً . فكي يلاحظ الفرد فكاهته واشراقته في تحليل دقيق لوضع ما ، ونفهمه الثاقب للرجال ، عليه فقط ان يطالع احدى خطبه على الجنود المرتزقة . اذ المشهور عن الاسبرطيين ان حظهم من هذه الصفات قليل .

اننا لا نعلم الى اي مدى قد تسبب ظنه التعسف الاسبرطي في المدن الاغريقية ، والحيرة في خارجها . ليس من شك ، ان الحاكم الاسبرطي العادي كان قصياً جداً عن حاكم (زينوفون) المثالي الذي ينبغي اذ يكون مقتدراً فحسب ، بل مؤدباً ؛ ولا قوياً فقط ، بل شريفاً . لقد اهتدى الى هذه المثالية في خلق (كورس) المطالب بعرش فارس ، الذي يبدو مؤكداً انه عدم الصفات المطلوبة لتؤجج خيال شاب ، هو تلميذ سقراط . وقد بددت القضايا السياسية آماله ، تستهويه الاعمال البطولية ، طموح الى الوجاهة . فضلا على ذلك ، ذاتها إن سعة الأمبراطورية الفارسية ذاتها ، الممتدة من (الهند) حتى مصر ، ومن القفقاس الى الخليج ... (العربي حالياً)[٤] قد اثارت فيه شعور السؤدد . والحقيقة ، انه لو لم يكن آثينيا ، لاجترأ الفرد على القول ان افكاره عن الفرس كانت منمطقة نعوميم . ويجوز ان التنسيع للقنص الذي شاطرهم فيه ، قد شره . ومهما يكن من امر ، ومع معرفته الشخصية بخيانة (تيسافرنيس) ، وقد علم حتماً ان تاريخ السلالة المالكة الفارسية القريب كان مشوباً حافلا بالدول وحكم النساء من وراء الستار ، فانه

---

(٣) هو الاسم المعروف بالعربيه (كورس) ، لأغريق وغيرهم يسمونه (سايروس) ـ المعرّب .

(٤) إسم الخليج بين القوسين زياده من المترجم .

ظل مؤكداً فقط على مغزى النبل الفارسي، والاخلاص الفارسي، ومؤهلات الملكية، ان تثمينه خلق (كورش) يلفتهم مثله.

لقد كان (كورش) بالفعل حائزاً المقدرة التي اعتقد (زينوفون) وجودها فيه. إنه الشقيق الأصغر للملك (أرتاكسركسس)[٥]، والأبن المفضل لوالدته (باريزاتس)، وقد تميز بأهتمامه بالأغريق، وتقديره للحقيقة أن مشاة الأسلحة الثقيلة الأغريق أفضل مشاة في العالم. ان مشاة الأسلحة الخفيفة، التي تعمل بالتعاضد مع خط مشاة الأسلحة الثقيلة، كانت عنصراً جديداً في الجيوش الأغريقية، ونتيجة للحرب الداخلية في اليونان، بلغت درجة عالية من الكفاءة. فقدّر (كورش)، أنه بفرقة يونانية قوية المراس في جيشه الوطني، وبضربة خاطفة مباغتة، سيوفق في الحصول على عرش أخيه الذي لديه من مصادر القوة العددية المحاربة ما يفوق كثيراً أي شيء قد يستطيع به (كورش) مجابهتها. وأوشك (كورش) أن يفلح. إن الباحثين يختلفون في تخمينهم حقيقة ما وقع أثناء معركة (كوناكسا)، غير أن من الواضح، على الأقل، بأن الجيش الأغريقي قد دَحَرَ تماماً العساكر الفارسية المواجهة، وكانت ثمّة لحظة تيسر عندها تحوّل هذا الفوز الموضعي إلى انتصار على طول الجبهة[٦]. كما كان جلياً أنه، خلال جميع الأشتباكات المتعاقبة، لم يكن ثمة مشاة يستطيعون الصمود

---

(٥) هو (أرطحشست) الثاني المعروف بالمدبّرويسمى كذلك (أرتحششتا) حسبما ورد في تأريخ ابن العبري وتاريخ أدّي شير.

(٦) لا أتفق مع المترجم على هذا الرأي إذا عنى الأنتصار بعد مقتل (كورش). فقد تقهقر جيش (كورس) الفارسي في الجولة الأولى، وكف عن القتال. وأنبا اليونانيين في اليوم التالي بعزمه على العودة. فكان من المستحيل أن يكسب اليونانيون النصر الأخير وقد باتوا وحدهم في الميدان.

أمام الفيلق اليوناني في معركة ضارية . ومن جهة أخرى ، كان اليونانيون ، وجيش (كورش) عامة ، ضعفاء الفرسان . لقد فطن (زينوفون) لهذا الضعف ، وبذل أقصى جهده لأصلاحه . لكنه في أيام الاسكندر فقط ، غدا جيش يوناني ، مضارع في القوة ، فنزل الى الميدان مقابل الفرس . أما بالنسبة الى (زينوفون) و (كريسوفوس)[٧] بما لديهما من قوة تعد خمسين فارساً ، وتستوجب الهزء ، فمخاطر الزحف نحو (فارس) كانت جسيمة . كانت مشاتهم لا تُقهر في المعارك الحامية ،لكن كان لزاماً عليها أن تحوزَ الميرة ، وقد يضُيّق عليها ويُحاط بها أثناء التقدّم . أما الهلال الخصيب ، فغالباً ما شهد إنكسار الجيوش المشاة الممتازة أمام عدد أوفر من المشاة وأغزر من المهاجمين . إن العودة بجيش ، تعداده عشرة آلاف ، من بابل الى البحر الأسود ، كقوّة مقاتلة سليمة ، كانت في حد ذاتها إنجازاً عسكرياً جديراً بالأعتبار .

إلا أن هذا التسجيل ، الذي هو أحد الزحوف البالغة الشهرة في التأريخ ، ليس كل أو أفضل ما يستحق كتاب (زينوفون) . فهو يخالف أغلب الآداب الكلاسيكية ، بأنه عرض بالحياة اليومية للرجال العاديين والجنود . هنا نشاهد كيف أن نظريات الأغريق في الحكومة والفضيلة برزت عملياً . فهي حينما تَهدّدَ الخطر ، تُرجمت عملياً بصورة جيّدة لا غبار عليها . ويبدو أن أفضل الرجال قد اختيروا للمراكز ذات المسئولية ، وأنّهم بالرتبه والمنزلة ضمنوا الطاعة لهم دونما تذمر . وبزوال الخطر ، عادة ، ينفرط عقد الأشياء . فدبت المنازعات المحلية بينهم ، وكانت الحكمة تستعيد مكانها فقط غِبْ انهزام أحدهم أو تعرّضه للخطر . لقد كان جيشاً تجمع من جميع أطراف اليونان ، ولو أن الغالبية من

---

(٧) يكتب كذلك (خيريسوفوس) أو (خريسوفوس) .

رجاله وفدت من الولايتين (البيلوبونيزيتين) ـ أركاديا وأشاي ـ إن الجيش قاطبة لم يتشبث فقط بالشعور بالمواطنة المشتركة ، بل بروح وطنية محلية عارمة ، وإحساس شديد بحقوق كل إنسان كفرد . مثال ذلك ، أحد هؤلاء الأفراد ، (أجاسياس)[٨] من (ستيمفاليا) الذي أقدم على إغتصاب الحاكم الاسبرطي كي لا يشاهد أحد رجاله مقيداً من قبل ضابط يعلم جبنه ؛ والجندي الاسبرطي الفظ (دراكونتيوس) المنفي من مدّة طويلة لحادثة قتل غير متعمد وغيرها . ومع كل إعجابه بالعظماء ، فهو لطيف الأشارة في وصفه وتفهمه مظاهر الرجال الذين دونهم مرتبة ، ولم يكن عبثاً ثلبه بأنه «محبّ جداً للجندي العادي» . أما الأحداث التي وفعت له ، فكانت كذلك مؤثرة . ما أحسن ما وَفّق بين الأتضاع والرفعة إذ قبض على زمام المبادرة بعد مقتل صديقه (بروكسينوس) والقادة الآخرين ! ما أبلغ خطبه ! ما أبرع ما يظهر من حذق ، وكيف يأبى القيادة العليا بتردد ! ربّما كان حلمه الكبير إنشاء مدينة في منطقة البحر الأسود ، وعندما خاب في ذلك ، ألفى نفسه فجأةً سيّد بيزنطية ، فيرفض صراحة الرضوخ لما يُفرض عليه . وقُبْل عودته بوقت قصير ، أمسى فقيراً الى حد احتاج فيه بيع حصانه ، وأخيراً ـ بعملية سطو عاجلة ـ استأنف الحياة . إنه ، بما فيه من برودة المزاج وتقدير الموقف وألمعية وورع شديد ، واحد من أعاظم أصحاب السيَر في التاريخ . ومحاسبة أعماله الذاتية قصيّة جداً عن الخجل حتى يبدو لنا أحد اليونانيين النادرين الذين نملك فكرة وافية عن طرائقهم ومناهجهم . إن كاتباً في (تاريخ كمبرج القديم)[٩] ، من غير شك ، إذ

(٨) قائد مئة بارز (CAPTAIN) وتقابل هذه الرتبه عندنا (رئيس) ـ المترجم .

(٩) عنوانه بالانكليزيه (CAMBRIDGE ANCIENT HISTORY) ـ المترجم .

يتابع بأسلوب صحيح وعمل مضنٍ هتكَ الحجب عن الشخص العظيم، قد يحط من شأن مقدرة (زينوفون)* ، ويسخر من منجزاته دون إبراز دليل واحد لدعم وجهات نظره . ومع ذلك، يبدو أن براعة المنجزات ذاتها تتطلب قدرة على النظام التام، وأنها ـ ما دامت رواية زينوفون مستمرّة ـ تستطيع الصمود ثابتة .

ولابد من كلمة تُقال حول بعض النقاط المتعلقة بالترجمة . لقد حاولت ما وسعني استعمال أكثر ما يمكن من الكلمات الأنكليزية، وأندر ما يمكن من الكلمات اليونانية والفارسية؛ ونتيجة لذلك، مثلاً، تخلصت من كلمة (PARASANG) المألوفة لدى المبتدئين في اليونانية، وأبدلتها ـ ولو بصورة غير دقيقة ـ بكلمة (MILES) . فالحقيقة إن الشوط الممثّل بكلمة (PARASANG) يختلف بالنسبة الى طبيعة الأرض المكتسحة . لذا ليس في الأمكان إعطاء قياس مضبوط بصورة مجردة عن اللبس بالنسبة الى زحف الجيوش في كل عصر، ....[١٠] .

أثينا ـ ١٩٤٦ ر . و .

الكتاب من منشورات بنجوين (PENGUIN)

الطبعة الأولى في عام ١٩٤٩ .

أعيد طبعه في عام ١٩٥١ ،

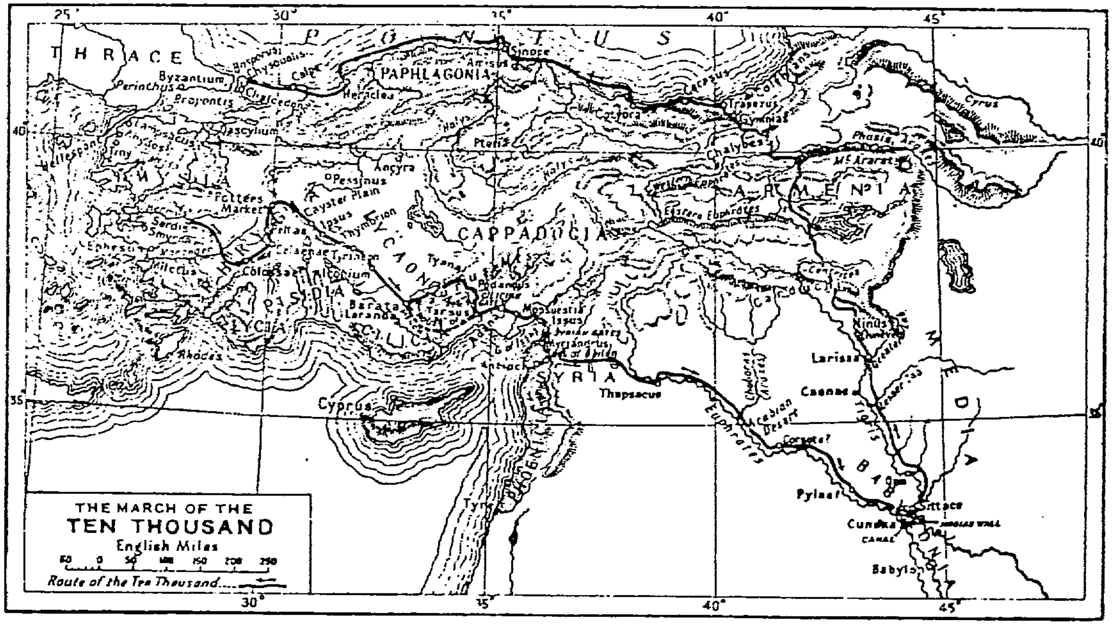
١٩٥٢ ، ١٩٥٧ و١٩٦١ .

(١٠) لم يتطرق المترجم (ريكس وارنر) الى بعض الكلمات الفارسية واليونانية التجار ومعانيها، وقد ارتأيت الأستغناء عن سردها لأني نقلتها الى العربية رأساً ـ المترجم .

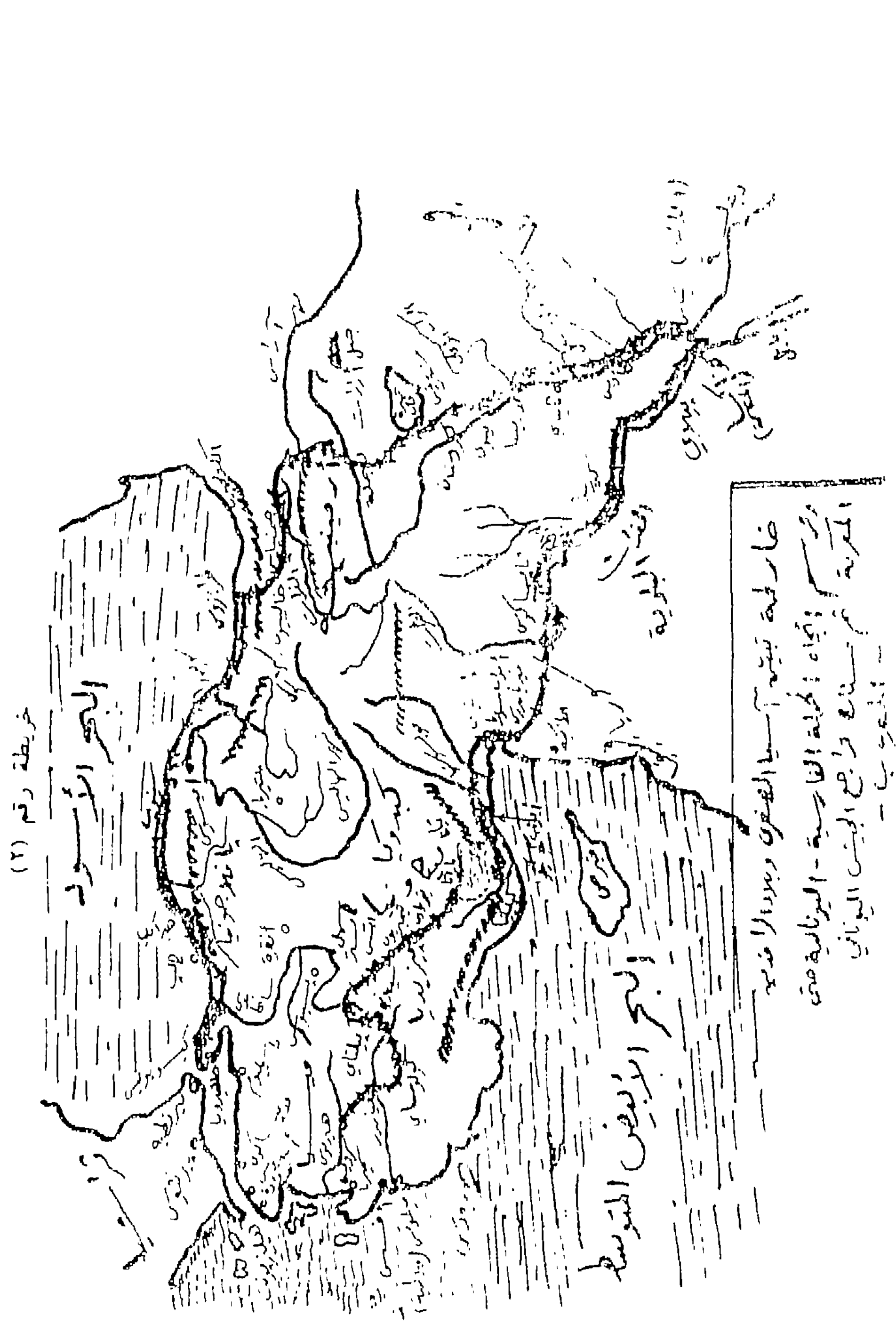
★ قبل دفع الكتاب الى الطبع، ومع بيدي المجلد العشرون من مجلة (سومر) لسنة ١٩٦٤ ، ومنه تبين أن (زينوفون) ألف كتابه باسم مستعار هو (ثيمستوجين) . أما إسم والده فهو (جريلوس) ـ ص ٢٢٧ ـ المترجم ١٨/١٠/ ١٩٦٥ .

جميع الحواشي والتعليقات والشروح
الواردة في هذا الكتاب هي من وضع
المترجم

خريطة رقم واحد

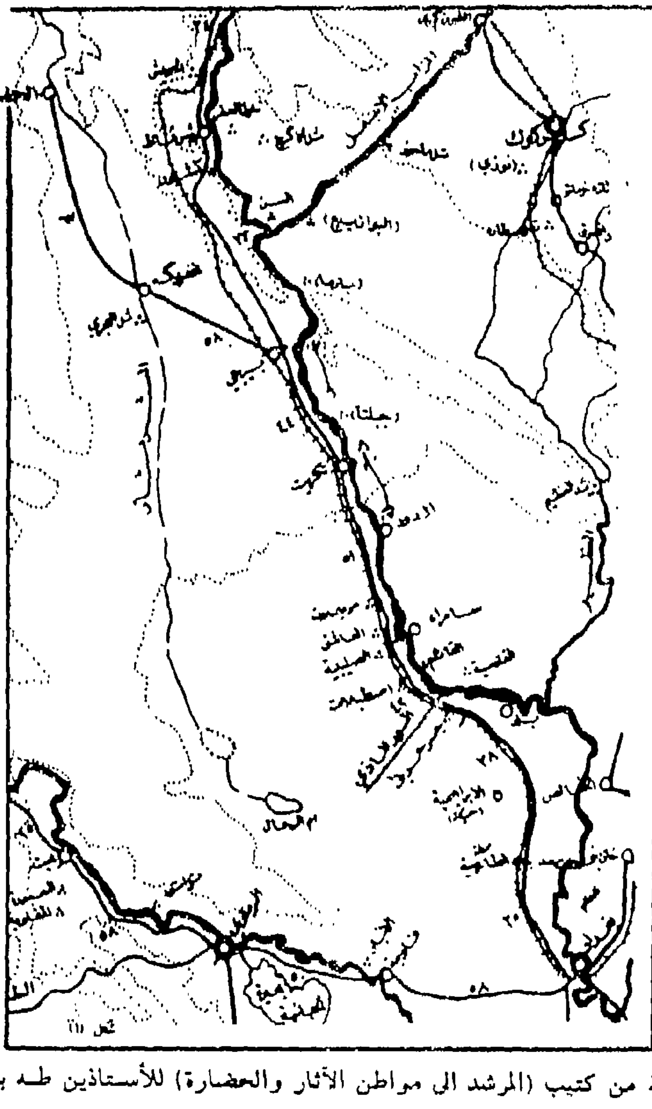


Reproduced from Bury's *History of Greece* by courtesy of Macmillan & Co. Ltd, London



لاحظ سير العملة من (سرديس) في آسيا الصغرى ثم عودتها الى (كيسوبوليس) على البحر الأسود .

خريطة رقم (٣)



خريطة من كتيب (المرشد الى مواطن الآثار والحضارة) للأستاذين طه باقر وفؤاد سفر ـ الرحلة الثانية . تبين (السور المادي) جنوبي (اصطبلات) . ويُلاحظ أن السور المذكور بعيد عن (بابل) بينما زينوفون يذكر في الفصل الرابع من القسم الثاني أنه ُجد قريب من بابل ـ المترجم

القسم الاول
(محاولة كورش)

الفصل الاول
كورش ينشىء جيشه

كان لداريوس و(باريزاتس) نجلان، اكبرهما (أرتاكسركسس)[1] وأصغرهما كان (كورش)[2]. وعندما بلغ (داريوس) ـ DARIUS ـ حد الوهن، واخذ يشعر بدنو أجله، رغب ان يكون نجلاه قريبين منه. واتفق ان كان الاكبر هناك، فكان عليه ان يرسل في طلب (كورش) من المحافظة التي قد عينّه عليها حاكماً، كما كان قد عينه قائداً عاماً على سائر القوات المحتشدة في سهل (كاستولس) ـ CASTOLUS.

عندئذ، رحل (كورش) الى العاصمة برفقة (تيسافرنوس) ـ Tissaphernes ـ الذي كان (كورش) يعده صديقاً، مستصحباً معه ثلاثمئة جندي يوناني من مشاة الاسلحة الثقيلة تحت امرة (زينياس) ـ XENIAS ـ الذي من (بارهاسيا). لكنه، غِب وفاة (داريوس)، وعندما ارتقى (أرتاكسركسس) العرش، قدح (تيسافرنيس) في كورش لدى شقيقه، واتهمه بالتآمر عليه[3]. وصدق (أرتاكسركسس) الوشاية، فاعتقل (كورش) بقصد

(١) Artaxerxesهو (أرتحششتا) الثاني المعروف بالمدبر.

(٢) بالأنكليزية يكتب (Cyrus) ويلفظ (سايروس) وكذلك بالأغريقية.

(٣) أورد الأستاذ (طه باقر) في كتابه (مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة) ـ الجزء الثاني ص ٤١١ و٤١٢ مايلي: «وقد بُدىء حكمه بمحاولة فاسلة لأخيه المسمى كورس الأصغر لاغتياله بطعنة خنجر في أثناء الاحتفال بالتتويج في المعبد الذي في (بزرگاده) ولكن نجا كورش من العقاب بتوسّلات أمه وتضرعها».

القضاء عليه .لكن والدته أنقذت حياته بتوسلاتها ، واعادته الى محافظته . غير ان (كورش) ، بعد نجاته من الخطر والفضيحة ، اتخذ الاحتياطات التي تضمن عدم وقوعه ثانية في قبضة اخيه ، بل حاول بديلا ، لو استطاع ، ان يغدو عاهلا مكان اخيه . كانت امه (باريزاتس) الى جانبه ، لانها كانت محبة له اكثر من الملك الحاكم (أرتاكسركسس) . ولقد استغل نفوذه على اولئك الذين قصدوه من البلاط الى حد غدوا معه لما عادوا ، اكثر تعلقاً به من الملك . كما اهتم بمواطني منطقته ليراهم في حال ملائمة لتجريد حملة ، وقد استمالهم اليه جيداً . وجمع عساكره الاغريق بكتمان متناه ، هادفاً الى مداهمة الملك بصورة مباغتة بقدر الامكان .

بهذه الطريقة كون جيشه . لقد انفذ اوامره الى قواد الحاميات في مختلف المدن باكتتاب المحاربين من اقليم (بيلوبونيز) ـ PELOPONNESE ـ بأوفر واجود عدد ممكن ، بباعث ظاهره أن (تيسافرنوس) مبيت النية على القيام بعمل ما تجاه المدن . والحقيقة ان المدن (الآيونية) كانت بالاصل تابعة لتيسافرنوس لانها قد اعطيت اليه من قبل الملك ؛ اما الآن ، فقد غدت باجمعها تؤول الى (كورش) باستثناء ميليطوس (Miletus)[٤] . احس (تيسافرنوس) في (ميليطوس)[٤] ان ثمة مؤامرة تحاك ، نظير انحياز الولايات الاخرى الى (كورش) ، فاعدم حياة بعض المتآمرين ، واقصى آخرين . لقد استقبل (كورش) المنفيين ، والف جيشاً ، وعزل (ميليطوس) براً وبحراً ، وحاول ارجاع الزمرة المنفية . فاتخذ ذلك ذريعة أخرى لتجميع الجيش . وارسل طلبه الى الملك ،

---

(٤) هي مدينة (ملاطية) حالياً في تركيا .

باعتباره شقيقه، راجياً تسليم المدن اليه بدلا من حكمها من قبل (تيسافرنوس). أما والدته، فقد لعبت دورها كذلك في هذا المجال. ونتيجة لذلك، لم تحصل للعاهل فكرة عن المؤامرة التي كانت تبيت ضده، بل ظن أن (كورش) كان ينفق امواله ويكون جيشاً لمحاربة (تيسافرنوس). وهكذا، ولما كان من خصومة دائرة بين ذينك الاثنين، لم يقلق الملك، خصوصاً وان (كورش) كان يزوده بالخراج من المدن التي كانت سابقاً في قبضة (تيسافرنوس).

وكانت هناك قوة أخرى، في طور التكوين، في (شرسونيز)[٥] المواجهة (آبيدوس)[٦]. وقد تم ذلك على هذا النحو: كان (كليرخوس) ـ Clearchus ـ الاسبرطي مقصياً. فواجهه (كورش)، وحصل لديه انطباع قوي الاثر عن امكانياته، وزوده بعشرة آلاف جنيه[٧]. فانفق (كليرخوس) الدراهم في تأليف جيش. بعد ذلك، وقد كانت (شيرسونيز) قاعدته، شن الغارة على (التراشيين) شمالي (هيليزبونت)[٨]. وكان ذلك لمنفعة الاغريق، ونتج ان مزيداً من المال تدفق عليه طوعاً من قبل حواضر (هيليزبونت) لدعم عساكره. وهكذا بات لكورش جيش آخر لم يسترع الريبة لتأليفة على هذا النمط.

---

(٥) بالأنكليزية تكتب (The Chersonese) يرجح أنها جزر في البحر المتوسط واقعة في بحر (إيجه) أو عند مدخل مضيق الدردنيل.

(٦) مدينة (Abydus) واقعة على ساحل بحر (إيجه).

(٧) (Daric) عملة فارسية نسبة الى (دارا) الملك وقيمتها زهاء جنيه واحد.

(٨) التراسيون السعب القاطن (تراسيا) وهي حالياً (بلغاريا) والهيليزبونت واقعة في مدخل الدردنيل (The Hellespont.

ثم كان هناك (أريستبوس) ـ Aristippus ـ الذي من (تساليا)، صديق (كورش)، الذي أحاقت به صعوبات سياسية في موطنه من قبل الحزب المناوىء. لقد اقبل على (كورش)، يرجو تزويده بالفين من الجنود المرتزقة، وجعالة ثلاثة شهور لأجلهم، قائلا ان ذلك يعينه في الغلبة على مناوئيه. فأمده (كورش) باربعة آلاف رجل، وجعالة ستة شهور، وطلب منه الا يعقد اي اتفاق مع مناهضيه قبل استشارته اولا. وهكذا بات له جيش آخر في (تساليا) دون اثارة شك.

كما أنفذ أيعازاً الى (بروكسينوس البيوطي) ـ Proxenus the Boeotian ـ صاحبه، بالتوجه شطره بمعية اكبر عدد مستطاع من الرجال، اذ أنه رغب في تجريد حملة على (البيزيديين) الذين كانوا يثيرون القلاقل في محافظته. واوعز الى سوفانيتوس (Sophaenetus) الذي من (ستيمفاليا)و(سقراط) الذي من (آشاي)، وهما صديقاه كذلك، بجلب ما يسعهما من الرجال، لانه كان سيشن الحرب على (تيسافرنوس)، وذلك دعماً منه للمبعدين عن (ميليطوس) وقد نفذ (سوفانيتوس) و(سقراط) تعليماته.

الفصـل الثانـي

الزحف من سرديس الى طرسوس

ولما قرر ان قد آن اوان الزحف على العاصمة، زعم ان غايته كانت تجريد منطقته من (البيزيديين)[1] نهائياً، وهو كأنه يستهدفهم، حشد المفارز الفارسية واليونانية من جيشه سوية. عندئذ امر (كليرخوس) بالتقدم مع كامل قوته، واوعز الى (أريستيبوس) ان يتوصل الى وفاق مع اعدائه في الوطن، ويعيد اليه العساكر التي معه. وامر (زينياس) ـ Xenias ـ الأركادي، الذي أنيطت به قيادة مرتزقته في المدن، بالمجيء مع جميع قواته الفائضة عن العدد الواجب لحماية الحصون. كما استدعى اولئك الذين كانوا قد احاطوا (ميليطوس)، وحث المنفيين على الالتحاق به في تجريدته، واعداً اياهم انه، اذا ختمت حملته بالظفر، لن يقر له قرار حتى يعيدهم الى اوطانهم. وقد ارتضوا ذلك مبتهجين لثقتهم به. فوفدوا الى (سرديس)* مع اسلحتهم.

بعد ذلك، وصل (زينياس) الى(سرديس)، مع رجاله من المدن، وكانوا زهاء اربعة آلاف راجل من المشاة الثقيلة؛ كما قدم (پروكسينوس) ـ Proxenus ـ برفقة ما يقارب الفاً وخمسمئة من مشاة الاسلحة الثقيلة، وخمسمئة من مشاة الاسلحة الخفيفة. اما (سوفاينتوس) الستيمفالي، فقد وصل بالف راجل من ذوي الاسلحة الثقيلة، و(سقراط) الآثني جاء بحوالي خمسمئة راجل من حملة

(١) هوم منسوبون الى (سرديا) مقطوى سماني حال طوروس

★ الأرجح أنها مانيسا (Manisa) الحديثة شمال شرقي (أزمير).

الاسلحة الثقيلة . وكان لدى (پازيون) المجاري ـ Pasion the Megarian ـ ثلاثمئة راجل من الصنف الثقيل وثلاثمئة من مشاة الصنف الخفيف . كان سقراط وهو (پازيون) من ضمن القوة العاملة ضد (ميليطوس) .

ثم توجهت هذه القوى الى (كورش) في سرديس . لكن (تيسافرنوس) ، عندما علم الامر ، ادرك ان القوة كانت من الضخامة بشكل لا يعقل اعدادها لمقاتلة (البيزيديين) ، فتوجه باقصى السرعة الممكنة ، مع خمسمئة فارس الى العاهل . فلما وقف العاهل على جلية الامر ، اتخذ التدابير لمجابهة (كورش) .

لقد انطلق (كورش) ، مع من ذكرت ، من (سرديس) ، وقد استغرق ثلاثة ايام في قطع (٦٦ م)[٢] داخل (ليديا) حتى بلغ نهر (مياندر)[٣] الذي عرضه (٢٠٠ ق)[٤] ، وفوقه جسر عائم على سبعة قوارب . بعد اجتياز النهر ومسيرة (٢٤ م) خلال يوم واحد ، داخل (فريجيا) ، اشرف على مدينة (كولوساي) الواسعة المأهولة ، ذات الخيرات الغزيرة . فمكث هناك سبعة ايام ، ووصل (مينون) الذي من (ثساليا) ـ Menon the Thessalian مع الف من المشاة الثقيلة ، وخمسمئة من المشاة الخفيفة(.....)[٥] . من ثم ، وغب مسيرة (٦٠ م) خلال ثلاثة أيام ، بلغ (سيلايناي) وهي مدينة واسعة مقطونة واقعة في منطقة (فريجيا) . وكان لكورش ثمة قصر وحديقة شاسعة مليئة بالحيوانات البرية التي اعتاد اقتناصها ،

---

(٢) فضلت وضع المقاييس والأبعاد داخل قوسين بالارقام بدلاً من الكلمات بجانب الحرف الأول من المقياس : (م) تعني الميل ، (ق) تعني القدم ، (ى) تعني الباردة وذلك لأنها . أكثر إلفاتاً للنظر .

(٣) نهر (المياندر) هو المسمى (بوك مندرس) حالياً ويصب في بحر إيجه .

(٤) ق ترمز الى القدم .

(٥) جاءت بعد هذه الكلمة ثلاث كلمات : Olynthians, Ainianes, Dolopes وهي كلمات السمه تشير الى جنسيات المشاة الخفيفة ، القاطنة في (تساليا) وسرقي اليونان .

وهو على ظهر جواد، متى رغب في تدريب نفسه وخيوله. وكان نهر (مياندر) يخترق وسط الحديقة، وكانت ينابيعه تتدفق خارجة من القصر، كما انه يجري مخترقاً مدينة (سيلانياي). وكان للعاهل العظيم ايضاً قصر في (سيلانياي) في موقع منيع عند منابع نهر (مارسياس) تحت القلعة. وهذا النهر كذلك يخترق المدينة ويلتئم بنهر (مياندر). ان سعة (مارسياس) تبلغ (٢٥ ق). وههنا مسرح الحكاية القائلة بان (أبولو)[٦] سلخ جلد (مارسياس) عند اندحاره في الرهان بانه الغالب عليه في الحكمة، وعلق اهابه في المغارة التي منها تتفجر المياه، ولهذا دعي النهر (مارسياس). والمقول بان (زركسس) هوالذي شيد القصر وقلعة (سيلايناي) اثر عودته من اليونان مقهوراً.

لقد أقام (كورش) في هذا الموضع ثلاثين يوماً، حيث وصل (كليرخوس) المنفي الاسپرطي مع الف من المشاة الثقيلة، وثمانمئة جندي (ثراشي) من المشاة الخفيفة، ومئتي نبال (كريتي). في نفس الحين، لاح (سوسيس) السيراقوسي ـ Sosis the Syracusan ـ مع ثلاثمئة من المشاة الثقيلة، و(سوفانيتوس) الأركادي بصحبة الف من المشاة الثقيلة. وهنا استعرض (كورش) اليونانيين في حديقته، وأحصاهم. فبلغ عددهم احد عشر الفاً من مشاة الصنف الثقيل، وحوالي الفين من مشاة الصنف الخفيف.

وبعد ان قطع (٣٠ م) من هنا خلال يومين، ادرك المدينة الآهلة (بلطاي)، فمكث فيها ثلاثة أيام، احتفل خلالها (زينياس) الأركادي بالعيد (الليكي) ـ Lycaen Festival ـ ونظم العاب الفتوة. وكانت الجوائز تيجاناً ذهبية، وقد شهد الالعاب (كورش) نفسه. وبعد مسيرة (٣٦ م) خلال يومين، بلغ آخر

(٦) هو إله الجمال والرجولة والسحر والموسيقى عند الرومان وقد طغى على الاسم الاغريقي (فويبوس).

مدينة آهلة قبل حدود (ميسيا)، يطلق عليها (سوق الفخارين) ـ Potters' Market . ومن هناك، بعد ان قطع (٦٠ م) في ثلاثة أيام، وصل (سهل كايستر) ـ Cayester Plain ، وهي مدينة آهلة .

وظل هناك خمسة ايام . ولما كانت جعائل الجند، لما ينوف على ثلاثة شهور، لم تسدد، فان الجنود غالباً ما توجهوا نحو فسطاطه، وطالبوه بالجعائل . وكان عليه ان يقصيهم عنه بالوعود المستمرة . وغير خاف ان ذلك قد اقلقه، اذ ان رجلا مثل (كورش) ما كان ليحتجز الجعائل لو توفرت لديه . عندئذٍ، وفدت (أيپاكسا) ـ Epyaxa ـ قرينة (سينيسيس) ـ Syennesis ـ عاهل (كيليكيا) لزيارة (كورش)، وقيل انها وهبته مبلغاً وافراً من المال، ومهما يكن من امر ،فان (كورش) عند ذاك فقط، وزع رواتب الجند المستحقة لاربعة شهور . كان برفقة ملكة (كيليكيا) حرس (كيليكيون) و (أسپنديون) . كما قيل انها رقدت و(كورش) سوية .

وبعد مسيرة (٣٠ م) من هنا، خلال يومين، ادرك المدينة الآهلة (ثيمبريون) . وكان هنا على جانب الطريق العين التي الحق بها اسم (ميداس) ـ Midas ـ ملك (فريجيا)، اذ يقال ان (ميداس) قد اسر الشخص الخرافي[٧] ـ الذي نصفه الاعلى بصورة بشري وشطره الاسفل بشكل ماعز ـ وذلك بمزج النبيذ مع الماء . ومن هنا سار قاطعاً (٣٠ م) خلال يومين، فوصل (تيرياون) وهي مدينة مأهولة . فأقام هناك ثلاثة ايام، ويقال ان ملكة (كيليكيا) طلبت منه ان يريها عسكره . فنساء ان يقيم عرضاً من اجلها . واستعرض في السهل جيشه اليوناني

---

(٧) Satyr ـ سخص خرافي في أساطير الأغريق . وسببه الجملة المعترضة من (الذي) الى (ماعز) إضافة من المعرّب .

والوطني (الفارسي)[٨] . لقد اوعز الى اليونانيين بالاصطفاف واتخاذ مواضعهم الحربية المعتادة ، على أن يهتم كل ضابط بنظام رجاله ، فاصطفوا للعرض اربعة اربعة ، وكان (مينون) ومحاربوه على الميمنة ، و(كليرخوس) ورجاله على الميسرة ، والقادة الآخرون في القلب . فتفقد (كورش) جيشه الفارسي اولا ، متقدمين بهيئة زمر وبتشكيلات ايضاً ، ثم تفقد اليونانيين ، وهو بمركبة على طول جبهتهم ، والملكة في عربة مغطاة . وكانوا جميعاً يرتدون الدروع البرونزية والقمصان الحمراء والدروع لوقاية الساقين ، وقد أزاحوا عنهم تروسهم . وحين اتى على نهاية العرض ، اوقف مركبته مقابل وسط الفيلق ، وانفذ ترجمانه (پيجرس) ـ Pigres ـ نحو القادة اليونانيين مع ايعاز بامر جنودهم بتجريد رماحهم للتأهب ولحركة الفيلق باكمله . فبلّغ القادة الجنود اوامرهم ، ونفخ في النفير ، ورماحهم مجردة ، فتقدموا نحو الامام . فلما اسرع الجنود الخطى ، واطلقوا صراخهم ، وجدوا انهم في الحقيقة يهرولون نحو خيامهم . فاصاب الذعر المواطنين كافة[٩] ، وانهزمت ملكة (كيليكيا) بعربتها المغطاة ، وغادر الناس في السوق مصطباتهم ، بينما انطلق اليونانيون الى خيامهم ضاحكين . اما ملكة (كيليكيا) ، فقد اعتراها الذهول وهي تنظر العرض الرائع الذي قام به الجيش ونظامه ، ولقد اغتبط (كورش) بما لاحظ من وقوع الهلع الذي احدثه اليونانيون في صفوف الاهالي[٩] .

وبعد أن اجتاز مسافة (٦٠ م) في بحر ثلاثة ايام ، وصل (ايقونيه)[١٠] وهي

---

(٨) كلمة الفارسي إضافة من المعرّب الى الأصل (Native) زيادة في الأيضاح .

(٩) كلمة (المواطنين) و (الأهالي) ترجمة لكلمة (Natives) أي السكان الأصليون ، إذ أستبعد أن يعني المؤلف الجيش الوطني ـ الفارسي ـ

(١٠) Iconium وهي (قونية) الحديثة

آخـر مدينة في (فريجيا). فمكث هناك ثلاثة ايام، ثم تابع التقـدم خـلال (ليكاونيا)[١١]، فاستغرق ذلك خمسـة ايام، قطع اثناءها (٩٠ م). ولما كانت هذه المنطقة معادية، عهد الى اليونانيين بغزوها، واعاد من هنا ملكة (كيليكيا)، عن اقصر مسلك، الى بلدها بحماية (مينون) نفسه ورجاله. اما (كورش) ومن معه، فقد تقدموا خلال (كبدوكية)، فوصل مدينة (دانا)[١٢] الواسعة الآهلة الغنية بعـد ان قطع (٧٥ م) في اربعة ايام. وظل فيها ثلاثة ايام، اعدم خلالها فارسياً يدعى (ميجـافرنوس) ـ Megaphernes ـ الذي كان يحـق له ارتداء الحلة الارجوانية السلطانية، وشخصاً آخر ذا صولة من الفئة الحـاكمة، وذلك بتهمة التآمر.

من هنا، حاولوا اجتياز الحدود نحو (كيليكيا). وكان المجاز عبارة عن مسـلك عجلة واحدة، شـديد الأنحـدار، يتعـذر على جيشٍ عبوره لو تعـرض لأدنى مقاومة. ولقد تواتر أن (سـينيسيس) كان يراقب ذلك الممر من نقـطة سـامقة في المرتفعات. وعليه، انتظر (كورش) يوماً واحـداً في السـهل. وفي اليوم التالي، ورد مخبر فأفاد أن (سينّيسيس) قد هجر المرتفعات بعد علمه أن عسكر (مينون) سبق أن اجتاز جبال (كيليكيا)★، ولأنه سـمع ان بعض السـفن الحـربية تحـت إمرة (تاموس) ـ Tamos، وبعض السـفن الاسـبرطية وغيرها من أسـطول (كورش) بالذات، كانت ماخرة حول الساحل من (أيونيا)[١٣] باتجاه (كيليكيا).

على كل حـال، بلغ (كورش) قنن الجبال من غير مقـاومة، ولمح مخيم

---

(١١) Lycaonia.

(١٢) Dana وهي مدينة (أظنة) الحالية في تركيا.

(١٣) Ionia: الجزء الغربي من آسيا الصغرى المطل على بحر (إيجة) والجزر التي فيه.

★ تدعى اليوم (كولاك بوغاز) ـ مجلة (سومر) العدد العشرون ـ ص ٢٢٨.

الحامية الكيليكية. فانحدر من هناك الى سهل فسيح خلاب، غزير المياه، حافل بصنوف شتى من الشجر والأعناب، وينتج كميات من السمسم والذرة[١٤] والحنطة والشعير. إن الجبال الشاهقة المحدقة به من كل صوب، والممتدة من البحر الى البحر، جعلت منها حوله موقعاً منيعاً. وبعد الانحدار من الجبال، أدرك طرسوس[١٥] بعد قطعه (٧٥ م) في بحر أربعة أيام خلال هذا السهل، وهي مدينة واسعة وغنية في (كيليكيا)، حيث قام قصر (سينيسيس) عاهل (كيليكيا). وكان نهر (سيدنوس)[١٦]، الذي عرضه (٢٠٠ ق)، يشطر المدينة الى شطرين. إن السكان، باستثناء أصحاب الحوانيت، هجروا المدينة، ورافقوا (سينيسيس) الى موقع منيع محصن في الجبال. كما تخلف عنهم القاطنون عند ساحل البحر في (سولي)[١٧] و (إيسس)[١٨].

لقد وصلت (أبياكسا) قرينة (سينيسيس) طرسوسَ قبل (كورش) بخمسة أيام. وفُقدت جماعتان من عسكر (مدون) أثناء اجتياز الجبال نحو السهل. واستناداً الى بعض التقديرات، يُقال إن (الكيليكيين) قد أبادوا هاتين الجماعتين أثناء قيامهما بحملة سلب؛ واستناداً الى غيرها، لقد تركتا في المؤخرة، فلم تتمكنا من العثور على بقية العسكر، أو اقتفاء الأثر الصحيح، فتاهتا وأبيدتا.

(١٤) Millet ـ هو (الذره) حب معروف من قديم الزمان في العالم القديم يؤكل طعاماً ويدخر غلّه.

(١٥) Tarsus غربي أظنة (١٦) Cydnus لا يُعرف اسم هذا النهر حالياً وقد يكون نهر سيحون أو أحد روافده لقربه جداً من طرسوس.

(١٧) Soli ـ لا وجود لها على الخارطة وأرجح أنها (إيشيل) أو (مرسين) حالياً.

(١٨) Issus ـ المشهورة في التأريخ القديم بموقع المعركة التي وقعت عندها بين دارا الفارسي والأسكندر المقدوني.

ومهما كانت الحقيقة فالقوة كانت منذ جندي من المشاة الثقيلة. ولما وصلت البقية الباقية من عسكر (مينون)، سلبوا مدينة (طرسوس) وقصرها الملكي لحنقهم من جراء فقدان رفاقهم.

بعد دخول (كورش) المدينة، أنفذ في طلب (سينّيسيس) للحضور لديه. فكان ردّ (سينّيسيس) أنه لم يُمس بعد في حوزة أي فرد أقوى من ذاته، وظل مصراً على رفضه زيارة (كورش) في هذه المناسبة حتى تمكنت عقيلته من إقناعه بالذهاب، وحتى ضمنت له السلامة. بعد ذلك. جرى لقاء بين الاثنين، ووهب (سينّيسيس) كورش مبلغاً كبيراً من المال من أجل الجيش، في حين منحه (كورش) أشياء تُعتبر من هدايا الشرف في البلاط ـ جواداً مزوداً بلجام ذهبي، ورباطاً وسواراً ذهبيين، ومهنّداً ذهبياً أحدب، وحلّة فارسية. وضمن له عدم اغتصاب أرضه، وقطع له وعداً أن رعاياه سيستعيدون العبيد الذين أُسروا حيثما صادفوهم.

الفصل الثالث
كليرخوس يعالج فتنه

مكث (كورش) والجيش هنا مدّة عشرين يوماً، لأن الجنود أبوا متابعة المسير. فقد ارتابوا بأنهم إنما يزحفون ضد العاهل، وقالوا بأنهم لم يُستخدموا من أجل ذلك. حاول (كليرخوس)، أول الأمر، إرغام الجنود التابعين له للمضي قُدُماً، مَيْدَ[1] أنهم رجموه بالحجارة، ورجموا حيواناته، ناقلة الأمتعة والحقائب، حالما حاولوا الشروع في الحركة. وكاد (كليرخوس) أن يموت رَجماً في هذه الحادثة، لكنه بعد أن أدرك أنه لن يفلح في قصده عنوةً، نادى باجتماع الجنود التابعين له. فانتصب باديء الأمر أمامهم دون حراك لفترة طويلة وهو ينتحب، فتعجبوا لمرآه، وظلوا صامتين. ثم خاطبهم قائلاً: «زملائي الجنود، لا تستغربوا اضطرابي من جراء ما يجري. لقد أضحى (كورش) صديقي، وعندما كنت منفياً عن تربتي، لم يعاملني باحترام كبير فحسب، بل وهبني عشرة آلاف جنيه. وعندما حصل المال لديّ، لم أحتفظ به جانباً لذاتي، ولم أنفقه على ملذاتي الخاصة، بل صرفته عليكم. لقد حاربت (التراسيين) أولاً، وأنتم وأنا وجّهنا ضربة لصالح اليونان، وذلك باكتساحهم من (سيرسونيز)[2] حيث أرادوا اغتصاب الأرض من مستوطنيها اليونانيين

---

(١) ميْدَ. نعم نادرة في (بَيْدَ) تعطي معنى لكن.

(٢) Chersonese ويجوز أن نلفظ (الخرسونس) أيضاً ويغلب أنها الآن ضمن حدود (بلغاريا) أو عند مدخل الدردنيل.

هناك . فلما دعاني (كورش) ، توجهت نحوه معكم ، بقصد أن أردّ صنيعه ؛ إذا احتاج إلى معاضدتي ، تعويضاً لكل ما حبانيه من لطف . على أيّة حال ، ما دمتم غير راغبين في الزحف معه ، فينبغي عليّ تخيّر أحد أمرين : إما يتحتم علي أن أنبذكم وأحافظَ على صداقة (كورس) ، وإما أن أنقضَ وعدي له ، وأنطلق معكم . فلا أدري إن كنتُ الآن أتصرف تصرفاً سليماً أم لا ؛ ومهما يكن ، فإني سافضلكم ، وسأتحمل تبعة ما سيكون لئلاّ يُقال عَوْضُ(٣) بأني قد اقتدت اليونانيين الى بلد أجنبي ، ثم تخليت عنهم ، وفضلت مصادفة أهل البلاد ؛ كلا ، بما أنكم لن تطيعوني ، فأنا تابعكم واتحمل المغبة . ذلك لأنى أعِدّكم بلدي وأصدقائي وحلفائي ؛ حينما أكون بين ظهرانيكم ، أعتقد أن الشرف سيلازمني حينما كنت ، ولكن من دونكم لا أعتقد أنه سيكون في وسعي فعل الخير من أجل صديق ما أو إلحاق الأذى بعدوٍ ما . لذا تستطيعون الوثوق أني ذاهب الى حيث تذهبون .»

ذلك ما تفوه به . فصفّق له الجنود قاطبة ـ تابعوه وغيرهم أيضاً ـ وذلك عندما أصغوا الى عزوفه عن الزحف ضد العاهل . فانحاز اليه ما يربو على ألفي مقاتل من رجال (زينياس) و (بازيون) ، آخذين أسلحتهم وحقائبهم ، وخيموا بجوار (كليرخوس) . لقد أقلق هذا (كورس) وأحزنه ، فأرسل في طلب (كليرخوس) . فلم يشأ (كليرخوس) الذهاب ، بل بعث رسولاً الى (كورس) من غير معرفة الجنود ، وأخبره أن يتمسك بشجاعته لأن الأمور ستجري بصورة أفضل . وقال له أن يطلبه ثانية ، لكن (كليرخوس) رفض الذهاب أيضاً . بعد ذلك ، جمع الجنود من تابعيه والذين التحقوا به وكل من

(٣) عَوْضُ : ظرف لاستغراق المستقبل يستعمل بمعنى (أبداً) كما يستعمل لاستغراق الماضي أيضاً وهي مختصة بالنفي .

شــاء الأســتماع ، وخــطبهم قائلاً : «زملائي الجنود : من الواضــح أن نظرة (كورش) عنا قد تبدلت ، مثلما تبدلت فكرتنا عنه تماماً . لأننا لم نعــد جنوده (إذ كيف نكون كذلك إن نتخلف عن اللحاق به ؟) كما أنه لم يعـد مسـتخدِمنا . على كل حال ، إني موقن أنه يعتقد بأننا قد أسـأنا معـاملته ، فعليه ـ حتى حينما يرسل في طلبي ـ لا أرغب في المضي إليه . ومردّ ذلك ، بصـورة رئيسـية ، هو الشعور بالخجل ، لأدراكي بأني قد خيّبتُ أمله في كل وسيلة ، لكني أخشى كذلك ، أن يعتقلني ويعاقبني على معاملتي الخـاطئة التي يحسـب صـدورها مني نحــوه . فرأيي لذلك أن ليس هذا أوان الذهاب للنوم ، وإهمال مصــلحتنا الذاتية . بل حريّ بنا أن نتدبرّ ما ينبغي علينا عمله كخـطوة ثانية . فطالما نحـن نقيم هنا ، أعتقد أنه يجب علينا اعتبار أفضل طـريقة نسـتطيع بهـا أن نجعــل بقاءنا مأموناً جُهْدَ الطاقة . فإن كان قد تقرر الذهاب ، فعـلينا أن نفكر في كيفية ذلك بأقصى درجة من السـلامة ، وفي كيفية تمكننا من الحصـول على الميرة ، إذ بدونهـا لا يصـلح قائد ولا جندي بسـيط لأي شيء . إن الشخص الذي يهـمنا أمره ، عظيم الفضل عند أولئك الذين يحبهم ، لكنه عدوٌ بالغ الخطورة عند مناوئيه ؛ والقوة التي في حوزته من مشاة وفرسـان وسـفن مرئية ومعـلومة لدى كل فرد منّا» . في الحقيقة ، أعتقد أن معسكرنا لا يبعـد عنه كثيراً . لذا ، قد آن الأوان ليقول الناس ما هو أفضل شيء يجب عمله في اعتقادهم» .

لقد توقف عن النطق بعد قوله ذلك ،فأستقل[4] بعضـهم ليقـولوا ما يدور في خلدهم ، بيد أن آخرين ممن ألقى عليهم (كليرخوس) ذات المسـألة ، أوضـحوا الصعوبة الجسـيمة في مكوثهـم هناك ، أو الرجـوع من غير موافقـه (كورس) .

---

(٤) إستقل : نهض أو وقف

وتكلم أحد هؤلاء ، زاعماً أنه مشتاق العودة الى اليونان بأسرع ما يمكن ، وطلب أن ينتخبوا قادة آخرين في الحال ، إذا عارض (كليرخوس) قيادتهم أثناء الرجوع ، وان يبتاعوا الميرة «وكانت السوق في معسكر الجيش الوطني»[٥] وان يحزموا امتعتهم ؛ ويتحتم عليهم اللجوء الى (كورش) برجاء تزويدهم بالسفن ليتمكنوا من الرحيل بحراً ، فان احجم عن تزويد السفن ، وجب عليهم ان يسألوه تزويد الدليل لمرافقتهم خلال تغلغلهم في قطر صديق . فأن لم يتسأ حتى تزويد هذا المرشد ، وجب عليهم التحرج تأهباً للمعركة بالسرعة المستطاعة ، وارسال مفرزة لتحتل المرتفعات للحيلولة دون وصول (كورش) هناك اولاً او (الكيليكيين) الذين منهم اغتصب اليونانيون ـ وما زالوا كذلك ـ عدداً جماً من الرجال ، ومبالغ طائلة من المال .

بعد أن تكلم هذا على ذاك النحو ، إقتصر (كليرخوس) على القول : «لا يتوهم أحدكم أبداً بأني قائدكم في حملة من هذا الطراز . أستطيع رؤية عدة عوامل في الموقف من شأنها أن تجعل ذلك مستحيلاً علي . لكنكم تأكدوا أني سأساند مخلصاً ذلك الشخص الذي تنتخبون ليحل محلي ، لتعلموا ان في مقدوري الأذعان للنظام على أحسن وجه يستطيعه غيري بالضبط» .

ثم نهض رجل آخر ، وبيَّن خَطَلَ رأي المتكلم الذي أوصاهم بمطالبة (كورش) بتزويد المراكب ، كأن (كورش) هو الذي يُعيد جيشه القهقري ، وقال : «ما أسخف أن نطلب الدليل من نفس الرجل الذي انهار مشروعه بسببنا ! فإن كنّا حقيقة سنضع ثقتنا في الدليل الذي يزوّدنا به (كورش) ، فينبغي علينا ، كذلك ، ان نطالب (كورش) بأحتلال المرتفعات من اجلنا . أني بالتوكيد

---

(٥) ـ Native Camp : يقصد معسكر الجيش الفارسي .

سأحجم عن ركوب السفن التي يجهزها (كورش)، فهو قد يغرقنا بزوارقه، وأني اخشى اتباع الدليل الذي يعطينا، فلربما يقتادنا الى موضع، لا سبيل للنجاة منه. فأن كان لي ان اقفل راجعاً ضد رغبة (كورش)، تمنيت الاياب دون علمه ـ وهذا ليس بالمستطاع. لكن الحقيقة هي ان كل هذا هراء. رأيي أنه يتحتم ذهاب فئة ملائمة من الرجال مع (كليرخوس) الى (كورش) للوقوف على ما ينوي استخدامنا من أجله. فان كان المشروع، على وجه التقريب، نظير المشاريع التي استخدم فيها جنود المرتزقة، وجب علينا كذلك المضيّ معه وأن نكون بواسل كاولئك الذين عملوا بمعيته في الداخل سابقاً. أما اذا لاح المشروع أوسع نطاقاً مما سلف، وأن أخطاراً وصعوبات أكثر ستكتنفه، فيلزم أن يسألوه، على اساس من اتفاق الطرفين، اما أن يقودنا قدماً، واما أن يدعنا نغادر بسلام. بهذا النحو، اذا رافقناه، فسنمضي معه بعلاقات أطيب وبرغبة أعظم؛ وان غادرناه، فعلنا ذلك بشكل مأمون العاقبة. على مبعوثينا أن يعودوا لاعلامنا بجوابه، وسنتخذ التدابير على ضوء ما نسمع منهم».

هذا هو النهج الذي عزموا عليه. فانتخبوا مندوبين عنهم، وأوفدوهم مع (كليرخوس) ليعرضوا على (كورش) المسائل التي اتفق عليها الجيش. فرد (كورش) أنه قد أنبيء بان خصمه (أبروكوماس) ـ Abrocomas ـ بات عند الفرات وعلى مسيرة اثني عشر يوماً من هذا الموضع. وقال انما أراد الزحف عليه. وانه لو كان هناك، لانتقم منه. أما اذا ساء الفرار، فعندئذٍ قال: «يتحتم علينا فوراً أن نرسم الخطط لمجابهة الوضع».

فعندما أصغى الموفدون الى ذلك، نقلوه الى الجنود الذين بينما ارتابوا في أنه كان يقودهم ضد العاهل، قرروا ـ مع ذلك ـ الذهاب معه. الا انهم طلبوا مزيداً

من الجعائل ، فوعدهم (كورس) جميعاً نصف ما استلموا سابقاً ، أي جنيهاً ونصف جنيه عن السهر لكل جندي بدلا من جنيه واحد . أما فيما يتعلق باقتيادهم ضد العاهل ، فلم يُخَبَّرْ أيٌّ واحدٍ منهم بذلك ، حتى في هذه المناسبة ، أقلما ليس جهراً .

الفصـــل الرابـــع

خـلال أبـواب ســورية وعبـر الفـرات

من ثَمَّ، بلغ نهـر (پسـاروس)[1] بعـد قطعـه (٣٠ م) في يومين، وكان عرض النهر (٣٠٠ ق). وبعد أن سـار (١٥ م) في يوم واحـد. وصـل النهـر المدعو (پيراموس)[2] الذي سعته (٦٠٠ ق) عرضاً، فبلغ مدينة (إيُسس) الآهلة الزاهرة بعد مسـيرة (٤٥ م) خـلال يومين. إنهـا أقصى مدينة في (كيليكيا) وتشرف على البحر.

هنا، مكث (كورش) ثلاثة أيام، فانضـمّت إليه السـفن القـادمة من (الپيلوپونيز) والمؤلفة من خمس وثلاثين قطعـة منهـا تحـت إمرة أمير البحـر (پيثاغوراس) ـ PYTHAGORAS ـ الأسـپرطي، وقد قادها من (أفسس) ـ EPHESUS ـ (تاموس) الفرعوني ـ TAMOS THE EGYPTIAN ـ الذي كان آمراً على خمس وعشرين سـفينة أخـرى عائدة لكورش، بهـا كان قد عزل (ملاطية) حينما كانت منحـازة الى (تيسـافرنوس). كما كان على ظهـر السـفن خيريسوفوس (CHIRISOPHUS) الأسپرطي الذي طلبه (كورش)، فقـدم بصحبة سبعمائة راجـل من الصـنف الثقيل، قادهم بنفسـه ضـمن جيش (كورش). وقد رست السـفن مقـابل فسـطاط (كورش). وهنا أيضـاً، تمرّد أربعمئة راجل يوناني من الصـنف الثقيل ومن مرتزقة (أبروكوماس) والتحقـوا بكورش للزحف على العاهل.

(١) ـ (Psarus) يُرجح أنه نهر (سيحان) حالياً.

(٢) ـ (Pyramus) يُرجح أنه نهر (جيحان) حالياً.

فانطلق من هنا نحو أبواب (كيليكيا) وسورية، وأدركها بعد قطعه (١٥ م) في يوم واحد. وكان هنالك حصنان: داخلي يقي (كيليكيا) وكان تحت سيطرة (سينيسيس) وحامية من (الكيليكيين)؛ وخارجي يصون سورية، قيل إنه بيد حامية من جنود العاهل. كان نهر (كارسسوس)[٣]، الذي عرضه (١٠٠ ق) يجري بين الحصنين، والفسحة بينهما (٦٠٠ ي). لذا كان شقّ الطريق بينهما لا يصحّ ذكره، نظراً لضيق الممر وامتداد الأسوار حتى البحر، تعلوها أجرُف قائمة. وكان ثمّة أبواب في كلّ من الحصنين. وقد حدث بكورش رغبة الأحاطة بهذا الموقع، أن يستدعي أسطوله، إذ كانت الخطة إنزال المشاة الثقيلة على جانبي الأبواب، ولشق الطريق عبر صفوف العدو في حال حراسته الأبواب السورية، كما توقع (كورش) أن يفعل (أبروكوماس) لأن القوة التي كانت معه لا يُستهان بها. على كلّ حال، لم يقدم (أبروكوماس) على ذلك، لكنّه غادر (فينيقيا)، وتقدم للألتحاق بالملك مع جيش، قيل إنه كان مؤلفاً من ثلاثمئة ألف مقاتل، وذلك حالما بلغه وجود (كورش) في (كيليكيا).

وبعد أن سار (كورش) يوماً واحداً من هذا الموضع، مجتازاً (١٥ م)، أشرف على (مرياندروس)[٤] وهي مدينة تطلّ على البحر، يقطنها الفينيقيون. كان هذا المكان مركزاً تجارياً، وكانت سفن تجارية عديدة راسية هناك. فأقام هنا سبعة أيام، صعد أثناءها (زنياس) الأركادي و(پازيون) المجاري ظهر سفينة واحدة، ضمّت أثمن مقتناهما، وأقلعا. وقد ظنّ أغلب الناس أن الحسدّ كان دافع ذلك لأن (كورش) سمح لكليارخوس أن يضع تحت إمرته جنودهما الذين

(٣) - (Carsus) يُرجح أنه نهر (الأسود) حالياً.
(٤) - Myriandrus.

انضمّوا إليه عندما عرضت لهم فكرة الرجوع الى اليونان وعدم الزحف على العاهل. بعد اختفائهما، أُشيع أن (كورش) تعقّبهما بالزوارق، وأن البعض - وقد نعتوهما بالجُبن - أملوا أنهما سيُمسكان، بينما شعر آخرون بالحزن عليهما لو قُبِض عليهما. بيد أن (كورس) جمع قادته، وقال: «لقد تخلى عنّا (زينياس) و (پازيون)، لكنهما لن يكونا فَوتَ الأدراك. إني أعرف الطريق التي سلكا، ولم يفلتا مني مازلت أمتلك الزوارق التي في مقدورها أن تباغت مراكبهما. لكنّي، قسماً بالسماء، لن أتعقبهما بالتأكيد، لئلاّ يقول عني أحد بأني أنتفع بالرجل مادام في خدمتي، لكنني أعتقله وأسيء معاملته واستحوذ على ما يقتني، عندما يشاء المبارحة. كلا. ليذهبا مع العلم أنهما قد سلكا معنا أسوأ مما سلكنا معهما. أقرّ أني قد وضعت الحَجْرَ على أولادهما ونسائهما تحت الحراسة في (ترالّس)[٥]، لكنهما لن يحرماهم. كلا، بل سيستعيدانهم مقابل ما أسدياني من العمل الصالح في الماضي.»

ذلك ما قال. أما الأغريق، فحتى اولئك الذين لم يكونوا في غاية الحماس للتغلغل نحو الداخل، أضحوا أكثر اغتباطاً ورغبةً في الأنطلاق معه، عندما سمعوا كيف تصرف (كورش) تصرفاً حسناً.

بعدئذٍ، تابع المسير قاطعاً (٦٠ م) خلال أربعة أيام، فوصل (خالوس)[٦] وهو النهر الذي سعته (١٠٠ ق) عرضاً، وكان مليئاً بالأسماك الأليفة التي عدّها السوريّون آلهة لا يجيزون أحداً بإيذائها [illegible] يعتقدون ذات الأعتقاد في طيور الحمام). ان القرى، حيث عسكروا [illegible] ملكيتها الى (باريزاتس) وقد وُهبتها لتدرّ نفقة لجيبها الخاص.

---

(٥) _ Tralles هي مدينة أيدين (Aydin) الحالية في تركيا.

(٦) _ Chalus _ هو النهر المسمى اليوم (عفرين) في سوريا الواقع غربي حلب

وبعد اجتياز (٩٠ م) في خمسة أيام، أشرف على منبع نهر (دارديس)[٧] الذي عرضه (١٠٠ ق). هنا قام قصر (بلسيس) - Belesys - حاكم سورية ، وحديقة مترامية جداً وجميلة ، ضمّت جميع النباتات القابلة للنماء . لكن (كورش) عاث في الأرض ، وأحرق القصر .

ثم واصـــل الزحفَ من هنا ، قاطعـــاً (٤٥ م) خـــلال ثلاثة أيام . فبلغ نهـــر (الفرات) الذي كان عرضه (٨٠٠ ي) ، وهنالك قامت على ضـفتيه مدينة عظيمة ثرية تُدعى (ثاپساكوس)[٨] حيث مكث خمسة أيام .

عند هذا الموضع . أرسل (كورس) في طلب القادة اليونانيين ، وأبلغهم بزحفه ضد العـاهل العــظيم نحــو مدينة (بابل)[٩] . وطلب منهــم إعلام الجنود بذلك واقناعهم بالمضيّ معه . فالتأم القادة وبلغـوا بلاغ.(كورش) . لكن الجنود كانوا ساخطين ، وقالوا ان القـادة على علم سـابق منذ البداءة ، لكنهـم حجبوا ذلك ، فأبوا الذهاب أبعـد من ذلك ، الا إذا مُنحـوا مزيداً من المال ، كما أُعطي قبلهـم الذين رافقـوا (كورش) الى العـاصمة حين والده ، عِلماً ان المسـألة اذ ذاك لم تكن مسألة قتال ، بل مجرد دعوة (كورش) من قبل والده الى البلاط .

فأخبر القـــادة (كورش) بكل ذلك ، فوعدهم بإعطاء كل فرد منهـــم عسرين جنيهـاً[١٠] من الفضـــة حين وصـــوله الى (بابل) مع راتب كامل حتى العـــودة باليونانيين الى (آيونيا) . لفـد أُستُميل أغلب الجيش اليوناني بهـذه الشروط . لكن (مينون) قبل التأكد من عزم باقي الجيش على ما سيقدم عليه ، وفيمااذاكان

---

(٧) ـ Dardes ـ لا أثر له على خارطة الكتاب وأرجح أنه نهر الذهب الواقع سرقي حلب .
(٨) ـ Thapsacus ـ أغلب الظن أنها (مسكنه) حالياً في سوريا أو بالقرب منها (حمّام) الواقعة شمالي (الرصافه) والى الجنوب الغربي من الرقّه (نيسيفوريوم) (٩) Babylon .
(١٠) ـ Five Minae والمفرد (Mina) عمله فضيه تعادل زهاء أربعة جنيهات .

سيتبع (كورش) أم لا ، دعا الى اجتماع المقاتلين التابعين له قَصياً عن البقيّة ، وخاطبهم قائلا : «أيها الجنود : ان تتقبلوا نصيحتي ، فإنكم ـ دونما خطر أو صعوبة مطلقاً ـ ستحصلون على المزيد من تقدير (كورش) دون سائر البقية . وهذا ما أوصي به : ان (كورس) ، في هذه اللحظة ، يرجو اليونانيين أن يلتحقوا به ضد العاهل . فأقول : يتحتم عليكم اجتياز (الفرات) قبل ان يبدو أكيداً نوع الجواب الذي سيوجهه اليونانيون الآخرون الى (كورش) . اذ عندئذٍ ، ان يحبّذوا مرافقته ، فأنتم ـ بصفتكم أول الذين سيجتازون النهر ـ سيكون لكم الفضل في اتخاذ القرار ؛ وسيغدو (كورش) ممتناً لكم لأنكم أشدّ مناصريه تحمّساً ، وسيُظهر شكرانه . صدّقوني إنه يعلم كيف يفعل ذلك . وإن يصوت الآخرون ضدّ الفكرة ، فسنقفل راجعين ، لكن نظرته إليكم ستكون أنّكم وحدكم الذين تطيعون أوامره ، وأفضل من يعتمدهم في تأدية واجبات الحراسة وترفية من تحت السلاح[11] ؛ وكل ما رغبتم في ما عدا ذلك ، فأنا واثق من نوالكم إيّاه عن سبيل صداقة (كورس) .

بعد سماعهم هذا ، تقبلوا مسورته ، وعبروا النهر قبل أن يبعث الآخرون بردّهم . فاغتبط (كورس) باجتبازهم ، وأنفذ (جلاوس) ـ Glous ـ[12] الى عسكر (مينون) مع البلاغ التالي : «أيها الجنود ، إني لمسرور بكم الآن . لكني سأضمن مسرّتكم بي كذلك ، وإلا فلست أُدعى كورس» .

---

(11) «ترفيه من تحت السلاح» يقابلها النص الانكليزي « Promotion From The Ranks» ويقصد بها ترفيع في الرتب الخاصه بالجنود

(12) هو أحد مترجمي (كورس) في الحمله .

ان الجنود من جانبهم ، وهم بآمالهم العِظام ، ابتهلوا من أجل فوزه ، وقيل إنه قد أرسل هدايا سخية الى (مينون) . بعدئذٍ ، عبر هو النهر ولحق به الجيش الباقي بأكمله . وأثناء العبور ، لم يبتلّ أحدهم من ماء النهر فوق مستوى الأثداء . وقال سكان (ثاپساكوس) إنها المرّة الوحيدة التي غدا فيها من الميسور عبور النهر خوضاً لتعذر ذلك بدون زوارق ، وقد أحرق (أبروكوماس) الزوارق في هذه المناسبة ليعيق (كورش) عن العبور . بدا مؤكداً أنه قد كان ثمة شيء يفوق المعتاد بهذا الشأن ، وأن النهر ، من غير شك ، قد يسرّ العبور لكورس ، مادام قد قُدر له أن يغدو ملكاً .

من هنا ، واصلوا التغلغل في سورية ، فقطعوا (١٥٠ م) خلال تسعة أيام ، حتى أدركوا نهر (أراكسس)[١٣] ، حيث القرى العديدة الزاخرة بالغلال والنبيذ . فمكثوا ثلاثة أيام وتزوّدوا أثناءها بالقوت .

---

(١٣) Araxes ـ هو نهر الخابور ويدعى كذلك (خابوراس) ـ Chaboras . أنظر التعريبة والملاحظ أن (ريبوفون) لم يأت على ذكر نهر (البليخ) بعد اجتياز الفرات حيث مدينة (الرقة) التي كانت تُعرف آنذاك أو في عهد الأسكندر باسم (نيقفوريوم) ـ Nicephorium ـ ويجوز أن هذا النهر كان جافاً حينذاك .

الفصل الخامس

الصحراء العربية ـ قتال بين (مينون) و (كليرخوس)

من هنا ، والفرات عن يمينهم ، واصل (كورش) التقدم داخل شبه الجزيرة العربية . فتغلغلوا عبر الصحراء ، قاطعين (١٠٥ م) خلال خمسة أيام . في هذا الشطر من العالم ، كانت البسيطة سهلا على مستوى واحد كالدأماء . كان الشيح وفيراً ، وكان القصب وجميع الشجيرات النامية هناك ذات رائحة ذكية كالعطر* . لم تكن ثمة أشجار ، بل كانت هنالك حياة حيوانية منوعة . كانت الحمر الوحشية بوفرة ، كما كان النعام والحبارى والغزلان بكثرة . لقد تصيد الفرسان كل هذه الحيوانات مرات عديدة . أما الحمر الوحشية ، فكانت ـ عند ملاحقتها من قبل أحد ـ تعدو قدماً ثم تقف ساكنة ، فقد كانت في عدوها اسرع بكثير من الخيول . وعند دنو الخيول منها ثانية ، تفعل نفس الشيء ، وكان من المتعذر امساكها الا بوساطة وضع الفرسان على مسافات متتابعة والقنص على مراحل . وكان لحم الحمر التي اقتنصت أشبه بلحم الظباء ، الا انه أكثر طراوة . لم يفلح فرد في إقتناص النعامة . والحقيقة أن الفرسان الذين حاولوا ذلك ، سرعان ماعدلوا عن اقتفائها ، اذ أوجب عليهم تغلغل مسافات سحيقة جداً عند هروبها منهم . كانت تستخدم قدميها للجري ، وتستعين بأجنحتها كما لو كانت تستعمل الشراع . لكن المرء يستطيع اصطياد الحبارى اذا حملها على التحليق بسرعة ، لانها لا تطير الا قليلا حتى يعتريها الاجهاد سريعاً نظير الحجل . وكان لحمها لذيذاً .

---

* يؤيد هذا الآن الشيخ محمد رضا الشبيبي أ. بحثه (رحلة في بادية السماوة) المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد (١١) .

بعد التغلغل داخل هذه البلاد، بلغوا نهر (ماسكاس)[1] الذي عرضه (١٠٠ ق). كانت هنا مدينة مهجورة، واسعة الرقعة، تدعى (كورسوت)[2] وكان نهر (ماسكاس) يجري متعرجاً حولها. فبقوا هناك ثلاثة أيام، وتزودوا بالطعام. بعدها، ساروا ثلاثة عشر يوماً، قطعوا أثناءها (٢٧٠ م) عبر الصحراء، والفرات مازال عن يمينهم، حتى وصولهم الموضع الذي يطلق عليه (الأبواب)[3]. لقد مات جوعاً عدد وافر من حيوانات نقل الأمتعة لانعدام الحشائش وأي نبت نام،كانت الارض جرداء تماماً. واعتاد السكان اقتلاع الاحجار عند ساحل النهر لصنع أحجار الرحى لطحن الحبوب، فيأخذونها الى بابل بقصد بيعها، وتعيشوا على القوت الذي ابتاعوا بالأيراد.

لقد نضبت الغلال التي حملها العسكر أثناء هذه المسيرة، ولم يكن في الامكان ابتياع أية كمية الا في سوق (ليديا) بين جند (كورش) الفرس، حيث كان من الميسور حصول الفرد على (زهاء نصف كيلوغرام)[4] من دقيق الحنطة

---

(١) Mascas ـ لا أثر له في خريطة الكتاب ـ للاستزادة راجع ص ٢٣٢ من مجلة سومر ـ ع ٢٠

(٢) Corsote ـ لا أثر لها على خريطة الكتاب وأرجح أنها في موضع قريب من مدينة (ألبو كمال) الحالية في سورية ـ للاستزادة راجع ص ٢٣١ من مجلة سومر ـ ع ٢٠.

(٣)أورد الأستاذ طه باقر في ص (٤١٣) من كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ الجزء الثاني) مايلي: «ويصل الجيش أخيراً الى موقع شمالي الرمادي بنحو خمسين ميلا ذكره (زينوفون) باسم (الأبواب) ولا يُعلم موضع هذا الممر ..» وخريطة الكتاب تدعوه (Pylae).

(٤) لقد توصلت الى هذا المقدار بدليل نص في الكتاب يشرح ذلك ـ وقد استغنيت عن إيراده بالنص، يقول: (The Capithe is Equal to Three Pints) أي أن (الكاپيت) يعادل ٣ (پاينتات). وبما أن (الپاينت) مكيال سعته زهاء نصف لترة، فقدرت أن (الكاپيت) الواحد من الدقيق يعادل وزناً زهاء نصف كيلوغرام.

أومن الشعير المقشور مقابل (اربعين فلساً تقريباً)[٥]. لذلك عاش الجنود على اللحم فحسب.

وقد جعل (كورش) بعض هذه المسيرات طويلة جداً وذلك في حالة احتياج الى بلوغ الماء والعليق. وفي احدى المرّات، كان الطريق ضيقاً موحلا، يصعب على قافلة العربات عبوره، عندما توقف (كورش) مع انبل وأغنى مرافقيه، وأوعز الى (جلاوس)[٦] و(پيجرس) ـ Pigres ـ[٧] باتخاذ مفرزة من الجيش الفارسي للأسهام في انتشال العربات من الوحل؛ وعندما حسب أنهم جادون في ذلك ببطء، بدا عليه السخط، وأوعز الى ابرز الفارسيين في حاشيته، ليسهموا في انهاض العربات. اذ ذاك حقاً، رأى الفرد شيئاً من نظام. فحيثما اتفق أن كانوا واقفين، ألقوا عنهم أرديتهم الأرجوانية، وخفوا نحو الأمام كأنهم في سباق ـ منحدرين من تل شديد الانحدار أيضاً، ومرتدين القمصان الغالية والسراويل المطرزة. كما كانت لبعضهم سلاسل حول اعناقهم وأسورة حول معاصمهم. لكنهم مع كل ما عليهم، قفزوا نحو الطين رأساً، وأزاحوا العربات نحو اليابسة بأسرع مما لاح ممكناً لأي فرد.

كان جلياً، بصورة عامة، أن(كورش) كان مُسرعاً طول الطريق، دون توقف، إلا حينما حط من أجل التجهيزات أو ضرورة أخرى. لقد حسب أنه كلما عجل الوصول، كان العاهل أقل تأهباً إذا اشتبك معه: وكلما أبطأ السير، تضاعف الجيش الذي كان في وسع العاهل تجميعه. في الحقيقة، إن

---

(٥) يذكر النص الأنكليزي (Four Sigli). مفرد (السيجلي) سيجلوس (Siglus) وهو عملة تعادل ٧ (أوبولات) ونصف الأوبول (Obol) وهو عملة تساوي (٦) فلوس تقريباً وأرجح أن (الشاقل) قريب من هذه الكلمة مبنى ومعنى.

(٦) أحد مترجمي كورش، ورد ذكره في الفصل السابق (٧) أحد مترجمي كورش.

المراقب اللبيب لأمبراطورية العاهل ، سيتوصل الى هذا التقدير : إنها قوية بالنسبة الى اتساع رقعتها وعدد سكانها ، لكنها واهنة فيما يخص مواصلاتها الطويلة ، وتفرق قواها ، وذلك إذا استطاع أحد الهجوم بسرعة .

على الجانب الآخر من نهر الفرات ، مقابل الصحراء التي كانوا يسلكون ، كانت ثمة مدينة واسعة غنية ، تدعى (خارماند)[٨] ، فابتاع الجنود ما احتاجوا إليه من هنا ، وعبروا النهر فوق أطواف بالنحو الآتي : لقد حشوا الجلود ، التي استعملوها أغطية لخيامهم ، بالحشيش اليابس ، ثم ضموا بعضها الى بعض ، ورتقوها كي لا يصل الماء الى الحشيش الجاف ، فاجتازوا النهر عليها ، وحصلوا على الميرة والخمرة المستخرجة من التمر و(نوع من الغلال)[٩] المبذولين في تلك الديار بكثرة .

في هذا الموضع ، حدث شجار حول أمر ما بين عسكر (مينون) وعسكر (كليرخوس) . ولما حكم (كليرخوس) أن جندي (مينون) كان المخطىء ، أمر بضربه . وعند أوبة ذلك الجندي الى جماعته ، أنبأهم بذلك ، فباتوا ، بعد سماعهم الحكاية ، في أقصى حال من السخط والصرامة تجاه (كليرخوس) . وفي ذات اليوم ، عند زيارة الموضع الذي عبروا عنده النهر ، وتفتيش السوق الذي كان هناك ، كان (كليروخوس) يعود راكباً الى خيمته برفقة بعض الخدم عن طريق معسكر (مينون) . وكان (كورش) لا يزال يتابع المسير هناك ولم يدرك الموضع بعد . ولما كان فرد من جيش (مينون) يقطع الخشب ، ولمح (كليرخوس) راكباً يخترق المعسكر ، رماه بالفأس ، لكنه أخطأ الهدف ، فرماه جندي آخر

(٨) ـ Charmande ـ لا أثر لها في خارطة الكتاب وأرجح أنها في موضع قريب من (هيت) أو (حديثه) الحاليتين على الضفة اليسرى من الفرات ، ويجوز أن تكون (الرمادي) الحالية .

(٩) ـ يذكر النص الأنكليزي (Panic Corn) ولم استطع الوقوف على مدلول لها في القواميس التي في حوزتي .

بحجر، وتبعه آخر ثم آخرون عديدون، فسادت جَلَبَة شاملة. فاعتصم (كليرخوس) بجنوده، ونادى حالا باتخاذ الأجراء. لقد أمر أفراد المشاة الثقيلة بملازمة موضعهم، ودروعهم على رُكَبِهم، بينما هو ذاته تحرك باتجاه رجال (مينون) مع رجاله (التراشيين) ومع فرسانه الذين يملك منهم في معسكره أكثر من أربعين رجلا، أغلبهم من التراشيين. ونجم عن ذلك، حلول الذعر بمينون ذاته وبرجاله، فهرعوا الى أسلحتهم، ولو أن بعضهم ظلوا حيث كانوا، عاجزين عن العمل لمعالجة الوضع. في هذه اللحظة بالذات، قدم (پروكسينوس) في المؤخرة، يقود ثلّة من المشاة الثقيلة. لذلك جلب رجاله فوراً نحو موقع بين الفريقين، والتمس (كليرخوس) بالكف عن فعله. بيد أن (كليرخوس) تميز غيظاً إذ تكلم (پروكبسينوس) دونما تأسف على ما تعرض له (كليرخوس) وقد أوشك فعلا على الموت رجماً، فقال له أن لا يعترض السبيل. عندئذ. قدم (كورش)، وألفى ما يدور، فتناول رماحه فوراً، وركب منطلقاً نحو وسط الأغريق برفقة حرّاسه الحاضرين، وخاطبهم قائلا:

«أيا (كليرخوس) و (پروكسينوس)، وأنتم جميع اليونانيين الآخرين هنا: إنكم لا تعلمون ما أنتم فاعلون. لئن تشرعوا في الأقتتال فيما بينكم، فتأكدوا بأني مقضي علي للحال، وعليكم أيضاً بعد أمَد قصير. فإن ساءت الأحوال بيننا، فجميع هؤلاء الوطنيين (الفرس)[10] الذين تشاهدون سيصبحون أشدّ خطراً علينا من اولئك الذين بجانب العاهل.»

فعاد (كليرخوس) الى صوابه إثر سماعه ذلك. واسترخى الطرفان، وأعادا الأسلحة الى مواضعها.

---

(١٠) ـ Natives والكلمة بين القوسين ليست في الأصل

ملحوظة: لقد أوردت مجلة (سومر) ع ٢٠ ص ٢٣٢ وص ٢٣٣ إسم مدينة (خارماند) المذكورة في هذا الفصل بهذا الشكل (شارماند).

الفصـــل السادس

كـــورش يهتمّ بمتآمـــر

وبيناهم منطلقون في السير من هنا ، صادفوا روثَ وآثارَ سنابك الخيل ، فقدّر أحدهم أن فُرساناً يعدوّن زهاء الألفين ، قد تركوا تلك الآثار ، وأنهم قد مضـوا قدماً لأحراق كل العليق وكل ما عداه مما قد يُستفاد منه .

وكان رجـــل فارسي ، يُدعى (أورونتاس) ـ Orontas ـ تنتســب عائلته الى العاهل ـ حائزاً على أبرز صـيت عسكري بين الفـرس ، ويتآمر على (كورش) . والحقيقة أنه كان في حرب معه سابقاً ، لكنهما توصلا الى تسـوية . أما الآن ، فقال لكورش انه اذا زوّده بألف فارس ، فاما سيمكن فيبيد الفرسان الذين داسوا التربة أمامهم ، وإما سيأخذ فئة منهـم أسرى ، وبذا يضـع حـدّاً لأتلاف الأرض التي يسلكون ، ويعيقهم عن الحصـول على فرصـــة لأخبار العــاهل أنّهـــم قد شاهدوا جيشَ (كوربش) .

وعندما استوعب (كورش) الخطة ، خـالها جيّدة ، وأعلم (أورونتاس) بأخـذ مفـرزة من كل قائد من قوّاده . فلما أيقـن (أورونتاس) من حصـوله على الفرسان ، حرّر خطاباً الى العـاهل ، يعـلمه بالتوجّـــه إليه مع أكثر ما يســـتطيع اصطحابه من الفرسان ، ويسـأله إعلام الفــرسان الخـــاصّين به أن يســـتقبلوه كصديق ، كما ذكّره ، في الخـــطاب ، بصـــداقته الســـالفة وبأخـــلاصه له . فدفع الخطاب إلى شخص يعـــتمده ـ أو كذلك ظـــنّ . والحقيقـــة أنّ الرجـــل تناول الكتاب ، وأعطاه إلى (كورش) .

ولما وقف (كورش) على محتواه، ألقى القبض على (أورونتاس)، واستدعى الى خيمته الخاصة السبعة الممتازين جداً من مساعديه الفرس. وأوعز الى القادة اليونانيين بجلب مشاة ثقيلة، واتخاذ موقف الحراسة حول الخيمة. فامتثلوا أوامره، وجلبوا ما يقرب من ثلاثة آلاف راجل من الصنف الثقيل. واستدعى (كورش) القائد (كليرخوس) داخل خيمته رأساً للأسهام في الأجتماع، لأن (كورش) ذاته والفارسيين الآخرين عدّوا (كليرخوس) بصورة عامة أفضلَ اليونانيين منزلة. وبعد مغادرة (كليرخوس) الأجتماع، أخبر أصدقاءه كيف جرت محاكمة (أورنتاس)، إذ لم يكن ثمّة مانع من الأخبار بذلك. فقال: (إن كورش استهلّ القضية بالكلام التالي: «أصدقائي، لقد استدعتيكم للأجتماع ها هنا بقصد البتّ في الأجراء اللازم بخصوص (أورونتاس)، كي ـ بعد المشاورة معكم ـ نقرّر النهج المصيب كما تراه الآلهة والناس. كان هذا الرجل، أول الأمر، قد عُيِّن من قِبَل والدي ليكون تحت إمرتي، ثم بموجب تعليمات شقيقي، كما يقول، إغتصب حصن (سرديس)[1]، وشهر الحربَ عليّ. فقاتلته وحملته على أن يقرّر إيقاف القتال ضدّي. ثم مدّ كلّ منا للآخر يمين الصداقة. منذ ذلك الحين، يا (أورونتاس) ـ أستمرّ (كورش) ـ هل آذيتك بأي شكل كان؟» فأجاب (أورونتاس) بالنفي. ثم وجه (كورش) سؤالا آخر: «أليس يقيناً، مع أنّك لم تَلقَ مني أي ضرر فيما بعد كما تعترف بنفسك، قد تحوّلت الى (الميسيين)*، وألحقت بمنطقتي كلّ ما تمكنت عليه من الضرر؟» فاعترف (أورونتاس) أنه قد فعل ذلك. وقال (كورش):

---

(١) Sardis

★ ذكر الأستاذ فؤاد جميل في ص ٢٣٤ من مجلة (سومر) ـ ع ٢٠ أن (الميسنيين) هم قوم من العرب ـ وأعتقد أن ثمة فرقاً بين (الميسنيين) و (الميسيين) الذين هم سكان ميسيا (Mysia) الواقعة غربي الأناضول حيث أستبعد أن تكون قد قطنت من قبل أقوام عربية قديماً.

«أليس صحيحاً أنك ، عندما عدتَ فاكتشفتَ حقيقة قوّتك ، قصدت هيكل (أرتاميس)[٢] ـ Artemis ـ وقلت انك قد ندمت ، ونتيجة لتوسلاتك، عدنا فتبادلنا العهد على الصداقة ؟» فسلّم (أورونتاس) بصحّة ذلك أيضاً . فقال (كورش) : «إذن ، ماهو الأذى الذي بدر مني تجاهك هذه المرّة الثالثة لتبرّر خيانتك الجلّية فيها ؟ «أجاب (أورونتاس) أنه لم يُصَب بأي أذى . فسأله (كورش) : «إذن ، أتسلّم أن تصرّفك نحوي كان خاطئاً ؟» فقال (أورونتاس) : «فعلا . إني مضطرّ أن أعترف بذلك .» ثم سأله (كورش) سؤالا آخر : «أما زال في مقدورك أن تكون خصماً لشقيقي ، وصديقاً صدوقاً لي ؟» فردّ قائلا : «حتى وإن كنت سأفعل ذلك ، فأنت ـ يا (كورش) لم تعد قادراً على تصديقه .»

(بعد ذلك ، خاطب (كورش) الآخرين هناك : «هاهي تصرّفات الرجل وكلماته أمامكم . هل لك ، يا (كليرخوس) أن تبدي رأيك أولا ، وتفصح عما تفكر؟» فقال (كليرخوس) : «نصيحتي هي إزاحة الرجل من السبيل بأسرع ما يمكن ، لئلا نضطر ثانية الى الاحتراس منه ، بل سنكون طليقي الأيدي ، بقدر ما يتعلق الأمر به ، لنسدي الخيرَ إلى الآخرين الذين يرومون إبداء العون حقاً .»)

واستطرد (كليرخوس) قائلا : «لقد وافقوا على فكرتي ، ثم وقفوا جميعاً ، حتى أقرباء (أورونتاس) ، وأمسكوه من زنّاره كعلامة على الحكم عليه بالموت . ثم اقتاده الذين عهدت اليهم المهمة ، بعيداً ، وأولئك الذين قد اعتادوا الأنحناء له سابقاً ، انحنوا له آنذاك أيضاً ، ولو انهم علموا بأنه كان يقاد الى حتفه .فجيء به إلى خيمة (أرتاپاتاس) ـ Artapatas ـ وهو أفضل ثقات (كورش) من حملة صولجانه . غِب ذلك ، لم يلمح أحدٌ مطلقاً (أورونتاس) حيّاً أو ميتاً ، ولا استطاع أي فرد أن يتكلم ، عن دراية ، كيف لقي منيّته .» لقد أثيرت عدّة ظنون ، بيدَ أنه لم يُهتَدَ الى أي ضريح يضمّه .

(٢) إلاهة القنص والقمر وشقيقة (أپولو) عند الأغريق .

الفصل السابع

كورش يتهيأ للمعركة والعاهل يتراجع

من هنا، واصل التقدم نحو (بابل)، فاجتاز (٣٦ م) خلال ثلاثة أيام. وعند ختام مسيرة اليوم الثالث، استعرض (كورش) عساكره اليونانية والوطنية (الفارسية)[١] في البراح[٢] حوالي منتصف الليل، إذ حسب أن العاهل سيبرز فجر الغد بجيشه للقتال. فأمر (كليرخوس) بقيادة الميمنة، و(مينون) التسالي[٣] بقيادة الميسرة، بينما هو نفسه إهتم بتنسيق عسكره الخاص[٤].

مع انبلاج الصبح، وبعد العرض، قَدِمَ بعض الهاربين من العاهل العظيم، وزوّدوا (كورش) بمعلومات عن جيش العاهل. فجمع (كورش) القادة وضباط المئة الأغريق لبحث كيفية خوض المعركة، ثم خطب بنفسه يستحثّهم لبذل المزيد من الجهود: «أيها الجنود الأغريق: لست قائدكم معي في المعركة لِقِلة في جنودي الوطنيين. كلا، إن الباعث على نشداني معاضدتكم، لهو اعتباري أنكم أكثر كفاءة ومهابة من أعداد هائلة من الوطنيين. لذا أودّ أن تبرهنوا أنكم أهل للحرية التي ظفرتم بها، والتي أظنكم سعداء في امتلاكها. لكم أن تتأكدوا أني

---

(١) الكلمة بين القوسين ليست في الأصل وهي لزيادة الأيضاح من المعرّب.

(٢) الأرض السهلة المنبسطة الخالية من الماء والشجر.

(٣) Thessalian نسبة الى (تساليا) وهي منطقة في سمال اليونان.

(٤) (His Own Troops)يقصد بذلك الجيش الفارسي.

أفضل إحراز تلك الحرية على كافّة[٥] ماأقتني وزيادة على ذلك بكثير . لكن ، لأعرّفكم أيضاً ، نوعَ القتال الذي ستخوضون ، سأخبركم عن ذلك من تجاربي الخاصة . إن أعداد العدو ضخمة جداً ، وهم يغيرون بصراخ كثير : لكنكم إن صمدتم تجاه ذلك ، فأنا أخجل حقاً أن أقول أي صنف من الناس ستجدون رجال هذه البلاد في كل ناحية من النواحي الأخرى . لكنكم إن برهنتم على كونكم رجالا ، وإذا كنت موفق الجدود[٦] ، فسأضمن لكم أن الذين يرومون منكم العودة الى الوطن ، سيُحسَدون من رفاقهم عند وصولهم هناك ، ولو أحسب أني ساجعل العديد منكم يفضلون ما سينالون مني هنا على ما سيحصلون عليه في الوطن .»

ثم تكلم (جوليتيس) ـ Gaulites ـ الذي حضر الاجتماع ، وهو أحد المُبْعدين من (ساموس)[٧] وكان موضع ثقة (كورش) ، فقال : «ومع ذلك ، يا كورش ، بعض الناس يقولون ، إنك الآن تمنح الوعود الكثيرة بسبب من حراجة موقفك واعتراض الخطر سبيلك . وبالنسبة إليهم ، إن جرت الأمور جريا حسنا ، فسوف لن تتذكّر . ويقول بعضهم ، حتى إذا توفرت لديك الذاكرة والأرادة ، فسوف لن تملك الطاقة على تنفيذ جميع الوعود التي قطعتها .»

فلما وعى (كورش) ذلك ، قال : «لكن ، أيها الجنود ، ها هي إمبراطورية والدي تمتد أمامنا . إنها ممتدة جنوباً حيث الحر ، وشمالا حيث البرد حائل دون عيش البشر . إن أصدقاء شقيقي يحكمون كولاة على كل الأرض

---

(٥) (كافّة) ـ ومثلها (قاطبة) ـ لم يرد استعمالهما في كلام العرب أصلا بصورة مضاف بل وردت كأسم منصوب على الحال لكن الزمخشري والصابي وابن خلدون والحريري استعملوها مضافة .

(٦)حظوظ .

(٧) Samos ـ جزيرة اغريقية في بحر (ايجه) .

المحصورة بين الحدّين . أما إذا ربحنا ، فسينبغي أن نجعل من أصدقائنا سادة على كل هذا . ونتيجة لذلك ، إن خشيتي من عدم حصولي على عدد واف من الأصدقاء لأعطائهم ما أتمكن منه ، تفوق عدم حوزتي على ما أمنح رفاقي قاطبة ، إذا سارت الأمور سيراً حسناً . كما أني سأخلع على كل يوناني فيكم خلعة إضافية من تاج ذهبي .»

عندما أصغى اليونانيون الى ذلك ، غدوا أشدّ حماساً بكثير ، وبلّغوا الآخرين ذلك . فالقادة وعداهم من اليونانيين الذين ودّوا معرفة ما سينالون إن كسبوا ، قصدوا (كورش) بصورة خصوصية ، فأرضى كل آمالهم قبل أن سمح لهم بالخروج . إن جميع الذين بحثوا الأمور معه ، حثّوه على عدم الأسهام في المعركة شخصياً ، بل على اتخّاذ موضع في المؤخرة . عند ذاك سأله (كليرخوس) سؤالا كهذا : «هل تحسب ، يا (كورش) أن أخاك سيتقدم الى المعركة ؟» فأجاب (كورش) : حتماً ، إن كان هو شقيقي ونجل (داريوس) و (پاريزاتس) ،فسوف لن أحصل على السلطان ، من غير القتال في سبيله .»

ثم أحصي المدججون ، فكان في الجيش اليوناني عشرة آلاف وأربعمئة من مشاة الصنف الثقيل ، وألفان وخمسمئة من مشاة الصنف الخفيف . وكان لدى (كورش) مئة الف جندي فارسي ، وما يقرب من عشرين عجلة مسننة . وقيل ان بجانب العدو مليوناً ومئتي الف رجل ، ومئتي عجلة حربية مسننة ؛ وعلاوة على ذلك ، كان هناك ستة آلاف فارس تحت امرة (أرتاجرسس) ـ Artagerses وقد اتخذوا مواضعهم لحماية شخص الملك ذاته . كانت قيادة جيش الملك بيد أربعة قواد أو زعماء : (أبروكوماس) ـ Abrocomas ـ ، (تيسافرنوس) ـ Tissaphernes ـ (جوبرياس) ـ Gobrias ـ و(ارباكس) ـ Arbaces ـ لدى كل

منهم ثلاثمئة الف جندي تحت إمرته . لقد اشترك في المعركة ، من مجموع هذه القوة ، تسعمئة الف جندي ومئة وخمسون عجلة حربية مسننة فقط ، اذ ان (أبروكوماس) الذي كان يزحف من (فينيقيا) وصل متأخراً خمسة أيام . لقد تلقى (كورش) هذه المعلومات من الهاربين من جانب العاهل العظيم قبل المعركة ، وأفاد الاسرى الأعداء ، الذين أخذوا بعد المعركة ، عين الخبر .

لقد سار (كورش) بكامل جيشه اليوناني والفارسي مسافة تسعة أميال من هذا الموضع ، خلال يوم واحد بنظام حربي ، وتوقع من العاهل أن يشتبك معه ذلك اليوم ، إذ أثناء منتصف مسيرة النهار تقريباً ، كان ثمة خندق عميق ، عرضه (٣٠ ق)[٨] وعمق (١٨ ق)[٨] . وكان امتداد الخندق نحو الداخل على السهل حتى يبلغ السور المادي . أما بجوار الفرات ، فكان ثمة مجاز ضيق عرضه حوالي (٢٠ ق) بين النهر والخندق . ولقد احتفر العاهل العظيم ذلك الخندق كعقبة ، عندما بلغه تقدم (كورش) . فاجتاز (كورش) ذلك المسلك بجيشه ، وبات فيما وراء الخندق .

عندئذ أخفق العاهل ذلك اليوم في الشروع في المعركة ، لكن علامات عديدة قد شوهدت تدل على تراجع الرجال والخيول . إذ ذاك ، استدعى (كورش) العراف (سيلانوس الامبراسي) ـ Silanus, the Ambracian ـ وأعطاه ثلاثة آلاف جنيه . ولقد أنبأ (كورش) قبل أحد عشر يوماً ، اثناء تقدمة القربان ، أن العاهل لن يشرع في المعركة خلال الأيام العشرة المقبلة ، فقال له كورش : «إذن ان هو لا يحارب خلال تلك الفترة ، فلن يحارب مطلقاً . أما اذا تحقق قولك ، فأعدك

(٨)يذكر النص الانكليزي (5 Fathoms) و (3 Fathoms) و(الفاثوم) الواحد يعادل (٦) أقدام ـ وأعتقد هذا الخندق هو خندق (الوشاش) المعروف أيضاً بنهر الصقلاوية .

عشر وزنات من الفضة»[9]. ولما انصرمت الأيام العشرة، دفع له المال.

وبما أن العاهل لم يقم، عند الخندق، بمحاولة للحيلولة دون عبور عسكر (كورش)، أعتقد (كورش) والباقون أن العاهل قد عدل عن فكرة القتال؛ ونتيجة لهذا الاعتقاد، زحف (كورش) في اليوم التالي قدماً باحتراس أقل من السابق. وفي اليوم الثالث، تابع المسير وهو في عجلته الحربية، تتقدمه تشكيلات نظامية اعتيادية قليلة فقط. كان معظم جيشه سائراً بدون شكل نظامي، وكان الكثير من معدات الجنود محمولاً على العربات وحيوانات نقل الأمتعة.

(9)يذكر النص الانكليزي (Ten Talents) و (التالنت) الواحد عيار فضي يعادل حوالي (٢٤٤) جنيهاً إسترلينياً.

الفصل الثامن

واقعة (كوناكسا)[1] ومقتل (كورش)

كان الوقت ضحى، وأوشكوا أن يبلغوا الموضع الذي صمم (كورش) على التوقف عنده، عندما برز (پاتجياس) ـ Pategyas ـ للعيان، وهو فارسي وصديق صميم لكورش، راكباً بسرعة، وحصانه ينضح عرقاً. وشرع في الحال يصيح عالياً بالفارسية واليونانية، على كل من اجتاز به، ان العاهل متقدم بجيش جرار بنظام حربي. اذ ذاك، وقع بينهم فعلا ارتباك جسيم، لأن اليونانيين، وكل من عداهم، ظنوا أن العاهل سينقض عليهم قبل ان يستطيعوا اتخاذ مواضعهم. فقفز (كورش) من عجلته، ووضع عليه الدرع، وامتطى جواده، وقبض على رماحه. وأوعز الى الباقين قاطبة، ان يتدججوا بالسلاح ويتخذوا أماكنهم الصحيحة. فتم ذلك بسرعة كافية. كان (كليرخوس) على الميمنة يحاذيه الفرات، والى جانبه (پروكسينوس) ثم اليونانيون الآخرون مع (مينون) على ميسرة الجيش اليوناني. اما الجيش الفارسي، فكان يضم زهاء

---

(١) تعرّضت في كلمتي الى موضع المعركة ورجحت أنه قريب من الفلوجة. بعد أسابيع عثرت في كتاب الأستاذ طه باقر الموسوم (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ الجزء الثاني) ـ ص ٤١٣ على هذا النص: «... في موضع يُرجح أن يكون قرب طريق الحلة ـ بغداد الآنَ ولا يبعد عن المسيّب كثيراً وهو الموضع الذي سماه زينوفون كوناكسة.»

ألف فارس (بافلاجوني)[٢] أخذوا مواضعهم في جناح (كليرخوس) وكذلك مع مشاة الصنف الخفيف على الميمنة . أما (آريوس) ـ Ariaeus ـ نائب (كورش) فكان على الميسرة مع بقية الجيش الفارسي . كان (كورش) وستمئة من فرسانه الخاصين به في القلب ، مزودين بالدروع ، وبالزرود لوقاية أفخاذهم . لقد وضع جميعهم الخوذ على هاماتهم ، خلا (كورش) الذي دخل المعركة حاسر الرأس . وكانت كل خيولهم مزودة بالزرود لصيانة الجباه والصدور ؛ كما حمل الفرسان السيوف اليونانية .

فحان الظهر ، والعدو مابرح غير باد للعيان؛لكن في أول العصر،لاح النقع كسحابة بيضاء ، وبعد فترة ، شوهد شيء كالسواد يمتد نحو مسافة طويلة على السهل . ولما ازدادوا دنواً ، لمحت فجأة ومضات برنزية ، وبدت رؤوس الحراب وتشكيلات العدو مرئية . كانت ثمة خيالة بزرود بيضاء على الميسرة ، قيل انها تحت إمرة (تيسافرنوس) ، والى جوارهم جنود يرتدون التروس المعمولة من الاغصان المجدولة ، يليهم مشاة من الصنف الثقيل بتروس خشبية حتى القدمين ، وقيل عن هؤلاء انهم فرعونيون . ثم كان هناك المزيد من الخيالة ورماة السهام . هؤلاء كلهم ، كانوا يتقدمون بشكل فصائل ، كل فصيلة على هيئة مستطيل كثيف ، تتقدمهم على مسافات متباعدة عن بعضها عجلات حربية مسننة ، مزودة بأسنة رقيقة تمتد بشكل مائل من المحورين الموصلين بين العجلات ، وكذلك من أسفل مقعد السائق منكسة نحو الارض ، وذلك لبتر كل ما يعترض طريقها ؛ وكانت النية تسييرها لتخترق صفوف اليونانيين وتشق الطريق .

(٢) ـ Paphlagonian ـ نسبة الى (بافلاجونيا) إقليم في شمال الأناضول (آسيا الصغرى) يطل على البحر الأسود .

لكن (كورش) كان مخطئاً عندما أوصى اليونانيين، أثناء اجتماعهم به، بالثبات في مواضعهم تجاه صراخ الجنود الفارسيين. إذ على العكس، تقدموا بأقصى السكون والهدوء، وبسير وئيد ثابت.

هنا توجه (كورش) نفسه راكباً مع ترجمانه (بيجرس) وثلاثة أو أربعة آخرين، ونادوا (كليرخوس)، وأخبروه أن يقتاد عسكره باتجاه قلب العدو، اذ أن العاهل كان هناك. وقال: «وإن نفز هناك، يتم كل شيء». لاحظ (كليرخوس) أن الوحدات في القلب متراصة، وسمع من (كورش) أن العاهل أقصى من ميسرة اليونانيين، فقد كان تفوق العاهل في العدد عظيماً الى حد غدا العاهل معه، وهو يقود قلب جيشه، أبعد من ميسرة (كورش)، لكنه[3] بالرغم من ذلك، كان متردداً بسحب جناحه الأيمن من ناحية النهر، خشية التطويق. فرد على (كورش) عندئذ أنه سيضمن سير الامور سيراً حسناً.

واذ كان ذلك يجري، واصل الجيش الفارسي[4] تقدمه برسوخ، وظل الاغريق ملازمين مواقعهم، وازدحمت صفوفهم بأولئك الذين ما انفكوا يتوافدون باستمرار. فبرز (كورش) راكباً أمام الجيش، وتطلع نحو خطوط الفريقين. فلمحه (زينوفون) الاثيني من موضعه في الخط اليوناني وتقدم نحو مواجهته، واستفسره ان كان يعتزم توجيه أية أوامر. فجذب (كورش) جواده، وقال: «الفأل حسن والقرابين جيدة» وأخبره تبليغ ذلك كل فرد. وبينما كان هو يتكلم، سمع صوتاً على طول الصفوف، فاستعلم عنه. فأخبره (زينوفون) انها كلمة السر المرسلة عبر الصفوف للمرة الثانية. فتعجب (كورش) من يكون

---

(٣) الارجح أن الضمير في (لكنه) يعود الى (كليرخوس).

(٤) - Persian Army - غير واضح ان كان المؤلف يعني جيش (كورش) الفارسي أو جيش العاهل، لكني أرجح أنه يعني جيش أخيه العاهل.

مطلق الكلمة، وسأل عن ماهيتها، فأجابه (زينوفون) انها ... المنقذ، والظفر). عند سماع (كورش) ذلك، قال: «واذن أتقبل ... كذلك». ومع هذه الكلمات، غادر راكباً نحو مركزه في ...

ساعتئذ، لم تكن الشقة بين الجيشين ... الاغريق الآن ينشدون نشيد ... وأخذوا في التقدم ... يتقدمون، جاشت موجة من الفيلق نحو الأمام، ... الشطر المتخلف في التقدم ... ازدواجية. وفي ذات الحين ... صرخة كصرخة (ألياو)[5] التي ... نحو الامام. ويقول البعض انهم ... يصدمون تروسهم بحرابهم. أما الفرس ... فقبل أن ... تذبذبوا وولوا الأدبار. بعد ذلك، ... اليونانيون ... في ... تنادوا فيما بينهم بعدم الركض، بل ان يتتبعوا العدو ... الصفوف. فبادرت العجلات الحربية بالهجوم، ... أن بعضها، وقد هجرها سائقوها، اخترقت ... اليونانيون قدومها، انفرجوا، ولو أن ... وقف ... في حلبة سباق، ثم تدحرج. على كل حال، حتى هذا ... بأذى، كما لم تقع أية اصابات بين اليونانيين أثناء هذه ... واحد في الجناح الايسر، قيل انه رشق بسهم.

لقد سر (كورش) تماماً اذ لاحظ غلبة اليونانيين، و... امامهم، وتمت المناداة به ملكاً من قبل اولئك الذين كانوا ...

---

(٥) «Eleleu» ضرب من الهتاف إما لبث الرعب في قلوب الأعداء أو ...

ينجرف الى درجة الاشتراك في المطاردة . لقد حافظ على الفرسان الستمئة من حرسه الخاص بهيئة متراصة ، وارتقب ينظر ما سيقدم عليه العاهل ، لأنه كان موقناً أن موضعه وسط الجيش الفارسي . والحقيقة ، ان القادة الفرس كافة ، يتخذون أماكنهم وسط وحداتهم عند اشتراكهم في المعمعة ، والقصد من ذلك ، أنهم بهذه الطريقة يمسون في أسلم موضع ، مع قواتهم على كل جوانبهم ، وان اعتزموا اصدار الأيعازات ، وصلت جيشهم في نصف المدة . وفي هذه المرة ، كان العاهل كذلك في قلب عسكره ، لكنه كان ، مع ذلك ، أبعد من جناح (كورش) الايسر . ولما لم يلاحظ[٦] ، عندئذ ، هجوماً جبهوياً عليه ،أو على الوحدات الحائلة دونه ، استدار ميمماً شطر اليمين بحركة مثنية .

ثم أن (كورش) ، اذ خشي أن يصبح العاهل خلف اليونانيين فيمزقهم ، تحرك نحوه رأساً . فأغار مع الستمئة الذين معه ، واخترق ستار الجند أمام العاهل ، ودحر الستة آلاف ، وأشيع أنه قتل بيده آمرهم (أرتاجرسس) ـ Artagerses ـ لكن عندما لاذوا بالفرار ، فقد الستمئة ، التابعون لكورش ، ترابطهم أثناء اندفاعهم المتحمس في مواصلة الملاحقة ، وتخلف معه عدد قليل جداً ، أغلبهم أولئك الذين أطلق عليهم «رفاق المائدة» . وعندما بقي مع هذا العدد الضئيل ، لمح العاهل والصفوف المتراصة حوله . ودون أن يتردد لحظة ، صاح : «أرى الرجل» ، وهجم عليه ، ووجه نحو صدره طعنة اخترقت درعه فجرحته ، كما يقول (تسياس) ـ Ctesias ـ الطبيب ، وقال أيضاً انه ضمد

---

(٦) المقصود هنا هو العاهل .

الجرح بنفسه . لكنه في ذات اللحظة التي كان يوجه أثناءها الطعنة ، نجله[٧] أحدهم برمح أسفل ناظره بشدة . ويقول الطبيب (تسياس) ـ الذين كان مع العاهل ـ انه قد سقط العديد من جنود العاهل اثناء اقتتال العاهل و(كورش) . لكن (كورش) نفسه قد قتل ، وارتمى على جثمانه بلا حراك ثمانية من أنبل حاشيته . لقد قيل ان (أرتاپاتاس) ـ Artapatas ـ أوثق خادم بين حملة صولجانه ـ اذ لمح (كورش) صريعاً ، قفز عن جواده ، ورمى نفسه عليه . ويقول البعض ان العاهل أمر من يقتله وهو مسجى على (كورش) ، ويقول آخرون انه سحب سيفه ، وقتل نفسه هناك . كان لديه سيف ذهبي ، وقد اعتاد أن يضع عليه سلسلة وقلادة والحلى الاخرى نظير أنبل الفرس ، لأنه كان يعد من قبل (كورش) صديقاً صدوقاً وخادماً مؤتمناً .

---

(٧)نَجَلَ : طعن برمح .

ملحوظة :بعد الفراغ من هذا الفصل وغيبُ مزيد من التمعّن في خريطة تفصيلية ، أخذت أرجح أن ميدان المعركة كان في موضع قريب من (اليوسفية) حالياً ـ راجع التذييل .

الفصل التاسع

[illegible] كورش

[illegible] (كورش) ، من بين جميع الفرس الذين اعقبوا
[illegible] ، كان هو أنسب ما يكون بالملك ، وافضل من يستحق
[illegible] يعلم بذلك كل من تعرف اليه شخصياً عن كثب . في سنيه
[illegible] كان طفلا يهذب مع شقيقه والآخرين ، كان يعتبر أفضلهم من
[illegible] ان أطفال نبلاء الفرس كافة يهذبون في البلاط ، حيث يستطيع
[illegible] الدروس العديدة في السلوك الحسن ، لعدم سنوح المجال بمشاهدة
[illegible] ان الاولاد [illegible] ويرون بعض من يكرمهم
[illegible] ، وبذلك يتعلمون ، منذ صباهم ، كيف
[illegible] هنا ، في البلاط ، أعتبر (كورش) ، أول الامر ، أفضل
[illegible] وأكثرهم رغبة — حتى من مرؤوسية — في الاصغاء الى الذين
[illegible] بالخيول وتمكنه من ضبطها بغاية الاحكام . أما
[illegible] كرماية النبال ورمي الرمح ، فقد عدوه أكثرهم شوقاً
[illegible] في التمرين . وعندما بلغ من العمر مرحلة التمكن من
[illegible] التعرض له ، وفي منتهى الأهبة للمجازفة بنزالاته مع
[illegible] وحدث ، ذات مرة ، أن دبّة هجمت عليه ، لكنه ، دون أن
[illegible] مع الحيوان ، فسحب من ظهر جواده . ان الندوب التي
[illegible] كانت ماتزال بادية ، لكنه قضى على الحيوان آخر الأمر . أما
[illegible] الذي تقدّم الى نجدته فقد عمل (كورش) على ان يستقد
[illegible]

وعندما أرسله والده الى الساحل، كحاكم على (ليديا) و(فريجيا العظمى) و(كبدوكيا)، وعينه قائداً عاماً على جميع الملزمين بالتحشد في سهل (كاستولوس)[1]، كان اول شيء أقدم عليه ايضاحه بانه يعلق أقصى الاهمية على المحافظة على كلمته في اي تحالف او اتفاقية أو مشروع. لقد وثقت به المدن التي كانت تحت سلطته، وكذلك فعل الرجال. كما أن اعداءه كانوا واثقين أن (كورش)، متما وقع على تحالف معهم، لن يحدث لهم ما يناقض بنود التحالف. ونتيجة لذلك، عندما كان في حرب مع (تيسافرنوس)، فضلت جميع المدن اتباعه، خلا (الميليطيين)، بدلاً من (تيسافرنوس). فقد كان (الميليطيون)[2] في خشية منه لرفضه التخلي عن قضية الحكومة المعزولة. وقد أوضح حقاً بأفعاله، وقال جهراً انه، متى أضحى صديقهم، لن يتخلى عنهم، حتى وان تضاءلوا عدداً، وباتت وطاءهم أسوا مما كانت عليه.

اذا قابله اي فرد بحسنى أو شر، لجأ بشكل جلي الى افضل من ذلك. وقد اعتاد بعض الخلق الاشارة الى دعائه المألوف، بأنه يتمنى العيش المديد ليتسنى له ان يكافيء - مع فائدة - أولئك الذين أعانوه وأولئك الذين آذوه. لذا فقد كان من الطبيعي تماماً في زماننا، انه الرجل الفرد الذي تمنى عديد من الناس تسليمه أموالهم وحواضرهم وذواتهم.

ومهما كان، فلا يسع الفرد أن يقول ان (كورش) اتاح للمجرمين والاشرار مجال الاستخفاف بسطوته. بالعكس، كانت عقوباته صارمة بشكل خاص، وغالباً ما شوهد على الطرق المطروقة كثيراً، أناس قد سملت عيونهم أو قد

---

(١) - Castolus - سهل في أواسط الأناضول (آسيا الصغرى).

(٢) القوم المنسوبون الى (ميلوتس)وهي (ملاطية) حالياً على الساحل الغربي من تركيا.

بترت أطرافهم. ونتج من ذلك، أن أي فرد في محافظات (كورش)، يوناني أم فارسي، استطاع التنقل حيث شاء دون رهبة ـ ان لم يجترح أذى ـ واصطحاب أية حاجة أراد.

وليس بخاف، من المعلوم جيداً، انه عامل كل الذين أبدوا كفاءة حربية، معاملة متميزة مستثناة. فأثناء محاربته الاولى مع (البيزيديين)[3] و(الميسيين)[4]، اقتحم بلادهم بنفسه، وجعل من الذين جازفوا بحياتهم، حكاماً على المنطقة التي افتتحها، ثم انعم عليهم انعامات أخرى ومكافآت، موضحاً ان الشجعان سيغدون أسعد الناس، بينما الجبناء فقط استحقوا أن يمسوا عبيداً لهم. وعليه، لم تكن قط أية ندرة في الناس الذين كانوا يودّون المجازفة بحياتهم عندما فكروا أن (كورش) سيكون على بينة من ذلك.

أما بخصوص العدالة، فكان هدفه الأسمى أن يرى الذين شاءوا العيش حسب قواعدها، قد أضحوا أغزر ثروة من أولئك الذين ابتغوا الكسب عن طريق تعديها. فنتج من ذلك، أن شؤونه لم تكن تدار ادارة محكمة فحسب، بل حظي بخدمات جيش كان جيشاً بحق. ان القادة وضباط المئة الذين اجتازوا البحر للأنضواء تحت لواء خدمته كمرتزقة، أدركوا أن تقديم الخدمة النافعة الى (كورش) يعود عليهم بجدوى، تفوق أي مرتب شهري. في الحقيقة، كلما أنجز أي فرد عملا قد عهده اليه، بهمة، لم يدع عمله النافع من غير أن يثيبه عليه. بناء على ذلك، قيل ان (كورش) حصل على أفضل المامورين لأي صنف من العمل.

---

(٣) القوم المنسوبون الى (بيزيديا) وهي إقليم في الجنوب الغربي من تركيا ـ Pisidians.

(٤) سكان الأقليم المسمى (ميسيا) الواقع في غربي تركيا بحذاء بحر (إيجه) ـ Mysians.

وعندما لاحظ رجلا أدارياً حازماً، يعمل بمبادىء العدل، ويجود الارض التي تحت اشرافه، ويجعلها تدر الكسب، لم يجرده منصبه، بل كان دوماً يخوله مسؤوليات اضافية. فكانت النتيجة أن أدى اداريوه أعمالهم بانشراح، واكتسبوا المال مطمئنين. كان (كورش) آخر من يخفون عنه مقتنياتهم، اذ لم يبدر منه أي حسد تجاه الذين أثروا علناً، لكنه ـ على النقيض من ذلك ـ حاول استعمال ثروة الناس الذين لجأوا الى اخفاء مالديهم.

ان كل فرد يسلم أنه[5] قد تميز حتماً بتقديم الخدمات الى أولئك الذين صادقهم، وأدرك صدقهم معه، وعدهم قادرين على معونته في أية مهمة كانت لديه. كان يحسب أن الباعث الذي جعله في حاجة الى الاصدقاء، هو أن يكون عنده أناس يناصرونه، وقد طبق هو نفس القاعدة بالضبط مع الآخرين، محاولا أن يؤدي أقصى المعروف لأصدقائه في جميع الظروف التي علم فيها أن واحدهم قد احتاج الى شيء ما. وأحسب أنه استلم من الهدايا أكثر من أي فرد آخر، وذلك لأسباب عدة. لكنه أكثر من غيره قد تساهمها مع اصدقائه، آخذاً بنظر الأعتبار دائماً كل فرد وما يعرف عن حاجته الملحة. وعندما كان الناس يبعثون اليه بالحاجيات اللطيفة لارتدائها، كالدروع أو الثياب الجميلة، يقولون ان الملاحظات التي كان يبديها عنها هي أن جسمه قد لا يستطيع ارتداء كل هذه الحلل، بل كان يحسب أن الاحرى بالرجل أن يحسن مجازاة أصدقائه. وليس من ريب أنه لم يكن ثمة ما يستدعي الدهشة من حقيقة كونه قد فاق أصدقاءه في قضاء المنافع الجمة لهم، مادام يمتلك الطاقة الراجحة على اتيان ذلك. ان الذي يلوح لي أجدر بالاعجاب من ذلك أنه برّز عليهم في جِبْلَته على

(٥) الضمير هنا يعود الى (كورش).

المكافأة وفي اهتمامه بمنح البهجة. وفي كثير من الاحيايين، عندما توفر لديه النبيذ الفاخر، اعتاد ارسال الدنان، المملوءة بالنبيذ حتى انصافها، الى أصدقائه، مع رسالة تقول: «لم يتح لكورش، من ردح طويل ان عثر على خمرة أجود من هذه، لذا فقد ارسل اليك بعضاً منها، ويريدك أن تأتي على ثمالتها اليوم برفقة أعز من تهوى». كما كان من شأنه غالباً أن يبعث بالمؤونات من الوز وأنصاف الأرغفة وما يماثلها. قائلا لحاملها أن يفصح عند تقديمها: «لقد تلذذ كورش بهذا، فيريدك أن تتذوقه كذلك». وعندما كان يشح العليق - مع أنه بالذات كان قادراً على الحصول عليه بسبب العديد من خدمه واحتياطه الشخصي السليم - كان يبعث به الى أصدقائه ويخبرهم أن يعطوا العليق الخيول التي امتطوها بأنفسهم، كي لا تمسي الجياد، التي حملت أصدقاءه، ساغبة.

وكلما انطلق للسفر في مهمة رسمية، ويتوقع أن يشاهده خلق عظيم، اعتاد ان يدعو اليه اصدقاءه لاشغالهم في الحوار الجدي، كي يدل على اي صنف قد كرم من الرجال. لذلك، ان فكرتي الخاصة، استناداً الى ما قد سمعت، هي انه لم يكن مطلقاً اي فرد، يوناني ام اجنبي، محبوباً اكثر منه على الاجمال. ودعم آخر لذلك يكمن في الواقع، وهو مع ان (كورش) كان مواطناً، لكن واحداً لم يهجره ويذهب الى العاهل، سوى (اورونتاس) - Orontas - الذي حاول ذلك، لكنه سرعان ما وجد ان الشخص[٦] الذي خاله يُركَن اليه كان صديقاً لكورش اكثر مما له. ومن ناحية اخرى كثيرون غادروا الملك، وقصدوا (كورش) عندما اندلعت الحرب بين الاثنين، وكان هؤلاء ايضا اشخاصاً

---

(٦) ها هنا إشارة الى الفرد الذي عهد إليه (أورنتاس) إيصال الرسالة الخطية الى العاهل فسلمها إلى (كورش) كما ورد تفصيله في الفصل السادس.

يؤثرهم العاهل بشكل خاص ، لكنهم بدوا انهم ان احسنوا العمل تحت سلطة (كورش) ، تزتموا على خدماتهم افضل مما لو فعل العاهل . ان ما حدث اثناء مصرعه ، لبرهان قوي ايضا ليس على بسالته الذاتية فحسب ، بل على مقدرته ان ينتقي بدقة أناساً يعتمد عليهم ، مخلصين وحازمين . اذ حينما هلك ، مضى كل فرد من اصدقائه ورفاق مائدته دفاعاً عنه ، خلا (اريوس) الذي كان قد عهدت اليه قيادة الخيالة على الجناح الايسر . فلما علم بمصرع (كورش) ، لجأ الى الفرار هو والجيش الذي قاده قاطبة .

الفصل العاشر
بعد المعركة

ثم حُزَّ رأس (كورش) وكذلك يمينه، وانقلب الملك ملاحقاً، واخترق معسكر (كورش). فلم يلبث رجال (اريوس) بعدئذ، بل ركنوا الى الفرار خلال معسكرهم حتى بلغوا آخر مرحلة توقفوا عندها قبل ان تحركوا. وقيل ان ذلك الشوط يبلغ (١٢) ميلا.

ضمن الاسلاب العديدة التي استحوذ عليها العاهل واصحابه، حظية (كورش)، وهي فتاة من (فوسيا)[١]، قيل انها خلوب وفهيمة في ان معاً. اما حظيته الصغرى، وهي غادة من (ملاطية)، فقد اسرها جنود العاهل، لكنها افلتت منهم نصف عارية، ولجأت الى اليونانيين الذين اتفق ان كانوا هنالك، شكاك السلاح يحرسون المتاع. فأخذوا مواضعهم وافنوا عدداً من السالبين، ولو ان قسماً منهم[٢] قد قتل ايضاً. الا انهم، لم ينهزموا، بل انقذوا الفتاة وكذلك جميع الممتلكات، من اموال وعبيد، كانت في معسكرهم.

في هذه المرحلة، بات جيش العاهل وصلب العسكر اليوناني على مسافة ثلاثة اميال من بعضهما. كان اليونانيون يطاردون القوات المجابهة لهم، وكأنهم قد احرزوا نصراً ناجزاً، وكان الفرس منهمكين في السلب، وكأن فوزهم بات كاملا كذلك. بيد ان اليونانيين اكتشفوا، غب ذلك، ان العاهل وجنوده اضحوا بين امتعتهم، وسمع العاهل من (تيسافرنوس) ان اليونانيين قد دحروا

---

(١) إما أنها مستعمرة أيونية وهي ميناء إغريقي قديم في آسيا الصغرى (تركيا اليوم) أو أنها ولاية إغريقية قديماً في شرقي (بيوطيا) شمالي خليج (كورنث).

(٢) المقصود هنا اليونانيون.

الوحدات المواجهة لهم، وأنهم مندفعون قدما يواصلون الملاحقة. عندئذ استجمع قواته وهيأها بنسق حربي، بينما استدعى (كليرخوس) القائد (بروكسينوس) الذي كان يليه، وبحث معه إن كان ينبغي ارسال مفرزة لانجاد المعسكر، ام ان يسير الجميع الى هناك سوية.

في نفس الحين، تجلى ان العاهل ايضاً، عاد يتقدم نحوهم مجدداً، كما ظنوا، من المؤخرة. إذ ذاك، واليونانيون يفترضون قدومه من هناك، استداروا وتهيأوا لمناوشته. بيد أن العاهل لم يتقدم بجيشه من تلك الجهة، بل - كما فعل سابقاً بالضبط بأن اجتاز ميسرة اليونانيين - اقتاد الآن جيشه عائداً بنفس الطريق، آخذاً معه من فر الى اليونانيين أثناء المعركة، وكذلك (تيسافرنوس) والجنود الذين تحت امرته.

ان (تيسافرنوس) لم ينهزم أثناء الغارة الاولى - لكنه تقدم شطر مشاة الأغريق من الصنف الخفيف بحذاء النهر، واخترق صفوفهم. بيد أنه لم يقتل شخصاً واحداً. فقد أفرج اليونانيون صفوفهم، وأعملوا في رجالة السيوف والرماح. كان (أبيستنيز)[٣] الذي من (أمفيبوليس)[٤] آمراً على مشاة الصنف الخفيف، وقيل أنه قد أبدى مهارة فائقة. ولما الفى (تيسافرنوس) أنه المتضرر من جراء الاشتباك، لم يعد الكرة بهجوم آخر، بل توجه نحو المعسكر اليوناني حيث التقى العاهل، وهناك التأمت قواتهما، وسارا عائدين بنظام حربي.

وبما أنهم[٥] كانوا مقابل ميسرة اليونانيين، خشي اليونانيون أن يداهم

---

(٣) Episthenes.

(٤) - Amphipolis - إقليم أو مدينة تفيد معنى المدينة المدورة في مقدونيا.

(٥) الضمير هنا يعود الى الفرس، لكن من غير الواضح إذا كان المؤرخ يعني العاهل و (تيسافرنوس) فقط أم الجيش الفارسي عامة.

الفرس[٦] هذا الجناح ، ويطبقوا عليهم من الجانبين فيمزقوهم تمزيقاً . لذا بدت لهم أفضلية تمديد الجناح المذكور ، تاركين النهر خلفهم . لكنهم بينما كانوا يبحثون هذه المناورة ، غير العاهل الاتجاه على حين غرة ، ومضى مجتازاً بهم ، بأن جعل خطه يواجه جبهتهم بنفس الهيئة التي برز فيها لمقاتلتهم في الجولة الاولى .

فعندما لاحظ اليونانيون اصطفافهم تجاههم متكاثفين ، أنشدوا نشيد القتال ثانية ، وحملوا عليهم بروح عدائية أقوى من السابق . فاخفق الفرس في الصمود بوجه الغارة ، والحقيقة أنهم ركنوا الى الفرار ، حتى عندما بات اليونانيون على مسافة أبعد مما كانوا عليه في الجولة السابقة . فتعقبهم اليونانيون حتى أدركوا قرية ، فتوقفوا هناك لوجود رابية فوق القرية ، وانثنى رجال العاهل على هذه الرابية لمعاودة القتال . لقد كان المشاة في الحقيقة ، يواصلون الانهزام ، لكن الرابية اكتظت بالفرسان ، فلم يعد من الميسور رؤية ما يدور . وقالوا انهم شاهدوا شعار العاهل بشكل نسر ذهبي ، على حربة ، منشور الجناحين .

كان اليونانيون ، في الواقع ، يزحفون نحو هذا الموضع عندما كانت الخيالة أيضاً تغادر الربوة لا بشكل وحدة متراصة ، بل فصائل مختلفة باتجاهات متغايرة ، حتى تجردت الرابية من الخيالة تدريجياً ، وانزاحوا نهائياً . ولم يرتق (كليرخوس) التل ، بل أوقف جيشه عند سفحه ، وأنفذ (ليسيوس) ـ Lycius ـ (السيراقوسي)[٧] وفرداً آخر نحو القمة ، وقد أوعز اليه باستطلاع الجانب

---

(٦) كلمة (الفرس) غير واردة في الاصل وقد أضفتها دفعاً للالتباس .

(٧) نسبة الى (سيراقوس) ـ Syracuse ـ ثغر قديم في طرف الجنوب الشرقي من جزيرة صقليا ، حاصرها الأثينيون حصاراً فاشلا بين عامي ٤١٤ و ٤١٣ قبل الميلاد .

الآخر ، واعلامه بما كان يجري هنالك . فارتقى (ليسيوس) راكباً ، وبعد استطلاعه ، عاد مخبراً بتقهقر العدو التام .

وحينما كان هذا يجري ، كانت الشمس آخذة في الغروب ، فتوقف اليونانيون حيث كانوا ، وجمعوا السلاح ، وأخلدوا الى الراحة . في ذات الحين ، تعجبوا لعدم ظهور (كورش) في اي موضع ، ولعدم ورود مخبر منه . اذا لم يعلموا أنه قد قضى ، بل خيل اليهم اما انه قد انطلق لمسافة في اثر العدو ، أو قد واصل السير لاحتلال مركز ما . أما هم ، فبعد أن تشاوروا في أمر مكوثهم حيث كانوا ، وجلب أمتعتهم اليهم ، أو عودتهم الى معسكرهم ، قرروا الأوبة . فوصلوا خيامهم أوان العشاء ، وتلك كانت خاتمة ذلك النهار . لقد اكتشفوا أن جميع أمتعتهم تقريباً ، ومنها أرزاقهم وشرابهم ، قد انتُهبت . كما كانت هناك بعض عربات ـ قُدرت بأربعمئة ، مزودة بالشعير والنبيذ ، هيأها كورش لمد اليونانيين بها اذا حدث نقص كبير في ميرة الجيش . لقد نهب رجال العاهل هذه العربات كذلك ، حتى بات أكثر اليونانيين بلا عشاء . فالحقيقة أنهم لم يتناولوا وجبة الظهيرة ، لأن العاهل برز اليهم قبل توقف الجيش لتناول الغداء . وهكذا أمضوا تلك الليلة .

القسم الثاني
اليونانيون بمعزل

الفصـــل الاول

رســـول الملـــك

عند الفجر ، التأم القادة ، مستغربين عدم أوبة (كورش) ذاته ، وعدم إيفـاده مخبراً يُعـلمهم ما ينبغـي أن يفعـلوا . وبحكم الظروف ، عزموا على حـزم حاجياتهم ، ومواصـلة التقـدم ، مدجّجين ومتأهّبين للقتال ، حتى يتسـنى لهـم الألتحاق بكورش . لكن ، مع بزوغ الشمس في الفضاء ، تماماً ، وهم على وشك التحـرك ،وصـل (پروكلس) ـ Procles ـ حـاكم (تيوثرانيا)[1] ـ سـليل (داماراتوس) ـ Damaratus ـ الأسپرطي ـ ومعـه «جلوس» (Glous) نجل (تاموس) ـ Tamos ـ بنبأ مفـاده أن (كورش) ميت ، وأن (آريوس) ـ Ariaeus ـ قد ركن الى الفـرار ، وأنه الآن مع بقية القـوات الوطنية[2] ، عند آخـر مرحلة توقفوا عندها وتحركوا منها في اليوم المنصرم . كانت الرسالة من (آريوس) تفيد أنه سينتظر سحابة النهـار ليرى إن كانوا[3] سيلحقون به ، لأنه قد أرتأى أن ينطلق في الغد الى (أيونيا)[4] التي توجه منها .

عندما سمع القادة هذا النبأ ،وعلم به اليونانيون الآخرون ، ألم بهم قنوط شديد . فتكلم (كليرخوس) قائلا : «تمنيت أن يكون كورش حياً يُرزق . على كل حال ، لما كان قد قضى ، فيجب أن تخبروا (آريوس) أننا قد قهرنا العـاهل ، وكما

---

(١) ـ Teuthrania

(٢) يقصد جيش (كورش) الفارسي .

(٣) الضمير يعود الى اليونانيين .

(٤) ـ Ionia المنطقة الساحلية من غرب آسيا الصغرى والجزائر المحاذية لها وكانت مستعمرات إغريقية .

ترون، ليس ثمة عقبة دوننا الآن. في الحقيقة، لولا قدومكم، لكنا الآن زاحفين عليه. إننا نعد (آريوس) إن أتانا، فسنجلسه على عرش الملك. وأولئك الذين يربحون المعركة، لهم كذلك الحق في السلطة العليا.»

بهذه الكلمات أعاد الرسولين، وأوفد معهما (خريسوفوس) ـ Chirisophus ـ الأسبرطي و (مينون) ـ Menon ـ الشسالي(٥). كان (مينون) يتشوق الى الذهاب تلقائياً، إذ كان خليل (آريوس) وكان له نصيب من حسن ضيافته.

فذهبوا وتخلف (كليرخوس). وتزود الجيش بالطعام بأحسن ما تيسر من دواب نقل الأمتعة، وذلك بنحر الثيران والحمير. واستحصلوا الوقود بالتقدم قليلا، بعيداً عن الخط، باتجاه ميدان المعركة التي خاضوا، مستعملين السهام الوفيرة التي ألقاها على الأرض الفارّون من جانب العاهل، عندما أرغمهم اليونانيون على ذلك في ساحة المعركة بالأمس، والدروع المجدولة من أغصان الشجر، ودروع الفرعونيين الخشبية. كما كان عدد من التروس الخفيفة والمركبات التي هجرها ساقتها. فاستعملوا كل هذه المواد لأنضاج اللحم، فتناولوا وجبة ذلك النهار.

كان الوقت قد ناهز الضحى عندما وفد المخبرون من لدن العاهل، ومن (تيسافرنوس). كانوا من الفرس بأجمعهم، خلا واحداً يدعى (فالينوس) ـ Phalinus ـ فكان هذا يونانياً في خدمة (تيسافرنوس) الذي كان يعتد به كثيراً، إذ ادعى البراعة في التدريب وفنون المشاة الحربية. جاء هؤلاء راكبين، وطلبوا الكلام مع القادة اليونانيين. فقالوا بما أن العاهل قد أحرز النصر وقضى على

---

(٥) من منطقة في شمالي اليونان، مشهورة بسهولها التي تنتج الحبوب، أهم مدنها (لاريسّا) ـ Larissa، تعرف (ثساليا) ـ Thessaly ـ والنسبة إليها ثسالي (Thessalian).

(كورش) ، أمر اليونانيين بالقاء أسلحتهم ، وبالمثول في البلاط ، وباستحصال الحظوة الملكية لأنفسهم ، إن استطاعوا .

هذا ما قال مخبر العاهل ، فحنق اليونانيون إذ سمعوه . بيد أن (كلير خوس) لم يزد على القول : «ليس للظافرين أن يسلموا أسلحتهم ، لكن أنتم القادة الآخرون ، عليكم أن تعدوا ما يلوح لكم أفضل وأنبل رد على هؤلاء الرجال . سأعود حالا .» فقد استدعاه أحد ضباطه لفحص الأحشاء المستخرجة من الضحيّة ، وهو يؤدي الشعائر القربانية .

عندئذ أجاب (كلينور) ـ Cleanor ـ الأركادي[٦] ، الذي كان أكبرهم سناً ، إنهم سيموتون قبل إلقاء أسلحتهم . وقال (بروكسينوس) ـ Proxenus ـ الثيبي[٧] : «إن ما يحيرني ، يا فالينوس ، هو فيما إذا كان العاهل يطالب بأسلحتنا بحق من الظفر ، أم كهدايا للأعراب عن صداقتنا . إن كان بحق الظفر ، فلم يطالبنا بها دون القدوم لأخذها ؟ وإن يبغي الحصول عليها نتيجة اتفاق ، فليقل ما الذي سيكسبه الجنود ، إذا كانوا على استعداد أن يسدوا إليه هذا الفضل .»

أجاب (فالينوس) على هذا بالقول : «يعتبر العاهل النصر له ، مادام قد قتل (كورش) . إذ في الحقيقة ، من تبقى لينازعه الامبراطورية ؟ كما يعتقد أنكم في قبضته كذلك ، مازلتم في أصقاعه المحاطة بأنهر لا يُستطاع عبورها ، وهو قادر

---

(٦) ـ Arcadian ـ نسبة الى (آركاديا) وهي منطقة زاهية المناظر في اليونان ، شهيرة بكونها الموطن التقليدي للشعر الريفي

(٧) ـ Theban ـ نسبة الى (ثيبا) ـ Thebes ـ وهي عاصمة (بيوطيا) قديماً شرقي اليونان ، وقد خربها الأسكندر الكبير .

على اجتلاب الحشود العظيمة من الرجال، لا قِبَلَ لكم بأفنائها قاطبة، حتى لو أتاح لكم الفرصة لتفعلوا ذلك.»

بعدئذ، تكلم (ثيوبومبوس) ـ Theopompus ـ الأثيني، قائلا: «كما ترى، يا فالينوس، إن الأشياء الوحيدة، التي بقيت لدينا حالياً، ذات قيمة: أسلحتنا وشجاعتنا. مادمنا مالكين السلاح، نتصور بمقدورنا استخدام بسالتنا جيداً. أما إذا ألقينا السلاح، فسنفقد حياتنا كذلك. لذا لاتتوهم أننا سنسلمكم الأشياء الثمينة الوحيدة في حوزتنا. على النقيض من ذلك، سنقاتل، مستعينين بها، في سبيل ما تُثَمِّنون أنتم كذلك.»

فلما وعى (فالينوس) هذا، ابتسم وقال: «إنك، أيها الشاب، كفيلسوف تماماً. قد أجدت الأفصاح! مع كل ذلك، دعني أفيدك أنك مجذوب لو فكرت أن بسالتكم تستطيع النيل من قدرة العاهل.»

إن الذين حضروا هناك، أفادوا بوجود آخرين طفقوا يفقدون عزيمتهم، ويقولون إنهم كما كانوا مخلصين لكورش، ستكون لهم قيمة كبيرة عند العاهل كذلك، إذا ابتغى كسب صداقتهم؛ ومن جملة ما أبدوا أنه قد يرغب في استخدامهم في تجريدة على مصر. وإذا كان الأمر كذلك، فهم يودون الأنخراط معه لفتحها.

لحظتئذ، وصل (كليرخوس) عائداً، واستفهم إن هم قد أعطوا الجواب، بعد. فتدخل (فالينوس) قائلا: «إن هؤلاء الرجال هنا، يا (كليرخوس)، قد أجابوا إجابات متباينة. فاخبرنا الآن ما تقول أنت.»

قال (كليرخوس): «سَرَّني أن أراك، فالينوس، وأرجِّح أن هذا شعور الآخرين كافة، لأنك إغريقي كجميع من تشاهد هنا. في ظرفنا الراهن، نريد

مشورتك بشأن ما ينبغي علينا فعله بخصوص رسالتك . لذا أرجُوك أن تزودنا بنصيحة هي الأفضل والأشرف ، في اعتقادك ، ومن النوع الذي يجتلب لك التكريم في المستقبل ، عندما يخبر الناس عنها قائلين : (إن فالينوس قد أرسل ، ذات مرة ، من لدن العاهل ، يطالب اليونانيين بألقاء أسلحتهم . وعندما سألوه النصح ، كانت نصيحته بأن قال كذا .. وكذا ...) لأنك تعلم أن المشورة ، التي أنت مبديها ، سيفشو خبرها في اليونان ، لا محالة .»

لقد نطق (كليرخوس) بذلك تلميحاً ، وفكرته أن يحمل رسول الملك ذاته على نصحهم بعدم إلقاء السلاح ، كي بهذا يكتسب اليونانيون الثقة . مَيْدَ أن (فالينوس) تخلص من ذلك بمهارة ، وتكلم عكس مأمول (كليرخوس) ، قائلا : «مشورتي ألا تلقوا أسلحتكم ، إن كانت لكم فرصة واحدة من عشرة آلاف بأنقاذ أنفسكم عن طريق محاربة العاهل . أما إذا لم يكن لكم مجال واحد في النجاة عن سبيل مناهضة العاهل ، فأنصحكم إذ ذاك باتخاذ الخطوات الوحيدة التي في مقدوركم أن تصونوا بها ذواتكم» .

فردّ (كليرخوس) على ذلك ، قائلا :«حسن إذن ، الى هذا القدر من مشورتك . تستطيع الآن أخذ جوابنا ، وهو أننا نعتبر إذا كانت القضية بأن نغدو أصدقاء العاهل ، فسنكون أكثر نفعاً للعاهل لو احتفظنا بأسلحتنا مما لو تركناها لغيرنا ؛ وإذا كانت المسألة قتالا ، فسنحارب ، ونحن نمتلك السلاح ، أفضل مما لو كان هو في حوزة سوانا .»

فقال (فالينوس) :إذن ،هذاهو الردالذي الذي سننقله . لكن العاهل أبلغنا أن ننقل إليكم هذه الرسالة كذلك : إنه يعتبر الهدنة قائمة ما لذبتم[٨] حيث أنتم ؛ أما إذا

---

(٨) لذب : أقام بالمكان .

تحركتم قُدُماً أم الى الوراء ، فذلك يعني الحرب . لذا عليك أن تجيبني عن هذه النقطة كذلك ، إذا كنتم ستلذمون[9] بهذا المكان وتعقد ون المهادنة ، أم ينبغـي أن أبلغه عنك بأنكم معتبروها حالة حرب .»

فأجاب (كليرخوس) : «قل له،بصد د هذه النقطة ، إننا نفكر عين تفكيره .»

فقال (فالينوس) : «وماذا يعني ذلك ؟»

أجاب (كليرخوس) : «يعـني الهـدنة إن مكثنا ، والحـرب إن تقـدّمنا أو تراجعنا .»

فاستفهم (فالينوس) ثانية : «ما الذي سأقول : هد نة أم حـرباً ؟» فأجـاب (كليرخوس) نفس الأجابة مكرراً : «هدنة أثناء مكوثنا هنا ، وحـرب إذا تقـدّمنا أم تراجعنا .» ولم يشر الى المسلك الذي ارتأى أن يتبع .

---

(٩) لذم: لزم المكان .

الفصل الثاني

اليونانيـــون يلتحقـــون بآريوس

عندما غادر (فالينوس) ومن معـه ، عاد (بروكلس) و(خـريسوفوس) ضـــمن الموفد ين من (آريوس). أما (مينون)، فلبث مع (آريوس). فأفادوا أن (آريوس) قد قال بوجـود عدد من من الفـرس ، أرفع منه منزلة لا يطيقـــون تنسيبه ملكاً . أما ان ساء اليونانيون مرافقته في طريق العودة ، فهـو يستحثهم على القدوم تلك الليلة . والا ، فانه مبارح في الغد الباكر .

فقال (كليرخوس) : «حسناً . هذا ما ينبغـي علينا فعـله . إن نأت ، فسيكون كما تقولون . ان لم نات ، فعليكم بانتهاج الخطة التي تحسـبون أجـدى لكم.» فلم ينبيء ، حتى هؤلاء ، ما الذي كان سيقدم عليه .

بعد ذلك ، عندما غربت الشمس ، استدعى القـادة وضـباط المئة[1] للأجتماع وخـاطبهم قائلا : «أصـدقائي : عندما كنت أقدم القـــربان بقصـــد الزحف على العاهل ، لم تكن الدلائل ملائمة . وهذا طبيعـي ، إذ ـ كما ادرك الآن ـ يوجـد بيننا وبينه نهر صـالح للملاحـة ـ الدجلة . لا يسـعنا عبور النهـر دون زوارق ، ونحن لا نحوزها . من المؤكد لا نستطيع البقاء هنا ، لعدم توفر امكانية الحصول على التجهيزات . أما في حالة الذهاب الى أصحاب (كورس) ، فدلائل القـرابين كانت ملائمة للغاية . اذن هذا ما يتحتم علينا أن نفعل : بعـد مغـادرة الاجتماع ، علينا بتناول ما توفر من العشاء ، وعندما يطلق النفير نداء الأنصراف الى الرقاد ،

---

١ ـ Captains ـ الكابتن هو الذي رتبته ثلاث نجوم والذي يعرف عندنا رئيس.

المعتاد ، احزموا أمتعتكم . وعند نداء النفير الثاني ، ضعوها على الدواب الناقلة . وعند إطلاق النداء الثالث ، أقتفوا الذين يقتادونكم ، على ان تكون الدواب بجانب النهر ، والمشاة الثقيلة خارجها .»

عند تسلم هذه الأيعازات ، مضى القادة وضباط المئة ونفذوها . ومنذئذ أصبحت القيادة لكليرخوس ،وغدوا هم مرؤوسيه . ولم يحصل هذا نتيجة انتخاب ، بل لوثوقهم أنه الرجل الوحيد الذي يمتلك النوع الصحيح من عقلية القائد ، بينما كان الآخرون غير مجربين .

بعدئذ ، عندما حلت الدجنه ، فرّ (ميلتوسوثس) ـ Miltocuthes ـ التراقي نحو العاهل ، مستصحباً أربعين من أفذاذ الفرسان الذين كانوا لديه ، وما يقرب من ثلاثمئة راجل تراقي . أما الباقون ، فسار بهم (كليرخوس) حسب تعليماته ، وتبعوه حتى أدركوا محطة التوقف الأولى حوالي منتصف الليل ، حيث (آريوس) وعسكره . لقد أوقف القادة والرؤساء (ضباط المئة)[٢] اليونانيون رجالهم في نسق حربي ، وانطلقوا ليواجهوا (آريوس) . ثم أن اليونانيين من ناحية ، و(آريوس) مع أهم ضباطه من الناحية الآخرى ، أقسموا اليمين على عدم خيانة احدهم الآخر ، وعلى أن يكونوا حلفاء صادقين . كما أن رجال الفرس أدوا قسماً آخر على اقتياد اليونانيين للعودة بهم دون أي خداع . لقد سبقت هذين القسمين ، تضحية ثور وخنزير وكبش على مجن . فغمس اليونانيون في الدم حساماً ، والفرس حربة .

وعندما تم التعاهد على ذلك ، قال (كليرخوس) : «والآن ـ آريوس ـ ما دمنا

---

٢ ـ الكلمتان بين القوسين زيادة على الأصل Captains بقصد الأيضاح .

سالكين نفس السبيل ، قل لنا ما وجهة نظرك بشأن الطريق التي ستسلك.هل سنعود من حيث أتينا ، أم أن في ذهنك مسلكاً أفضل؟».

أجاب (آريوس) : «أذا كنا سنسلك في الأوبة طريق مجيئنا ، هلكنا جميعاً من الجوع ، فقد أمسينا الآن من غير مؤن . وحتى أثناء طريقنا الى هاهنا ، عجزنا عن استحصال أي شيء ، من البلاد التي اجتزنا خلال سبعة عشر يوماً ـ اذ لوكان ثمة شيء ما ، لوجدناه أثناء توجهنا الى هنا . اننا الآن نرتئي الرجوع عن طريق أطول حقاً ، لكن المؤن لن تعوزنا خلالها . ينبغي أن نجعل المراحل الأولى من سيرنا أبعد ما نستطيع ، لنترك أقصى مسافة ممكنة ، تفصلنا عن جيش العاهل . إن تمكنا ، لأول وهلة ، من السير مسافة يومين أو ثلاثة بعيداً عنه ، فسوف لن تتوفر للعاهل فرصة أخرى لأدراكنا . إنه لن يجازف بأن يلاحقنا بقوة ضئيلة ، واذا سار بجيش جرار ، فلا يستطيع السير حثيثاً . كما يحتمل أن تنقصه التجهيزات . هذا هو رأيي حول الموقف».

إن الأمكانيات الوحيدة ، في هذه العملية الحربية ، كانت إما الابتعاد على غير مرأى من العدو ، أو الانتثاء عن مجال مطاردته . غير أن الحظ بات أحسن دليل . اذ بطلوع النهار ، ساروا والشمس عن يمينهم ، مقدرين أنهم مع صَغْوِ الشمس ، سيدركون القرى التي في بلاد بابل . ولم يخطئوا في هذا ، اذ بينما كان الوقت عصراً ، تخيلوا أنهم يستطيعون مشاهدة فرسان العدو . فهرع اليونانيون السائرون بدون نظام الى اتخاذ مراكزهم . أما (آريوس) الذي كان في عجلته ، لأصابته بجرح ، فترجل ووضع عليه درعه كما فعل الآخرون الذين معه . لكنما اذ كانوا يتدججون بالسلاح ، عادت طليعة من الكشافة ، أرسلت للأستطلاع ، وأفادت أنهم ليسوا فرساناً بل دواب نقل الامتعة ، ترعى . فأدرك

كل فرد في الحال أن معسكر العاهل في موضع قريب، وفي الحقيقة كان الدخان يشاهد في القرى غير البعيدة كثيراً. لكن (كليرخوس) لم يقد رجاله قدماً ليغيروا على العدو، لعلمه أن التعب قد أنهكهم، وأنهم لم يتناولوا وجبة طعام. كما أن الوقت كان متأخراً الآن. ومن ناحية أخرى، أهتم الا يدع مجالا للانطباع عنه أنه كان لائذاً بالفرار، فلم يغير وجهته، بل استمر في السير قدماً. ومع غروب الشمس، خيم مع الطليعة في أقرب قرية، حيث وجدوا أن جيش العاهل قد اقتلع من المنازل حتى أبوابها ونوافذها الخشبية.

مع ذلك، تمكنت الطليعة من تهيئة مخيم نوعاً ما، لكن الذين وصلوا فيما بعد أثناء العتمة، خيموا أنى وجدوا أنفسهم، وأحدثوا الكثير من الجلبة أثناء مناداتهم بعضهم بعضاً حتى بات في مقدور العدو أن يسمعهم. فنجم عن ذلك، أن الأعداء الأقربين فروا فعلا من خيامهم. لقد اتضح هذا في اليوم التالي، اذ لم يبق، ضمن مدى البصر، أية دابة نقل الأمتعة، كما انه لم ير أي معسكر أو دخان فيما جاور. كما ظهر أن العاهل ذاته قد أصيب بالذعر عند دنو اليونانيين، والحقيقة أنه كشف عن ذلك بجلاء فيما فعل في اليوم التالي.

لكن اليونانيين أنفسهم، قاسوا من ذعر مباغت، داهمهم ليلا، فحدث من الضجيج والضوضاء ما يتوقع الفرد عندما تسود حال من الفزع. بيد أن (كليرخوس) أوعز الى (تولميدس) ـ Tolmides ـ الأيلي[٣] الذي اتفق ان كان معه، وكان أحسن مناد في زمانه، أن يأمر بالصمت ثم بالمناداة: «يعلن القادة

٣ ـ Elean ـ نسبة الى Elea وهي من مستعمرات الأغريق في جنوبي ايطاليا المسماة أيضاً Graecia Magna.

أن الرجل الذي يأتي بمعلومات حول الذي سمح بانفلات حمارة بين الاسلحة، سيُنعَمَ عليه بوزنة فضة[٤]. فعندما وعى الجنود هذا النداء، أطمأنوا ان ليس لذعرهم مبرر، وأن القادة كانوا في مأمن. وعند الفجر أوعز (كليرخوس) الى اليونانيين بجعل صفوفهم بنفس التشكيل الذي كانوا عليه أثناء المعركة.

---

٤ ـ وزنة الفضة تعادل (٢٥٠) جنيهاً أو (٣٤٠). وقد تعني وزنة ذهب التي تعادل زهاء عشرة آلاف جنيه.

الفصل الثالث

اليونانيون يوقعون معاهدة مع تيسافرنوس

إن ما ذكرت آنفاً حول ذعر العاهل عند دنو اليونانيين، قد ثبت بما جرى فيما بعد. فمع أنه في اليوم المنصرم، أوفد من يأمر الأغريق بتسليم أسلحتهم، لكنه الآن أنفذ، مع بزوغ الشمس، مخبرين لبحث الشروط.

قدم هؤلاء المخبرون الى الخفراء في المقدمة، وطلبوا مواجهة القادة. فأبلغ الخفراء تلك الرسالة. فقال لهم (كليرخوس)، وهو حينذاك يفتش المفارز، أن يخبروا الموفدين بالانتظار، ريثما يسنح له الوقت. ثم جعل العسكر حسب تشكيل، بدا زاهياً للناظر - فيلق مرصوص من أية ناحية شوهد،دونمافردمجرد من السلاح. ثم استدعى (كليرخوس) المخبرين، وتقدم بنفسه نحو الامام، بصحبة أحسن جنوده قيافة وسلاحاً، وأخبر القادة الآخرين أن يحذوا حذوه. وعندما وصل الى المخبرين، أستفهمهم حاجتهم، فأجابوا أنهم قد قدموا ليبحثوا الشروط، وأن لديهم من التخويل ما يكفي لتبليغ اليونانيين رغبات العاهل، أو ابلاغ العاهل برغبات اليونانيين.

فقال (كليرخوس): «اذن تستطيعون ابلاغه بهذا: سينبغي أن نخوض الهيجاء أولا. لا نملك شيئاً للفطور، وما من فرد سيجرأ على أن يحادث اليونانيين بشأن الشروط حتى يزودهم بالفطور.»

عند سماع ذلك، انطلق المخبرون بخيولهم، وآبوا مسرعين، فأتضح أن العاهل، أو غيره ممن قد عهد اليه في هذه المهمة، كان في موقع قريب. فأفادوا أن العاهل عد قول (كليرخوس) معقولا، واذا فقد استصحبوا مرشدين،

يرشدونهم الى موضع يستطيعون فيه الحصول على الذخائر ، ان تم الاتفاق على الشروط .

واستفهم (كليرخوس) ان كانت الهدنة ستسري فقط على الذين ذهبوا وعادوا ، أم على كل فرد كذلك . فقالوا : «ان الهدنة تنطبق على كل فرد ، وستكون نافذة المفعول حتى يبلّغ العاهل برسالتك .»

عندئذ ، سألهم (كليرخوس) أن ينسحبوا ، وتداول المسألة مع الآخرين . لقد كانت الفكرة ، عامة ، تحبذ عقد الهدنة في الحال ، ثم الذهاب بيسر للحصول على الذخيرة ، قال (كليرخوس) : «تلك هي فكرتي الخاصة كذلك . لكنني لا أشاء اعطاء الجواب حالا . سأمدد الوقت حتى يتبادر الى المخبرين الوجل أننا قد نجمع لا على الهدنة .» بيد أنه أضاف : «يخيل الي أن جنودنا كذلك سيعتريهم الوجل مثلهم تماماً .»

ولما حسب ان الوقت الملائم قد حان ، أجاب أنه سيعقد الهدنة ، وأخبرهم أن يرشدوا الى حيث المؤن في الحال . ففعلوا ذلك ، لكن (كليرخوس) ، بالرغم من عقد الهدنة ، سار مع الجيش بنظام حربي ، واقتاد المؤخرة بنفسه . فاعترضتهم قنوات وترع مغمورة بالمياه الى حد تعذر عليهم اجتيازها من غير جسور . بيد أنهم وضعوا المعبرات باستخدام سيقان النخيل الساقطة واقتطاع أخرى .

هنا تيسرت فرصة حسنة لمشاهدة الكيفية التي بها قاد (كليرخوس) رجاله ، بحربته في يسراه ، وقناته في يمناه . اذا ظن تهاوناً من أي فرد من الرجال في عمل ما قد أوكل اليهم ، التقط الرجل المتهاون وبغزه . وفي ذات الحين ، طمس في الوحل ، وساهم في الاعانة بيده ، وبذا خجل كل فرد من عدم الاشتغال معه بجد . ان الذين اختيروا للمهمة ، كانوا ممن ناهزوا سن الثلاثين ، ولكن عندما لاحظوا (كليرخوس) يعمل فيها جاداً ، انضم اليه من

هـم اكبر سناً كذلك . كان (كليرخوس) أكثرهم ذفافاً [1] لارتيابه أن القنوات ما كانت طافحة بالمياه الى هذا القدر دائما ، لأن أوان ارواء السهل لم يكن في ذلك الفصل من السنة . فارتاب أن العاهل قد غمر السهل بالماء ، وغايته من ذلك هي أن اليونانيين قد يحصل لديهم الظن بوجود أخطار عديدة تجابههم في طريقهم حتى في هذا الحين .

وبعد التقدم ، وصلوا القرى حيث قال لهم الادلاء انهم يستطيعون الحصول على المؤن . فكانت الغلال مبذولة بوفرة وكذلك الصهباء المصنوعة من التمر ، وشراب حامض معمول من التمر المطبوخ . أما التمر ذاته ، فالصنف الذي يراه الشخص في اليونان ، كان يعزل جانباً للخدم ، بينما الأنواع المخصصة للسادة ، كانت فاكهة منتقاة ، كبيرة الحجم ، رائعة المنظر ، ألوانها كالعنبر تماماً ، واعتادوا تجفيف بعضها وحفظها كحلويات . وكان ثمة مشروب آخر[2] ، حلو المذاق ، لكنه قد يصيب شاربه بالدوار . ولاول مرة ، هنا كذلك ، أكل الجنود الجمّار[3] المستخرج من قلب النخلة ، وكان معظمهم مفتونين جداً بمظهره ومذاقه اللذيذ الغريب ، ولو أن متناوله كان ، كذلك ، شديد التعرض للاصابة بالصداع . وكل نخلة ، استخرج الجمار منها ، ذبلت نهائياً .

فأقاموا هنا ثلاثة ايام ، ثم جاء بصفة رسل من لدن العاهل : (تيسافرنوس)

---

١ ـ اسراعاً .

٢ ـ يصعب التكهن بنوع الشراب المقصود لوجود أشربة عديدة قديماً منها شراب البطيخ المسكر مثلا وغيره كثير . ولعله يقصد (الدبس) الحلو الذي هو عصير التمر .

٣ ـ لقد استعمل الناقل الى الانكليزية كلمة (Cabbage) التي تعني اللهانة بلغة العراق والكرنب أو الملفوف بلغة سورية . ليدل بها على كلمة (جمار) وهي قلب النخلة والمدلول الصحيح الأنكليزي لها هو Spadix .

وصهر العاهل وثلاثة آخرون من الفرس ، مع جملة من العبيد ليقفوا على خدمتهم .

فذهب القادة اليونانيون لاستقبالهم ، واستهل (تيسافرنيس) المباحثات بالكلام على النحو التالي بوساطة مترجم : «اني ذاتياً ، أصدقائي الاغريق ، أعيش متاخماً حدود اليونان ، وعندما رأيت أنكم أمسيتم في مثل هذا الوضع الحرج للغاية ، اعتبرتها فرصة موفقة لي إن تمكنت باية وسيلة من اقناع العاهل بقبول التماسي بأن أعيدكم سالمين الى بلادكم بالذات . أظنه صنيعاً سأحمد عليه منكم ومن بقية اليونانيين . فاعتقاداً مني بذلك ، رفعت رجائي الى العاهل ، وان من الصواب والملائم له ان يمنحني هذا المعروف ، لأني أول من أنباه بزحف (كورس) عليه ؛ وعندما جلبت النبأ ، استصحبت العساكر ؛ كما أني الوحيد الذي لم ينهزم من بين الذين جابهوا اليونانيين في المعركة ، بل على النقيض ، اخترقتهم واتصلت بالعاهل عندما وصل معسكركم غب مقتل (كورش) ؛ وبعد ذلك ، طاردت جيش (كورس) الفارسي برفقة هؤلاء الرجال الذين معي حالياً ، وهم أوفى أصدقاء العاهل . حينذاك ، وعدني العاهل النظر في مطلبي ، وفي ذات الحين ، أمرني بالتوجه اليكم لاستوضحكم الغاية من زحفكم عليه . اني انصحكم باعطاء رد معقول ، كي استطيع ، بسهولة أكثر استحصال كل منفعة أقدر عليها من اجلكم .

عند ذلك ، انسحب اليونانيون وتساوروا فيما أبداه . فأجابوا بلسان ناطقهم (كليرخوس) : «لم نأت ، لأول وهلة ، سوية بقصد محاربة العاهل ، وما كنا بعدئذ زاحفين على العاهل . لقد كانت الحال ، بالأحرى ، كما تعلم حق العلم ، ان (كورس) ظل يختلق لنا الاعذار المختلفة للزحف بنية الامساك بك بمنأى

عن جندك . فيحملنا على القدوم الى هنا . بيد أننا لما لاحظنا أنه غدا في وضع خطر ، شعرنا بالخجل امام السماء وتجاه أعين الملأ أن نخونه . أما الآن وقد قضى (كورش) نحبه ، فلسنا منازعين العاهل امبراطوريته ، وليس من باعث يستوجب رغبتنا في الحاق الضرر ببلاده . او في قتله . إن رغبتنا الأوبة الى الوطن ، شريطة ألا يعاكسنا أحد . أما اذا أساء أحد معاملتنا ، فاننا سنبذل كل ما في وسعنا ، بعون الالهة ، لاقصائه عنا . ومن جهة أخرى ، إن كان ثمة من يسدي الينا العون ، فسنعمل حتماً ، غاية جهدنا ، لمنحه نفس المقدار من المساعدة تماماً .»

ذلك ما قال (كليرخوس) . لقد اصغى اليه (تيسافرنوس) ، وقال : «سأنقل رسالتك الى العاهل ،ثم أعود اليك برده . إننا نعتبر الهدنة سارية المفعول حتى أعود ، وسنتيح لكم الفرص لابتياع الطعام .»

في اليوم التالي ، لم يعد (تيسافرنوس) ، فتشعر اليونانيون ببعض القلق ، لكنه جاء في اليوم الثالث ، وقال انه قد وصل بعد فلاحه في اقناع العاهل أن يسند اليه مهمة انقاذ اليونانيين ـ بالرغم من وجود العديدين الذين خالفوه ، قائلين : «ليس من الصواب ان يسمح العاهل بنجاة الذين زحفوا عليه ، لذا في مقدوركم قبول ضماننا . اننا نعد أن نيسّر لكم إرساداً مأموناً عبر بلادنا ،وان نعيدكم الى اليونان من غير خداع ، ونتيح لكم فرصاً لتبتاعوا الطعام ، وعند تعذر ذلك ، نسمح لكم بأخذ مؤنكم من الريف . ومن ناحيتكم ، عليكم أن تزودوا لنا القسم ، وتعدون أنكم ستسيرون وكأنكم في قطر صديق ، وان اخفقنا في اتاحة الفرصة لكم ان تبتاعوا المؤن ، فستأخذون طعامكم وسرابكم من غير احداث ضرر ، وان أتحنا لكم فرصة ، فستدفعون اثمان ما تحصلون عليه من الميرة .»

لقد اتُفِق على هذا ، وحُلِف اليمين . فمدّ كل من(تيسافرنوس) وصهر العاهل يمينه نحو القادة والرؤساء اليونانيين ، وتصافحا معهم . بعد ذلك ، قال (تيسافرنوس) : «والآن سأعود الى العاهل . سأقفل راجعاً حال فراغي من انجاز ما يجب ، وأنا بكامل الأهبة لمرافقتكم في الأوبة الى اليونان ، والرجوع بنفسي الى محافظتي .»

الفصل الرابع
الشروع في السير بارتياب متبادل

بعد ذلك ،إنتظر اليونانيون وعسكر[1] (آريوس) رجعة (تيسافرنوس) مدّة نيّفتْ على عشرين يوماً ،وكانوا قد عسكروا متلاصقين . أثناء هذه الفترة ، قدم أشقاء (آريوس) وأقرباء آخرون لرؤيته ، وجاء عداهم من الفرس لزيارة أصدقائه . وقد أدلوا ببيان أمور مشجعة ، وجلبوا الى بعض الأفراد ضمانات من العاهل ، أنه لا يحمل نحوهم أية نيّة سيئة لانضوائهم تحت لواء (كورش) ضده ، أو لأي شيء قد حدث سابقاً.

وبان بعد هذه المحادثات أن جماعة (آريوس)غدوا أقل اهتماماًباليونانيين ، وكان هذا باعثاً آخر لتَمُقُّتهم غالبية اليونانيين . والحقيقة ، لقد قصد الجنود (كليرخوس) والقادة الآخرين ، وقالوا : «علام انتظارنا ؟ أليس واضحاً أن العاهل سيفعل أي شيء ليبيدنا ،كي يجعل بقية اليونانيين يخشون المسير ، كما فعلنا ، ضد العاهل العظيم ؟ إنه الآن ،بسبب تشتت جيشه ولغايات عدة ، يشجعنا على المكوث حيث نحن ، لكنه سيهاجمنا حتماً حالما تتجمع قواته ثانية . أم يجوز أنه يحتفر الخنادق ، ويقيم القلاع في مكان ما لجعل طريقنا متعذر الأجتياز . إنه حتماً لا يرتضي ، إذا استطاع الى ذلك سبيلا ، رجوعنا الى اليونان لنسرد قصتنا أننا ، بضآلة عددنا ، قهرنا العاهل عند أبواب جَوْسَقِهِ ، ثم عدنا الى الوطن سالمين ، جاعلين من شخصه أضحوكة» .

---

١ ـ كلمة (عسكر) زيادة من المعرب للايضاح اذ ان النص الانكليزي يذكر (...اليونانيون وآريوس ...) .

فرد (كليرخوس) على الذين أفصحوا عن ذلك، بالقول: «إني أشعر عين شعوركم تماماً. ومن جهة أخرى، أعتبر لو ذهبنا الآن، لعُدّ عملنا إعلان الحرب ونقض الهدنة، إن أول شيء سيعقب ذلك هو أن ما من أحد سيتيح لنا ابتياع المؤن أو أي مجال لأطعام أنفسنا. ثم، لن يتوفر لنا الدليل ليدلنا على الطريق. في نفس الوقت، إن فعلنا كما تقترحون، سيتخلى عنا (آريوس) في الحال، فتغدو النتيجة أننا سوف لا نملك صديقاً واحداً. وعلى النقيض من ذلك، سيُمسي أصحابنا سابقاً خصومنا. لا أعلم إن كنا سنجتاز أنهاراً أخرى، لكننا نعرف أن من المتعذر عبور الفرات مع مواجهة مقاومة العدو. ثم، ليس لدينا الفرسان إذا نشبت معركة، بينما فرسان العاهل، أعداد هائلة وأكثر أسلحته مضاء. لذا إن أحرزنا نصراً، صعب علينا قتل أي فرد من أعدائنا؛ بينما إذا قُهرنا، فلن ينجو منا أحد. إن كان العاهل يروم تحطيمنا، فلا علم لدي - وهو يمتلك كل هذه المزايا - بالداعي لتأديته القسم، وتبادل يمين الصداقة، فحنث وجعل ضماناته عديمة القيمة في عيون الأغريق والفرس.»
كثيراً ما تعود (كليرخوس) هذا الضرب من الجدال.

في غضون ذلك، وصل (تيسافرنوس) بجيشه، ونيته - ظاهراً - الأوبة الى الوطن. كما جاء (أورونتاس) - Orontas - مع عسكره، مُصطحبا إبنةَ العاهل، قرينة له. فساروا من ثم قدما، و(تيسافرنوس) يدلهم الطريق ويتيح الفرص لابتياع الميرة. كما أن (آريوس) سار مع جيش (كورش) الفارسي بمعية (تيسافرنوس) و (أورونتاس) وعسكر معهما. فتطلع اليونانيون إليهم بارتياب، وساروا مستقلين أثناء الطريق، مستخدمين مرشديهم الخاصين بهم، وعسكر الجيشان، تفصلهما مسافة ثلاثة أميال على الأقل دائماً. وراقب كل جانب

الآخر كأنهما متعاديان، فنجم عن ذلك، بطبيعة الحال، مزيد من الريبة. وفي بعض الأحيان، عندما كانوا يحتطبون في نفس الموضع، أو يجلبون العليق وما شابه، حدثت المشاجرات بينهم، وهذا أيضا، يستثير الضغينة طبعا.

بعد مسيرة ثلاثة أيام، وصلوا السور المادي، واجتازوه نحو الطرف الآخر. كان ذلك السور مصنوعاً من الطابوق الذي يتخلل القار طبقاته، وكان سمكه عشرين قدماً وارتفاعه مئة قدم، وقيل إن طوله يمتد نحو ستين ميلا. إنه جد قريب من بابل.[٢]

أعقب ذلك مسيرة (٢٤ م) خلال يومين، عبروا أثناءها ترعتين، إحداهما فوق جسر ثابت، والأخرى فوق جسر عائم على سبعة قوارب. كان ماء الترعة يرد من دجلة، ومنها تتفرع قنوات تمتد الى أطراف البلاد، عريضة في البدينة، ثم تضيق حتى تغدو في النهاية كالمجاري التي عندنا في حقول الدخن في اليونان.

ثم جاءوا دجلة حيث قامت بقربه مدينة واسعة كثيفة السكان، تدعى (سيتاس)[٣]، تبعد عن النهر ميلا ونصف الميل. لقد عسكر اليونانيون بجوار المدينة قرب حديقة شاسعة مكتضة بجميع أصناف الشجر. أما الجيش الوطني[٤]، فقد اجتاز دجلة ولم يبد له أثر.

---

٢ ـ من كلام (زينوفون) يبدو أن السور المادي لا يبعد كثيراً عن (بابل) ـ أي مسيرة يوم أو أقل ـ بينما خريطة رقم (٣) للاستاذين طه باقر وفؤاد سفر تبين موضع السور المذكور شمالي (بلد) وجنوبي (اصطبلات) ولذلك أرجح أن شطراً منه قد انهدم أو أن ما ذكره (زينوفون) ليس سوى سد خزان نبوخذنصر

٣ ـ [illegible] : أغلب الظن أنها (المدائن) التي يقوم بحذائها طاق كسرى المشهور واطلالها حالياً قريبة جداً من قضاء سلمان باك المطلة على دجلة أو بالأحرى موضع سلوقية.

٤ ـ يقصد بهذا الجيش الفارسي.

وبعد العشاء ، عندما أتفق أن كان (پروكسينوس) و (زينوفون) ماشيين أمام الموضع الذي كدّست عنده الأسلحة ، قدم رجل يستفهم الحراس عن المكان الذي يستطيع فيه العثور على (پروكسينوس) و (كليرخوس) إنه لم يستفسر عن (مينون) مع أنه قدم من قبل صديق (مينون) : (آريوس) . عندئذٍ قال (پروكسينوس) : «أنا هو من تطلب» : فتكلم الرجل قائلا : «لقد بعثت من لدن (آريوس) و(أرتاوزوس) ـ Artaozus ـ المخلصين لكورش وهما صديقاكم . إنهما يستحثانكم لتكونوا على يقظة من هجوم يشنه الجيش الوطني[٥] أثناء الليل . ثمة قوة هائلة في الحديقة المجاورة . كما يستحثانكم على إقامة حراسة على الجسر فوق دجلة ، لأن (تيسافرنوس) ينوي ، إن استطاع ، تحطيمه ليلا ، كي تعجزوا عن عبوره ، فتعزلوا بين النهر والقناة» .

عندما وعى (پروكسينوس) و (زينوفون) هذا ، أخذا الرجل الى (كليرخوس) وأخبراه بما أفاد . فاضطرب (كليرخوس) وانزعج كثيراً عندما سمع الحكاية . لكن شاباً حاضراً هناك ، قال بعد تمعن قليل : «ثمة تناقض في هاتين الخطتين : شن الهجوم وتحطيم الجسر . فجلي إما أن يكون هذا الهجوم ظافراً أم فاشلا . فان كان ظافراً ، ما قصدهم من هدم الجسر ؟ سوف لن تتوفر لدينا فرصة النجاة حتى لو تيسرت الجسور العديدة . ولنفرض من ناحية أخرى أنه فاشل : عندئذ ، إذا دمر الجسر ، فلن تتوفر لديهم وسيلة النجاة . فضلا عن ذلك ، إذا هدم الجسر ، إستحال على أي فرد من أصحابهم كافة ، في الطرف الآخر ،أن يخف الى نجدتهم» .

---

٥ ـ يرجح أنه يقصد بهذا الجيش الفارسي بقيادة (تيسافرنوس) .

لقد أصغى (كليرخوس) الى ذلك، واستعلم المخبرَ عن فسحة الأرض الكائنة بين دجلة والقناة. فأجاب: «إنها كبيرة وفيها ضياع وعدد من المدن الكبيرة».

عند ذلك، أجمعوا أن للفرس غرضاً خاصاً من إرسال هذا الرجل. فهم خشوا أن يلجأ اليونانيون الى تجزئة الجسر الى أوصال، فيمكثوا في الجزيرة، وبذا يشكل كل من دجلة والقناة خطي دفاع على الجانبين. إنهم يستطيعون الحصول على التجهيزات من الصقع الخصيب المترامي، الآهل بالناس العاملين. وبالتالي يغدو وضعهم كملجأ لأي فرد شاء العمل ضد العاهل.

وبعد توصّلهم إلى هذا الاستنتاج، ذهبوا للرقاد. غير أنهم أقاموا الحراسة فوق الجسر، لكنّ الحرس أنبأ بعدم حدوث هجوم من أي اتجاه، ولم يدنُ من الجسر أي نفر من العدو.

مع بزوغ الفجر، عبروا الجسر المشيد من سبعة وثلاثين قارباً، واتخذوا جميع الاحتياطات الممكنة، إذ أن بعض اليونانيين الذين في خدمة (تيسافرنوس) أفادوا أن الفرس مبيتين الهجوم أثناء اجتياز اليونانيين. بيد أن هذا الأخبار كان عارياً من الصحة، ولو أن (جلوس) ـ Glous ـ وآخرين برزوا للعيان أثناء عبورهم للتثبت من اجتيازهم النهر حقيقة. فعندما رآهم فاعلين ذلك، إنطلق راكباً.

تلا ذلك مسيرة (٦٠ م) في بحر أربعة أيام، فوصلوا نهر (فيسكوس)[٦] الذي عرضه (١٠٠ ق) وفوقه جسر. كانت هنا مدينة عظيمة تدعى (اوبس)[٧] حيث التقى بالقرب منها شقيق (كورش) و (أرتاكسركسس) غير الشرعي

٦. Physcus ـ أرجح أنه نهر (الأدهم) المسمى العظيم حالياً ـ

٧ ـ Opis ـ المرجح أن هذا الموقع هو بلدة (بلد) الحالية ـ راجع التذييل.

باليونانيين . وكان يقود جيشاً لجباً من (شوشة)[8] و (أكباتانا)[9] للقتال في نصرة العاهل ظاهراً . وعند مرور اليونانيين ، اوقف جيشه وراقبهم . لقد قاد (كليرخوس) رجاله قدماً بشكل أثنين أثنين ، جنباً لجنب ، يسيرهم ويوقفهم عند مراحل . وعند توقف الطليعة ، كان الصف بطوله يتوقف طبعاً ، حتى أن اليونانيين أنفسهم حسبوا أن جيشهم كان جراراً للغاية . بينما كان الفرس في أقصى العجب لمنظرهم .

أعقب ذلك مسيرة (٩٠ م) خلال ستة ايام عبر الصحراء داخل (ميديا) ، فوصلوا الأرياف العائدة الى (باريزاتس) والدة (كورش) و(أرتاكسركسس) . أن (تيسافرنوس) ، بغية اهانة (كورش) ، أباحها لليونانيين لأخذ ما شاءوا منها ، خلا العبيد . كان هناك الكثير من الغلال والضأن وأشياء أخرى ذات قيمة .

ثم تلت مسيرة (٦٠ م) خلال أربعة أيام عبر الصحراء ، تاركين دجلة على اليسار . في اليوم الأول للمسير ، لاحظوا مدينة كبيرة غنية تدعى(كايناي)[10] منسيدة على الضفة الأخرى من النهر . لقد جلب سكان هذه المدينة أرغفة وجبناً ونبيذاً ، عابرين بها النهر فوق الأطواف[11] المصنوعة من الجلود .

---

٨ ـ [illegible] ـ عاصمة الفرس قديماً .

٩ ـ [illegible] ـ هي مدينة كانت قديماً عاصمة (ميديا) . أسست حوالي سنة (٧٠٠) ق.م . وتدعى حالياً (همدان) أو (همذان) المنسوب اليها بديع الزمان الهمذاني صاحب (المقامات) المشهورة في الأدب العربي .

(١٠ ـ [illegible]) ـ لم استطع تحديد هذا الموضع بالضبط لكني أخمن أنه في مكان قريب من موقع يقال له حالياً (ملعة البنت) جنوبي السرماط وقد لاحظت أن تاريخ (كلدو وآشور) للمطران أدي شير يحتوى على خارطة تبين فيها مدينة (شسنا) وهي في نفس الموقع الذي تحدده خريطة هذا الكتاب الى الشمال من مدينة (بيجي) حالياً . والتسمية يونانية معناها (المدينة الحديثة) . والحديثة مدينة قديمة على دجله غير التي على الفرات .

١١ ـ الأطواف جمع (طَوْف) وهي قِرَب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض ويركب عليها في الماء .

الفصل الخامس

غدر تيسافرنوس

بعدئذ جاءوا نهر الزاب[1] الذي كان عرضه (٤٠٠ ق). فمكثوا هناك ثلاثة أيام. وخلال هذه المدّة - رغم استمرار الارتياب - لم تبد دلالة حقيقية على الغدر. لذا صمم (كليرخوس) على مواجهة (تيسافرنوس) والعمل، غاية المستطاع، لايقاف هذه الشكوك قبل ان آلت الى خصومة سافرة. فأنفذ فرداً ينبيء انه شاء مواجهته، فاستدعاه (تيسافرنوس) في الحال للمجيء. وعند اجتماعهما، تكلم (كليرخوس) قائلاً: «اني اعلم، يا تيسافرنوس، اننا قد اقسمنا اليمين، وتبادلنا الضمانات الا يلحق احدنا الضرر بالآخر، بيد اني الاحظك تراقب تحركاتنا وكأننا خصوم. فنحن اذ نلاحظ هذا، ننظر اليكم بالمثل. عند تفحص الأمور، اعجز عن ايجاد الدليل على انك تحاول الاضرار بنا، واني لموقن تماماً - بقدر ما يتعلق الأمر بنا - اننا لا نفكر اصلاً في مثل هذا: لذا قررت ان ابحث القضايا معك، لأرى ان كنّا نستطيع وضع حد لسوء الظن المتبادل هذا. فكما اعلم من حوادث وقعت في الماضي، نتيجة لانباء مفتراة احياناً، ولمجرد عامل الشك احياناً اخرى، عند توجس اناس فزعاً بعضهم من بعض: ثم في خضم تشوقهم الى انزال الضربة اولاً، قبل حدوث

---

١ - Zapatas - أغلب الظن أنه نهر (الزاب) الأعلى الكبير حالياً، مع العلم أن المؤلف لم يأت على ذكر (الزاب) الاسفل الصغير مع أنه قد اجتازه. وأرجح أن هذه التسمية فارسية لأن اليونانيين، كما يقول المطران أدي شير في كتابه (تاريخ كلدو وآشور)، يطلقون أسم (لوتوس) على الزاب الاعلى واسم (كابروس) على الزاب الأسفل.

اي شيء لهم ، لقد الحقوا ضرراً لا يرجى اصلاحه باولئك الذين لم يعتزموا ، ولا ارادوا اصلاً ، ان يلحقوا بهم اي أذى مطلقاً . فاقتنعت عندئذٍ ان سوء التفاهم ، من هذا القبيل ، يسير انهاؤه على افضل وجه بالاتصال الشخصي . وأبغي ان اوضح لك ان ليس لديك ما يبرر اساءتك الظن بنا . فأول وأهم سبب هو ان قسمنا قدّام الآلهة يمنعنا ان نصبح اعداءً بعضنا لبعض . ان الرجل الذي يمتلك ضميراً يحتمل نبذ مثل هذه اليمين ، ليس بالشخص الذي اقدر على تهنئته ابداً . ان فرداً ، هو عدو الآلهة ، لا ارى كيف يستطيع الأفلات العاجل ، ولا موضعاً يهرب اليه للنجاة ، ولا ما سيكتنفه من الظلمة ، ولا مكاناً من القوة ما يحمله على اللجوء اليه . فجميع الأشياء في كل الأماكن معرضة للآلهة ، وطاقة الآلهة تشمل جميع الاشياء على حد سواء .

«هذا إذن ، اعتقادي عن الآلهة والأيمن التي اقسمنا ـ تلك الأيمن التي صيانة لها ، أودعناها أيدي الآلهة حينما تحالفنا على الصداقة . والآن عند بحث علاقاتنا بالافراد ، اعتقد انك في هذا الظرف افضل ما نملك . بعونك كلّ طريق سهلة ، كلّ نهر ممكن العبور ، ولن يكون ثمة نقص في التجهيزات : لكنْ بانعدام مساعدتك : ستمسي رحلتنا بأسرها في الظلام ، ما زلنا لا نعلم عنها شيئاً : اذ سيغدو كل نهر عقبة شاقة ، وكل فئة من الخلق ستوحي الينا الخوف ، وأكثر ما يرهب الاصقاع غير المؤهولة ، حيث يَذْعَر المرء في كل السبل» .

«لو كنّا من الجنون بأن نقتلك ، ما الذي سنتوصل اليه غير القضاء على المحسن الينا ، ثم ينبغي ان نعادي العاهل الذي سيكون بالمرصاد مع كامل قوته ليثأر لك . وبقدر ما يخصني الأمر استطيع ان اخبرك عن جميع المطامح العظيمة التي سأخسرها إنْ انا حاولت الاضرار بك . إن الباعث الذي رغّبني

ان يكون (كورش) صاحبي ، هو اعتقادي أنّه احسن معاصريه قاطبة من حيث القدرة على مساعدة الذين شاء مساعدتهم . اما الآن ، فألاحظ تملك ولايات (كورش) وقوّاته ، كما تملك ما يعود اليك . وقوة العاهل التي ناهضت (كورش) بجانبك كذلك . فمع كل مكاسبك هذه ، من هو ذلك المعتوه الذي لا يود ان يغدو صاحبك ؟ كما اني سأنبئك عن الباعث الذي يجعلني اعقد امالا طيبة في رغبتك لتكون صاحبنا كذلك . أولا ، هناك (الميسيون)[٢] الذين ، كما اعلم، يسببون لك الأضطراب ، وانا واثق ان في مقدوري اخضاعهم بالقوة التي امتلك حالياً ، كما اعرف (البيزيديين) كذلك ، واعلم بوجود فئة من مثيري الشغب ، واعتقد ان في وسعي منع هؤلاء قاطبة من اقلاق راحة بالك باستمرار . واني لعالم بنقمتك على المصريين بصورة خاصة ، ولا ارى كيف يتسنى لك الحصول على قوة افضل مما في حوزتي الآن لتعضدك في معاقبتهم . أجل ، وفيما يتعلق بالولايات على تخومك ، تستطيع اذا شئت ان تغدو أجدى الاصدقاء ، او إنْ اثار احدهم الاضطراب ، استطعت ـ ونحن في عونك ـ ان تتصرف كحاكم بأمره ، وسوف لن نخدمك لأجل مجرد الأجر ، بل من أجل الشكران المناسب الذي سنكنه لك لأنك انقذت حياتنا . عندما أفكر في كل هذا ، يبدو لي ان انعدام ثقتك بنا غير قابل للتصديق الى حد أود كثيراً معرفة إسم الرجل الذي له من المقدرة على الاقناع ما يجعلك تعتقد تآمرنا عليك» .

هذا ما قال (كليرخوس) . فأجاب (تيسافرنوس) قائلا : «إني يا (كليرخوس) في الحقيقة لمغتبط ان اسمع حديثك المعقول . انك بما تمتلك من المشاعر ،

---

٢ ـ القوم المنسوبون الى اقليم ميسيا غربي آسيا الصغرى .

يتراءى لي انك لو كنت تفكر في إيذائي، لكنت في الوقت عينه تتآمر على مصالحك الذاتية. أما الآن، فعليك أن تصغي بدورك كي تقتنع أنك أنت ايضاً ستكون مخطئاً لوخامرك اي نقص في الثقة بالعاهل أو بي.

«لو شئنا فعلا ابادتكم، هل تعتقد ان الفرسان والمشاة تنقصنا، أم النوع المناسب من المعدات التي نتمكن بها من أتلافكم دون تعرضنا لخطر ازهاق الارواح من جانبنا؟ ام انك تحسب من الجائز عدم عثورنا على مبرر ملائم نهاجمكم بموجبه؟ تذكر الاصقاع الدلصة[3] التي تخترقون بمشقة كبيرة حتى حينما يكون القاطنون مسالمين. تأمل كل الجبال التي ينبغي ان تجتازوها، والتي نستطيع احتلالها أولا، فنجعل عبورها من المتعذر عليكم. تصور جميع الانهار حيث تستطيع اقتطاعكم الى مفارز، فنشاغلكم ما شئنا من الوقت. وثمة أنهار لا تستطيعون عبورها مطلقاً الا اذا اجتلبناكم عبرها. وحتى لو فرضنا أن حظنا من ذلك كان الأسوأ على طول هذه الجبهات، فلك أن تتأكد، على كل حال، أن النار تفوق الغلال بأساً، واذا أضرمنا النار في الغلال، استطعنا اجتلاب المجاعة في المعركة الدائرة عليكم، فلا تستطيعون مكافحة ذلك لو أوتيتم كل الشجاعة في العالم. فمعَ جميع هذه الوسائل التي نملكها لشن الحرب عليكم، وبدون أن تجر احداها أي خطر الينا، كيف تستطيع التصور أننا من دونها جميعاً سنختار الاسلوب الذي ينطوي على الشر في نظر الآلهة، والعار في عيون الناس؟ بين القانطين والذين لا حيلة لهم، ومن لا يملكون أي مخرج، فقط، ستجد أناساً (وحتى آنذاك يتحتم أن يكونوا أوغاداً) يرغبون في

---

٣ ـ الأرض المستوية.

تأمين غاياتهم عن سبيل تأدية اليمين الغموس[٤] أمام الآلهة ، ونكث العهود تجاه الناس . ليس ذا شأننا يا(كليرخوس) . لسنا حمقى وبلهاً كهؤلاء .

«قد تسأل ، مازلنا نملك الطاقة على ابادتكم ، لماذا لم تقدم على ذلك ؟ اسمح لي أن اقول لك ان المسؤول عن ذلك رغبتي في كسب ثقة اليونانيين ، واني عن طريق اسدائهم الخير ، أبتغي الرجوع الى الساحل بمعاضدة جيش المرتزقة الذين اعتمدهم (كورش) أثناء مسيرته الداخلية لسبب واحد هو أنه أعطاهم أجرهم . أما أوجه الاستفادة من مساعدتكم ، فقد ذكرت بعضها بنفسك . وأهمها ، مع ذلك ، لا تعدو علمي . أعني أن للعاهل وحده أن يضع التاج على رأسه ، لكن واحداً غير العاهل ، بفضل معونتك ، ربما يتيسّر له أن يحوزالتاج في قلبه .

فظنّه (كليرخوس) مخلصاً فيما ينطق ، فقال : «اذن ، فأولئك الناس الذين يحاولون بافتراءآتهم جعلنا متعادين ، في حين نملك جميع مقومات الصداقة هذه ، الا يستحقون أسوأ مصير يلحقهم؟» فقال (تيسافرنوس) : «أجل : وإن كنتم ، أيها القادة والرؤساء ، على استعداد للقدوم الي ، فسأعلن جهاراً أسماء الاشخاص الذين أنبأوني أنكم كنتم تتآمرون عليّ وعلى عسكري .»

فقال (كليرخوس) : «سآتي بهم جميعاً . وأنا من ناحيتي ، سأدلك من أين استقيت معلوماتي عنك .»

بعد هذه المحادثة ، تصرف (تيسافرنوس) بتودد جم نحو(كليرخوس) ، وحثه آنذاك على البقاء ، فجعله ضيف العشاء .

وفي اليوم التالي ، عند عودته الى المعسكر ، اوضح (كليرخوس) أنه اعتبر كونه على غاية الوفاق مع (تيسافرنوس) ، وأن أولئك اليونانيين الذين ثبت أنهم

٤ ـ اليمين الكاذبة .

كانوا يشيعون المفتريات، تنبغي معاقبتهم كخونة وغير عابئين بالقضية اليونانية. لقد شك أن (مينون) يبث الاراجيف، إذ بلغه أن (مينون) و(آريوس) قد اجتمعا بـ(تيسافرنوس)، وأنه كان يعمل سراً لتشكيل حزب مناويء ضده، بقصد استمالة الجيش بأكمله نحوه، فيصبح صاحباً لتيسافرنوس. لقد ابتغى (كليرخوس) لذاته ولاء الجيش بأسره، وأراد اقصاء المتذمرين عن سبيله.

لقد عارض بعض الجنود (كليرخوس)، قائلين بعدم وجوب ذهاب الرؤساء والقادة كافة، وبأنه يتحتم ألا يثقوا بـ(تيسافرنوس)، لكن (كليرخوس) أصر بشدة حتى افلح أخيراً في حمل خمسة قواد وعشرين رئيساً على المضي، وانطلق معهم كذلك حوالي مئتين من الجنود الآخريين ،وكأنهم ينوون ابتياع الاطعمة.

فعندما بلغوا مدخل خيمة (تيسافرنوس)، دعي القادة داخلاً وهم: (پروكسينوس البيوطي)، (مينون التسالي). (آجياس الأركادي)، (كليرخوس الأسپرطي) و(سقراط الآشي). وانتظر ضباط المئة عند المدخل. بعد لحظات، وبأشارة واحدة، قُبض على من في الداخل، وذُبح من في الخارج. ثم انطلقت مفارز من فرسان الفرس تعدو على الارض المنبسطة، وقتلت جميع اليونانيين في طريقها، عبيداً وأحراراً على السواء. فانذهل اليونانيون اذ شاهدوا من معسكرهم مناورات الفرسان هذه، وكانوا في ريبة مما كانوا فاعلين، حتى نجا (نيكارخوس) الأركادي وجاءهم بجرح في معدته ،ماسكاً أمعاءه بيديه، فأنبأهم عن كل ما وقع.

نتيجة لذلك، هرع اليونانيون نحو السلاح. فساد رعب عام، وتوقعوا زحف العدو عاجلا على المعسكر. بيد أنهم لم يأتوا بكامل قوتهم، بل كانوا:

(آريوس) و(أرتاوزوس) ـ Artaozus ـ و(ميثر يداتس) ـ Mithridates ، وهم رجال كانوا غالباً موضع ثقة (كورش). ان الترجمان الأغريقي أفاد أنه لمح وميز شقيق (تيسافرنوس) ضمنهم كذلك. كما جاء معهم حوالي ثلاثمئة آخرون من الفرس وقد لبسوا الدروع.

وعندما دنوا من المعسكر، طلبوا أن يبرز اليهم أي قائد أو رئيس يوناني هناك كي يبلغوا رسالة من العاهل. وبعد اتخاذ كل الاحتياطات خرج نحوهم القائدان اليونانيان (كلينور الأورخوميني)[٥] ـ Cleanor of Orchomenus ـ و(سوفانيتوس الستيمفالي)[٦] ـ Sophanetus of Stymphalus ـ ومضى معهما (زينوفون الأثيني) ليتحرى عما جرى لـ (بروكسينوس) ـ Proxenus. واتفق أن كان (خريسوفوس) خارج المعسكر مع فئة لجمع التجهيزات في قرية ما.

وعند وقوفهم على مسافة يمكن معها سماع بعضهم البعض، قال (آريوس): «أيها اليونانيون: وجد (كليرخوس) مذنباً. في حنث اليمين ونقض الهدنة، فنال استحقاقه وقضى. أما (بروكسينوس) و(مينون)، بما أنهما أخبرا عن تآمره، فهما في غاية التكريم. أما أنتم، فالعاهل يطالبكم بالقاء السلاح، اذ يقول انها عائديته، لانها كانت ملك (كورش) الذي كان خادمه.»

فكان رد اليونانيين على ذلك بلسان (كلينور): «آريوس، ياندلاً كله، وأنتم يا من كنتم أصحاب (كورش): ألا تشعرون بالخجل أمام الآلهة والبرايا؟ لقد أقسمتم أن اصحابكم وخصومكم سيكونون نفس اصحابنا وخصومنا، ثم غدرتم بنا مع ذاك الملحد والمجرم (تيسافرنوس). لقد قتلتم عين الناس الذين أقسمتم معهم اليمين، والآن بعد أن خذلتم بقيتنا، تأتون ضدنا مع أعدائنا.»

---

٥ ـ هو (كلينور الأركادي) الذي ورد ذكره في الفصل الأول من القسم الثاني.

٦ ـ هو ضابط مئة ورد ذكره في الفصل الأول من القسم الأول.

فقـال آريوس : «الحقيقـة ، لقـد ثبت أولا أن (كليرخـوس) كان يدبر مكيدة ضد (تيسافرنوس) و(أورونتاس) ـ Orontas ـ ونحن الذين معهما جميعاً .»

فرد (زينوفون) على ذلك قائلا : «اذن ، بقدر ما يتعلق الأمر بكليرخوس، لقد نال ما اسـتحق إذا هو حنث اليمين ونقض الهـدنة . إنه لحـق أن يُمحـق الحانثون . أما (پروكسـينوس) و(مينون) ، إذ أنهـما محسـنان اليكم ، وقائدانا ، فابعثوا بهما الينا . إذ يبدو جلياً ، لكونهما صديقي الطرفين ، أنهما سـيحاولان إسداء أفضل النصح من أجل مصالحكم ومصالحنا .»

لقد استغرق الفرس وقتاً طـويلاً للتباحـث في ذلك ، ثم غادروا بدون أن يبدوا أي رد على الاقتراح .

الفصل السادس

أخـلاق القادة الخمس

إن القـادة الذين أُسروا على هذا النحـو ، أُخـذوا الى الغـاهل ،وضرُبت أعناقهم . كان(كليرخـوس) ،أحـدهم ،جندياً حقيقياً متحمساً للحـرب أكثر من المعتاد ،كما سلم بذلك كل الذين تسنى لهم أن يتكلموا عنه بعد خبرة . ويتجلى هذا من هذه الحقيقة : إبان حرب إسـپرطة مع أثينا ، ظـل هو في اليونان ؛ لكنه بعد الصلح ، أقنع السلطة الوطنية أن (التراشيين) كانوا يقـومون بأعمال عدائية تجاه اليونانيين ؛ وغيب أن وجد سبيله ـ الى حـد ما ـ نحو الحكام ، أبحـر من الوطن ليشن الحرب على (التراشـيين) شـمالي (شـيرسونيز)[1] و(پيرنثوس)[2] . بيد أن الحكام ، بعد إقلاعه ، عدلوا عن رأيهـم لسـبب ما ، وحاولوا حمله على الرجوع من البرزخ ، لكنه لم يعد إذ ذاك يرضـخ لهـم ، بل مخـر نحـو (هيليزپونت)[3] . نتيجـة لذلك ، حكمت عليه السـلطات الأسـپرطية بالموت لعصيانه . وهوكمنفي ، قصد (كورش) ، وقد كتبت في موضع آخر[4] حول الآراء التي أبداها لكسـب عطف (كورش) . فوهبه (كورش) عشرة آلاف جنيه ، لم يحي بعد استلامها حياة رخيّة ، بل أنفقها في إنشاء جيش . بهذا الجيش ، شـن

---

١ ـ كان الأغريق يطلقون هذه التسمية على شبه جـزيرة (غاليبوليس) قرب مضـيق الدردنيل وشـبه جزيرة (القرم) في البحر الأسود.

٢ ـ Perinthus

٣ ـ مدخل مضيق الدردنيل حالياً .

٤ ـ يقصد (زينوفون) الفصل الأول من القسم الأول.

الحرب على (التراشيين) ودحرهم في معركة ضارية، ومنذئذ غزا وخرب ديارهم ،واستمر على محاربتهم حتى احتاج (كورش) الى جيشه . فغادر (ثراشيا)[5] بقصد الأسهام في حرب أخرى بمعية (كورش).

يلوح لي أن هكذا ينبغي أن يكون سجل امرىء مخصص للحرب. كان في مقدوره العيش بسلام دون تعرضه للمثالب أو أي سوء، لكنه آثر خوض الوغى. كان في استطاعته أن يحيا برخاء، لكنه فضل حياة خشنة تصحبها الحرب. لقد تسنت له حيازة المال والأمان، لكنه تخير الأقلال من المال، الذي أحرزه، بالأنهماك في الحرب. فقد كان، في الحقيقة، يهوى إنفاق المال لأغراض الحرب، تماماً كمن ينفقه في شؤون الحب أم أية لذة أخرى.

كل هذا يدل الى أي مدى كان قد كرس ذاته للحرب. أما خصاله العالية كجندي، فتبرز في الحقائق التي تشير أنه كان مولعاً بالمجازفة، ومتأهباً لقيادة الحملة على العدو نهاراً أم ليلاً: وأنه عندما ألم به الظرف المربك، كان يتمالك صوابه، كما يسلم بذلك كل من وجِد معه أينما كان. وقيل إنه حاز جميع مؤهلات القيادة التي يمكن توفرها في رجل من طرازه. كان يملك مقدرة فائقة على تنظيم الوسائل التي تمكن الجيش من الحصول على الميرة وضمان توفرها، كما كان ذا قدرة جيدة على أن يوحي الى من معه أن (كليرخوس) رجل يجب أن يطاع. لقد حقق هذه النتيجة بصلابته. لقد كان ذا مظهر رادع وصوت أجش. كانت عقوباته صارمة، وتُفرض أحياناً أثناء الغيظ، حتى أنه بالذات كان يندم أحياناً على ما بدر منه. لقد كان العقاب عنده بمثابة قاعدة، لأنه كان يؤمن أن جيشاً بلا نظام لا يصلح لشيء. والحقيقة، لقد عُرف أنه

---

٥ ـ هي أقليم في جنوب (بلغاريا) اليوم وجائز أن كان بعضها في (تراقيا) الحالية.

القائل إن على الجندي أن يرهب قائده أكثر من العدو ، إذا أريد له أن يصبح قادراً على الأحتفاظ باليقظة الوافية ، وأن يمسك عن إلحاق الأذى بجانبه ، أو أن يدخل المعمعة دون تراجع. فحصل من ذلك ، أن الجنود في المواقف المحرجة كانوا يمنحونه ثقة تامة ، ولم يتمنوا أفضل منه . قالوا إن نظراته المانعة ، في تلك الأحيان ، كانت تلوح بهيجة حتماً ، وصلابته ثقة في وجه الخصم ، فهي بعد ليست صلابة عندهم ، بل شيئاً آخر يحملهم على الشعور بالطمأنينة . ومن ناحية أخرى ، عند زوال الخطر ، وسنوح فرصة الذهاب تحت خدمة غيره ، هجره العديدون ، إذ لتجرده من أي جاذب نحو شخصه ، كان صلباً وشرساً دائماً ، وبذا كانت علاقاته بجنوده كتلك التي بين التلاميذ ومعلم المدرسة .

وهكذا بات لا يملك التابعين بدافع الصحبة أو الشعور الطيب نحوه . ومن ناحية أخرى ، لقد فرض الطاعة التامة على جميع الذين تحت سلطته في مدنهم ، أم العاملين معه بباعث من الفاقه أو تحت وطأة قاهر آخر . ثم حال شروعهم فقي إحراز النصر برفقته ، استطاع الفرد إدراك أهمية العوامل التي جعلت من رجاله جنوداً أكفاء . لقد تميزوا بالثبات في وجه العدو ، وكانوا منظمين خشية عقوباته . فهو كقائد ، إذن ، كان على هذه الشاكلة ؛ لكنه - كما قيل - لم يرغب كثيراً في الخدمة تحت إمرة الآخرين . كانت سنّه أثناء وفاته حوالي خمسين سنة .

أما (بروكسينوس البيوطي) ، فشاء منذ صباه المبكر أن يغدو رجلا قادراً على انجاز الأعمال العظيمة . وبهذا الهدف ، نصب عينيه ، أنفق المال على تهذيبه من قبل (جورجياس) - Gorgias - الذي من (ليونتيني)[٦] . وبعد أن أمضى معه

---

٦ - Leontini - مدينة قديمة في جزيرة (صقليا) جنوبي ايطاليا .

ردحاً ، قرر أنه أضحى الآن قادراً على قيادة جيش ، وأنه ان صاحب العظماء ، فما يحققه لهم من خير لن يقل عما حققوه له ، ولذلك انضم الى مجازفة (كورش) ، حاسباً أنه سيكسب من ورائها اسماً عظيماً ، وقوة كبيرة ، ومالاً وفيراً . بيد أنه ، مع هذه المطامح ، أوضح كذلك بقدر واف ، أنه لاينوي الحصول على أي منها بوسائل دنيئة . بل على النقيض ، فكر بوجوب إحرازها بالاعمال العظيمة المجيدة ، والا فلا قطعاً . لقد كان قائداً صالحاً لأناس فضلاء ، لكنه لم يكن قادراً على الزام جنوده باحساس الأحترام له والخشية منه . في الحقيقة لقد أبدى تهيباً تجاه جنوده يعدو ما أبدى مرؤوسوه نحوه ، وأكثر من ذلك جلاء كانت خشيته ، ألا يكون محبوباً من جنوده ، تفوق خشية جنوده من عصيان أوامره . فخيل اليه أنه كي يغدو قائداً صحيحاً ، ولأجل أن يكون أسمه في عدادهم ، اكتفى بكيل الثناء للذين أحسنوا عملا ، وبحجبه عن المسيئين . فكان الحاصل أن الناس في حاشيته أحبوه ، لكن الأمّعين[٧] ، حطوا من شأنه إذ ظنّوا سهولة التعامل معه . كان عمره عند الوفاة حوالي ثلاثين عاماً .

أما (مينون الثسالي) ، فقد أوضح تماماً أن مطمحه الغالب هو الأثراء . وقد ود أن يكون قائداً كي يكسب مرتباً أوفر ، وأراد الامجاد ليحصل على المزيد عن سبيلها . إن أمنيته في مصادقة أكثر الناس نفوذاً ، نبعت من رغبته في تجنب العقاب لسوء تصرفاته . وخال أن أقصر سبيل ، لأرضاء مطامحه ، وسائل الحنث والكذب والغش ، وعليه فقد عد الأخلاص والصدق في مستوى سذج العقول . وكان جلياً أنه لم يضمر الود لأي فرد ، لكنه ان أفصح عن صداقته لأحد ما ، كاد ذلك أن يكون دليلاً واضحاً على تآمره عليه . لم يضحك على

---

٧ ـ جمع (إمعه) وهو من لا رأي له بل تابع لآراء غيره ، أي سخص بلا قاعدة أو مبدأ .

اعدائه مطلقاً، لكنه إبّان التحادث لم يعامل أحداً من جماعته جاداً . لم تكن لديه أية مقاصد تجاه ممتلكات خصومه، لأنه عد الحصول على أملاك الناس اليقظين أمراً صعباً ؛ أما مقتنيات أصدقائه، التي لا رقابة عليها، فحسب أنه كان ابرز العارفين باليسر الذي يستطيع معه أن يسطو عليها . وعند عثوره على رجل ينقض الوعود، ويرتكب الخطأ، عده شخصاً حسن المؤهلات، فكان يخشاه . لكنه حاول التعامل مع امريء مُتحسّب ويحترم الحقيقة كما لو كان ناقص النهى . ومثلما كان بعض الخلق يفخرون بخشية الله وبصدقهم واستقامتهم، هكذا كان (مينون) يفخر بقدرته على الغش والأختلاق والبهتان والهزء بخلانه . كان دائماً ينظر الى الشخص المرتاب على أنه نصف مهذّب فحسب . وعندما شاء أن يتبوأ مكانة رفيعة في مصادقة أحدهم، حسب أن السبيل الى تحقيق هذا الغرض كان بتنحية الذين سبقوه في احتلال المقام الذي رنا اليه . ان وسيلته لضمان طاعة جنوده له كانت إسهامه في جرائمهم . واعتبر أنه بعرض قواه العظيمة ورغبته في اساءة استعمالها، استحق التمجيد والاكرام . وعند تخلي أي فرد عن العمل معه، اعتاد القول ان استخدامه وعدم الاستغناء عنه كانا لطفاً منه . أما بخصوص المجالات الاكثر غموضاً من حياته، فقد يدلي المرء بما كان عارياً من الصحة . لكن الحقائق الآتية معلومات عامة . فلما كان لا يزال حائزاً رونق الصبا، أقنع (أريستيبوس) ـ Aristippus ـ أن يسند اليه قيادة مرتزقته . اذ ذاك عاش على أتم الوفاق مع (آريوس) رغم كونه فارسياً، لأن (آريوس) كان مولعاً بالشبان ذوي الوسامة، وهو ذاته[8]، قبل أن ينبت عذاره، احتفظ بـ (ثاريپاس) ـ Tharypas ـ المراهق كرفيق ذكر . لقد

---

٨ ـ يرجح أنه يعني (مينون) نفسه وليس (آريوس) . وأغلب الظن أن في هذا تلميحاً الى الشذوذ الجنسي في طبيعة (مينون) و(آريوس) .

أعدم رفاقه القادة لزحفهم مع (كورش) ضد العاهل لكنه، رغم أنه فعل كما فعلوا، لم يمت ميتتهم. فبعد أن اعدم القادة الآخرون، عوقب هو من قبل العاهل، ولم يهلك كما قضى (كليرخوس) والقادة الآخرون بضرب رقابهم (أسرع ميتة بدت آنذاك)، بل قيل انه لقي حتفه غب أن عاش حولا تحت وطأة أسوأ المعاملة كمجرم عادي.

لقد أعدم كذلك (آجياس الأركادي) و(سقراط الآثي). لم يكن في وسع أحد أن يستهين بشجاعتهما في الوغى، أو أن يتهمهما بقلة الاعتبار لأصدقائهما. وكان عمر كل منهما يناهز خمسة وثلاثين عاماً.

القسم الثالث

السير نحو شمال العراق

الفصل الأول
زينوفون يستلم الزمام

إثر اعتقال[1] القادة، والقضاء على الضباط المئة والجنود الذين رافقوهم، أمسى اليونانيون في وضع مرتبك للغاية. فقد عرض لهم أن كانوا بالقرب من عاصمة العاهل، تُحيطهم من كل الجوانب شعوب ومدن عديدة من خصومهم؛ وكان غير متوقع أن أحداً سيزودهم بفرصة لابتياع الأطعمة في المستقبل. كانوا يبعدون عن اليونان زهاء ألف ميل على الأقل، ولم يتوفر لديهم الرائد ليدلهم الى الطريق. لقد حجزوا بين أنهارٍ لا يمكن اجتيازها، فعرقلت أوبتهم الى الوطن؛ حتى الفرس الذين زحفوا على العاصمة برفقة (كورش)، انقلبوا عليهم، فباتوا منفردين دونما فارس فرد في عسكرهم. فبدا جلياً أنهم لو أحرزوا نصراً، لتعذر عليهم قتل أي من أعدائهم؛ وأنهم لو دُحروا، لما نجا واحد منهم بجلده. فلما تبدى لهم كل ذلك، أضحوا في حال من القنوط العميق. قليلون تذوقوا الطعام ذلك المساء، وقِلة أضرمت النار. ولم يستعرض العديد منهم قرب السلاح تلك الليلة، لكنهم استراحوا حيث اتفق أن كان كل فرد منهم، ولم يستسلموا للكرى بسبب بؤسهم وتشوّقهم الى أوطانهم ووالديهم وأزواجهم وأطفالهم. فظنوا أنهم لن يحظوا بمشاهدتهم ثانية. في مثل هذه الحال من الفكر، أخلدوا جميعاً الى الراحة.

---

(١) في الحقيقة إن أربعة من القادة المعتقلين ضربت رقابهم، وخامسهم (مينون) ظل معتقلا حتى مات مسجونا تحت وطأة التعذيب.

كان ثمة آثيني في الجيش، يدعى (زينوفون)، رافق الحملة لا كقائد ولا ضابط مئة ولا جندي عادي. إن (پروكسينوس)، صديقه القديم، أرسل في طلبه من موطنه، ووعد أن يجعله صديق (كورش) الذي كان (پروكسينوس) يثمنه أكثر من وطنه بالذات. عندما اطلع (زينوفون) على خطاب (پروكسينوس)، استشار سقراط الآثيني[2] حول التجريدة المطروحة. وإذ كان سقراط في ريبة من أن مصادقة (كورش) قد ينجم عنها السخط على (آثينا) - لأن المعتقد أن (كورش) كان ذا نشاط جمّ في معاضدته الأسپرطيين في حربهم مع (آثينا) - أوصى (زينوفون) بالمضي الى (دلفي)[3] لاستشارة الرب في شأن الحملة. فذهب (زينوفون) الى هناك، وسأل (أپولو)[4] السؤال التالي: «لأي رب سأصلي وأضحي، كي أستطيع الأنطلاق في الرحلة التي في خلدي، على أحسن وجه وأفضل التكريم، فأعود الى الوطن سالماً، ظافراً؟» كان رد (أپولو) أن عليه وجوب التضحية للآلهة المناسبة، وعند أوبة (زينوفون) الى (آثينا)، أنبأ (سقراط) بجواب الكاهن[5]. وعندما وعى (سقراط) ذلك، لامه لعدم استفهامه أولا إن كان الأفضل له السير مع الحملة أم المكوث في الوطن، بدلاً من تصميمه الذاتي على وجوب الذهاب، ثم استفساره عن أحسن وسيلة للقيام بالرحلة. فقال: «على كل حال، مازلت قد صغت سؤالك على تلك الشاكلة، تحتم عليك أن تفعل ما أمرك الرب.»

---

(٢) المقصود هنا هو الفيلسوف اليوناني الأشهر الذي يبدو أنه كان معلم (زينوفون).
(٣) - Delphi - مدينة في اليونان القديمة مشهورة بمعبد أپولو أحد الأرباب.
(٤) - Apollo إلاه الجمال والرجولة والشعر والموسيقى عند الأغريق.
(٥) - Oracle - هو الوسيط أو العلام او العراف أو الوحي او المتنبيء الذي يبلغ مقدم القربان رسالة الرب.

إذ ذاك ، ضحى (زينوفون) الضحايا كما أوعز اليه الرب ، وأبحر فألفى (پروكسينوس) و (كورش) في (سرديس)[٦] على وشك الشروع في المسيرة الداخلية[٧] فقُدّم الى (كورش). لقد كان (پروكسينوس) مشتاقاً الى بقائه معهما ، وكذلك كان (كورش)، إذ قال إنه سيعيده الى الوطن حالما تنتهي التجريدة . كان المفروض أن تكون التجريدة ضد (البيزيديين) . وهكذا انضم (زينوفون) الى الجيش عن فهم خاطيء، ولو أن هذا لم يكن خطأ (پروكسينوس) ، إذ لا هو ، ولا أي فرد عداه من اليونانيين ـ باستثناء (كليرخوس) ـ أدرك أن التجريدة كانت سائرة على العاهل . بيد أنه ، لما وصلوا (كيليكيا) ، إتضح للجميع أنهم كانوا زاحفين على العاهل . ومع ذلك ، فبالرغم من عدم تحمسهم للرحلة ، ومن مخاوفهم بصددها، استمر أغلبهم على المسير كي لا يفقدوا الأعتبار لدى بعضهم وفي نظر (كورش). ولم يختلف (زينوفون) عن الباقين . فأمسى الآن، مع موقفهم الصعب ، تعساً كأي فرد منهم ، ولم يغلبه النعاس . غير أنه نال ، في الأخير ، قسطاً يسيراً من النوم ، لاحت له رؤيا خلاله . لقد حلم أن ثمة زوبعة مرعدة ، وأن صاعقة هبطت على بيت والده ، فالتهب البيت بأكمله ، واستيقظ حالا ، يسوده الذعر الشديد ، وعدّ الرؤيا جيدة من بعض النواحي ، لأنه ـ وسط مشاقه وأخطاره ـ لمح ضوءاً شديد السطوع من (زيوس)[٨] ، لكنها ـ من نواح أخرى ـ كانت نذيراً له ، لأنها بدت له صادرة من (زيوس) بصفته كالعاهل ، وأن النار بدت ملتهبة حول سائر أطرافه ، وهذا قد يعني أنه لن يكون في

(٦) ـ Sardis ـ مدينة على الساحل الغربي من آسيا الصغرى وهي منطلق الحملة .

(٧) ـ أغلب الظن أن المقصود بالمسيرة الداخلية هو سير الحملة داخل آسيا الصغرى وأصقاع الأمبراطورية الفارسية بالذات وليس على دولة أجنبية .

(٨) ـ Zeus ـ هو رب الأرباب عند الأغريق ويقابله (بيل) أو (بعل) عند البابليين الملقب في تراتيلهم بالملك الجليل وبرب العباد .

مقدوره مغادرة بلاد العاهل ، بل ستنغلق عليه جميع المسالك ، لصعوبة ما أو عداها . إن حقيقة تفسير رؤيا كهذه ، ستظهر مما حدث بعد الرؤيا .

هذا ما قد حدث . حالما استقيظ ، كان أول ما تبادر الى ذهنه هو هذا : «علام رقادي هاهنا ؟ إن الليل يتصرم ، وقد يلوح العدو هنا فجراً . إن وقعنا في قبضة العاهل ، فليس ما يحول دون مشاهدتنا وقوع أفظع الأمور ، ومقاساتنا كل صنوف العذابات ، وإهلاكنا ملطخين بالشنار . ومع ذلك ، ونحن في غاية البعد عن أي شخص مهتم باتخاذ أية خطوات لحمايتنا ، نرقد هاهنا وكأننا نملك فرصة الأستمتاع بوقت هادىء . وعليه ، ماهي المدينة التي أنتظر منها إنجاب القائد ليقدم على الخطوات الصائبة ؟ هل سأنتظر حتى أغدو أكبر سناً قليلاً ؟ سوف لا أنمو مطلقاً ، لو سلمت العدو ذاتي هذا اليوم .»

فنهض واقفاً ، وقبل كل شيء استدعى للأجتماع ضباط المئة التابعين لپروكسينوس ، وقال لهم : «إني شخصياً ، أيها الضباط ، آمل عدم استطاعتي النوم أكثر منكم ، ولست بقادر ، بعد الآن ، على الأضطجاع دون حراك عند تفكري في الوضع الذي نحن فيه . إذ لا ريب أن العدو حاربنا بصورة سافرة فقط عندما حسب أن خططه غدت ناجزة . أما من جانبنا نحن ، فليس ثمة الآن أي فرد يفكر في اجتياطات مضادة ، بها نستطيع القتال على أحسن ما يمكن . على أننا إن تراخينا ووقعنا في قبضة العاهل ، فما نوعية المعاملة التي نتوقع منه ؟ إنه الرجل الذي حز يد ورأس شقيقه ،إبن امه بالذات ، ورفعهما على وتد حتى بعد مفارقته الحياة . لذا أي طراز من المعاملة ننتظر ،نحن الذين لا تشفع لنا رابطة من دم ، وقد زحفنا عليه بغية عزله وجعله مواطناً وقتله إن تمكنا ؟ أما سيمضي الى جميع المجالات المتيسرة ليوقع بنا كل داهية دهياء قابلة

للتصور ، وبذا يرهب الزحف ضده ثانية كل البرايا ؟ كلا . من الواضح مؤكداً ، أن يتحتم علينا فعل كل شيء في طاقتنا لتجنب الوقوع في قبضته .

«والآن ،أنا شخصياً ، عندما كانت الهدنة سارية ، لم أستطيع التخلي عن شعوري بالغم من أجلنا ، والنظر بحسد نحو العاهل ومن بجانبه . تأملت كم واسعة وزاهية البلاد التي يمتلكون ، والأقوات التي لا تنفد ،وكم من الخدم يملكون والمواشي والعسجد والأكسية ؛ ومن ناحية أخرى ،تمعنت بعد ذلك في مستقبل رجالنا ، وأننا نستطيع الحصول على جزء فقط من جميع هذه الأشياء الطيبة عن سبيل الأنفاق ، وأدركت أنه لم يتبق الكثير ممن يحوزون المال فيستطيعون ذلك ، وأن القَسَم الذي أدينا ، قد أعاقنا عن استحصال الأطعمة إلا عن طريق دفع أقيامها . عندما فطنت لكل ذلك ، كنت أحياناً أشعر بهواجس حول الهدنة أكثر مما أفعل الآن بشأن الحرب . إلا أنهم ، حالياً ، قد وضعوا حداً للمهادنة ، وأحسب أن فترة غطرستهم ومشاعرنا القلقة قد أدبرت كذلك . إذ أن هذه الأشياء الطيبة باتت الآن مطروحة قبالتنا كغنائم للطرف الذي يثبت أنه أفضل رجالا ، والآلهة هم المحكمون في النزاع ،وهم بطبيعة الحال واقفون بجانبنا ، مادام خصومنا هم الذين تلفظوا أسماءهم عبثاً ؛ بينما نحن ، مع وفرة الأشياء العديدة الطيبة أمام أبصارنا ، أقصينا أيادينا عنها بثبات بسبب القسم الذي أدينا أمام الآلهة . لهذا يبدو لي أننا نستطيع دخول المنازعة بثقة غالبة على ثقتهم . ثم أننا بدنياً نفضلهم قدرة على احتمال القر والحر والمشقة ، وقوتنا المعنوية ، والآلهة في جانبنا ، أفضل من قوتهم ، وإذا منحتنا الآلهة نصراً ،كما فعلت سابقاً ، فقتلنا وجرحنا الأعداء ، أيسر علينا منهم .

«من المحتمل جداً ، هناك آخرون يشعرون بنفس الشعور . حسناً إذن ، بحق

السماء ، دعونا ألا ننتظر أناساً آخرين يقصدوننا مطالبين أن نقوم بالأعمال العظيمة . بدلاً من ذلك ، فلنكن أول من يدعو الباقين نحو سبيل العزة . أثبتوا أنكم أشجع الضباط كافة ، وأنكم أحق بالقيادة من أولئك الذين هم قادتنا حالياً . وفيما يخصني ، إن شئتم المبادرة على هذا النحو ،فأنا مستعد لأتبعكم ، وإن عينتموني قائدكم ، فلست منتحلاً الأعذار بصدد سنّي . فالحقيقة أحسب أني من العمر بدرجة أستطيع العمل للمدافعة عن نفسي بالذات .»

هذا ما تفوه به (زينوفون) ،وبعد الأصغاء اليه ، حرضه ضباط المئة جميعاً أن يكون قائدهم ، خلا واحداً هناك يدعى (أپولونيدس) ـ Apollonides ـ الذي كانت لهجته بيوطية . إن (أپولونيدس) هذا أعرب إنه لهراء أن يقال بوجود أية فرصة للنجاة إلا إذا أمكن التوصل الى الوئام مع العاهل ، وطفق في ذات الوقت يتكلم بشأن جميع مصاعبهم . غير أن (زينوفون) قاطعه ، قائلا : «عزيزي ، أيها الرجل الطيب : إنك لشخص من الصنف الذي لا يدرك ما يرى ، ولا يتذكر ما يسمع . مع ذلك ، لقد كنت مع الباقين عندما أوفد العاهل رسله ، مطالباً بوجوب تسليم أسلحتنا غِب وفاة (كورش) وهومزهو بذلك : ثُم ـ ونحن أبعد ما نكون عن التخلي عنها ـ حينما تأهبنا للقتال ، وعسكرنا بجوار جيشه ،لم يدع وسيلة لم يلجأ إليها ـ مُوفداً جماعة للتفاوض ،راجياً التهادن ، مزوداً إيانا بالأقوات ـ حتى حصل على هدنته . لكن ، عندما ذهب قادتنا ورؤساؤنا للأجتماع ،كما تقترح أنت بالضبط ، مخلفين أسلحتهم ، معتمدين على الهدنة ، فما الذي وقع ؟ أما هم، في هذه اللحظة ، يضربون ويعذبون ويهانون ، حتى أنهم ، البؤساء المساكين ، لا يستطيعون الموت ـ ولو أن الموت ، كما أتصور ، هو ما يصبون اليه ؟ رغم كل هذه المعلومات لديك ، هل تصر أن الذين

يوصون بالدفاع عن النفس ينطقون هراء ، فتقترح علينا الذهاب لنحاول ثانية التوصل الى مصالحة العاهل ؟ أيها الجنود ، أرى أنه يتحتم علينا ألا نكابد وجود هذا في معيتنا ، فينبغي أن نجرده من رتبته ، ونضع على ظهره الأمتعة ، ونستخدمه كدابة . فلكونه يونانياً وهو ماهو ، يجتلب العار لا على موطنه بالذات فحسب ، بل على اليونان بأسرها .»

عند ذاك ، برز (آجاسياس الستيمفالي) ـ Agasias The Stymphalian ـ وقال : «ليست لهذا الشخص علاقة ببيوطيا أو باليونان . لقد لاحظت وجود ثقوب في أذنيه كشخص ليدي[9] تماماً .» وكان كذلك حقاً ، فأقصوه خارجاً .

لقد ذهب الباقون حول المفارز المختلفة ، فاستدعوا كل قائد تخلف حياً ، وحيث وجد مفقوداً ،نادوا نائبه ؛ وحيث وجد رئيس ، مازال على قيد الحياة ، استدعوه . فلما التأموا جميعاً ، جلسوا أمام الأسلحة . إن القادة وضباط المئة الذين اجتمعوا ثَم ، عدوا قرابة مئة . وكان وقت الأجتماع حوالي منتصف الليل . لقد استهل الحديث (هيرونيموس) من (أليس)[10] ـ Hieronymus of Elis ـ أكبر قادة (پروكسينوس) سِنّاً ، فقال : «أيها القادة وضباط المئة : نظراً لوضعنا الراهن ، قررنا الأجتماع سوية ، ودعوتكم للمشاركة معنا كي نتوصل ، لو أمكن ، الى قرارٍ مجد . والآن أدعو (زينوفون) للكلام كما سبق أن كلمنا .»

وعليه ، تحدث (زينوفون) كما يلي: «ها هنا شيء واحد نعلمه جميعاً ، وهو أن العاهل و (تيسافرنوس) قد أسرا من عندنا جميع الذين تمكنا منهم ، وجلي أنهما مصممان ، لو تمكنا، على ابادة البقية منا. إن دورنا، كما أراه،عمل كل شيء ممكن

---

(٩)نسبة الى (ليديا) وهي مقاطعة في القسم الغربي البحري من آسيا الصغرى .

(١٠) صقع في اليونان قديماً يقع فيه السهب الذي تقام فيه الألعاب الاولمبية .

للحيلولة دون وقوعنا في قبضة الفرس، بل أحرى بنا أن نضمن كونهم في قبضتنا. أود أن أؤكد لكم هذه النقطة بأنكم ـ أنتم الذين اجتمعتم هنا بعددكم الحالي ـ قد أضحيتم في مركز ذي مسؤولية فوق العادة. إن جنودنا هؤلاء، كافة، شاخصو الأبصار نحوكم، فإن لاحظوكم مغتمين، تخاذلوا جميعاً، بينما إذا كنتم أنفسكم مستعدين تماماً لمجابهة العدو، وطالبتم الباقين بتأدية الواجب عليهم، فلكم ان تتأكدوا أنهم سيترسمونكم ويحاولون الاقتداء بكم. وأحسب، كذلك، أنه ينبغي عليكم أن تظهروا عليهم شيئاً من الرياسة، فأنتم ـ بعد كل الأعتبارات ـ قادة ورؤساء وضباط. في وقت السلم، نلتم مرتّبات واحتراماً أكثر مما نالوا، والآن حين الحرب، يفرض فيكم أن تثبتوا ذواتكم أشجع من الناس العاديين، وأن تتخذوا القرارات نيابة عن الباقين، وإذا لزم، أن تكونوا أول من يؤدي العمل الشاق. أعتقد أنكم قبل كل شيء تستطيعون أن تسدوا خدمة عظيمة الى الجيش بتعيينكم قادة ورؤساء بالسرعة الممكنة ليحلوا محل الذين فقدناهم. فحيث ينعدم المسيطر، يتعذر تماماً عمل أي شيء نافع أو بارز. إنها حقيقة تشمل جميع مناحي الحياة تقريباً، وهي حقيقة ناجزة من الوجهة العسكرية. فالنظام هنا يحمل الفرد على الشعور بالطمأنينة، بينما انعدام النظام قد أهلك كثيرين من الخلق فيما سلف.

«ثم أحسب أنكم بعد أن تكونوا قد عينتم العدد اللازم من الضباط، او دعوتم لاجتماع الجنود الباقين، فزودتموهم بقسط من الأقدام، لكان ذلك ما يتطلب الظرف بالضبط. في هذه اللحظة، أتوقع أنكم تدركون مثلي تماماً، كم كانوا مكتئبين وهم يعدلون أسلحتهم أثناء الخفارة الليلية. فهم في مثل تلك الحال، لا أرى أية جدوى منهم ليلا أم نهارا. لكن نهوضاً عظيماً سينشأ في

أرواحهم ، إذا استطاع أحدٌ إبدال منهج تفكيرهم . وبذا ، بدلاً من حملهم فكرة وحيدة في رؤوسهم ، وهي : «ماذا سيحدث لي ؟» يتسنى لهم أن يفكروا : «أي إجراء سأتخذ ؟»

«تعلمون جيداً ،ليست الأعداد أو القوى جالبة الأنتصارات في الحرب . كلاّ ، عندما يتقدم جانب ما ضد العدو ، وقد تزود بقوة معنوية أعظم ، بهبة من الآلهة ،لا يستطيع الخصوم ، كقاعدة ، الصمود أمامه . كما قد لاحظت ، أيها الرفاق ، هذه النقطة في الأحوال العسكرية : أن الناس الذين هدفهم الوحيد هو البقاء أحياء ، يلاقون عادة ميتة تعيسة مزرية ، بينما الناس الذين يدركون أن المنية نصيب يشمل جميع البرايا ، يحاولون الموت بشرف ، فيغلب ، نوعاً ما ،أن يعمروا طويلا ويحظوا بحياة أسعد لو عاشوا . هذه حقائق يجب أن تدركوها أنتم كذلك (فوضعنا يتطلب هذا) وأن تثبتوا أنفسكم رجالاً بواسل ، وأن تطالبوا الآخرين أن يحذوا حذوكم .»

وهكذا أنهى خطابه . وتكلم (خريسوفوس) - Chirisophus - بعده ، قائلاً : «حتى الآن ، يا (زينوفون)، الشيء الوحيد الذي عرفت عنك هو سماعي أنك آثيني . والآن أهنئك على خطابك وإجراءآتك ، وأتمنى أن يكون هاهنا أكثر ما يستطاع من أضرابك . إذ ذاك تعم الروحية الصحيحة الجيش قاطبة . والآن لا ندع الوقت ينصرم هدراً أيها الأصحاب . دعونا ننطلق ، وليختر ضباطاً جدداً من هم في حاجة إليهم . وعند اختياركم إياهم ، تقدموا نحو وسط المعسكر مستصحبين الذين انتخبتم . بعد ذلك سنحشد بقية الجنود هناك . الأفضل أن يأتي (تولميدس) - Tolmides - المنادي برفقتنا .»

بهذه الكلمات ، نهض على قدميه ليظهر عدم وجوب التأخير ، وأن ما هو

ضروري ينبغي إنجازه حالاً . بعدئذ ، أنتخب الآتون ضباطاً : (تيماسيون الدرديني)- Timasion - ليحل محل (كليرخوس) ، (زانثيكلس الآشي) - Xanthicles - ليحل محل (سقراط) ،(كلينور الأركادي) - Cleanor - ليأخذ مركز (آجياس) - Agias - ، (فيليسيوس الأركادي) - Philesius - ليحل محل (مينون) و (زينوفون الآثيني) ليأخذ مكان (بروكسينوس) .

الفصل الثاني

المجلس الحربي

عندما تم اختيار الضباط الجدد، كان الفجر آنذاك قد أخذ في الأنفلاق، فجاءوا وسط المعسكر، وقرروا إقامة الحراسة، ودعوة الجنود للأجتماع. فلما تربّب[1] بقية العسكر، نهض (خريسوفوس) أولا، وتكلم قائلا: «أيها الجنود، إن وضعنا لعسير دون ريب، لقد خسرنا بعض القادة والرؤساء والجنود الأكفاء للغاية؛ علاوة على ذلك، حتى رجال (أريوس) الذين كانوا في جانبنا، انقلبوا علينا غادرين. مع كل ذلك يتحتم علينا أن نستظهر على صعابنا كرجال شجعان، وألا نستسلم بل نحاول، إن تمكنا، كسب الشرف والسلامة بالظفر. وإن كان ذلك في غير مقدورنا، فعلى الأقل لنمت بالعز، ولا نقع في قبضة خصومنا، ما دمنا أحياء. لأننا إن وقعنا. فأتصورنا حتماً سنكابد ذلك المصير الذي أتضرع أن تلحقه الآلهة بمناوئينا.»

ونهض بعده (كلينور الأورخوميني) فقال: «تستطيعون أن تروا بأم أعينكم، أيها الجنود، ما عليه العاهل من الحنث والألحاد. تستطيون مشاهدة غدر (تيسافرنوس). هو الذي قال إنه جار (اليونان) وإنه سيعلق أهمية عظمى على إنقاذ حياتنا. وعلى هذا الأساس، حلف لنا اليمين بشخصه، وبذاته مدّ نحونا يمينه، وبنفسه خدع قادتنا وجعلهم أسرى، مبذياً من قلة الأجلال لزيوّس، القيم على الأكرام، بأن شارك (كليرخوس) وجبة طعام بالفعل، مستخدماً ذلك بالذات وسيلة للأيقاع بضباطنا في الشرك، والقضاء عليهم. ثم

(١) تجمع

هناك (آريوس) الذي تأهبنا لتنصيبه ملكاً ، وتبادلنا معه الضمانات أن واحدنا لن يخون الآخر ، وهو كذلك ، دون أن يبدي خشية من الآلهة ، أو إجلالاً لذكرى (كورش) الراحل الذي كان يعامله أفضل المعاملة عندما كان حياً يرزق ، قد تخلى عنا الآن ، والتحق بألد خصوم (كورش) ، وهو يحاول معهم إيذاءنا ، نحن الذين كنا أصحاب (كورش) . حسناً ،إني أتضرع الى الآلهة أن تلحق بهؤلاء الرجال ما يستحقونه . أما نحن الذين نرى كل هذا ، فينبغي علينا ألا نخدع ثانية من قبلهم ، بل أن نحارب بكل ضراوة ممكنة ، ونتحمل مشيئة السماء .»

بعده ، استقل (زينوفون) ، وقد ارتدى أفخر بزة عسكرة توفرت ، حاسباً أن الآلهة إذا منحت النصر ، فالنصر يستحق أفضل السلاح مظهراً ، أو إن كان سيلقى حتفه ، حق له ارتداء أجود الثياب وهي عليه ساعة مصرعه ، وشرع في خطابه كما يلي : «لقد تكلم (كلينور) عن لَتْلَتَةِ(٢) الفرس وغدرهم ، وإني متأكد أنكم تتفقون مع مقالته . لذا إن شئنا خطب ودهم ثانية من جديد ،وجب علينا ، في الحقيقة ، أن نكون في منتهى الهوان عند اعتبارنا ما أصاب قادتنا الذين ، بسبب وثوقهم بصحة إيمانهم ، وضعوا نفوسهم بين أيدي خصومهم . أما إذا كان غرضنا أخذ السلاح بأيدينا ، وإرغامهم على تأدية الثمن عما اقترفت أيديهم ، وأن نحارب في المستقبل حرباً ناجزة ضدهم ، فلدينا إ ذاك ، بعون السماء ، جملة آمال جليلة في النجاة ..»

وما أن تفوه بذلك ، حتى عطس أحدهم ، وحينما سمع الجنود تلك العطسة ، خروا جميعاً على ركابهم دفعة واحدة ، وسجدوا للرب الذي أطلق هذه

---

(٢) يمين كاذبة .

الأشارة[٣]. وواصل (زينوفون) يقول : «أعتقد، أيها الجنود، مادام قد بان لنا فأل حسن من (زيوس) المنقذ حالما كنا نتحدث عن السلامة، وجب علينا أن نعطي عهداً بتقديم الشكران للرب من أجل نجاتنا في أول موضع نبلغ عنده تربة صديقة ، وعلينا نذر القرابين للآلهة الأخرى على أحسن وجه نستطيع . فليرفع يده كل من يوافق على ذلك .» فرفع الجميع أياديهم ، ثم نذروا وأنشدوا نشيد الحرب .

بعد تأدية فرائض الدين على هذا النمط ، شرع (زينوفون) في الكلام ثانية : «سبق أن قلت الآن إننا نملك آمالا باهرة في النجاة . أولها ، حافظنا على قسمنا تجاه الآلهة ، بينما أعداؤنا قد حنثوا قسمهم ، وعلاوة على ذلك ، زوّروا نواتهم في تجاوز الهدنة . لذا من المعقول ، والحال كذلك ، أن نفترض بأن الآلهة ستناوىء خصومنا ، لكنها ستحارب في جانبنا ، وأنها قادرة عاجلا على جعل الأقوياء ضعفاء ، وإنقاذ الضعفاء بيسر متى شاءت ذلك ، حتى لو كانوا وسط الخطر . ثم سأذكركم بالمخاطر التي اعترضت آباءنا ، لتدركوا أن الجدير بكم أن تكونوا رجالا بواسل ، وأن الشجعان ـ بعون الآلهة ـ يجدون النجاة حتى من شر المشاق . تذكروا كيف تقدم الفرس وحلفاؤهم بجيش لجب ، ظانين أنهم سيمسحون (آثينا) من وجه البسيطة : لكن الآثينيين إمتلكوا الشجاعة لمجابهتهم بأنفسهم فقهروهم آنذاك نذروا أن يضحوا لأرتميس عنزة عن كل فرد قتلوه من الأعداء ، بيد أنهم لعدم تمكنهم من الحصول على العدد الوافي من العنز ، قرروا تضحية خمسمئة عنزة سنوياً ، وما برحوا يضحونها حتى هذا اليوم . بعدئذ ، عندما جمع (زرسيس)[٤] جيشه ، الذي لا يحصى ،

---

(٣) مازال فريق من الناس يؤمنون أن العطاس دلالة على الفأل الحسن .

(٤) هو العاهل الفارسي (أحشيرش بن داريوس) استولى على مصر في السنة الثانية من ملكه وهاجم آثينا في السنة التاسعة لكن الأغريق دحروه عند سلاميس وهو حفيد كورش الكبير .

وأغار على اليونان، كانت جولة أخرى دحر فيها آباؤكم هؤلاء الخلق براً وبحراً. إنكم تستطيعون العثور على ما يثبت كل هذا في الأنصاب التي لدينا، لكن أعظم شاهد على ذلك لهو حرية المدن التي ولدتم وأنشئتم فيها. فأنتم لا تعبدون إنساناً كسيد، بل الآلهة فقط. هؤلاء هم الرجال الذين أنتم أنجالهم. وإني حتماً لن أقول إنكم تشينون آباءكم. فمنذ أيام قليلة فحسب، كنتم في حرب ضد أبناء أعدائنا القدامى، ورغم كونهم أضعافكم في العدد مرات عديدة، فأنتم - بمعونة الآلهة - قد دحرتموهم. في تلك الجولة، أبديتم شجاعتكم كي تحرزوا مملكة لكورش، لكن القتال الآن لنجاتكم بالذات، ولذلك فأنا موقن أنه يجدر بأن أتوقع منكم مزيداً من البسالة الفائقة، ومزيداً من العزم الفائق على الانتصار، كما عليكم أن تشعروا بمزيد من الثقة تجاه العدو. في المرة المنصرمة، لم تكونوا قد اختبرتموهم بعد، وتمكنتم من مشاهدة أعدادهم الجسيمة، لكنكم - مع كل ذلك - بروحية آبائكم، ملكتم الشجاعة فنازلتموهم. غير أنكم الآن، إذ تعلمون من التجربة، مع كونهم أضعافكم عدداً، لا يتمنون مجابهتكم: فما هي حجتكم لتخشوهم بعد الآن؟ لا تتوهموا أننا أسوأ مما كنا سابقاً لأن العساكر الفارسية التي كانت في صفوفنا قد بارحتنا الآن. إنهم لأجبن من الفرس الذين قهرنا، وقد دلوا على ذلك بانهزامهم من جانبنا نحو الجانب الآخر. إنه لأفضل بكثير أن يشاهَد الناس الذين يرومون أن يكونوا أول الفارين، واقفين ضمن صفوف العدو، بدلاً من كونهم في صفوفهم بالذات.

«إن يشعر أحدكم بنبوط العزيمة نظراً لعدم حيازتنا الفرسان، بينما العدو يملك أعداداً هائلة منها، ينبغي أن تتذكروا أن عشرة آلاف فارس يعادلون

عشرة آلاف رجل فقط . لم يلق أحد مصرعه قط بعضّة أو رفسة من حصان . فالرجال هم الذين يفعلون كل ما يحدث أثناء المعركة . إذن نحن على أساس أثبت بكثير من الفرسان الذين في الهواء على ظهور الخيل ، وهم لا يخشوننا فحسب ، بل يخافون السقوط عن صهوة جيادهم ؛ بينما نحن ، من جهة أخرى ، نستطيع بأقدامنا الراسخة في الأرض ، توجيه ضربات أقسى نحوَ مُهاجمينا ، كما أننا أكثر قدرة على إصابة ما نستهدف . ثمة سبيل واحد فقط به تمتاز الخيالة علينا ، وهو أن الفرار أسهل لهم مما لنا . طبعاً ،يسعكم أن تكونوا على أتم الثقة بشأن القتال ، لكن قد تقلقكم الحقيقة أن (تيسافرنوس) لن يدلكم الطريق بعد الآن ،ولن يتيح لكم العاهل فرص ابتياع الطعام . إن تكن الحال كذلك ، فتأملوا إن كان الأفضل أن يرشدنا (تيسافرنوس) ، وهو الرجل الذي يعمل ضدنا علانية ،أم أن يكون لدينا أسرى ، نأمرهم بارتياد الطريق لأجلنا ، وسيدركون إن يرتكبوا أية أخطاءٍ تصيبنا ، فستمسهم بالذات ، وتلحق حياتهم كذلك . أما مسألة المؤن ، فالأفضل شراؤها من الأسواق التي تجهزها ، حيث علينا دفع الكثير لابتياع القليل (إذ حتى المال لم يعد في حوزتنا) ، أم أن الأفضل دحرهم في المعركة ثم الأستحواذ على أرزاقهم لأنفسنا ، كل آخذ القدر الذي يشاء ؟

«قد تدركون أن هذه الوسائل الأخرى هي الفضلى ، لكن لا يغرب عن بالكم أن الأنهار عقبة كأداء ، واعتبروا ذواتكم مقودين بإحكام نحو الكمين باجتيازها. فان كان الامر كذلك ، سألتكم أن تعتبروا فيما اذا لم يرتكب الفرس هنا فعلا في منتهى الحمق . لأن الأنهار كافة ،مهما تعذر اجتيازها ، على شوط من منابعها ، ميسور خوضها دون بلوغ الماء حد الركبتين غالباً . لو أن الفرد يتتبعها

مصمداً باتجاه المنابع . وحتى إذا عجزنا عن عبور الأنهار ، ولم يأتنا أحد ليرشدنا نحو الطريق ، فليس ما يدعو لتثبيط عزيمتنا . لن ندعو (الميسيين)[5] أفضل منا رجالاً ، مع علمنا بامتلاكهم المدن الواسعة الغنية في أصقاع الساحل وعكس مشيئة الساحل . ونعلم أن ذلك ينطبق على (البيزيديين)[6] كذلك ، وقد شاهدنا بأم أعيننا كيف أن (الليكونيين) قد ضبطوا المواقع المحصنة في السهول ، يتمتعون بما تدر عليهم، العائدة الى هؤلاء الفرس . والآن فيما يعني قضيتنا ، علي أن أقول : ينبغي ألا نوضح أننا عائدون الى الوطن ، بل أن نتصرف وكأننا قد نوينا على البقاء ها هنا . إني على يقين أن العاهل سيزود (الميسيين) بكل الأدلاء الذين يحتاجون إليهم ، ويعطيهم جملة من الرهائن كي يستوثق تماماً من إقصائهم عن القطر ، وإنه في الحقيقة سيعبد لهم الطرق حتى لو راموا الذهاب في عربات ذوات أربعة جياد . وأنا وانى أن حبوره سيكون ثلاثة أضعاف ذلك ليفعل كل هذا لأجلنا ، إذا رأى عزمنا على الأقامة هنا . كلا ، فأنا أخشى بمجرد أننا تعودنا الحياة بترف ونغدو في رسلة[7] من العيش ، متمتعين برفقة هؤلاء النساء العظيمات الفاتنات ، حليلات وبنات (الميديين) والفرس ، قد نمسي كآكلي (اللوتس)[8] ، ونسلو مسلكنا نحو الوطن . لذا أعتقد أن المناسب والمعقول جعل سعينا الأول بلوغ بني جنسنا في اليونان ، وأن نكشف لليونانيين أن بؤسهم كان بمحض اختيارهم ، كي يتمكنوا من رؤية أناس يحيون في

---

(٥) القوم المنسوبون الى (ميسيا) غربي آسيا الصغرى .

(٦) قوم منسوبون الى (بيزيديا) الواقعة شمالي جبل طوروس .

(٧)عيش رخاء ولين .

(٨) اللوتس ورد من فئة الزنابق المائية ينمو في مصر واليونان والهند . وهو كذلك شجر يؤكل ثمره فيسبب لمتناوله السبات العميق والنسيان .

أقطارهم حياة بائسة، فيضحون أثرياء بقدومهم الى هنا . أيها الجنود ،لا أحتاج الى الأسهاب في هذا المجال. فجلي أن جميع هذه الطيبات تصيب الظافرين.

«غير أني يجب أن أتطرق الى هذه القضايا ـ كيف يتسنى لنا أن نجعل سيرنا مجرداً من الخطر بقدر الأمكان، وكيف نخرج من القتال بأفضل نتيجة إذا أرغمنا على القتال . إن أول اقتراح أبديه لكم هو أن تضرموا النار في جميع عربات النقل التي لدينا، كي لا تقودنا حيواناتنا ، بل نستطيع السير حيث تملي علينا مصلحة الجيش ذلك . ثم علينا أن نحرق خيامنا كذلك ، إذ أنها تخلق بعض العراقيل في النقل ، وهي بلا جدوى للقتال أو الحصول على المؤن . ولنتخلص من كل المواد غير الماسة ضمن معداتنا الأخرى ، ونبقي فقط ما نملك لغاية القتال والمأكل والمشرب ، حتىٰ يستطيع أكبر عدد ممكن منا حمل الأسلحة ، وأقل ما يطاق حمل الأمتعة . عندما يندحر قوم ما ،كما تعلمون ، تضحى مقتنياتهم في متناول أيدي الآخرين وإن نَفُرْ، فيجب أن ننظر الى أعدائنا وكأنهم حاملو أمتعتنا عنا .

«بقي علي أن أذكر ما أعتقد أهم نقطة من عداها . يمكنكم أن تروا ما الذي ظن أعداؤنا بصددها . لم يجسروا على إشهار الحرب علينا إلا غِب أسرهم قادتنا، ومرد ذلك إلى حسبانهم أننا ما زلنا نملك قادة نوليهم طاعتنا ، كنا قادرين على الفوز في القتال؛ لكنهم ما أن قبضوا على قادتنا ،خالوا أننا سننهار بسبب انعدام السيطرة والنظام . لذا من الضروري أن يكون اهتمام قادتنا الحاليين أكثر بكثير من اهتمام قادتنا السابقين، وينبغي على الذين في الصفوف أن يكونوا أكثر تنظيماً ، وأغلب بكثير من السابق استعداداً لأطاعة ضباطهم حالياً . في أحوال العصيان ، يجب أن نصوت أن أيا منكم اتفق له أن يكون في

ذات المكان، وجب عليه الأسهام مع الضباط في تطبيق العقاب. سيكون هذا أمر إخفاق لأعدائنا، إذ في اليوم الذي نصوت على هذا، لن يعودوا ليروا (كليرخوس) فرداً فحسب، بل عشرة آلاف، لا يحتمل واحدهم أي تصرف غير عسكري.

«لكن حان لي أن أختتم. يجوز أن العدو سيداهمنا في الحال. إذا تقبلتم الأقتراحات التي عرضتها، فلتبلغ رسمياً بأسرع ما يمكن، كي توضع موضع التنفيذ. إن كان هنالك من يعلم سبيلا لمعالجة الأمور أمثل مما بينت، فلتكن لديه الشجاعة ليخبرنا عنها، ولو أنه جندي عادي لا غير. إن السلامة التي ننشد، تهم كل فرد.»

بعد ذلك، تكلم (خريسوفوس): «إن شئنا تبني أي حل آخر، علاوة على ما يقترح (زينوفون)، فنستطيع ذلك في لحظة أو لحظتين. أفترض أنه، دون إبطاء، ينبغي التصويت على أن ما اقترح (زينوفون) الآن لهو أفضل نهج يتبع. فليرفع الموافقون أيديهم.»

فرفع الجميع أيديهم، واستقل (زينوفون) ثانية، وقال: «أيها الجنود، أصغوا لاقتراحاتي الأخرى. من الواضح، علينا بالمسير حيث يتسنى لنا الحصول على الميرة. وأحسب أن هناك بعض القرى الزاهية على مسافة لا تعدو الميلين من هنا. لكني لن استغرب إذا تمثل العدو بالكلاب الرعديدة التي تهر خلف أي فرد يجتازها، فتحاول عضّه، لكنها تفرّ من وجه أي شخص يلاحقها. لا أستغرب كذلك لو تقفّوا أثرنا ونحن ننطلق. آنذاك، ربما يكون من الأسلم لنا أن نسير والمشاة الثقيلة على شكل مربع مفرغ، فتكون الأمتعة وما عداها من المواد الكثيفة آمن في الداخل. فان قيل لنا الآن، من يحتل

الموقع الأمامي من المربع، وينظم الفصائل الطليعية، ومن ينبغي أن يكون على الجانبين، ومن يتحتم أن يكون مسؤولا عن المؤخرة، فعلينا ألا نصمم كل هذا بينما يتوجه الأعداء نحونا، بل نستطيع حالا استخدام أولئك الذين قد اختيروا خصيصاً لهذا العمل. إن كان لأي منكم اقتراح أفضل، فلنتبناه. وإلا فإني أقترح أن (خريسوفوس) يجب أن يقود المربع، فهو ذو ميزة إضافية لكونه إسبرطياً. وقائدان آخران، يكبرانه سناً، ينبغي أن يهتما بالجانبين، وأصغرانا، أي (تيماسيون) وأنا، يلزم أن يكونا مسئولين عن المؤخرة. أقترح هذا كإجراء مؤقت. بعدئذ، نكون قد اختبرنا هيئة المسير هذه، فنستطيع البت في أفضل الأجراءات على حسب اختلاف الظروف. إن كان لدى أي منكم اقتراح أمثل، وددت أن يعرضه.»

آنذاك، إذ لم يبد أحد أية اعتراضات، قال (زينوفون): «فليرفع أولئك الذين يرتضون ذلك، أيديهم.» فنفذ الأقتراح، وواصل يقول: «والآن، إذن، علينا أن نغادر الأجتماع، وتنفيذ مقرراتنا. كل من يبغ رؤية عشيرته ثانية، يتحتم أن يتذكر بأن يكون جندياً مقداماً. هذا هو الحل الوحيد. كل من ينشد البقاء حياً، يجب أن يهدف الى النصر. إن الفائزين هم الذين يقومون بالتقتيل، والخاسرين هم القتلى. وأولئك الناس الذين يرومون المال، عليهم أن يحاولوا كسب المعارك. إن الرابحين لا يستطيعون الأحتفاظ بما لديهم فحسب، بل تناول ما يعود للخاسرين.»

الفصل الثالث

الأغريق يقاسون المقاليع والسهام

مع اختتام هذا الخطاب، نهضوا وانطلقوا لأضرام النار في عربات نقلهم وخيامهم. إن شاء أحد أيا من المعدات الفائضة، إقتسموها بينهم، وألقوا المتبقي في الضرام. عند إتمام ذلك، تنالوا فطورهم. وبينما كانوا منهمكين في ذلك، قدم (ميثريداتس) - Mithridates - برفقة ثلاثين فارساً، فطلب تقدم القادة نحو مدى يستطيعون ضمنه السماع، وقال: «إني، أصحابي الأغريق، كنت كما تعلمون مخلصاً لكورش ، وما أزال صديقكم. وإني كذلك لأجد موقفي الراهن هنا مزعجاً جداً. لذا إن ألفيت أنكم تفكرون في أي مخرج أمين، وددت الألتحاق بكم، وجلب جميع تابعي معي. لذلك خبروني ما ترتأون فعله، وعدوني صديقاً في جانبكم، ويود الأنضمام اليكم في مسيركم.»

بعد المذاولة، قرر القادة أن يردوا عليه الرد الآتي، وكان ناطقهم (خريسوفوس) الذي قال: «ما صممنا عليه، هو هذا: إذا أتيحت لنا العودة الى الوطن، فسنخترق القطر، ملحقين أقل تلف ممكن؛ لكن إن يحاول أي فرد إيقافنا، فسنناضل في شق سبيلنا بأعنف ما نستطيع.»

عندئذ، حاول (ميثريداتس) البرهنة على استحالة بلوغ الأمان ضد إرادة العاهل، وعند هذه النقطة، أُدرك أنه قد أوفد لغرض خفي مقصود. والحقيقة، لقد كان فعلا أحد رجال (تيسافرنوس) بمعيته ليضمن الركون إليه.

غِب حدوث ذلك، أجمع القادة أن الأفضل لهم، ما داموا في بلاد العدو، وجوب إدارة الحرب دون أية مفاوضات مع العدو، لأن رسل الطرف الآخر

جنحوا الى إفساد ولاء الجند . فهم في الحقيقة أغروا أحد ضباط المئة (نيكارخوس الأركادي) الذي فر تحت جنح الظلام مع ما يناهز عشرين رجلا .

وبعد تناولهم وجبة طعام، عبروا نهر الزاب[1]، وساروا بنظام حربي، مع حيوانات نقل الأمتعة وتابعي المعسكر داخل المربع . وما ابتعدوا الا قليلا ، حتى لاح للعيان (ميثريداتس) مجدداً ، برفقة ما يقرب من مئتي فارس وحوالي أربعمئة من رماة السهام والمقاليع . وكان هؤلاء مدججين بأسلحة خفيفة ، ويعدون على أقدامهم بسرعة شديدة .

لقد يمم (ميثريداتس) شطر الأغريق وكأنه كان على وفاق معهم ، لكن ما أن تدانى الجمعان ، حتى شرع رجاله ، المشاة والفرسان ، فجأة في اطلاق نبالهم ، بينما قذف الآخرون مقاليعهم ، وأحدثوا بعض الأصابات . لقد كابد جند مؤخرة الأغريق كثيراً ، لكنهم لم يتمكنوا من مقابلتهم بالمثل لعدم قدرة النبالة (الكريتيين)[2] على الرمي نحو أشواط تماثل مسافات الفرس ، كما أنهم نظراً لكونهم من افراد المشاة الخفيفة ، إعتصموا بقلب المربع . أما رماة الرماح ، فأن مداهم لم يكن من البعد ما يكفي لأصابة رماة المقاليع الفرس .

عندئذٍ ، جزم (زينوفون) أن عليهم اكتساح العدو الى الخلف ، وتم ذلك على ايدي المشاة الخفيفة والثقيلة معه في المؤخرة، بيد أنهم ، أثناء تعقيبهم ، أخفقوا في مسك أي نفر من العدو ، وذلك، لانعدام الفرسان لدى الأغريق ، وكان مشاتهم لا يستطيعون ، خلال شوط قصير ، أن يدركوا مشاة العدو الذين لاذوا بالفرار ، وهم آنذاك بعيدون عنهم لمسافة ما . وكان من الطبيعي تعذر مواصلة التعقيب

---

(١) ـ Zapatas ـ أغلب الظن أنه الزاب الأعلى (الكبير) ـ طالع ما جاء عنه في (التذييل) .

(٢) ـ Cretan نسبة الى جزيرة (كريت) اليونانية في البحر الأبيض المتوسط .

على مسافة قصية عن بقية الجيش . ان خيالة الفرس وهم يسددون نحو الخلف من فوق ظهور جيادهم ، تمكنوا من إحداث الجروح حتى أثناء فرارهم ، وعندما أدركهم اليونانيون الى بعد ما ، كان عليهم أن يعودوا القهقرى الى ذات المسافة . وهم يقاتلون على طول الطريق . فنجم عن ذلك أنهم لم يقطعوا أكثر من ميلين ونصف الميل في ذلك النهار بأكمله . لكنهم أدركوا الأرياف عصراً .

هنا كذلك ، كان قنوط جم . إنّ (خريسوفوس) والقائدين الأكبر سناً ، مظوا[3] (زينوفون) لقيامه بالتعقيب بعيداً عن صلب الجيش الرئيسي ورغماً عن الاخطار التي تجشم ، كان عاجزاً عن الحاق أي ضرر بالعدو . لقد أصغى (زينوفون) الى انتقاداتهم ، وسلم أنهم كانوا محقين في مظهم اياه ، وكانت الحقائق في جانبهم لتدعم دعواهم . فقال : «غير أن الواجب عليّ كان ازاحتهم الى الوراء ، اذ لاحظت أننا كنا نقاسي كثيراً من جراء وقوفنا حيث كنا ، وأننا عاجزون عن اتيان أي شيء في الرد عليهم . لكن قولكم يصح حالما شرعنا في ارجاعهم القهقرى . لم نكن أكثر طاقة على الحاق الأذى بهم . ولقينا غاية المشقة في ارجاع أنفسنا . علينا اذن أن نحمد الآلهة لعدم توجههم نحونا بقوة أكبر ، بل بأعداد ضئيلة ، وخرجنا بالنتيجة أنهم ، دون أيذائنا كثيراً ، قد أرشدونا الى مواضع عجزنا . تستطيع نبالة العدو حالياً رشقنا لمسافة ابعد مما تستطيع نبالتنا (الكريتيون) رداً عليهم ، ورماة مقاليعهم يستطيعون العمل خارج نطاق مرمى رماة رماحنا . عندما نرجعهم القهقرى ، يتعذر علينا اقتفاؤهم لمسافة تبعد كبيراً عن صلب الجيش ، وفي شوط قصير ، لا يستطيع الراجل ، مهما بلغ من السرعة في الجري ، ادراك الراجل الآخر الذي يبعد مجال رمية قوس . لذلك ، إن اردنا منعهم من حيازة الطاقة على ايذائنا في المسير ، وجب علينا

(٣) مظوا مظ : لام .

الحصول على رماة المقاليع والفرسان بأسرع ما يمكن. هناك، كما بلغني، بعض (الرودسيين)[٤] في عسكرنا، ويقال ان أغلبهم يعلمون كيفية استعمال المقلاع. كما أن سلاحهم، في الحقيقة، ذا مدى يبلغ ضعف مدى المقلاع الفارسي. ان المقاليع الفارسية لا تقذف بعيداً، لأنها تستخدم للرمي أحجاراً بحجم قبضة اليد، لكن (الرودسيين) يعرفون كيف يستعملون الكرات الرصاصية كذلك. لذا ان وجدنا من الذي يحوز مقلاعاً، ودفعنا عن أية كمية متوفرة، وأكثر مالا من ذلك لمن يتطوع بصنع المزيد من المقاليع، ونفكر بأن نمنح امتيازات ضافية كل من يتخير العمل في صفوفنا كرامي مقلاع؛ اذ ذاك ربما سيتقدم عدد وافر ننتفع بهم. كما لاحظت أن في حوزتنا خيولا في الجيش، بعضها خاصتي وبعضها خاصة (كليرخوس) التي خلفها. وثمة العديد غيرها قد استولينا عليها، نستخدمها حالياً لحمل الأمتعة. فان صنفناها بأن تحل محل بعضها بهائم نقل المتاع، وأعددنا الخيول للفرسان، فقد يسبب هؤلاء كذلك ارباكاً للعدو أثناء فراره».

لقد تم الاتفاق على هذا، فبرز ما يقرب من مئتي رام من رماة المقاليع تلك الليلة. وفي اليوم التالي، تم اعداد خمسين حصاناً وفارساً صالحين للعمل، وزُوِّدوا بأغطية جلدية ودروع وجُعل (ليسيوس) ـ Lycius ـ الآثيني، نجل (بوليستراتوس) ـ Polystratus، آمراً على الفرسان.

---

(٤) ـ Rhodian ـ نسبه الى جريره (رودس) ـ Rhodes ـ الأغريقية في البحر الايجي جنوبي آسيا الصغرى. وأغلب ظني أنها الآن تحت الاحتلال الايطالي. مساحتها (٥٦٥) ميلا مربعاً. وكانت قديماً ثغراً حصيناً

الفصل الرابع
(تيسافرنوس) ما برح يعقب

توقفوا ذلك اليوم، وتقدموا في اليوم التالي، وقد استيقظوا مبكرين قبل المعتاد، اذ كان عليهم أن يجتازوا جدولا، وكانوا في خشية من مداهمة العدو اثناء عبورهم. لقد اجتازوه قبل أن ظهر (ميثريداتس) للعيان ثانية، وكان هذه المرة بصحبة الف فارس وحوالي أربعة آلاف من رماة السهام والمقاليع. لقد طالب بهذا العدد واستحصله من (تيسافرنوس)، واعداً إياه، إن هو حصل عليه، ان يسلمه اليونانيين أسرى. إنّ استصغاره شأن اليونانيين بني على اساس من الحقيقة أنه في الغارة السابقة، لم يُصب بأذى، بالرغم من ضآلة قواته، وحسب أنه قد أوقع في الأغريق خسائر فاحة.

عندما بات اليونانيون على مسافة تبعد زهاء الميل عن موقع عبورهم الجدول، تحرك (ميثريداتس) كذلك بكامل قوته. فأصدرت الأوامر الى الاعداد اللازمة من المشاة الخفيفة والثقيلة بارجاع العدو القهقرى، وأوعز الى الفرسان أن يجدوا في التعقيب بعزم، اذ كانت هناك قوات كافية لتدعمهم. وعندما أدركهم (ميثريداتس) وأخذت تصل أحجار المقاليع والسهام، نفخ في النفير، وللحال كرت نحو الأمام كتلة واحدة من الذين أوعز اليهم بذلك، وشن الفرسان هجومهم. إنّ العدو لم ينتظرهم، بل ركن الى الهروب عائداً نحو الجدول. فقتل العديد من مشاة الفرس أثناء هذه الملاحقة، وقبض على ما يقرب من ثمانية عشر فارساً حياً وسط المجرى المائي. فبادر الاغريق تلقائياً الى تشويه جثثهم، كي يخلق مرآها أكثر رعب ممكن بين العدو.

بعد مقاساة هذه الهزيمة، تقهقر العدو، وواصل الأغريق سيرهم بأمان لما تبقى من النهار، ووصلوا نهر (دجلة). وكانت ثم مدينة واسعة مهجورة تدعى (لاريسا)[1]، قطنها الماديون في الأيام الغابرة. كانت مسورة بسور سمكه (٢٥ ق) وارتفاعه (١٠٠ ق) ومحيطه ستة أميال، مشيد من الطابوق فوق قاعدة صخرية تمتد نحو عمق (٢٠ ق). عند استيلاء الفرس على امبراطورية (الميديين)، حاصر العاهل الفارسي هذه المدينة، لكنه عجز تماماً عن احتلالها. غير أن غمامة حجبت الشمس وأخفتها عن البصر، حتى هجر السكان الموضع، وهكذا تم احتلال المدينة. وكان بالقرب من المدينة هرم صخري، عرضه (١٠٠ ق) وارتفاعه (٢٠٠ ق)، ففر اليه العديد من سكان الأرياف المجاورة، واعتصموا به.

من هنا، ساروا قاطعين (١٨ م) في يوم واحد، فبلغوا قلعة لا تقهر بالقرب من مدينة تدعى (مسيلا)[2]، التي كانت ردحاً آهلة بالمديين. كان اساس هذا الحصن حجراً أملس يحوي كثيراً من الاصداف. كان عرض الحجر (٥٠ ق) وارتفاعه (٥٠ ق)، يقوم عليه سور مشيد من طابوق، عرضه (٥٠ ق) وارتفاعه

---

(١) ـ Larissa ـ عندالتمعّن في بعض الخرائط التي تبين المواقع الأثرية القديمة في العراق، وتقدير المسافة التي سلكها الجيش بعد عبوره (الزاب الأعلى). أميل الى الاعتقاد أن هذه المدينة هي في الأصل موضع (نمرود) حالياً العاصمة الآشورية التي قطنها الفرس الماديون. وأرجح لذلك أن هذه التسمية فارسية بعد اندثار الاسم الآشوري. وهي طبعاً غير (لاريسا) (Larisa) التي في إقليم (تساليا) باليونان والتي تكتب بحرف (S) مفرده.

(٢) ـ Mescila ـ أغلب الظن أنها مدينه (الموصل) حالياً وهذه التسميه مشتقه من الآشورية من مدينه (منشفالو) أما موقع الحصن الذي يذكره المؤرخ، فأرجح أنه موضع قريب من مدينة (نينوى) المندرسة أوبالأخرى (تل توبة) الذي يقوم عليه جامع (النبي يونس) حالياً وقريبة بجواره تماماً المواجهة لأطلال نينوى (تل قوينجق) الحاليه

(١٠٠ ق)، ومحيط الحصن (١٨ م)[٣]. إنّ (ميدي) ـ Medea ـ قرينة العاهل، يرجح انها قد لجأت الى هذا الحصن عندما خسر (الماذيون) امبراطوريتهم وتسنمها الفرس، وحينما قصد العاهل الفارسي المدينة لم يستطع احتلالها، لا بمرور الزمن، ولا بالغارة عليها. الا ان (زيوس)[٤] أفقدهم رشدهم بصاعقة، فتم احتلال المدينة.

بعد ذلك، ساروا يوماً واحداً قاطعين (١٢ م)، لاح خلاله (تيسافرنوس) للعيان، برفقة تابعيه من الفرسان بالأضافة الى القوة التي تحت قيادة (أورونتاس) ـ Orontas ـ الرجل الذي اقترن بابنة العاهل، والعساكر الفارسية التي كانت بأمرة (كورش) أثناء مسيرته، والقوات التي رافقها شقيق العاهل لتعضده، وعلاوة على ذلك جميع العساكر التي زوده بها العاهل: فبدا جيشه عرمرماً. عند الدنو، جلب بعضاً من زمرهِ نحو مؤخرة الاغريق، واقتاد آخرين شطر الجانبين، لكنه لم يجسر على شن هجوم مباشر، أو يُبدِ أية رغبة في المجازفة. بدلا من ذلك، أمر رجاله باستعمال مقاليعهم واقواسهم. ان (الرودسيين) الذين وضعوا على مسافات معينة في صفوف اليونانيين، استعملوا عندئذٍ مقاليعهم، وسدد النبالة سهامهم، فلم يخفق أحدهم في اصابة رجل ما (في الحقيقة أستبُعِد أن يخطيء الهدف فرد حاول ذلك)، فابتعد (تيسافرنوس) عن المجال سريعاً، ومثله فعل سائر جيشه.

---

(٣) أغلب الظن أن هذا المحيط هو السور الذى حول بينوى و (تل توبه) فقد سهدته بنفسي مبل عشرين سنة تقريباً وسرت فوقه. مدركاً آنذاك أنه بل عير طبيعي بل سور مدرس. وكان مد انقضى على سقوط نينوى حينما اجتاز بها (زينوفون) زهاء مئتي سنه.

(٤) ـ Zeus ـ هو رب الأرباب عند الأغريق وأكاد ألمس هنا أنه كالموه الصمدانية التي يؤمن بها الموحدون وهو في المنزلة مثل (بيل) أو (بعل) عند البابليين الدين يلقبونه بالملك.

فواصل اليونانيون مسيرهم لما تبقى من النهار ، والفرس يتعقبونهم . ان الفرس ، بوسائلهم القديمة المتبعة في الاقتتال من بعيد ، لم يلحقوا أية أضرار أخرى ، مادام (الرودسيون) قادرين على قذف مقاليعهم نحو مسافات أبعد من المقاليع الفارسية ، بل أبعد كذلك من غالبية نبالتهم . ان الفرس يستخدمون اقواساً كبيرة . لذلك غدت جميع النبال التي التقطت نافعة للكريتيين الذين استعملوا نبال العدو باستمرار ، ومارسوا الرمي على المدى البعيد بمسار مرتفع . ولقد عثر في الأرياف على كمية من اوتار القوس ، وكذلك بعض الرصاص الذي أمكن استعماله للمقاليع .

بعدئذٍ ، غب أن وصل اليونانيون بعض القرى ، وخيموا ذلك اليوم ، ارتد الفرس وقد كابدوا أسوأ النتائج من جراء المناوشات من بعيد . في اليوم التالي ، مكث اليونانيون في موضعهم ، وتزودوا بالطعام الذي كان وفيراً في الارياف . وفي اليوم الذي اعقبه ، استأنفوا سيرهم على الصيهب(٥) ، و(تيسافرنوس) في اثرهم يصوب نحوهم من بعيد . أثناء هذه المسيرة ، استنتج اليونانيون أن هيئة المربع المتخذة كانت رديئة حينما كان الاعداء عند المؤخرة اذ عند تلاصق جانبي المربع ، من جراء تضايق الطريق أو مجازهم عبر ممر جبلي أو عبورهم فوق جسر ، فان ما سيحدث حتماً هو أن المشاة الثقيلة ستزاح من موضعها ،

---

(٥) صيهب : أرض سهلة منبسطة .

وتغدو بطيئة السير ، متداكمين[٦] مع بعضهم ومرتبكين : فتمسي النتيجة ، وهم في موضع متشوش ، عدم الاستفادة منهم . ثم عندما ينحرف الجانبان ثانية ، سيرغم على التفرق من سبق أن أزيحوا من مواضعهم وتضحى المسافة بين الجانبين خاوية ، وعند حدوث هذا ، تخور عزائم الرجال بينما العدو في اعقابهم . وهكذا كلما استوجب عليهم العبور على جسر أو أي شيء عداه ، ناضل كل فرد في سبيل أن يكون أول العابرين ، مما اتاح للعدو فرصة ثمينة لمهاجمتهم .

لقد لاحظ القادة هذا الوضع ، وشكلوا ستة فصائل ،كل فصيل يؤلف مئة رجل ، وعينوا قواد مئة للفصائل الستة ، وضباطاً لكل خمسين رجلا ولكل خمسة وعشرين رجلا . فمتما تداكم[٦] الجانبان بعضهما نحو الآخر أثناء المسير ، انتظرت هذه الفصائل الستةخلفهما كي لا يحدثا اي تشويش في سأم الجانبين ، ثم عادت ثانية الى الجانبين الأيمن والايسر . وعندما انفرج جانبا المربع ، كانت الفصائل الستة ستملأ الوسط ، سائرة نحو الانفراج ، ان كان صغيراً فيُزوَّر مع ستة أفراد في الأمام ، وان كان اوسع فمع اثني عشر رجلا في الامام ، وان كان واسعاً جداً فمع خمسة وعشرين رجلا في الامام ،كي يظل قلب المربع مليئاً دائماً . وعندما وجب عليهم عبور اي جسر أو غيره ، حافظوا على نسقهم ، بأن يقود ضباط المئة فصائلهم عبره بالتعاقب ،كما كانوا على اهبة العمل اذا تطلب الأمر ذلك في اي شطر من صلب الجيش الرئيسي .

فتقدموا على هذه الهيئة لمدة اربعة ايام . وخلال سيرهم في اليوم الخامس ، شاهدوا طرازاً من جوسق[٧] ، تتاخمه بعض الضياع ، ورأوا أن

---

(٦) تداكم : تدافع .

(٧) جوسق : قصر .

الطريق الى هذا الموضع ممتدة عبر ارض مرتفعة، تشكل سفوح التلال المحيطة بالطود الذي قامت القرية تحته. لقد سر اليونانيون بمرأى الروابي، وكان ذلك طبيعياً لاعتبارهم قوة عدوهم من الفرسان: لكنهم عندما ساروا قدماً، وبعد أن ارتقوا التل الاول، وهبطوا نحو الوادي لارتقاء الثاني، داهمهم الفرس، وبدافع من التحريض، أطلقوا رماحهم ومقاليعهم وسهامهم من مرتفعهم على الأرض المنخفضة، فأحدثوا عدداً من الكلوم. لقد ادركوا الطرف الأعلى من عساكر اليونانيين الخفيفة، وأرغموهم على البقاء محصورين ضمن مربع المشاة الثقيلة، وبذا بات النبالة ورماة المقاليع دون افادة مطلقاً ذلك اليوم، لامتزاجهم بالزحام الشامل. وعندما عالج اليونانيون التخلص من صعابهم برد العدو الى الوراء، وجدوا ـ لكونهم مشاة من الصنف الثقيل ـ صعوبة بلوغ قمة الاكمة، حينما اندلظ[٨] العدو مبتعداً عنهم بسرعة. وعندما عادوا ثانية الى بقية الجيش، قاسوا كالسابق تماماً، وحدث ذات الشيء على الرابية الثانية. لذا قرروا عدم السماح للجنود بالتحرك من التل الثالث حتى يكونوا قد اقتادوا نحو الجبل قوة مشاة خفيفة من الجناح الأيمن من المربع. ولما ارتقت هذه المشاة الخفيفة أرضاً أرفع من أرض العدو الذي كان يتعقبها، كف الأعداء عن مهاجمة الجنود عند انحدارهم، لأنهم خافوا تشتيت شملهم وصيرورة الاعداء (اليونانيين)[٩] على طرفيهم. فساروا بهذا الشكل خلال ما تبقى من النهار، بعضهم بمحاذاة الطريق فوق التلول، والآخرون يواكبونهم بحذاء الجبل، حتى وصلوا الأرياف. فعينوا بعدئذ ثمانية أطباء، لوجود العديد من الجرحى.

---

(٨) إندلظ: إندفع.

(٩) الكلمة بين القوسين زيادة من المعرب بقصد الأيضاح.

لقد لذبوا[١٠] هنا ثلاثة أيام لسببين : أولهما من أجل الجرحى ، وثانيهما لاستطاعتهم الحصول على قوت وفير ـ دقيق الحنطة ونبيذ وكثير من الشعير المخزون لأجل الخيول . كل ذلك كان مذخراً لوالي الناحية .

في اليوم الرابع ، هبطوا نحو الصيهب ، لكن عندما أدركهم (تيسافرنوس) مع قوته ، اتعظوا بدرس الحقائق القاسية ، وهو أن يعسكوا في أول موضع وجدوا فيه قرية ، وألا يواصلوا المسير والأقتتال في آن معاً . ومرد ذلك الى وجود العديد من الرجال عاطلين عن العمل : الجرحى وحملتهم والذين استلموا أسلحة الحاملين . لكن عندما عسكروا ، واتجه الفرس صوب القرية في محاولة لمشاغلتهم في قتال عن بعد ، خرج اليونانيون بنتيجة أفضل كثيراً . فكان ثمة فارق عظيم بين شروع الواحد من أرضه بالذات في صد العدو وبين المقاتلة أثناء المسير حينما يكون العدو في اعقابه .

وعند حلول العصر ، ازف وقت تراجع العدو ، لأن الفرس (خشية من قيام اليونانيين بشن هجوم ليلي) عسكروا دائماً على مسافة تبعد ستة أميال على الاقل عن الجيش اليوناني . ان الجيش الفارسي عديم الجدوى في الليل ، مادامت خيوله تُعقَل ، كما تربط أقدامها عادة ، كي لا تنهزم لو تركت سائبة . لذا ان حدث أي اضطراب ، فينبغي أن تسرج الخيول لراكبيها الفرس وتلجم ، ثم على الراكب أن يرتدي درعه ويمتطي جواده ، وهذه كلها أمور يصعب انجازها ليلا وسط الضجيج . هذا ما حملهم على ان يعسكروا عند مسافة نائية عن اليونانيين . فلما علم اليونانيون الآن عزم الفرس على التراجع ، اذ كانوا في الحقيقة يبلّغون الايعازات بذلك ، أصدروا أمراً لعساكرهم ـ على مسمع من

---

(١٠) لذب بالمكان : أقام به .

العدو ـ بتجميع أمتعتهم . عندئذٍ أحجم الفرس عن الأنسحاب لفترة ما ، لكنهم بعد حين عادوا ، غير محبذين السير ثم الأوبة الى المعسكر أثناء الليل .

واذ لاحظ اليونانيون أنهم عائدون دون ريب ، رفعوا خيامهم ، وانطلقوا سائرين لمسافة ستة أميال تقريباً . بهذا غدت الشقة بين الجيشين حداً لم يعد معه بالأمكان رؤية أي أثر للعدو ، لا في اليوم التالي ولا الذي أعقبه . في اليوم الرابع ، تقدم الفرس ليلا ، واحتلوا موقعاً مطلاً على يمين الطريق التي نوى اليونانيون على طرقها . كان ذلك الموقع احدى ذرى الطود المشرف على الطريق الممتدة في السهل . عندما شاهد (خريسوفوس) أنهم قد سُبقوا الى احتلال ذلك المرتفع ، استدعى (زينوفون) من المؤخرة ، وطلب منه استقدام مشاته الخفيفة والمجيء نحو المقدمة . غير ان (زينوفون) لاحظ (تيسافرنوس) وقد بدت كامل قوته للعيان ، فلم يقتد المشاة الخفيفة الى الأمام ، بل انطلق راكباً بمفرده نحو (خريسوفوس) وسأله : «لماذا تناديني؟» فأجاب (خريسوفوس) : «تستطيع أن ترى ذلك بنفسك . ان الرابية ، المطلة على طريقنا في الاسفل ، قد سُبقنا في ضبطها . لايسعنا العبور الا اذا اكتسحناهم منها . لكنك لِمَ لم تجتلب المشاة الخفيفة؟» فرد (زينوفون) أنه لم يفكر من الصواب ترك المؤخرة بلا قوة ، بينما العدو على مرأى ، وقال : «على كل حال ، لقد حان الوقت حتماً أن نصمم كيف يتسنى للفرد ازاحة أولئك القوم من الأكمة» .

حينذاك ، لاحظ (زينوفون) أن عرعرة[11] الجبل أعلى من الأرض التي عليها الجيش اليوناني ، وأن بالامكان السير منها نحو الجبل الذي صعده الأعداء ، فقال : «ان افضل ما نفعل ، يا (خريسوفوس) ، هو التقدم نحو القمة

---

(١١) عرعرة الجبل أعلاه .

باسرع ما نستطيع . ان تمكنا من ضبطها ، فسيعجز عن الاحتفاظ بموقعهم أولئك الذين يشرفون على طريقنا . اذا شئت ، فامكث هنا مع الجيش الرئيسي . ساتطوع بالمضي قدماً . ام ، اذا فضلت ، فسر نحو الجبل ، وسألبث هنا» . فقال (خريسوفوس) : «سأترك لك الخيار أن تفعل ما تشاء» . فأعرب (زينوفون) بما أنه الأصغر سناً ، اختار التقدم نحو الجبل ، لكنه طلب من (خريسوفوس) ـ يمده ببعض الرجال من المقدمة للمضي معه ، اذ ان جلب الرجال من المؤخرة كان سيستغرق وقتاً . فأذن له (خريسوفوس) بأخذ المشاة الخفيفة التي كانت في المقدمة ، والتي كانت وسط المربع ، كما أمر ثلاثمئة من الرجال المختارين الذين كانوا تحت امرته الشخصية في واجهة المربع ، بالذهاب مع (زينوفون) .

فانطلقوا في السير بأسرع ما تمكنوا ، لكن الأعداء فوق الأكمة ، اذ لاحظوا اليونانيين متوجهين صوب القمة ، هرعوا هم كذلك في الحال لينازعوهم الموقع . فكان ثمة استصراخ كبير : من الجيش الأغريقي يستحث رجاله من جانب ، ومن قوم (تيسافرنوس) يحرضون رجالهم من الجانب الآخر . لقد ركب (زينوفون) جواداً على طول الصفوف ، يستحثهم على الارتقاء قائلا : «أيها الجنود ، اعتبروا أنكم الآن تقاتلون من أجل اليونان وأنكم تشقون الآن طريقكم نحو أولادكم وحليلاتكم ، وأننا بقليل من المسفة حالياً ، سنمضي في ما تبقى من طريقنا دون مقاومة» . فقال (سوتريداس) ـ Soteridas ـ وهو رجل من (سيكيون)[12] : «لسنا متعادلين يا (زينوفون) . إنك ممتط صهوة جواد ، بينما أنا قد أنهكني مجن أحمله» .

---

(١٢) ـ Sicyon ـ مدينه تقع الى الشمال الشرقي من مدينه (كورنثوس) باليونان .

عندما وعى (زينوفون) ذلك، ففز من صهوة جواده، وأقصى (سوتريداس) عن الصفوف، وجرده من ترسه، وتقدم راجلا بأسرع ما استطاع، حاملا الترس. واتفق أنه كان متدرعاً بدرع الفرسان كذلك، فصار انطلاقه بطيئاً. لقد ظل مشجعاً أولئك الذين في الطليعة على الاستمرار في المسير، وأولئك الذين خلفهم على اللحاق بهم، مع أنه بالذات كان يناضل خلفهم على طول. غير أن الجنود الآخرين، ضربوا (سوتريداس) ورجموه بالحجارة ولعنوه حتى ارغموه على استعادة ترسه ومتابعة السير. عندئذ عاد (زينوفون) فاعتلى جواده، وقادهم نحو الطريق على ظهر الحصان، طالما كانت الطريق صالحة. ولما غدا ركوبه مستحيلا، غادر حصانه الى الخلف، ودلظ[13] في سيره نحو الامام على قدميه. وهكذا بلغوا القنة قبل العدو.

(١٣) دلظ في السير: مرّ مسرعاً.

الفصل الخامس

بين دجلة والجبال

وعلى ذلك ولى الفرس الأدبار، وهربوا في جميع الاتجاهات، وضبط الأغريق القنة. فحاد جانباً جيش (تيسافرنوس) و(آريوس)، ومضوا في مسلك آخر، وانحدر رجال (خريسوفوس) الى الصيهب، وعسكروا في قرية حافلة بطيبات غزيرة. في هذا السهل المحاذي دجلة، كانت أرياف عديدة زاخرة بالمؤن كذلك.

غير ان العدو شوهد في الصيهب بعد العصر على حين غرة، وستت بعض الاغريق المنتشرين هناك، والمنهمكين في الاغتنام، اذ قد أمسكت بعض قطعان الماشية عند جلبها لعبور النهر الى الضفة الأخرى. فحاول عندئذ (تيسافرنوس) ورجاله احراق القرى، فاغتم بعض الأغريق لذلك، اذ قد خيل اليهم انهم ان احرقوا القرى، فلن يجدوا موضعاً يحصلون فيه على الميرة.

كان (خريسوفوس) ورجاله قد عادوا حديثاً من إنقاذ الذين في الدّلِصَة(١)، وعندما صادف فريق الأنفاذ (زينوفون) عند انحداره من الأكمه، مضى راكباً بحذاء صفوفهم، وقال: «أما ترون، أيها الأغريق، أنهم أذعنوا الآن بأننا مالكو أرضهم؟ عندما مهدوا للهدنة، ركزوا على هذه النقطه كبيراً. وهي لا ينبغي احراق أرض العاهل، وهاهم الآن يحرقونها بأنفسهم وكأنها ليست ملكه. لكنما ان توفر أي طعام لانفسهم حيثما كن، فسيجدوننا سائرين

(١)الأرض السهله.

هناك أيضاً . في الحقيقة ، يا(خريسوفوس)،ارى أنه يستوجب علينا اعتبار هذه الملكية خاصتنا ، ونمنعهم من احراقها» . فقال (خريسوفوس) : «لا اخال ذلك ، بل نستطيع اعانتهم في مسعاهم ، وآنذاك سيكفون سريعاً» .

عندما عادوا الى مضاربهم ، التأم القادة وضباط المئة في اجتماع ، بينما انشغل الباقون بالتجهيزات . انهم الآن في وضع جدّ عصيب . فمن احدى الجهتين ، كانت ثمة جبال سامقة جداً ؛ وعند الجهة الأخرى ، كان النهر الذي بلغ من العمق ، عند اختباره ، حداً غدت الرماح التي نكست فيه دون مستوى الماء . وبينما كان القادة غير متأكدين مما سيقدمون عليه ، برز شخص من (رودس) ، وقال : «إني أتعهد بالعبور بكم على دفعات ، أربعة آلاف من المشاة الثقيلة في كل دفعة ، اذ زودتموني بما أتطلب ، ووهبتموني وزنة فضّة[٢] أجراً» .

وعندما سألوه عما احتاج اليه ، أجاب : «سأحتاج الى ألفي قربة من الجلد ، اذ أرى عدداً من الاغنام والماعز والثيران والحمير حولنا . عند سلخنا جلودها ونفخنا فيها ، ستزودنا بوسيلة يسيرة للعبور . كما سأتطلب حبال الحيوانات التي تحمل الحقائب . بهذه الحبال ، سأوثق القرب ببعضها ، وأضع كل قربة في موضعها بربطها بحجر يتدلى في الماء كمرساة . ثم سألزّ[٣] القربات عبر النهر ، وأشدها الى الضفتين ، واضعاً فوقها الخشب ، تعلوه طبقة من تراب . بلحظة واحدة ، سأثبت لكم ألا خطر من الغرق . كل قربة ستحمل شخصين ، والخشب مع التراب يمنعان انزلاقهما» . فأصغى القادة اليه ؛ لكنهم فكروا ، رغم كونها فكرة حسنة ، أن المتعذر تنفيذها ، لوجود أعداد جسيمة من

---

(٢) ـ Talent ـ وزنه تعادل (٢٥٠) أو (٢٤٠) جنيهاً . كما أنها تدل على وزنة ذهب تساوي عشرة آلاف جنيه تقريباً . والأولى أقرب الى المعقول .

(٣) لزّ : شد شيئاً بشيء

الفرسان عند الضفة الأخرى لتصد تقدمهم، وأنها للفور ستعيق الرجال الأوائل عبر النهر عند تأدية مهامهم.

وفي اليوم التالي، عادوا القهقرى، سالكين طريقهم السابقة المؤدية الى الأرياف التي لم تضرم فيها النار. فأحرقوا القرى التي شرعوا منها في الحركة كي يعيقوا دنو العدو منهم، لكنه لاحظهم من بعيد، حائراً في الظاهر بشأن السبيل الذي سيسلكه اليونانيون بعد الآن، وما هية نياتهم. عندئذ عقد القادة اجتماعاً آخر، بينما انشغل الجيش الباقي بالتجهيزات. فاستحضروا الأسرى، واستفسروهم مفصلا عن الاصقاع التي تحيطهم. فكانت الردود أن الاصقاع في الجنوب متجهة نحو (بابل) و(ميديا)، وهي في الحقيقة الطريق التي سلكوها. والطريق شرقاً، تتجه نحو (شوشه)[٤] و(همدان)[٥] التي قيل انها مقر العاهل صيفاً؛ وان عبر الواحد النهر وانطلق غرباً، اتجهت به الطريق نحو (ليديا) و(أيونيا)؛ والطريق المتجهة شمالا فوق الجبال، تسلك نحو (الأكراد). وأفصحوا أن هؤلاء القوم[٦] يقطنون الجبال، وأنهم بواسل جداً، وغير خاضعين للعاهل. والحقيقة أن جيشاً ملكياً، قوامه مئة وعشرون ألفاً، غزا مرة ديارهم؛ فلم يعد منهم فرد واحد بسبب وعورة الأرض التي وجب عليهم أن يوغلوا فيها. لكنما في احوال عقد المصالحة مع الوالي المسيطر على السهل، كان ثمة تخالط متبادل بين الأكراد وبينهم. فاستوعب القادة هذه المعلومات، وعزلوا جانباً الذين اعربوا عن المامهم بالطريق في كل اتجاه، ولم يلمحوا بأية

---

(٤) ـ Susa ـ عاصمة فارسية قديمة.

(٥) ـ Ecbatana ـ عاصمة (ميديا).

(٦) المقصود بهؤلاء القوم هم الأكراد.

اشارة نحو المسلك الذي سيتبعون ، غير أنهم فكروا بوجـوب غزو (كردستان) عبر الجبال اذ انهم ـ استناداً الى الأسرى ـ سيصلون (أرمينيا) حالما سيجتازون هؤلاء القـوم، وهي قطر واسـع غني ، يحكمه (أورونتاس) ـ Orontas ـ ومن ثم ـ قال الأسرى ـ يسهل السير في أي اتجاه شاء الفرد .

فقدموا القرابين لتبريك هذا القصد ، كي يستطيعوا الشروع في المسير عندما يعتقدون أن الوقت الملائم لذلك قد حان . فقـد كانوا في خشـية من أن يسـبقهم الفرس في احتلال المرفوق الجبال . ثم أصدروا الأوامر ، انهـم بعـد العشـاء ، ينبغـي على كل فرد أن يحـزم عائديته فيسـتريح ، ويجـب أن يكونوا متأهبين لاقتفاء ضباطهم عند صدور الأيعاز .

القسم الرابع
المسير نحو البحر

الفصل الأول

الأيغال في شمالي العراق

حوالي الهزيع الأخير من الليل، وقد تبقى منه ما يكفي لتمكينهم من اجتياز الصيهب تحت ستر الظلام، استيقظوا عندما اطلقت الاشارة، وساروا نحو الطود الذي بلغوه فجراً. اذ ذاك سار (خريسوفوس) في المقدمة بقواته الخاصة وكل القوات الخفيفة كذلك؛ وجلب (زينوفون) المؤخرة مع المشاة الثقيلة في القوة الخلفية، لكن بدون قوات خفيفة مطلقاً، اذ لم يبد ثمة خطر عليهم من اية مداهمة من المؤخرة اثناء صعودهم.

لقد بلغ (خريسوفوس) القُنة قبل ان يفطن اي فرد من العدو لما كان يدور. ثم مضى قدماً بثبات، ولما اجتازت شتى مفارز الجيش الممر، اقتفته نحو الأرياف القائمة في تضاعيف وفسح الجبال. فغادر السكان دورهم فوراً، وهربوا الى الجبال مع نسائهم وأولادهم. فتخلف قوت وفير لليونانيين كي يأخذوه، كما كان الكثير من الأواني النحاسية ضمن اثاث البيوت. لم يتناول اليونانيون شيئاً منها، ولم يتعقبوا القوم، اذ رغبوا في السلوك معهم باللين. على احتمال أن السكان، وهم خصوم العاهل، قد يسمحون لهم باختراق إقليمهم بسلام. غير ان الطعام كان امراً ماساً، فتناولوا كل ما صادفوه. لم يعبأ السكان عندما نودي عليهم، والحقيقة انهم لم يظهروا اية دلالة على شعور ودي.

عندما انحدر آخر يوناني من القمة نحو الارياف، كان الديجور قد هيمن آنذاك، اذ نظراً لضيق الطريق، استغرق الطلوع والنزول نهاراً كاملاً. حينذاك، شنت جماعة من السكان غارة على اواخر اليونانيين، فقتلوا بعضاً

وجرحوا آخرين بالأحجار والسهام، مع كونهم قلة، اذ انهم دوهموا من اليونانيين على حين غرة. والحقيقة لو ان مزيداً منهم انضم اليهم أنذاك، لجاز ان يباد شطر كبير من الجيش.

لذلك، عسكروا تلك الليلة حيث كانوا في الأرياف، واضاء الأكراد عدداً من المشاعل حولهم على الجبال كشارات لهم. وعند الفجر، تقرر في اجتماع القادة وضباط المئة اليونانيين ان ترافقهم في المسير اقوى حيوانات نقل الأمتعة واحوجها اليهم فقط، وينبذوا البقية، وان يطلقوا جميع العبيد في الجيش من الذين اسروا مؤخراً. كان الباعث لهذا ان العدد الجسيم من حيوانات نقل الأمتعة ومن العبيد، سبب تثاقلاً في المسير، كما كانت اعداد وفيرة من الرجال المسؤولين عن ذلك، حتى اضحوا بلا فعالية، ومع هذا العدد الهائل من الخلق في المسير، فرض عليهم تزويد ونقل ضعف الكمية الضرورية من الميرة. بعد تبنيهم هذا القرار، اصدروا الأوامر، بوساطة المنادي، بوضعه موضع التنفيذ.

وعندما تناولوا فطورهم، وشرعوا في السير، توقف القادة في جزء لزب[1]، وجرّدوا الجنود من اية ادوات محرمة لم يخلفوها وراءهم، فامتثل الرجال لما قيل لهم، مع ان طائفة من الافراد افلتت احياناً بمعية حاجيات، كأن يكون جندي ما مغرماً بولد جميل او امرأة فاتنة بنوع خاص. لذلك، ساروا ذلك اليوم قدماً، وقد كان عليهم ان يقوموا بقدر محدود من المناوشات وان يرتاحوا من حين لآخر.

في اليوم التالي، هبت عاصفة هوجاء، لكن تحتم عليهم التقدم، لعدم كفاية مؤنهم. لقد كان (خريسوفوس) على رأس المسيرة، و(زينوفون) بالمؤخرة. لقد

---

(١) اللزب: الطريق الضيق.

شن العدو هجمات عنيفة ، وباتوا في الممرات الضيقة على مدى قريب من مرمى اقواسهم ومقاليعهم ، فنجم عن ذلك وجوب رحيل اليونانيين بصورة بطيئة ، اذ كانوا يطاردون العدو باستمرار ، ثم يعودون . وغالباً ما اوعز (زينوفون) بالتوقف عندما شن العدو هجماته العنيفة ، وفي تلك الأحوال ، عندما بُلِّغ الايعاز ، اوقف (خريسوفوس) رجاله كذلك ، لكنه لم يتوقف في احدى المرات ، بل اقتاد الطليعة سريعاً ، مبلغاً الأمر باتباعه . كان من الواضح ان هنالك امراً ما ، لكن الوقت لم يتسع للتقدم ورؤية الدافع لهذه السرعة . وكانت النتيجة ان القوة في المؤخرة كادت ان تنقلب الى تقهقر تام . هنا قتل جندي اسپرطي شهم يدعى (ليونيموس) ـ Leonymus ـ بسهم نفذ جانباً من جسمه ، مخترقاً الترس والصدرية ، كما قتل (باسياس) ـ Basias ـ الاركادي باصابة اخترقت رأسه . وعندما وصلوا الموضع حيث ازمعوا ان يعسكروا ، انطلق (زينوفون) نحو (خريسوفوس) ، ومظه[٢] لعدم التريث ، فنتج من ذلك اضطرار الجنود على القتال في ذات الحين الذي كانوا يتقهقرون اثناءه . وقال : «ها قد قتل أشجع زميلين ، ولم نستطع التقاط جثتيهما او مواراتهما» .

فأجاب (خريسوفوس) : «تطلع الى الجبال . انظر الى اي مدى يتعذر اجتيازها في كل حدب . ان هذه الطريق الوحيدة التي ترى ، لشديدة الانحدار ، وفي مقدورك ان تشاهد فوقها حشداً كبيراً من الرجال ، وقد احتلوا الممر ، يتربصون هناك . لهذا كنت في عجلة ، فلم انتظرك . فكرت بسنوح فرصة التمكن من الوصول هناك اولاً ، قبل السيطرة على الممر . ان المرشدين معنا يقولون بعدم وجود درب آخر» .

---

(٢) مظه : لامه .

فقال (زينوفون) : «لقد ظفرت برجلين . عندما سبب العدو لنا احراجاً ، نصبنا كميناً ، فأتاح لنا كذلك ان نستعيد انفاسنا قليلا ، فقتلنا بعضهم ، وقررنا أخذ نفر قليل منهم احياء لنفس هذا السبب تماماً ، للاستفادة من ادلاء يعرفون الأقليم» .

فاجتلبوا الرجلين للحال ، واستنطقوهما على حدة ، للتعرف ان كانا على علم بأي مسلك آخر غير الذي كان بادياً للعيان . ومع تهديد احدهما بشتى الوسائل ، افاد بجهله اي مسلك عداه . وبما أنه لم يقل البتة شيئاً يستعان به ، فقد قتل على مشهد من الآخر . اذ ذاك قال المتخلف ان الذي حدا بالأول ان ينكر اي علم له بشِعْب[٣] آخر هو ان له ابنة قد اقترنت بشخص في تلك الناحية . واعرب انه سيدلهم على شعب غيره ، تستطيع الحيوانات والبشر قطعه ، ثم سئل ان كان اي جزء من ذلك الشعب عسير الاجتياز ، فأجاب بوجود شِمراخ واحد ، يتعذر عبوره ، الا اذا سبق الى احتلاله . اذ ذاك ، تقرر عقد اجتماع من ضباط المئة في المشاة الخفيفة والثقيلة كذلك ، لايضاح الوضع لهم ، والوقوف على من يود منهم تأدية عمل نافع ، فيتطوع للتجريده. فتقدم من المشاة الثقيلة (أرستونيموس) - Aristonymus - الذي من (مثيدريا)[٤] و (أجاسياس) - Agasias - الستيمفالي[٥] و (كاليماخوس) - Callimachus - البرهاسي[٦] الذي قدم طلباً منفصلاً لنفسه ، قائلاً انه راغب في الذهاب اذا تسنى

---

(٣) الشعب : الطريق في الجبل .

(٤) - The Methydrian لم أعثر على ما يرشد الى موقعها حتى في خريطة الموسوعة البريطانية .

(٥) - The Stymphalian :نسبة الى سيتمفال هي مدينة في القسم الشمالي من أكبر جزر اليونان الجنوبية حيث إسبرطة .

(٦) - Of Parrhasia : لم أعثر على ما يرشد الى موقعها حتى في خريطة الموسوعة البريطانية .

له اصطحاب متطوعين من الجيش برمته ، وافصح قائلاً : «ان شخصياً موقن ان عديداً من الشبان سيتطارقون[٧] لو اني زعيمهم» . ثم استفسروا ان كان اي ضابط من الجنود المسلحة الخفيفة سيتطوع للالتحاق بالآخرين . فبرز (آرستيس) ـ Aristeas ـ الذي من (خيوس)[٨] ، وهو رجل كان له فضل عد ، على الجيش في مناسبات عديدة مثل هذا النوع .

(٧) ـ سيتطارمون : سيتتابعون ؛ تطارق : تتابع

(٨) ـ Chios ـ جزيرة إغريقية قديماً في البحر الأيجي قرب (سميرنا) ـ Smyrna ـ (أزمير) . مشهورة بأنها مسقط رأس الشاعر الأغريقي (أوميروس) الضرير . تبلغ مساحتها (٣٢٠) ميلاً مربعاً ونفوسها زهاء (٧٥٠٠٠) نسمة .

الفصل الثاني
الأقتتال في الجبال

كان الوقت الآن بعد الظهيرة ، فاخبروا المتطوعين ان يتناولوا زادهم ثم بالحركة ، لقد سُلِّموا الدليل موثقاً ، واتخذوا التدابير بأنهم ان احتلوا المرتفع ، وجب ان يخفروا الموقع خلال الليل ، ويطلقوا اسارة النفير عند الفجر : وعلى الذين عند الذروة ان يغيروا على الجبليين المسيطرين على المسلك المألوف خارج الوادي ، بينما ينبغي على الباقين منهم ان يسيروا بأسرع ما استطاعوا ، وان يلتحقوا بهم .

بعد الاتفاق على هذه الخطة ، انطلق المتطوعون وكانوا قرابة الفي رجل ، وقد غيدق(1) المطر آنذاك . اما (زينوفون) مع المؤخرة ، فسار باتجاه المخرج المألوف من الوادي ، كي يسترعي انتباه العدو نحو هذا السطر من المسلك ، وبذا يتسنى للفريق القائم بحركة الالتفاف ، بقدر الامكان ، ان يحول دون اكتسافه من قبل العدو . لكن ، عندما اسرفت المؤخرة على جدول مائي ، وجب عليها اجتيازه لتسق طريقها نحو الارض المرتفعة ، دحرج السكان الجنادل التي كانت من الكبر ما يملأ عربة نقل ، وبعضها اضخم واصغر ، فتهاوت تلتدم(2) بالصخور وتنط نطاً ، وبذا بات مجرد الدنو من المسلك متعذراً تماماً . ولما لاحظ ضباط المئة تعذر العمليات في اتجاه واحد ، حاولوا اماكن اخرى ، واستمروا جاهدين ، حتى حل الظلام . وعندما حسبوا ان تراجعهم لن يكون

---

(١) هطل غزيراً

(٢) تلتطم بنوء مميل .

مرئياً ، عادوا للعشاء . والذين كانوا ضمن المؤخرة لم يتناولوا حتى الفطور . غير ان العدو ظل يدحرج الصخور طول الليل كما اتضح من اللدم[3] .

في نفس الحين ، استدار رجال الطليعة بحركة التفاف ، وهجموا على الخفراء المتحلقين حول شعلول[4] معسكرهم ، ففتكوا بطائفة منهم ، وازاحوا الآخرين نحو اسفل الطود ، ومكثوا هنالك ، حاسبين انهم باتوا مسيطرين على المرتفع . لكن الأمر لم يكن كذلك . إذ كان يعلوهم جبل صغير ، قطعه اللرب[5] الذي تمركز عنده الخفراء . مع ذلك . كان ثمة سبب من هذا الموقع مؤد الى موضع العدو عند المسلك المألوف .

فأنفقوا ما بين ظهراني الليل[6] حيث كانوا ، وعند اول طلائع الفجر ، تجمعوا وساروا صامتين ، مستهدفين العدو . ولوجود الضباب ، دنوا منهم دون ان يلمحوا . ثم ، حالما ساهد احدهم الاخر ، صوت النفير ، فرفعوا اصواتهم بصراخ الوغى ، وهجموا على الرجال الذين لم ينتظروهم ، بل غادروا المسلك وفروا . وما صُرِع منهم كان قلة فحسب ، لسرعتهم في الجري .

في نفس الحين ، عندما سمع (خريسوفوس) صوت البوق ، سنوا للفور هجومهم صوب اعلى الطود بموازاة المسلك المألوف ، وتقدم بعض القادة سطر مسالك قليلة الاستطراق ، اي انى وجدوا انفسهم تماماً ، متسلقين على افضل وجه استطاعوه . وساحبين بعضهم بعضاً بحرابهم . وكان هؤلاء اسبق الذين انضموا الى الفريق الذي احتل الموقع مسبقاً . فسلك (رنوفون) مع المؤخرد

---

(٣) صوت الحجر إذا وقع بالأرض

(٤) لهب النار

(٥) الطريق الضيق

(٦) بين العشاء والفجر

نفس المسلك الذي قطعته الطليعة . لانه كان الاسهل مجازاً لحيوانات نقل الأمتعة . وقد وضع النصف الآخر من رجاله في مؤخرة الحيوانات . ولما تقدموا ، وصلوا ذروة مشرفة على الشِعب ، وألفوا ان العدو قد هيمن عليها . فكان عليهم اما ازاحته ، واما انهم سيعزلون عن بقية اليونانيين . انهم بالذات كانوا قادرين على الذهاب في نفس الشعب الذي سلكه الآخرون . لكن هذا المسلك الآخر كان الوحيد الذي يتيسر للحيوانات قطعه . ثم تنادوا للاستبسال ، واغاروا على الذروة بجماعات مؤلفة من كتائب . ولم يهجموا على العدو من جميع النواحي ، بل افسحوا له طريق الهروب ان حاول الانهزام .وخلال قيامهم بعملية التسلق ، وقد اتخذ كل فرد منهم احسن مسلك وجده ، صوب المستوطنون نحوهم السهام ،ورشقوهم بالأحجار ، لكنهم لم يواصلوا الهجوم عند التداني ، واخيراً غادروا الموقع وفروا .

وما عتم اليونانيون بعد اجتيازهم هذا الطود ، ان شاهدوا امامهم طوداً آخر قد ضبطه العدو ايضاً ، فقرروا الاغارة عليه كذلك ، لكن (زينوفون) أدرك انهم ان خلفوا الطود الأول الذي احتلوه من غير حراسة ، فقد يسيطر عليه العدو ، ويشن منه هجوماً على حيوانات نقل الامتعة اثناء مرورها . (ان قاطرة نقل الامتعة كانت ممتدة الى مسافة قصية بمرورها في اللزب) . لذلك خلف على الطود ضابطي المئة (سفيسودوروس) ـ Cephisodorus ـ الآينيني ، نجل (سفيسوفون) ـ Cephisophon ـ و (آرخاجوراس) ـ Archagoras ـ وهو منفي من (آرجوس)[٧] : بينما هو ذاته (زينوفون)[٨] تقدم بالبقية على الطود الثاني ،

---

(٧) ـ Argos ـ مدينة إغريقية قديمة في جنوبي اليونان فوق الخليج المسمى باسمها .

(٨) الاسم بين القوسين زيادة من المترجم بقصد الأيضاح .

وضبطه كذلك بنفس الاساليب السابقة . وكان ما يزال هنالك طود ثالث ينبغي احتلاله ، اشد انحداراً من سابقيه . انه الطود الذي واجه الخفراء الذين داهمهم المتطوعون وهم متحلقون حول نارهم ليلاً . بيد أنه عند دنو اليونانيين منه ، غادره المستوطنون دون مناوشة مما ادهش كل فرد ، ودفعهم للاعتقاد انهم قد تخلوا عن الطود خشية تمزيق شملهم وتطويقهم . والحقيقة انهم قد رأوا،من القمة ، ما حدث بعدئذ اسفل الشعب ، فانطلقوا جميعاً للهجوم على المؤخرة .

لقد تسلق (زينوفون) نحو القنة بصحبة اصغر انفاره سناً ، وامر الباقين بالسير على مهل كي تلتحم بهم الفصائل التي في المؤخرة ، وأوعز اليهم بالتوقف مسلحين على ارض مستوية بعد مسيرهم قليلا في الشعب . عند ذلك ، قدم (آرخاجوراس) الآرجوسي راكضاً يفيد ان رجاله قد اكتُسحوا من الطود ، وان (سفيسودوروس) و(أمفيكراتس)[1] ـ Amphicrates ـ قد قتلا بمعية جميع المتبقين الذين لم يقدموا على القفز نحو اسفل الصخرة لبلوغ المؤخرة . بعد ان احرز المستوطنون هذا الظفر ، لاحوا على رأسٍ مقابل الطود الثالث . فخاطبهم (زينوفون) بواسطة ترجمان ، مقترحاً التهادن ، طالباً تسليم القتلى.فأجابوا انهم يعيدون الجثث بشرط الا يحرق اليونانيون بيوتهم ، فارتضى (زينوفون) ذلك . لكن بينما كان هذا التحاور جارياً ، وبقية الجيش في التقدم ، تقاطر جميع سكان المنطقة ، وعندما شرع اليونانيون في الهبوط من الجبل ، ميممين شطر الآخرين الواقفين بأسلحتهم ، شن العدو غارة بعدد هائل وصوت مرعب . وعند وصول قمة الجبل الذي كان منه ينحدر (زينوفون) ، طفقوا يدحرجون الصخور ، فكسروا رجل واحدهم ، وهرب الرجل الحامل ترس (زينوفون) ،

آخذاً الترس معه[٩]. غير ان (يوريلوخوس) ـ Eurylochus ـ الذي من (لوسيا)[١٠] من صنف المشاة النقيلة، هرع رافعاً ترسه امام الأثنين اثناء التراجع. والتحق الباقون برفاقهم الذين كانوا في نسق حربي.

إذ ذاك، تجمع الجيش اليوناني بأكمله ثانية، وعسكروا حيث كانوا، فوجدوا جملة من المنازل المريحة، وكثيراً من القوت. كما كان الكثير من النبيذ الا انهم خزنوه في اقبية مجصصة من اعلاها. ولقد اتفق (زينوفون) و (خريسوفوس) مع العدو بأن استعادا جثث القتلى، وسلما دليلهم. وادوا، جهد طاقتهم، كل المراسيم بشأن القتلى اثناء مواراة الرجال الشجعان. في اليوم التالي، شرعوا في الحركة بدون دليل، وهاجمهم العدو من الخلف، وحاول ايقاف مسيرتهم بالسيطرة على كل الممرات الضيقة التي ستعترضهم. وكلما اعترضوا سبيل الطليعة، اقتاد (زينوفون) جنوده بين الجبال من المؤخرة، جاعلا انسداد السبيل امام الطليعة عقيماً باقدامه على الصعود نحو أرض ارفع من الارض المحتلة. وكلما هجموا على المؤخرة جعل (خريسوفوس) محاولة صد المسير هذه، عديمة التأثير، بتغيير الاتجاه وبمحاولته بلوغ ارض اعلى من التي يستهدفها العدو. وهكذا كان كل منهما في نجدة الآخر باستمرار، ويعطي احدهما الآخر أقصى الاسناد. وفي بعض المرات كذلك، سبب المستوطنون كثيراً من المضايقات للزمر التي تسلقت مواضع تعلوهم عندما كانوا في طريقهم نحو الاسفل ثانية. كان السكان يجرون سريعاً، فاستطاعوا الابتعاد حتى عندما لم يشرعوا في الركض، الا اذا كنا فوقهم تماماً. كانت اسلحتهم لا تعدو الاقواس

---

(٩) من هذا يبدو أن جندياً كان يمسك بالترس لصيانة القائد أثناء المسير والاشتباك.

(١٠) ـ Lusia ـ لم أعثر على ما يرشد اليها بالضبط لكني أرجح أنها في موضع (ليسيا) ـ Lesia ـ الحالية التي تطل على خليج (أبيداقروس) بالقرب من سبه جريرة (ميثانا) ـ Methana .

والمقاليع . وكانوا نبالة في غاية الكفاءة . اما اقواسهم ،فكانت بين اربعة وخمسة اقدام طولا ، وسهامهم اطول من ثلاثة اقدام . وكانوا اثناء الرمي يخرجون القدم اليسرى ، ويدعون نهاية القوس السفلى تستقر عليها وهم يسحبون الوتر . كانت سهامهم تخترق التروس والدروع . وعندما حصل اليونانيون على طائفة منها ، ركبوها في حلقات معدنية واستعملوها كرماح . في اقليم كهذا ، كان الكريتيون فائقي الجدوى . وكان (ستراتوكلس) ـ Stratocles ـ الكريتي آمراً عليهم .

الفصل الثالث

العبور الى ارمينيا

في هذا اليوم عسكروا في الارياف المواجهة سهل نهر دجلة[1] الذي عرضه زهاء مئتي قدم، ويشكل تخماً بين (ارمينيا).واقليم (كردستان). فارتاح اليونانيون هاهنا، وكانوا مغتبطين برؤية الصيهب . كان النهر يبعد عن جبال (كردستان) مسافة نصف ميل ونيف. لذا كانوا في غاية الابتهاج اثناء اقامتهم هنا، والذخائر وفيرة ؛ وغالباً ما تحدثوا بشأن المشاق التي انتابتهم، اذ كانوا يقاتلون باستمرار خلال جميع الايام السبعة التي اخترقوا خلالها اقليم الاكراد، وقد قاسوا فيها أكثر من سائر مناوشاتهم مع العاهل ومع (تيسافرنوس). وعليه، جعلتهم فكرة الخلاص من كل ذلك، يرقدون رقاداً جيداً.

الا انهم، عند الفجر، لاحظوا على الطرف الآخر من النهر فرساناً متأهبين للمناوشة، ومستعدين لمنعهم من اجتياز النهر. وكان على الأرض المرتفعة المطلة على الفرسان تشكيلات من المشاة لتحول دون دخولهم (ارمينيا)، وكانت هذه من (الارمن) و (الماردبين) و (الكلدانيين) المرتزقة في خدمة (اورونتاس) - Orontas - و (أرتوخاس) - Artouchas -. لقد قيل ان الكلدانيين شعب حر، مهرة في القتال. وكانوا مسلحين برماح وتروس طويلة مصنوعة من اغصان مجدولة. وكانت الهضبة المحتلة من قبل صفوف المشاة، تبعد (٣٠٠ ق) او (٤٠٠ ق) عن النهر، والطريق الوحيد المرئي هنالك هو الذي تسلق الهضبة ولاح كأنه قد رصف خصيصاً.

---

(١) - Centrites - كانتريتيس : هي التسمية الاغريقية لنهر دجلة كما أفاد بذلك المطران أدي شير في الجزء الأول من كتابه (تاريخ كلدو وآشور).

لقد حاول الاغريق العبور عند هذه النقطة : لكنهم عندما فعلوا ، الفوا الماء يعلو صدورهم. وكان قعر النهر غير مستوٍ ، تكتنفه جنادل ضخمة زلقة . واستحال عليهم تثبيت اذرعهم في الماء ، وان حاولوا ، اقتلعهم التيار من اقدامهم ، بينما لو رفع احدهم ذراعه فوق هامته ، لغدا مُجرداً من وسيلة الدفاع لاتقاء السهام والمقذوفات الأخرى . لذلك انسحبوا وخيموا حيث كانوا على ضفة النهر . بعد ذلك ، لاحظوا جموعاً غفيرة من الاكراد قد تحشدت مدججة ، وضبطت الموقع على الطود حيث كانوا انفسهم في الليلة المنصرمة . عندئذ شعر اليونانيون في الواقع بقنوط شديد : فقد رأوا مقدار الصعوبة في اجتياز النهر ، كما لاحظوا العساكر المتأهبة لاعاقة عبورهم ، واضحى الاكراد الآن يتحينون مداهمتهم من الخلف ان حاولوا العبور . لذلك مكثوا ذلك النهار والليلة التي اعقبته حيث كانوا ، وهم لا يدرون ما يفعلون . وتراءت لزينوفون رؤيا . لقد شاهد ذاته مكبلاً بالاصفاد . لكن القيود تقطعت ذاتياً . فبات طليقاً وعاد يستعمل اعضاءه كاملة . وقبيل الفجر تماماً ، مضى نحو (خريسوفوس) ، وانبأه انه يستشعر الاطمئنان الى تحسن الامور وسرد حلمه . فاغتبط (خريسوفوس) ، وفي اول مبرق من الفجر ، التأم جميع القادة وقدموا ذبيحة وكانت دلائل الضحايا موافقة من اول وهلة . ثم غادر القادة وضباط المئة القربان ، وبلغوا الجنود بتناول فطورهم .

وبينما كان (زينوفون) متناولاً فطوره ، أقبل نحوه شابان راكضين . إذ كان كل فرد يعلم بجواز القدوم عليه حين تناوله الفطور أو العشاء ، أو إيقاظه من رقاده ومكالمته ، إن كان لديهم شيء له مساس بالقتال . فأخبره هذان الشابان أنهما كانا يحتطبان لنارهما ، فلمحا حينذاك ، على الجانب الآخر من النهر

وفوق الصخور النازلة في الماء، رجلاً مُسناً وامرأة وبعض الفتيات وهن يذخرن أشياء بدت كحزم الملابس في صخرة مجوفة. فلما لاحظا ذلك، فطنا أنه مكان مأمون للعبور منه، إذ أن الأرض هناك لا يمكن للفرسان بلوغها. فخلعا ملابسهما واصطحبا حربتيهما واجتازا عاريين، متوقعين أنه ينبغي عليهما السباحة. غير أنهما مضيا في سبيلهما، وبلغا الضفة الأخرى دون أن يبلغ الماء حد منفرج الساقين. فحالما وصلا الجانب الآخر، تناولا الملابس[٢] هاربين، وعادا الى منطلقهما.

فسكب (زينوفون) قربان خمر في الحال، وأوعز الى الشابين بالأسهام فيه، والتضرع الى الآلهة التي أوحت الرؤيا، وكسفت عن مخاضة النهر، كي تكون خاتمة المطاف سعيدة. وحالما قدم قربان الخمر، انطلق بالشابين نحو (خريسوفوس)، فأخبراه بقصتهما، وغيب سماعها، قدم (خريسوفوس) كذلك قربان خمر، وعند الفراغ من ذلك. أصدرا الأوامر الى الجنود بحزم حاجياتهم، بينما هما طلبا اجتماع القادة، وبحثا كيفية جعل العبور أكفأ ما يمكن، وكيف يتسنى لهم أن يدحروا الخصم أمامهم، وفي نفس الحين ألا تلحقهم الخسائر من الذين في المؤخرة. فأجمعوا أن يذهب (خريسوفوس) أولا بنصف الجيش، بينما يتخلف النصف الآخر مع (زينوفون)، وبين الأثنين تجتاز حيوانات نقل الأمتعة والحشد العام.

وعندما تم إعداد الأشياء كما يلزم، شرعوا في السير بإرشاد الشابين، تاركين النهر عن يسارهم. كان الطريق الى مخاضة النهر يبعد أقل من نصف ميل، عندما مشوا، سايرتهم تشكيلات فرسان العدو على الضفة

(٢) المقصود بها الملابس التي خزنت في الصخرة المجوفة.

الأخرى . وببلوغهم حافة النهر ، حيث المخاضة ، ألقوا أسلحتهم . ثم وضع (خريسوفوس) أولا إكليلا احتفالياً على هامته[٣] . ونبذ جانباً مسطفه ، وتناول أسلحته ، مخبراً البقية أن تحذو حذوه . لقد أمر ضباط المئة أن يقودوا فصائلهم بصفوف مستطيلة، بعضهم عن يمينه وبعضهم عن شماله . عندئذ نحر العرّافون الحيوانات فوق النهر ، بينما أخذ الأعداء في رمي السهام والمقاليع . لكنهم ما برحوا نائين . كانت دلائل الضحايا مؤاتية . ثم أنشد الجنود كافة نشيد الحرب ، وأطلقوا صراخ المعمعة[٤] ، وأسهم جميع النسوة في الصراخ ، لأن عدداً من الجنود استصحبوا حظاياهم في الجيش .

فخاض (خريسوفوس) ورجاله النهر . أما (زينوفون) بصحبة رجال المؤخرة الذين كانوا أسرع جرياً ، فركضوا نحو الوراء بمنتهى السرعة نحو المخاضة التي تواجه الطريق المؤدية الى جبال (أرمينيا) . كان يحاول أن يوحي إليهم أنه ينوي العبور من هناك ، وبذا قطع الطريق على الفرسان عند ضفة النهر . وعندما لاحظ الأعداء أن رجال (خريسوفوس) آخذون في الأجتياز بيسر وأن رجال (زينوفون) يعدون نحو الوراء في أعقابهم ، خسوا الأنعزال ، وفروا ظاهراً بأقصى العجلة باتجاه النهر ، مصعدين أكثر فأكثر . بيد أنهم ، عند وصول الطريق ، ارتقوا الأكمة بين الجبال . فحالما لاحظ (ليسيوس) - Lycius - آمر وحدة الفرسان ، و (أسخينيس) - Aeschines - آمر فريق المشاة الخفيفة المرافقة (خريسوفوس) أن الأعداء في تقهقر تام ، شرعا في مطاردتهم ، ونادى الجنود بعضهم بعضاً بعدم ملازمة مواقعهم ، بل بتعقيب الأعداء في الجبال . غير أن

(٣) يبدو أن هذا تقليد عسكري أو طقس ديني في ذلك الحين .

(٤) صوت المقاتلين والأبطال في الحرب .

(خريسوفوس) عندما أتم العبور، لم يتعقب الفرسان، بل قصد توًا الأرض المرتفعة الممتدة حتى النهر، لمهاجمة العدو الذي كان هنالك. فلما لاحظ الأعداء فرسانهم لائذين بالفرار، والمشاة الخفيفة منطلقة للهجوم عليهم، غادروا المرتفعات إزاء النهر.

وعندما رأى (زينوفون) أن الأمور على الجانب الآخر تجري كما يرام، كر راجعاً بأسرع ما تمكن نحو ذلك الشطر من الجيش الذي قد عبر، إذ كان عليه كذلك أن يحسب للجبليين حساباً. وقد أتضح أنهم كانوا يهبطون نحو السهل بقصد الهجوم على المؤخرة. كان (خريسوفوس) الآن قد ضبط الأرض المرتفعة، و(ليسيوس) الذي قام بمحاولة التعقيب بصحبة أنفار قلائل، أسرَ بعض حيواناتهم الناقلة التي غادروها، وبعض الحلل الفاخرة،وكذلك بعض كؤوس الشرب. كان قطار الأمتعة اليوناني والحشد العام، في الحقيقة، منهمكين في العبور. إذ ذاك، استدار (زينوفون) برجاله، وأوقفهم في هيئة حربية إزاء الجبليين وأمر ضباط المئة بفرز مجموعاتهم الى فصائل، كل فصيل يضم خمسة وعشرين رجلا، وبجلب كل فصيل باتجاه الصف على اليسار: تم على ضباط المئة وآمري الفصائل أن يتقدموا سطر السكان، بينما كان على الذين في المؤخرة أن يقفوا مواجهين النهر.

وحالما لاحظ السكان أن الجنود في مؤخرة الزحام العام، أخذوا في التقلص وبدوا قِلة، شرعوا في التقدم أسرع من ذي قبل، منشدين أناشيدهم أثناء التقدم. غير أن (خريسوفوس) الذي كان قد أمَّن مركزه، أنجد (زينوفون) بالمشاة الخفيفة ورماة المقاليع والنبالة، وأمرهم أن يفعلوا ما أمروا به. فلما لمحهم (زينوفون) عابرين، أرسل مخبراً يعلمهم بعدم العبور، بل بالمكوث

على الضفة الأخرى : وعندما شرع رجـاله بالذات في الأجتياز ، كان عليهـم أن يخوضوا النهر على كل من طرفيهم ، وكأنهم قد عزموا على العبور الى الضـفة الأخرى ، ورماة الرماح بأسلحتهم بهيئة الأستعداد ، والنبالة بسهامهم المشـدودة الى أوتارها : غير أنه لم ينبغ عليهم التغلغل بعيداً في النهـر . كانت الأيعـازات التي زود بها رجـاله بالذات أنهـم عندما كانوا ضـمن مرمى مقـاليع الأعداء ، واستطاعوا سماع الأحجار تقرع الدروع ،كان ينبغي عليهم إنشاد نشـيد الوغى والهجوم ، وعندما انهزم العدو ، وصوت البوق للهجوم من النهـر ، وجـب على الأنفار في المؤخرة أن يستديروا نحـو اليمين وينطلقـوا أولا ، ثم يجـب عليهـم جميعاً الركض نحو النهر ، ليجتازوا بأسرع ما استطاعوا ، كل الى النقـطة التي تواجه موقعه بالذات ،كي لا يعرقلوا طريق بعضهم البعض : وأفضـلهم سـيكون من يبلغ الجانب الآخر أولاً .

فلاحـظ السكان آنذاك أنه لم يتبق الكثير من قافلة الأمتعـة ، إذ حتى الذين خصصوا للتخلف ، قد انطلقوا ليشـهدوا ما حـل بحيواناتهـم أو أمتعـتهم أو حظاياهم . نتيجة لذلك. تقدم السكان واثقين، وأخذوا يقذفون المقاليع والسهام . عندئذ أنشد اليونانيون نشيد الحـرب ، وتقـدموا نحـوهم ثنائياً . فلم يصـمد السكان تجاههم ، لأنهم ـ وإن كانوا مسلحين تسليحاً جيداً صـالحاً للكر والفـر السريعين في الجبال ـ لم يكن تسليحهم وافياً ليؤهلهم للصـمود في زخـم القتال المتلاحم . عند ذلك ، نفخ نافخ النفير نداء الهـجوم ، وفر العـدو سريعـاً ، بينما استدار اليونانيون وانهزموا عابرين النهر بما اسـتطاعوا من السرعة . فلاحـظ بعض الأعداء ذلك ، وكروا راجعـين نحـو النهـر حيث جـرحوا القليلين بسـهامهم ، لكن أغلبيتهـم بدت ما تزال راكنة الى الفـرار ، حتى عندما بلغ

اليونانيون الجانب الآخـر . إن فريق المدد ، رغبة في إظهـار بسـالته ، تغـلغل في الماء أبعد مما وجب ، وعاد عابِرا النهـر في أعقـاب فريق (زينوفون) . وقد كُلِمَ نفر ضئيل من هؤلاء الجند أيضاً .

الفصل الرابع
سلب معسكر تيريبازوس

بعد اجتيازهم النهر ، إصطفوا بانتظام حوالي الظهيرة ، وساروا داخل (أرمينيا) خمسة عشر ميلا على الأقل على بقعة منبسطة تماماً ذات اكمات بسيطة الانحدار . ونظراً للحروب بين الأرمن والأكراد ، لم تكن ثمة ضياع قرب النهر ، لكن القرية التي بلغوا في نهاية مسيرهم كانت واسعة ، تضم جوسقاً عائداً الى حاكم الولاية الفارسي ، وكانت اغلب البيوت مشيدة كالقلاع ، والمؤن وفيرة . وبعد مسيرة ثلاثين ميلاً ، في بحر يومين ، اجتازوا منابع نهر (دجلة) ، ومن هناك ساروا خمسة واربعين ميلاً في غضون ثلاثة ايام ، فوصلوا (تيليبواس)[1] وهو نهر رائق صغير حيث كانت بعض القرى القريبة . وهذا الشطر برمته يدعى (ارمينيا) الغربية . وحاكمها (تيريبازوس) ـ Tiribazus ـ الذي كان صديق العاهل الشخصي ، وفي حضوره لم يحق لغيره مساعدة العاهل في امتطاء جواده ، فتوجه الآن راكباً بصحبة حامية من الخيالة صوب الاغريق ، وانفذ ترجماناً ليخبر انه يبغي ان يحادث قادتهم . ففكر القادة ان من الأفضل ان يصغوا الى ما اعتزم ان يقول . فتقدموا نحو الامام حتى صاروا على مدى يستطيعون ضمنه السماع ، وسألوه عما اراد . فأجاب انه راغب في الاتفاق على شروط يتعهد هو بموجبها عدم الحاق الضرر بالأغريق ، كما يتعهد الاغريق بألا يضرموا النار في المنازل ، ولو اخذوا اية تجهيزات افتقروا اليها . فارتضى القادة ذلك ، وعقدوا معاهدة وفق هذه الشروط .

(١) Teleboas يُرجح انه احد روافد الفرات الاعلى .

بعدئذٍ، ساروا خمسة واربعين ميلاً خلال ثلاثة ايام على صيهب، فواكبهم (تيريبازوس) بقوته، والشقة بين الجيشين زهاء ميل واحد. فبلغوا اثناء المسير قصراً، تجاوره بعض القرى الحافلة بجميع اصناف المؤن. وعندما عسكروا هنا، انهمر ثلج غزير في المساء، فتقرر عند الفجر ان يتخذ الضباط مع جنودهم منازل منفصلة لهم في الضياع. ولم يبدُ الاعداء للعيان، وبان انه اجراء سليم بسبب كمية الثلج التي هطلت[٢]. في هذه المنازل، حصلوا على جميع صنوف الطعام اللذيذ، كاللحم والغلال والنبيذ المعتق ذي الاريج المنعش، والزبيب وكل انواع الخضر. غير ان بعض الجنود الذين تجولوا بعيداً عن المعسكر، افادوا انهم شاهدوا بجلاء اثناء الليل بعض نيران المعسكر[٣]. فقرر القادة حينذاك انه لا يؤمن على الجنود أن يكونوا في منازل منفصلة، وان على الجيش برمته ان يتجمع ثانية. ونتيجة لذلك، خيموا متلاصقين، كما لاح الطقس وكأنه آخذٌ في الصفاء. لكنهم إذ كانوا يمضون الليل هناك، هطل الثلج بكميات هائلة، حتى غطى الاسلحة والرجال الراقدين على الارض. كما ان حيوانات نقل الامتعة طمرت في الثلج. فأحس الجنود عجزاً بالغاً عن النهوض على اقدامهم، اذ ان الثلج الذي تناثر عليهم، بينما كانوا مضطجعين، ولم يُزَح عنهم، حافظ على دفئهم. لكن لما صارت لزينوفون عصلبية[٤] تمكنه من النهوض، والشروع في فلق جذوع الخشب دون ان يرتدي ملابسه، استيقظ غيره حالاً، واستلم منه عمل شق الاخشاب، ثم نهض آخرون، واوقدوا

(٢) المقصود بالاجراء السليم هنا هو لجوء الضباط والجنود الى المنازل.

(٣) المراد هنا معسكر (تيريبازوس).

(٤) عصلبية: تعني القوة والصلابة والشدة.

النيرانْ وتمسحوا بالدهان . لقد عثر على دهان وافر في هذا الموضع ، فاستعملوه بدلاً من زيت الزيتون . لقد رُكب من شحم الخنزير والسمسم واللوز المرّ والتربنتاين[٥] . كما عثر هنا على طلاء معطر معمول من نفس العناصر .

غبَّ العاصفة الثلجية ، تقرر مجدداً اتخاذ منازل متباعدة مغطاة ، فقصد الجنود ثانية البيوت ومخازن الطعام بكثير من الجلبة والهتافات . والذين تصرفوا كأفراد العصابات اثناء مغادرتهم المنازل واحرقوها ، وجب عليهم ان يؤدوا الثمن بحصولهم على منازل غير مريحة . وقد زود القادة (ديموقراطس) - Democrates - الذي من (تيمينوس)[٦] بمفرزة من الرجال ، وارسلوه ليلاً الى الجبال حيث شوهدت النيران من قبل الذين شطوا عن المعسكر . لقد تخيروه لانه سبق ان برّز في مناسبات اخرى بجلبه معلومات دقيقة بصدد مواضيع مماثلة . اذ عندما قال بوجود شيء ، كان ثمة بالفعل ، وعندما قال بعدم وجوده ، لم يكن فعلاً . فذهب الى الجبال ، وافاد انه لم يلمح اية شعاليل ، لكنه عاد بأسير مسلح بقوس فارسية وكنانة وفأس حربية نظير تلك التي تحملها «الضُهى المحاربات»[٧] . فاستُنطق ذلك الأسير بشأن الجهة التي اقبل منها ، فأفاد انه فارسي ، وقد أُوفِد من قبل جيش (تيريبازوس) بغية الحصول على الذخائر . ثم سألوه عن عدد الجيش وعن الغاية من تأليفه ، فأجاب ان (تيريبازوس) يملك

---

(٥) سائل زيتي عديم اللون قابل للاشتعال يستخلص بتقطير (التربنتاين) الذي هو مجموعة من أثمار مخروطية الشكل تثمرها بعض الاشجار ، وهو نافع لعلاج الم المفاصل (الروماتزم)

(٦) Temenus لم اعثر عليها في خريطة الموسوعة البريطانية .

(٧) Amazons جنس من المحاربات ، قال (هيرودوتس) المؤرخ بوجودهن في بلاد (سيثيا) الواقعة على الساحل الشمالي من البحر الاسود . واحدتهن (Amazon) مقطوعة النهد الأيمن كي لا يعيقها عن استعمال القوس . وقد صورها القاموس ، ماسكة بفأس ذات حدين ، وتقابلها الكلمة العربية (ضهياء) وهي المرأة التي لا نهد لها ولا لبن وفيها بعض صفات الرجولة وجمعها ضُهى .

قوة خاصة به من جنود مرتزقة من (الخاليبيين) و (التاوجيين) . وكانت خطته المبيتة ان يهاجم اليونانيين حال عبورهم الجبل في مجاز ضيق يعترض مسلكهم الممكن الوحيد .

وعندما وعوا ذلك ، عزم القادة على تجميع الجنود ثانية ، وتركوا حرساً بمعية (سوفانتيوس) ـ Sophanetus ـ الستيمفالي ، وأمّروه على المتخلفين ، وتوجهوا على الفور مع الرجل الأسير ليرشدهم الى الطريق . وبعد عبورهم الجبال ، انطلق المشاة من الصنف الخفيف نحو الامام ، وعندما رأوا معسكر العدو ، اطلقوا صرخةً ، وهجموا عليه دون ان ينتظروا المشاة من الصنف الثقيل . ولما سمع السكان الصوت ، لم يثبتوا بل ركنوا الى الفرار ، وبالرغم من ذلك ، قتل بعضهم ، وأسر حوالي عشرين جواداً ، كما سلبت خيمة (تيريبازوس) التي حوت بعض اسرة لجينية القوائم ، وأواني الشرب وبعض الرجال الذين قالوا انهم خبّازوه وحملة أكؤسه .

وحالما وقف قادة المشاة الثقيلة على ما وقع ، صمموا على العودة الى معسكرهم بالسرعة المستطاعة ، خشية الهجوم على الذين تخلفوا الى الوراء . لذا نفخوا في النفير ، داعين الرجال بالأوبة ، وساروا قاصدين معسكرهم في ذات اليوم .

الفصل الخامس
السير في الثلوج

في اليوم التالي ، اعتزموا وجوب الابتعاد بالسرعة الممكنة ، قبل ان يتاح للجيش الوطني(١) ان يتجمع ثانية ، ويحتل الممر . فحزموا حوائجهم في الحال ، وبعد ان استصحبوا جملة من المرشدين ، انطلقوا في السير بين الثلوج الكثيفة . في ذات اليوم، اجتازوا المرتفع حيث انتوى (تيريبازوس) الهجوم عليهم ، ثم ضربوا الخيام . من هنا ساروا مسافة خمسة واربعين ميلاً خلال ثلاثة ايام على صيهب ، فبلغوا نهر (الفرات) ، واجتازوه دون ان يبتلوا فوق حد سرّة البطن . وقيل ان منبع النهر ليس قصياً من هنا .

ثم مشوا ثلاثة ايام قاطعين خمسة واربعين ميلاً على دُلِصَة وبين ثلوج سميكة . وكان اليوم الثالث شاقاً ، تنفح الشمولُ وجوههم ، وتخرق كل شيء كالسكين ، وتجمد الاشخاص بقساوة . فاقترح احد العرّافين تقديم قربان للريح ، فنُفِّذ اقتراحه . فأجمع الكل ، بعد ذلك ، ان عنف الريح قد خفّ بصورة ملموسة . كان سمك الثلج ستة اقدام ، فهلك فيه العديد من الحيوانات والعبيد ، كما رَمَدَ* ثلاثون من الجنود تقريباً . ودامت نيرانهم موقَدة اثناء الليل بطوله ، اذ كان الحطب وفيراً حيث خيموا ، مع ان الذين وصلوا متأخرين ، لم يجدوا حطباً . ان السبّاقين في الوصول ، الذين اوقدوا النيران ، لم يسمحوا للمتأخرين بالدنو من شعاليلهم ، الا اذا منحوهم نصيباً من غلتهم او اية مادة

---

(١) المقصود هنا جيش (تيريبازوس) من الفرس والمرتزقة .

* هلك من البرد .

اخـرى من الزاد لديهـــم . فأشركَ كل فريق فريقـــاً آخـــر في ما ملك . وعندما اوقدت النيران ، تكونت اوجـار واسـعة بلغـت التربة من جـراء ذوبان الثلوج . وبذا اتيح للفرد سبر غور الثلج .

من هنا ، كانت مســيرة اليوم التالي بأسره بين الثلوج ، فقــاسى عدد من الجنود داء الذئب (الضور) . لقـد صـادف (زينوفون) بعض الرجـال المنهـارين حينما اقتاد المؤخرة ، فلم يفطن لعلّتهم . الا ان بعض الملمّين بذلك ، انبأوه انها حالة جلية من داء الذئب ، وانهـم لو اكلوا شـيئاً ، لاستطاعوا النهـوض على ارجلهــم . لذلك مضى بين قطار المتاع ، ووزع على المكابدين المأكولات التي عثر عليها ثَمَّ ، كما ارسل اليهم تجهـيزات اضـافية مع من اسـتطاع الجـري . وحالما اقتاتوا بما حصلوا عليه ، استقلوا ومضوا في السير .

في هذه المســيرة ، وعندما اوشـك هبوط الظلام ، بلغ (خــريسوفوس) قرية ، ووجد بحذاء البئر بعض النسوة والفتيات الخارجات من القـرية ازاء الحصـن ليمتَحّنَ الماء . فسـألن الأغريق : من يكونون ؟ فأجـابهن الترجمان بالفـارسية انهم في سبيلهم من العاهل نحو حاكم الولاية . فرد النسـوة انه ليس هناك ، بل يبعد زهاء ثلاثة اميال عن الموضع . وبما ان الوقت كان متأخراً ، دخلوا الحصن بصحبة حاملات الماء لمواجهة شـيخ القـرية . لذلك عسكر (خـريسوفوس) هناك مع اكبر عدد ممكن من الجنود ، لكن الجنود الآخــرين واولئك الذين لم يستطيعوا اتمام المسير ، امضوا الليلة دون زاد ونار ، فنفَـقَ بعضـهم اثناء ذلك . كما ان بعضَ الاعداء ، نظّموا انفسهم بهيئة عصابات ، وقبضوا على الحيوانات التي عجـزت عن اكمال الرحلة ، مقتتلين فيما بينهـم على البهـائم . ان الجنود الذين ما عادوا يستفيدون من عيونهم ، نتيجة العـمى الثلجـي ، او الذين بُترت اصابع اقدامهم من لسعات الصقيع ، قد أُهملوا .

كانت راحة للمقل من العمى الثلجي . إذا رفع الفرد حجاباً اسود امام ناظريه اثناء المسير ، وكان عوناً للقدمين اذا واصل الفرد الحركة ، ولم يتوقف عن المسير ، وخلع حذائيه في الليل . اذا رقد الفرد بحذائيه ، انغرزت الاسيار في اللحم ، والتصقت نعال الاحذية بالأقدام . وكان هذا اغلب عرضة للحدوث ، اذ عندما بليت احذيتهم القديمة،صنعوا بأنفسهم احذية غير مدبوغة من جلود الثيران المسلوخة حديثاً . وقد أهمِل بعض الجنود الذين كابدوا مثل هذه الآلام . لقد شاهدوا بقعة من الارض ، لاحت سوداء لانزياح الثلج عنها ، وخالوا ان الثلج ثَمَّ قد ذاب ، كما هو الواقع ، بفعل بركة يتصاعد منها بخار في غُور حَرِج[٢] مجاور . فعرّج الجنود على هذا الموضع ، وجلسوا هناك ، وأبوا متابعة السير ابعد من ذلك .

وحالما تناهى ذلك الى مسمع (زينوفون) الذي كان في المؤخرة ، التمسهم كي لا يتخلّفوا عن مواصلة السير ، مستعملاً كل وسائل الاقناع التي خطرت له . واخبرهم بوجود اعداد هائلة من العدو بشكل عصابات ، تجدّ في اعقاب المؤخرة ، حتى تملّكه الغضب اخيراً . فقالوا له ان يقتلهم على الفور ، اذ ما عادوا يستطيعون الانطلاق . في تلك الظروف ، بدا أفضل عمل يقام به ، إن امكن ، هو احلال الرعب بين الاعداء المتقدمين ، وبذا يتاح تحاشي وثوبهم على الجنود في حالتهم المنهكة . كانت الدُجنة مهيمنة آنئذ ، والعدو يُحدِث ضجيجاً كبيراً اثناء التقدم ، متشاجرين بينهم على الاسلاب التي غنموها . عندئذ ، اذ لم يفتأ افراد المؤخرة طليقي الأطراف ، وثبوا على العدو ، هاجمين بشكل ثنائي ، بينما صرخ المرضى بأعلى صوتهم ، وقرقعوا دروعهم بحرابهم . فداهم الهلَعُ

---

(٢) حَرِج : مكتظ بالشجر

الاعداء ، ورموا انفسهم في الغور الحَرِج ، ولم تُسمع منهم نأمه[٣] واحدة بعد ذلك . وأُخبِر المرضى من قِبَل (زينوفون) وجنوده ان مفرزة ستفد لأعانتهم في اليوم التالي ، ثم استأنفوا المسير . بيد أنهم ، قبل ان يمشوا زهاء نصف ميل ، صادفوا مزيداً من الجنود مستريحين على الطريق ، وقد كساهم الثلج ، دون خفارة . فأنهضهم رجال (زينوفون) ، لكنهم افادوا ان الجنود في المقدمة ما عادت تتقدم . اذ ذاك ، اجتازهم (زينوفون) ، وأوفد من المشاة الخفيفة انصحهم أجساماً للوقوف على ما قد اعاقهم عن المسير . فأفادوا ان الجيش برمّته قد أُخلد الى الراحة بهذا الاسلوب . فعيّن رجالُ (زينوفون) ما أمكن من الخفراء ، وانفقوا الليلة هناك دون نار وعشاء . وعندما اوشك النهار على الانفلاق ، أرسل (زينوفون) الى المرضى اصغر رجاله سناً ، وقد اوعز اليهم ان يُنهضوا المرضى ويرغموهم على المسير . حينذاك بعث (خريسوفوس) بمفرزة من جنوده في القرية ليستطلع ما الذي حدث لجنود المؤخرة . ففرح رجال (زينوفون) برؤيتهم ، وسلّموهم المرضى ليرافقوهم حتى المعسكر . ثم مضوا بأنفسهم ، وبعد مسيرة أقل من ميلين ، ادركوا القرية التي عسكر عندها (خريسوفوس) . فلما التأمت القوات آنئذ من جديد ، بدا من المأمون للجنود ان يتخذوا منازلهم في القرى . فمكث (خرينسوفوس) حيث كان ، وذهب الضباط الآخرون شطر القرى التي لاحت لمرآهم،كل واحد منهم بمعية رجاله نحو القرية التي لجأ اليها .

في هذه المناسبة ، طلب (بوليكراتس) - Polycrates - ضابط مئة آثيني - الذهاب بصورة مستقلة ، واستصحب معه اسرع الرجال جرياً ، وعدا نحو القرية التي خُصصت لزينوفون ، وادهش جميع القرويين وعمدتهم الذين كانوا

---

(٣) نأمة : صوت

ضمن الاسوار بمعية سبعة عشر مُهراً ، وقد خصصت هبة[٤] للعاهل ، وابنة العمدة التي كانت قد اقترنت قبل تسعة ايام فقط . وكان بعلها قد خرج لاقتناص الارانب ، فلم يُستاسر في القرية .

كانت الدور مشيدة تحت سطح الارض ، والمداخِل كالآبار ، لكنها تأخذ في الاتساع كلما انحدرت . وكانت ثَمَّ انفاق محفورة في الارض لأجل الحيوانات ، بينما يهبط الرجال بالسلالم . في داخل البيوت كانت أعنُز وخراف وابقار وطيور داجنة مع صغارها ، وهذه كلها كانت تقتات على الطعام المذخر داخل الدور . كما كان ثمة شعير وحنطة وفاصولياء ونبيذ الشعير (جِعَة)[٥] في دنان كبيرة ، وقد عامت حبوب الشعير عند فوهات الدنان بموازاة حافاتها ، وفي الدنان قصبات مختلفة الحجوم ، خالية من المفاصل . وكان للحرّان ان يتناول قصبة ويمتص الجعة في فمه . كانت جعة حادة ، إلا اذا مزجت بالماء : وعندما يألفها الفرد ، تغدو شراباً مُلِذاً جداً .

دعا (زينوفون) شيخَ القرية لتناول العشاء معه ، واخبره ان يكون سليم القلب ، اذ هو سوف لا يُجرَّد من اولاده ، وانه اذا اظهر نفسه قادراً على ان يسدي الى الجيش صنيعاً حتى وصولهم سبطاً آخر ، فانهم سيغمرون بيته بالمؤن عند مبارحتهم . فوعد بالتعاون واظهار نياته الحسنة ، ودلهم على مخابيء النبيذ . في تلك الليلة ، اقام الجنود قاطبة في القرى ، وناموا متناولين جميع اصناف الطعام المتوفرة حولهم ، وقد اقاموا الحراسة على شيخ القرية ، ووضعوا عيناً ساهرة على اطفاله .

---

(٤) Tribute : تعني هبة او اتاوة او جزية او خراج .

(٥) الكلمة بين قوسين زيادة من المعرب للأيضاح

في اليوم التالي، قام (زينوفون) بزيارة (خريسوفوس)، مستصحباً شيخ القرية، وكلما بلغ قرية، عرج عليها ليرى النازلين فيها، فألفاهم في كل الاماكن ملتذين، مرحين، ولم يسمحوا له بالانصراف قبل تزويده بشيء للفطور. وكانوا في كل الحالات، يملكون على ذات المائدة حَمَلاً وجدياً ولحم خنزير ولحم عجل ودجاج وارغفة من خبز الشعير والحنطة. وعندما شاء احدهم شرب نخب صديقه، سحبه الى دن وسيع، لينحني عليه، فيمتص الشراب كالثور. فدعوا عمدة القرية لتناول ما طاب له، لكنه ابى دعواتهم، واذا لمح اياً من ذويه استصحبهم معه.

وعندما بلغوا (خريسوفوس)، ألفوا رجاله على المائدة كذلك، وأكاليل العشب حول رؤوسهم، واولاد الارمن بأرديتهم المحلية، واقفين على خدمتهم، وقد افصحوا عن حاجاتهم بالاشارات وكأنهم صم بكم. وبعد ان حيّا احدهما الآخر، استفهم (خريسوفوس) و (زينوفون) سوية شيخ القرية، بوساطة ترجمان تكلم الفارسية، عن هذا الاقليم، فأجاب انه (ارمينيا). ثم سألاه عن الخيول، فأجاب انها جزية تُدفع الى العاهل، وافاد ان القطر المجاور هو بلاد (الخاليبيين)[٦]، ودلهم الى الطريق المؤدي اليها.

بعد ذلك، مضى (زينوفون) معيداً الشيخ الى ذويه، ورد اليه الحصان (المسن نوعاً ما) الذي كان قد أخذه، وأخبره بتسمينه وتضحيته، اذ نُهِيَ اليه انه قد كان مكرساً للشمس، فخشي ان ينفق، لأن الرحلة قد أضرت به. وقد أخذ بنفسه بعض المهور، وأعطى كل قائد وضابط مهراً. كانت الخيول في هذا

---

(٦) قوم قطنوا القسم الشمالي الشرقي من آسيا الصغرى، اشتهروا باشتغالهم في تعدين الحديد والفولاذ. والكلمة مشتقة من الاغريقية Chalybeia ومعناها الفولاذ.

الشطر من العالم، أصغر من الخيول الفارسية، لكنها أفضل بكثير من حيث تربيتها. لقد نصح الشيخُ اليونانيين بشد أكياس صغيرة حول قوائم الخيول وبهائم نقل الأمتعة، متما ارغمت على السير في الثلوج، اذ بدون هذه الاكياس، ركَسَت حتى بطونها.

الفصل السادس
السيطرة على ممر بمناورة

وعندما حل اليوم الثامن، دفع (زينوفون) شيخ القرية الى (خريسوفوس)، ليدل على الطريق، مخلفاً عائلته باسرها في القرية، عدا ابنه الذي كان لم يزل يشب عن الطوق. فتعهد (بليسشينيز) - Plisthenes - الأمفيبوليسي - الغلامَ بعنايته، والغاية من ذلك هي، اذا بان ان الاب دليل يُركَن اليه، حُقّ له اذ ذاك اخذ ولده ايضاً عندما يغادرهم. فجلبوا كل ما قدروا عليه من ذخائر الى بيت شيخ القرية، ثم حزموا مقتنياتهم ورحلوا.

لقد كان الشيخ طليقاً، وقادهم بين الثلوج. وبعد ان مطا[1] بهم ثلاثة ايام، غضب عليه (خريسوفوس) لعدم ايصالهم الى اية ضِيَع. فقال الرجل بعدم وجود اي منها في هذا الشطر من الاقليم. عندئذ ضربه (خريسوفوس)، لكنه لم يشد وثاقه. ونتيجة لذلك، فر اثناء الليل، تاركاً غلامه وراءه. ان هذا الأمر - اساءة معاملة الدليل وعدم اتخاذ الاحتياطات الكافية فيما بعد - كان الحادثة الوحيدة اثناء المسيرة، تشاجر فيها (خريسوفوس) و (زينوفون). وكان (بليسشينيز) مخلصاً للفتى، فاستصحبه الى الوطن والفاه رفيقاً اميناً للغاية.

ثم ساروا مدة سبعة ايام، قاطعين (١٥ ميلاً) كل يوم نحو نهر (فاسس)[2] الذي كان عرضه (١٠٠ ق)، ثم ساروا (٣٠ ميلاً) في يومين. وكان عند الممر،

---

(١) مطا بالقوم: مد بهم في السير.

(٢) Phasis: يلاحظ من خارطة الكتاب انه في اقصى الشمال الشرقي من آسيا الصغرى إذا تتبعنا خط الحملة في تراجعها. ولم يورده القاموس الذي في حوزتي.

المفضي الى سهل ، اقوام من (الخالبيين) و (التاوجيين) و (الفاسيين) تعترض سبيلهم. وعندما رأى (خريسوفوس) ان الاعداء يضبطون الممر ، توقف عند مسافة تنأى عنهم زهاء ثلاثة اميال ، وذلك بغية عدم التوجه اليهم بهيئة صفوف مستطيلة (رأسية)[٣]. وارسل الاوامر الى الضباط لجلب صفوفهم على جانبه كي يغدو الجيش باستقامة. وعندما اتخذت قوة المؤخرة موضعها ، دعا لاجتماع القادة وضباط المئة ، وتكلم على النحو التالي : «كما تلاحظون ، ان الاعداء مسيطرون على الممر الجبلي ، فينبغي الآن البت في النحو الأمثل للتصرف معه. ان اقتراحي ابلاغ الجنود بتناول وجبة الطعام ، وفي ذات الحين نقرر فيما اذا كان من الأفضل عبور الجبل اليوم او غداً».

فقال (كلينور) : «اعتقد ، من ناحية اخرى ، يتحتم علينا التأهب للمعركة وشن الغارة حالما نكون قد فرغنا من طعامنا. وعذري في ذلك اننا لو سمحنا بانصرام هذا اليوم ، لاكتسب الاعداء ـ الذين يراقبوننا الآن ـ جرأة ، ولو فعلوا ، لجازَ ان ينضمَّ اليهم آخرون بأعداد متزايدة».

ثم تكلم (زينوفون) ، قائلاً : «هذا رأيي : لو فُرِض علينا خوض معركة ما ، لوجب ان نرى كيف يتسنى لنا القتال بأقصى الكفاءة. لكن ان شئنا عبور الطود بأقل قدر من المشقة ، فعلينا حينئذ ، على ما اعتقد ، النظر في كيفية ضمان اقل ما يمكن من الاصابات المميتة والجارحة. ان الطود ، بقدر ما نستطيع ان نرى ، يُمطى[٤] لمسافة تنوف على ستة اميال ، لكن ـ خلا القسم الواقع في طريقنا ـ لا يبدو أثر لجنود متأهبين ضدنا في أي موضع. لذلك ، افضلُ خطّة

(٣) الكلمة بين القوسين زيادة من المعرب بقصد الايضاح.
(٤) يمتد.

هي ان نحاول لنبتزّ منهم شطراً من الطود الاعزل من الحماية، عندما لا يشهدون ذلك، والسيطرة عليه لو استطعنا عن طريق المبادرة بدل الاقتتال من اجل موقع منيع والاشتباك مع قوات متأهبة تترصّدنا. ان ارتقاء الجبل، دون اقتتال، لأسهل كثيراً من السير في السهل عندما يكون الفرد محاطاً بالأعداء من كل الجوانب، وان الفرد ليستطيع رؤية ما امام قدميه، عندما لا يكون محارباً، افضل مما في وضح النهار، وهو يقاتل: والارض الوعرة اسهل للقدمين، اذ كان الفرد غير محارب خلال المسير، مما لو تخطى سهلاً، والاسلحة تتطاير حول رأسه. لا اعتقد بأنه يتعذر علينا ان ننتزع منهم هذه الارض. نستطيع المضي في الدجى لتحاشي وقوع بصرهم علينا، ونتمكن ان ننأى عنهم الى حد لا نتيح لهم سماعَنا. واقترح اننا لو لجأنا الى الخدعة بالهجوم ها هنا، لألفينا ان المتبقـي من الطود اقل مناعة، اذ يُتَوقع ان يرابط العدو هنا في تراص اكثر. لكني لست ذلك الشخص الذي ينبغي له ان يتكلم بشأن السطو. ارجّح انكم الاسبرطيون، يا خريسوفوس، اعني صنف الضابط الحق، تدرسون كيف تسرقون منذ صباكم المبكر، وتحسبون ان الابتزاز ناء جداً عن كونه خِزياً حتى أنها لوجاهة حقيقية ان يُسرَقَ شيء لا يحرمه القانون. ولأجل ان تكونوا لصوصاً محنكين، وتهربوا بمسروقاتكم، فقد نص القانون على ان ينالكم الضرب لو قبض عليكم متلبّسين بالسرقة. لذا لديكم هنا فرصة نفيسة لتُظهروا كيف رُبّيتم، فتقوموا بوقايتنا من الضربات، وذلك بأن تضمنوا اننا لا نُمسَك متلبّسين بالسطو على شطرنا الجبلي»[٥].

(٥) يُستشف من كلام (زينوفون) روح المداعبة والهزل والمزاح التي عرفت عن الاثينيين وهم على طرفي نقيض مع الاسبرطيين في هذا المجال. لكن زميله (خريسوفوس) يقابله بالمثل بنفس الاسلوب ولو اعنف قليلاً كما يلاحظ من سياق رده الآتي.

فقال (خريسوفوس) : «حسناً . ان ما عرفت عنكم ، ايها الآثينيون ، انكم متفوقون في سلب مال الجمهور ، مع ان ذلك مجازفة كبيرة بالنسبة الى المقترف ، وأفضل رجالكم اعظم المهرة في ذلك ، اي اذا كان افضل رجالكم ،هم من يُعتبرون الطراز الملائم من الناس لاشغال مناصب الحكومة . لذا لديكم هنا ايضاً فرصة لتُظهروا الاسلوب الذي نشأتم عليه».

فقال (زينوفون) : «اذاً[٦] ، فانا على استعداد لاخذ قوة المؤخرة ، والمضي للسيطرة على الموقع بين الجبال ، بعد تناول وجبة طعامنا حالاً . لدي مرشدون جاهزون ، ذلك ان قواتي الخفيفة كمنتْ وأسَرَتْ انفاراً قلائل من المستوطنين الذين كانوا يقتفوننا لالتقاط ما قدروا عليه . وقد اعلموني كذلك ان عبور الجبال غير متعذر ، وهي تزوّد الأعنُزَ والماشية بالمرعى . لذلك ، متما استحوذنا على السلسلة ، أمكن ايجاد ممر ، تستطيع بهائم نقل الامتعة اجتيازه كذلك . كما اني لا اتوقع صعود الاعداء في موضعهم عندما يشاهدوننا مسيطرين على الذُرى ، واننا على ذات المستوى معهم : اذ هم لا يبدون الآن رغبة في الانحدار ليكونوا على مستوانا»: فقال (خريسوفوس) : «علامَ ينبغي ان تذهب فتترك قيادة المؤخّرة شاغرة ؟ سيكون من الافضل ارسال آخرين : هذا اذا لم يبرز جنود صالحون كمتطوعين».

---

(٦) يفضّل ابن قتيبة الكوفي الدينوري كتابة هذا الحرف على هذه الشاكلة بدلا من (إذن) وذلك كما ورد في كتابه (ادب الكاتب) - قسم تقويم اليد - اذ قال : «وتكتب (اذاً) بالألف ولا تكتبه بالنون ، لأن الوقف عليها بالألف ... وقال الفرّاء : ينبغي لمن نصب باذن الفعل المستقبل ان يكتبه بالنون ، فاذا توسطت الكلام ، وكانت لغواً ، كتبت بالألف . واحب الي ان تكتبها بالألف في كل حال ، لأن الوقوف عليها بالألف في كل حال». ص (٢٠٢) .

اذ ذاك ، تقدم (اريستونيموس) ـ Aristonymus ـ الذي من (مثيدريا) ـ قائد مشاة ثقيلة ـ و (اريستيس) ـ Aristeas ـ الذي من (خيوس) و (نيقوماخوس) ـ Nicomachus ـ الذي من (أويتا) ـ وهما قائدا مشاة خفيفة ، واتُفق على ان يوقدوا عدداً من الشعاليل حالما يضبطون المرتفعات . عند الفراغ من ذلك ، تناولوا زادهم ، وبعدئذ قاد (خريسوفوس) الجيش قدماً الى مسافة ميل شطر العدو ، ليوحي اليهم انه قد اعتزم الهجوم عند هذا الموضع .

وعندما فرغوا من تناول العشاء ، وسادت العتمة ، تحركت القوات المعيّنة للعملية ، وضبطت شعفة الجبل ، بينما استراح الآخرون حيث كانوا . وحالما ادرك الاعداء ان قد تم احتلال الذُرى ، باتوا في وضع الترقب ، فاوقدوا بعض الشعاليل خلال الليل . وعند انفلاق النهار ، قدم (خريسوفوس) القرابين ، وواصل التقدم على الطريق ، بينما شن الجنود ، الذين احتلوا القمة ، هجوماً على طول المرتفعات . فثبتّ اغلب الاعداء في موضعهم عند الممر ، لكن بعضهم مضى لمناوشة الجنود على القُنَن . بيد انه ، قبل ان تدانت الاقسام الرئيسية من بعضها ، كانت القوات على القمم منهمكة في العمليات . وكان اليونانيون فائزين ، مكتسحين العدو الى الخلف . في نفس اللحظة ، كان افراد المشاة الخفيفة من اليونانيين يتقدمون في السهل بشكل ثنائي باتجاه خط جبهة العدو . فجرى خلفهم (خريسوفوس) مع المشاة الثقيلة سريعاً . غير ان الاعداء الذين كانوا يخفرون الطريق ، لما رأوا تقهقر قواتهم في الاعالي ، ركنوا الى الفرار . ولم يُقتل منهم العديد ، بل أُخِذت اعداد هائلة من الدروع ، قطّعها اليونانيون بأسيافهم ، فأحالوها بذلك عديمة الجدوى . وعندما بلغوا القنّة ، قرّبوا الضحايا ، واقاموا نصباً تذكارياً للانتصار . ثم هبطوا الى الصيهب ، وحلّوا بين قرى حافلة بطعام طيّب وفير .

الفصل السابع
اليونانيون يلمحون البحر

أعقب ذلك، مسـيرة خمسـة ايام، قطعـوا خـلالها (٩٠ ميلاً) في اقليم (التاوجيين)، فأخذت المؤن تشح هنا. كان (التاوجيون) يعيشون خلف حصـون منيعة، تحوي ضمنها كل ميرتهم المدّخرة. فوصل اليونانيون احد هذه الحصون التي لم تلاصق بلدة او منازل، لكن حشداً هائلا من الرجـال والنسـاء، وقدراً كبيراً من الماشية قد تجمّع فيها. وحالما بلغ (خريسوفوس) الموقع، شن هجـوماً عليه. وعندما اعتور النَصَبُ الفريق الأول من المهاجمين، أُبدِل بفـريق آخـر، ثم بآخر؛ اذ كان من المتعـذر ان يحـاط المكان بكامل العـدد مجتمعـاً، وذلك لوجود وهدة حوله. وعند وصول (زينوفون) بقوة المؤخرة من الصـنفين المشـاة الخفيفـة والثقيلة، هتف (خـريسوفوس): «لقـد اتيتَ حيث احتيج اليك. لا مناص من اخـذ هذا الموضـع. ان اخفقنا في ذلك، فلن تكون ثمة مؤن للجيش».

ثم بحثا الوضع سويةً. وعندما استـفسر (زينوفون) عن العـائق الذي حـال دون نفوذهم، أجاب (خريسوفوس): «ان هذا المقْصِد، الذي ترى، هو السبيل الوحيد. لكن حينما يحاول الفرد الدخـولَ منه، يدحـرجون الاحجـار من تلك الصخرة المشرفة على الموقع. كل من تصيبه واحدة، ينتهي كهذا». وأشـار الى بعض الرجال الذي تكسـرت ارجلهم ولزائزهم[1]. فقـال زينوفون: «لكنهـم لما كانوا قد استعملوا الاحجار، فما الذي اعاقنا عن النفـوذ؟ نشاهد إزاءنا هذا

---

(١) اللزائز: عظام الصدر، اي الاضلاع.

النفر الضئيل من الرجال فحسب ، من ضمنهم لا أكثر من اثنين او ثلاثة مدججين . وكما تستطيع ان تلاحظ بنفسك ، ان قطعة الأرض ، حيث نُضطرّ الى التعرض للاحجار اثناء مرورنا عليها ، تبلغ زهاء (١٥٠ ق) في الطول ، منه قرابة (١٠٠ ق) مكسوة بأشجار الصنوبر الضخمة ، تفصلها مسافات . إذا لجأ الرجال اليها ليحتموا بسيقانها ، فما هو الضرر الذي سيلحقهم ، سواء من الاحجار المدحرجة او الطائرة في الفضاء ؟ فكل المتبقي (٥٠ ق) حيث ينبغي ان نعدو عندما تكف الاحجار عن القدوم الينا» . فقال (خريسوفوس) : «لكن حالما نشرع في التقدم نحو الشطر الملتخ[٢] ، تتقاذف الاحجار علينا باعداد جسيمة» . فقال (زينوفون) : «هذا ما نروم بالذات . انهم بذلك سرعان ما يفقدون احجارهم . اذاً ، فلنتقدم الى النقطة التي لا يتحتم علينا ان نجري منها طويلاً نحو الامام ، إذا كنا سنفعل ذلك ، والتي منها نستطيع التراجع ان شئنا» .

ثم تقدم (خريسوفوس) و (زينوفون) نحو الامام ، يصحبهما احد ضباط المئة (كاليماخوس) ـ Callimachus ـ (البرهاسي) ، إذ اتُفِق أن كان ذلك اليوم رئيس ضباط المئة ضمن قوة المؤخرة . فتخلف ضباط المئة الآخرون في مأمن . بعدئذ ، وصل ما يقرب من سبعين رجلاً تحت ستار الاشجار ، لا دفعة واحدة ، بل فرداً فرداً ، وقد احتاط كل لنفسه على احسن ما استطاع . كان (أجاسياس) ـ Agasias ـ (الستيمفالوسي) و (اريستونيموس) ـ Aristonymus ـ (المثيدري) ـ وهما كذلك ضابطا مئة في المؤخرة ـ واقفين بمنأى عن الاشجار مع آخرين ، إذ لم يكن من المأمون لأكثر من فصيل واحد الوقوف فيما بينها .

---

(٢) مُلتَخ : مكسو او مغطى بالشجر .

كانت لدى (كاليماخوس) خطة حسنة ، اذ ظل يعدو قدماً مرحلتين او ثلاث مراحل من الشجرة التي كانت تصونه ، وعندما تهاوت.عليه الاحجار ، انسحب الى الوراء بخفة . وكلما تقدم ، أُطلقت احجار تملأ اكثر من عشر عربات . فرأى (اجاسياس) ان الجيش برّمته يرقب عمل (كاليماخوس) ، وخشي أنه لن يكون اول من يخترق الحصن ، فمن غير دعوة (ارستونيموس) للنجدة ، وقد كان بجواره ، او (يوريلوخوس) ـ Eurylochus ـ (اللوسي) مع انهما صديقاه ، انطلق بمفرده نحو الامام ، وأضحى في مقدمة الجميع . وعند لمح (كاليماخوس) أنه يجتازه ، أمسكه من درعه . في نفس الوقت ، اجتازهما (أريستونيموس المثيدري) ، وبعدهما (يوريلوخوس اللوسي) . كل هؤلاء كانوا ينافسون بعضهم بعضاً بِحدّة في اتيان الأعمال البطولية ، وهكذا وهم يتنازعون فيما بينهم ، احتلّوا الموضع . اذ حالما نفذوا الى الداخل ، انقطعت الأحجار عن السقوط عليهم من الأعلى .

ثم كان هنالك منظر فظيعٌ حقاً : القت النسوة اطفالهن من فوق الصخور ، ثم رمين ذواتهن بعدهم ، وكذلك فعل الرجال . وعندما كان ذلك جارياً ، لمح (آينيس) ـ Aeneas ـ (الستيمفالوسي) ـ وهو ضابط مئة ـ أحدَهم ، وكان مرتدياً حلة فاخرة ، يعدو ليرمي نفسه نحو الاسفل ، فأمسك به لايقافه ، لكن الرجل جرّه معه ، فتدحرجا على الصخور ، ولقيا مصرعهما . وعليه ، قُبض على عدد ضئيل جداً من الاسرى ، لكن كان ثمة ثَلّة[3] من الثيران والحمير والخراف .

---

(٣) ثلة (بفتح الثاء) : جماعة الغنم الكثيرة وما ماثلها . واذا ضمت ثاؤها عنت جماعة الناس .

بعد ذلك، تلت مسيرة (١٥٠ ميلاً) في غضــون ســبعة أيام خــلال صــقع (الخاليبيين). كان هؤلاء القوم اشد الأقوام الذين صادفوهم مراساً في الحرب، وقاتلوا اليونانيين متلاحمين. وكانوا يرتدون الدروع الكتّانية التي تبلغ حــد الحقوين، وبدلا من الاطـواق لدروعهـم، لبسـوا حبالا ســميكة مفتولة، كما ارتدوا الخـُوَذ والدروع لوقاية السيقان، وحملوا على احـزمتهم مدية بحجـم الخنجر الاسپرطي تقـريباً. بهـذه المدى، اقتطعـوا بلاعيم الذين قهـروهم، ثم حزّوا رؤوسـهم، وحملوها في سـيرهم، وهم يَهـزجون ويرقصــون حيثما تيسر لاعدائهـم أن يروهم. كما حملوا رمحـاً بنبلة واحـدة، طـوله زهاء (٢٠ ق). فكانوا يكمنون في أماكنهم، وعندما تعدّاهم اليونانيون، لاحقوهم وهم على أهبة القتال في كل حين. كانت منازلهم في مواقع منيعـة، وقد اجتلبوا كل ذخـائرهم داخل الحصون؛ ونتيجـة لذلك، لم يسـتطع اليونانيون أخـذ أي شيء منهــم، لكنهم اقتاتوا على المؤن التي معدوها[٤] من (التاوجيين).

بعدئذٍ، وصــل اليونانيون نهــر (هارپاســوس)[٥] الذي بلغ من العــرض (٤٠٠ ق). ثم اجتازوا منطقة (سيثني)[٦]، قاطعين (٦٠ ميلاً) في غضــون اربعـة ايام، في صـيهب، حتى بلغـوا بعض الضـياع حيث لذبوا[٧] ثلاثة ايام، فزوّدوا مجدداً موجوداتهم من الميرة. وبعـد مسـيرة (٦٠ ميلاً) في اربعـة ايام، جــاءوا مدينة واســعة غنية مأهولة تدعى (جيمنياس)[٨]. وقد اوفد حــاكم الأقليم الى

---

(٤) مَعَدَ: إختلس او سلب او جرّد.

(٥) ـ Harpasus هو النهر الذي يخترق جبال قفقاسيا في تركيا ويصب في البحر الاسود.

(٦) Scytheni: هي بلاد (سينيا) بمحاذاة البحر الاسود قديماً وقفقاسيا الغربية حالياً.

(٧) لَذَبَ: أقام بالمكان او لبث.

(٨) Gymnias لم اعثر على ما يدل على موقعها الحالي، لكن يبدو من خـريطة الكتاب انهـا قريبة من مدينة (طرابزون) الحالية على البحر الاسود.

اليونانيين دليلاً من هذه المدينة بقصد ان يقودهم الى بلاد هي في خصام مع قومه. وعندما وصل الدليل، افاد انه ـ خلال خمسة ايام ـ سيأخذهم الى موضع يستطيعون منه رؤية البحر، وقال انه مستعد للموت ان اخفق في ذلك. فقادهم في الطريق، وعندما اجتازوا اقليمه الى تخوم الصقع المعادي، حثهم على احراق واتلاف الأرض، وبذا كشف بجلاء انه قد أتاهم لهذا الغرض، وليس بباعث من حسن النية تجاه الأغريق.

وفي اليوم الخامس، أدركوا الطود المسمى (ثيكس)، ولما بلغ رجال المقدمة ذؤابته[٩]، وأبصروا البحر، كانت ثَمّةَ صرخة عظيمة. فبلغت سمع (زينوفون) وقوة المؤخرة، وحسبوا أن مزيداً من الاعداء كانوا يداهمون المقدمة، اذ أنهم قد نهبوا بعض السكان الاصليين أثناء تعقيبهم، وقد فتكت المؤخرة ببعضهم، وأسرت آخرين في كمين نُصب لهم، وغنموا ما يقرب من عشرين ترساً مصنوعاً من جلود الثيران المسلوخة حديثاً، والشعر مازال عليها. لكن عندما شرع الصراخ في الارتفاع، وأخذ بالتداني، وظفق المتقدمون يركضون باستمرار صوب الرجال الأماميين الذين مابرحوا يصرخون، وكلما ازدادوا عدداً ازدادوا صياحاً، لاح آنذاك أن الأمر على قدر وافر من الأهمية. فامتطى (زينوفون) جواده، مستصحباً (ليسوس) ـ Lycus ـ والفرسان، وجرى نحو الأمام ليمدهم بالأسناد، فما عتموا أن سمعوا الجنود يصيحون: «البحر! البحر!» ويبلّغون النبأ مَن دونهم. ثم أخذوا جميعاً يهرولون: المؤخرة وسائر الجيش، ودفعوا حيوانات نقل الأمتعة والخيول بأقصى السرعة. وعندما بلغوا القمة جميعاً، عانق الجنود بعضهم بعضاً وقادتهم وضباطهم، والعبرات في

(٩) ذؤابة الجبل: ذروته.

آماقهم. وفي لحظة، عملاً باقتراح البعض، جمعوا أحجاراً، وألّفوا منها كومة هائلة، وركزوا على ذروتها كثيراً من جلود الثيران المسلوخة حديثاً، والهراوات والتروس التي اغتنموا. لقد مزّق الدليل الترسَ بنفسه أوصالاً، وحثّ الآخرين على أن يحذوا حذوه كذلك. بعدئذٍ، أعاد اليونانيون الدليل، ومنحوه ـ كهبات من موجوداتهم ـ حصاناً وكأساً لجينية وحلّة فارسية وعشرة جنيهات. لقد رغب خصوصاً في الخواتم التي كانت لدى الجنود، وقد نال جملة منها. ودلّهم على قرية حيث يستطيعون أن يعسكروا، وأشار اليهم نحوالسبيل الذي ينبغي أن يسلكوا لبلوغ اقليم (الماكرونيين)[١٠]، وكان المساء قد جن آنذاك، فانطلق عائداً يظعن ليلاً.

---

(١٠) Macrones : لم اعثر على ما يدل عليهم. ويرجّح ان اصل الكلمة من الاغريقية Makros التي تعني: الطويل، الواسع او الضخم.

الفصل الثامن
اليونانيون يصلون طرابزوس[1]

ثم سار الاغريق ثلاثة ايام، قطعوا خلالها (٣٠ ميلاً) في بلاد (الماكرونيين). في اليوم الأول، بلغوا النهر الذي يشكل حداً بين صقع (الماكرونيين) واقليم (سيثيا). على يمينهم، كان ثمة موضع منيع، بدا عصيباً جداً، وكان على شمالهم نهر آخر، يصبّ فيه النهر المؤلف حداً فاصلاً، وجب عليهم اجتيازه. كانت ضفتا النهر ملتختين، واشجارهما مكتظة الا انها ليست ضخمة. فعندما بلغها اليونانيون، أخذوا في بترها، رغبة في الانطلاق من الموضع بأسرع ما استطاعوا. كان (الماكرونيون)، وهم مدججون بالتروس والحراب ومرتدون أردية شعرية[2]، قد اصطفوا في نظام حربي ازاء موضع العبور. فاستمروا يتنادون بينهم، ويقذفون الاحجار التي تساقطت في النهر، دون ان تصيب، لعدم بلوغها الضفة الأخرى.

إذ ذاك، تقدم نحو (زينوفون) احد مشاة الصنف الخفيف، وافاد انه قد كان مملوكاً في (آثينا)، وانه يفقه لغة هؤلاء القوم، وقال: «في الحقيقة، اعتقد ان هذا موطني. إذا لم يكن ثمة مانع، فأرغب في التحدث اليهم». فقال زينوفون: «لا مانع من ذلك البتة. حدثهم واستفسر، قبل كل شيء، من يكونون». فاستفهم ذلك، وأجابوا أنهم (ماكرونيون). فقال (زينوفون): «والآن استفهمهم

---

(١) Trapezus: هي مدينة (طرابزون) الحالية في تركيا على ساحل البحر الاسود.
(٢) Hair Tunics: هي اردية او جلابيب يغلب صنعها من شعر الماعز او ما شابه.

علامَ قد وقفوا حيالنا لاعتراض سبيلنا ، ولماذا يبغون ان يكونوا خصومنا .» فردوا على هذا : «لأنكم انتم الذين تغزون بلادنا .» عندئذٍ اخبر القادة الرجلَ بأن يقول : «لم نأتِ بأية نوايا عدائية . لقد كنا محتربين مع العاهل ، ونحن الآن عائدون الى اليونان ، ونروم بلوغ البحر .» فسأل (الماكرونيون) ان كان الأغريق سيقطعون عهداً ، وانهم جادون في قولهم . فأجابوا انهم يودون اعطاء واخذ العهود . عندئذٍ قدّم (الماكرونيون) حربة قومية ، واعطاهم اليونانيون حربة اغريقية ، اذ قالوا ان هذا هو التعهد المألوف . ودعا الجانبان الآلهة لتشهد الأتفاق .

وبعد تبادل العهود حالا ، اعان (الماكرونيون) اليونانيين على بتر الاشجار ، وشقّوا لهم السبيل كي يساعدوهم في العبور . فامتزجوا مع اليونانيين بسهولة ، واتاحوا لهم المجالات لابتياع الطعام ، على افضل وجه استطاعوه ، وقادوهم عبر بلادهم لمدة ثلاثة ايام ، حتى اتوا بهم الحدود (الكولچيّة)[٣] . لقد كانت هنا جبال خفيفة الانحدار ، رغم كونها شاهقة ، وكان (الكولجيون) في استعداد حربي على الجبال . في بادىء الأمر ، اصطف الاغريق تجاههم في خط جبهوي بقصد التقدم نحو الجبل على تلك الهيئة ، لكن اخيراً ، صمم القادة على الاجتماع والتشاور في الطريقة المثلى لشن الهجوم . حينذاك اعرب (زينوفون) عن رأيه بأفضلية تشتيت تشكيلهم الحالي ، والتقدم بصفوف رأسية (عمودية)[٤] وقال : «ان الخط سيفقد تماسكه مباشرة ، ما زلنا سنجد بعض اجزاء الطود

---

(٣) Colchian : نسبة الى بلاد الكولخيين (Colchis) الواقعة شرقي البحر الاسود بين جبال قفقاسيا وارمينيا وهي الآن ضمن حدود (جورجيا) .

(٤) الكلمة بين قوسين زيادة على الاصل لاجل الايضاح ـ اي ليس افقياً .

يسيرة الارتقاء وبعضها عسيرة . مما سيحمل الرجالَ على فقدان رباطة جـأشهم حالاً ، هو ان يروا الخط ممزقاً ، غِبَّ ان كانوا في صف جبهوي . ثم اذا تقدمنا افقياً لعمق عدة صفوف ، فسـيكون للعـدو رجـال على جناحينا ، يسـتطيع استخدامهم كيفما أَنَص[5] . ومن الناحية الاخرى ، لو تقدمنا افقياً لعمق صفوف قليلة ، فليس غريباً ان يُخـرق صـفنا باعداد هائلة من المقـذوفات والرجـال ، تتهاوى علينا سوية . وإن حدث هذا في اي موضع ، فالخط باجمعه سيقاسي من جرائه . كلا ، اني اقترح ان نتهيأ بالفصائل في خطوط رأسيةً ، تفصلها مسافات لتغطية الارض بنحو يجعـل الفصـائل عند اقصى الطرفين ابعـد من جناحـي العدو . بتبنّي هذه الخطة ، سيخرج جناحنا عن مدى خـط العـدو ، وفي تقـدمنا بهيئة صفوف رأسية ، سيكون اشجع رجـالنا هم الاوائل في مناوصـة[6] العـدو ، وكل ضابط سيقتار فصيله في ايسر مسلك . اما الابعاد بين الصفوف الرأسـية ، فليس من السهولة ان يتسلل اليها العدو عندما تكون هنالك فصائل على ميمنته وميسرته ، وليس من الهيّن ان يُخـرق الفصـيل الزاحف بصـفوف رأسـية . إن اضحى اي فصيل في ظـروف عصـيبة ، فادنى فصـيل اليه سـيعضده ، وحيثما تسنى لأي فصـيل بلوغ الذروة ، فثقـوا ان فرداً من العـدو لن يلازم موقعـه مطلقاً» .

فتمّ الاتفاق على هذه الخطة ، والّفـوا الفصـائل في صـفوف رأسـية ، ومضى (زينوفون) راكباً من الميمنة حتى الميسرة ، وقال للجنود : «زملائي ، ان هؤلاء القوم الذين ترون ، هم العقبة الأخيرة التي تعـيقنا عن بلوغ ما ناضـلنا من اجله طويلاً . يلزم ، إنْ تمكنا ، التهامهم احياءً» .

---

(٥) انص من الفعل (ناص ينوص) : اراد او شاء .

(٦) مناوشة

ولما اتخذ كل فرد موضعه ، وشكلوا الفصائل ، صار ثمة ما يقرب من ثمانين فصيلاً من المشاة الثقيلة ، كل فصيل زهاء مئة مقاتل . وشكلوا المشاة الخفيفة والنبّالة في ثلاث كتائب ، واحدة خلف الميسرة ، واخرى وراء الميمنة ، والثالثة في القلب ، كل كتيبة تعدّ زهاء ستمئة محارب . ثم أُصدر الايعاز الى الجنود بتقديم النذور وانشاد نشيد القتال . وعندما تم ذلك ، تقدموا . كان (خريسوفوس) و (زينوفون) ، بمعية المشاة الخفيفة التابعة لهما ، يتقدمان خارج نطاق جناحي خط العدو ، وعندما لاحظ الاعداء ذلك ، خفّوا لملاقاتهم ، بعضهم يميناً ، وبعضهم شمالاً ، وفقدوا تماسكهم ، مخلفين ثغرة وسيعة في قلب جبهتهم . فحسب افراد المشاة الخفيفة من الفرقة (الاركادية) ـ بقيادة (اسخينيس) ـ Aeschines ـ الذي من (أكارنانيا)(٧) ـ أن الاعداء قد لاذوا بالفرار ، فاطلقوا صيحة المعركة وتقدموا بشكل ثنائي ، فكانوا اول الذين بلغوا ذؤابة الجبل ، ووصل بعدهم افراد المشاة الخفيفة (الاركادية) بقيادة (كلينور) الذي من (اورخومينوس)(٨) . وحالما شنوا الغارة اخفق الاعداء في الصمود ، وركنوا الى الفرار بصورة مختلّة .

ارتقى اليونانيون الطود ، وعسكروا في طائفة من القرى الحافلة بالقوت . ولم يكن ثمة ما يميزها الا وجود اعداد هائلة من خلايا النحل ، وكل الجنود الذين تناولوا الشهد ، فقدوا رشدهم واصيبوا بالقيء والاسهال ، وعجزوا عن النهوض منتصبين . وبات الذين اكلوا منه قليلا كالسكارى ، اما الذين تناولوا

---

(٧) Acarnania : محافظة اغريقية قديماً ، وسكانها يعدون حالياً زهاء مئتي الف نسمة .

(٨) Orchomenus : مدينة الى الشمال الشرقي من مدينة (دلفي) وارجح انها في (اركاديا) لان (كلينور) المذكور هو من اصل اركادي .

منه كثيراً،فغدوا كالمجاذيب . وقضى بعضهم فعلاً . لذلك ، اضطجع بعضـهم على الأرض ، كأنهم في اعقاب اندحار ، وسادت حال عامة من القنوط . بيد انهم في اليوم التالي ، نشطوا جميعاً ، وآبوا الى رشدهم حوالي ذات الساعة التي تناولوا فيهـا العسـل من اليوم المنصرم . وفي اليومين الثالث والرابع ، اسـتطاعوا النهوض ، وشعروا تماماً كما لو أنهم قد تناولوا دواءً .

وبعد مسيرة (٢١ ميلاً) في يومين من هنا ، وصلوا (طـرابزوس) على سـاحل البحـر ، وهي مدينة مأهولة إغريقية على (اليوكسـين)[٩] ، وهي مسـتعمرة لـ (سينوب)[١٠] في منطقـة (كولجيّة) . فمكثوا هنا مخيمين في القـرى (الكولجية) حوالي ثلاثين يوماً وبينما كانت هذه القـرى كقـاعدة لهـم ، انتهـبوا بلاد (الكولجيين) . لقد زَوّد شعب (طرابزوس) اليونانيين بتسهيلات لشراء الطعـام ، واعطوهم هبات من الثيران والشـعير والنبيذ . كما تفـاوضوا معـهم ، نيابة عن (الكولجيين) بجوارهم ، وخاصة اولئك الذين قطنوا الصيهب . ووصـلت منهـم منح من الثيران كذلك .

بعدئذٍ ، تهيأ اليونانيون لتقديم القـرابين التي نذروا . فقـد حصـلوا على عدد وافٍ من الماشـية ليتمكنوا من التضـحية لزيوس المنقـذ و (هِرقل) للأرشـاد المأمون ، ولتقديم الضـحايا التي نذروا للآلهـة الأخـرى . كما اقاموا الالعـاب الرياضـية على الطوذ الذي خيموا عليه . فانتخبوا (دراكونتيوس) ـ Dracontius ـ الأسبرطي ، منظّماً ورئيساً للالعـاب ، وهو منفـي عن موطنه منذ عهد الصبا لقتله صبياً بخنجر دون تعمّد .

---

(٩) Euxine الاسم القديم للبحر الاسود .

(١٠) Sinope : مدينة على البحر الاسود ما زالت قائمة حتى اليوم في تركيا بنفس الاسم .

وعندما تمت التضحية ، اعطوا (دراكونتيوس) الجلود ، وقالوا له أن يقـودهم الى الموضـع الذي ارتأى ان يكون ميدان الألعـاب . إذ ذاك ، اشـار الى الأرض حيث كانوا واقفين بالفعـل ، وقال : «إن هذه الأكمة موضـع ممتاز للركض ، انى أنض الفرد» .

فسألوه : «لكن ، كيف يتسنى للناس ان يتصـارعوا على ارض جدّ صـلبة وخشنة ؟» فرد على ذلك : «انها سـيئة جـداً بالنسـبة الى الرجـل المجلوء»[11]. فتبارى الصـبيان ، واغلبهـم من الاسرى ، في مضـمار الركض القصـير ، وعدا اكثر من ستين رجلاً كريتياً في سباق الشـوط الطويل . كما أُجـريت المصـارعة والملاكمة ، فكانت مباراة بذيعة للغاية ، اذ كان ثمة العـديد من المسـهمين في كل لعبة ، وبما ان رفاقهم من المتفرجين ، كانت المنازلة حـادة . كما أُجـري سباق الجياد ، فتحتم عليهم ان يقفزوا نحـو ارض عميقـة منحـدرة ، ويهـبطوا الى البحر ، ثم ينطلقوا راكبين ثانية صوب المذبح . وعند نزولهم ، اصـاب معـظمَهم تزحزح تام ، وفي طريق ارتقائهم ، إذ كانت الارض شديدة الانحدار ، صـار من العسير على الخيول ان تستمر في جَريها . لذا كان ثمة كثير من صخب وقهـقهة واناس يُطلقون صيحات التشجيع .

---

(١١) مجلوء : مرمي ارضاً . جلأهُ : صرعه ورماه ارضاً .

القسم الخامس
السير الى پافلاجونيا

الفصل الأول

(خريسوفوس) ينطلق لاستحصال السفن

بعد ذلك، تربّبوا[1] للتداول في ما تبقى من رحلتهم. فنهض (ليون) - Leon - الذي من (ثوري)[2] - أولا، وتكلم قائلا: «أصالة عن نفسي، أيها الجنود، قد اعتراني الأجهاد من جرّاء حزم الأمتعة والسير والجري وحمل الأسلحة والمشي في الصفوف، والأستمرار في الخفارة والقتال. إن ما أروم الآن هو الاستراحة من كل ذلك، وما دمنا قد أشرفنا على البحر، فأودّ الأبحار في ماتبقى من الطريق، وبذا أعود الى اليونان مستلقياً على ظهر السفينة باستكانة، نظير (أودسيوس)[3].

وعندما وعوا ذلك، صاح الجنود مؤيدين كلامه، ونهض رجل آخر، وتكلم بنفس المعنى، وهكذا فعل كل فرد هناك. ثم قام (خريسوفوس)، وتكلم قائلا: «أيها الجنود: إن (أناكسيبيوس) Anaxibius - صديقي، وهو آمر اسطول. لذا إن تخوّلوني بالذهاب إليه، أعتقد واثقاً أني سأعود بزوارق ووسائل نقل لتحملنا. فما دمتم ترغبون في الأنطلاق بحراً، فانتظروا هنا حتى أعود. سأرجع سريعاً.» وعندما سمعوا ذلك، غدا الجنود مبتهجين، وأجمعوا على وجوب المخور بأسرع ما استطاعوا.

---

(١) تجمعوا.

(٢) - Thurii : مدينة قرب (تورنتو) الحالية في إيطاليا.

(٣) ورد هذا العلم في الأساطير الأغريقية كعاهل (إيثاكا) وقد أسهم في حروب طروادة. وتؤلف أسفاره وجولاته موضوع (الأوديسّا) لهوميروس.

ثم وقف (زينوفون)، وتكلم كما يلي: «إن خـريسوفوس موفد لجلب مراكب، وسنلبث هنا بانتظاره. والآن سأعرب عما أحسب من الواجب علينا فعله أثناء مكوثنا هنا. القضية الأولى هي وجوب حصولنا على الميرة من بلد معادٍ، إذ ليس في السوق كفاية من القوت، كما أننا ـ خلا القليلين ـ لا نملك ما يفي من المال لابتياع ما يوجد. إن الأقليم الذي يحيطنا معـاد، لذلك إن أجريتم التموين بتسيّب ودون تنظيم، فثمة خطر فقداننا العديد من الرجال. لذا أعتقد بوجوب ذهابكم بمفارز متعاقبة لاستحصال المؤن، وألا تطوفوا هنا وهناك، إلا بمعية مفارز، وأننا ـ نحن الضباط ـ يتحتم أن نكون مسؤولين عن ذلك.»

فأقرّوا هذا الأقتراح، وتابع (زينوفون) كلامه: «والآن، أصيخوا رجاءً الى هذه القضايا التالية. بعضكم سيمضي في حملات للسلب. أعتقد أن الأفضل للراغبين في الذهاب لهذا الغرض أن يعلمونا مسبقاً، ويخبرونا بالناحية التي يقصدون، كي نعلم عدد الذين خارج المعسكر، وعدد الذين داخله، ونتخذ التدابير الموجبه؛ وعندما يستوجب الأمر إرسالَ النجدات المعززة، نتمكن من معرفة الجهة التي ينبغي أن ترسل إليها؛ وإذا كان بعض الجنود من قليلي المراس نوعاً ما، قد عزموا على الهجوم على أية ناحية معينة، تمكنا من تزويدهم بالمشورة، وحاولنا معرفة قوة الخصم التي يغيرون عليها.»

وتُبُنِّيَ هذا الأقتراح كذلك، وقال (زينوفون): «والآن يجب اعتبار هذا أيضاً. ستسنح للعدو فرص ليسرقنا، وطبيعي جداً لديه أن يتآمر علينا، إذ أننا نحوز مقتنياته. علاوة على ذلك، في الواقع، يُشرِف الأعداء علينا. لذا أعتقد من المحتم أن تقام الخفارة حول المعسكر. وعليه، إذا قمنا بالرقابة والخفارة مناوبة، فلن تتسنى للعدو نفس الفرصة لأخذنا على حين غرّة. وثمة مسألة

أخرى . لو كنا متأكدين تماماً من أوبة (خريسوفوس) إلينا بعدد واف من السفن ، فليس ما يستوجب الأفصاح عما سأقول . لكن ، بما أن هذا غير مؤكد ،أحسب أنه ينبغي علينا محاولة تزويد أنفسنا بسفن من هذا الموضع أيضاً . فإن يُعدّ بسفن ، فسيكون إبحارنا أفضل كثيراً لو سبق أن أمّنّا عدداً منها لدينا هنا . وإن يخفق في جلب أي منها ، نستطع الانتفاع بما نملك هنا . ألاحظ أن السفن غالباً ما تجتازنا ماخرة ، ولو سألنا سكان (طرابزوس) إمدادنا بالسفن الحربية وجلبها الى الساحل وتجريدها من السكانات[4] ، ووضعها تحت الحراسة حتى يتوفر لدينا ما يكفي لأعادتنا الى الوطن ، فأتصور آنذاك أننا لن نواجه عسراً بصدد النوع الملائم من المواصلات .»

واتُفِق على هذا الأقتراح أيضاً ، وقال (زينوفون) : « ثم تأملوا إذا لم يكن صحيحاً أن نمدّ النوتية الذين نجتلبهم الى هنا بمالنا المشترك ، طالما مكثوا هنا حيناً لصالحنا ، ونتفق بشأن نفقات السفر ، إذ ماداموا قائمين تجاهنا بصنيع ، فلنا أن نفعل من أجلهم صنيعاً كذلك .»

وأُخِذ بهذا الرأي أيضاً ، وواصل (زينوفون) قائلا : «والآن أحسب أن في حال إخفاق كل مساعينا للعثور على زوارق ، يتحتم أن نلتمس المدن الساحلية لترمّم طرقها التي نعلم أنها في حال رديئة جداً.. إن المدن ستفعل ما نطلب منها لسببين : خشيتهم منا ، ورغبتهم في التخلص منا .»

عندئذ ، صاحوا أن ليس ثمة حاجة للسير براً ، وإذ أدرك (زينوفون) عجزهم عن مجابهة الحقائق ، لم يعرض الاقتراح للتصويت عليه ، بيد أنه أقنع المدن

---

(٤) جمع السكّان وهي (الدفّة) ولقد آثرت الأولى لفصاحتها بينما الثانية مولّدة .

بتعبيد الطرق تلقائياً ، مبيّناً أنها ستتخلص من اليونانيين سريعاً ، لو كانت الطرق معبّدة جيداً .

لقد حصلوا على سفينة حربية ذات خمسين مجذافاً من سكان (طرابزوس) ، وجعلوا (دكسيبوس) ـ Dexippus ـ الأسبرطي آمراً عليها . وإذ كان (دكسيبوس) مجرداً من الشعور بمسؤوليته عن تجميع السفن ، فَرّ منهزماً خارج البحر الأسود ، مُستصحباً المركب . غير أنه لقي بعدئذ ما استحق ، إذ بينما كان منشغلاً في مؤامرة في (ثراشيا) عند بلاط العاهل (سيوثس) ـ Seuthes ـ قتل من قِبَل (نيكاندر) ـ Nicander ـ الأسبرطي .

وحصلوا على سفينة أخرى ذات خمسين مجذافاً ، فوضعوها تحت إمرة (پوليكراتس) ـ Polycrates ـ الآثيني الذي اجتلب نحو المعسكر جميع المراكب التي تمكن من السيطرة عليها . وأُفرِغت جميع الأحمال التي كانت فيها من قبل اليونانيين ، ووُضعت تحت الحراسة لضمان سلامتها ، مستعملين السفن لتنقلاتهم الخاصة .

وبينما كان ذلك جارياً ، انطلق اليونانيون في غزوات للسلب ، كان بعضها موفقاً ، وغيرها فاشلاً . إن (كلينيتوس) ـ Cleanetus ـ الذي استصحب فصيلاً آخر ، بالأضافة الى فصيله ، ضد موضع عسير ، قد قُتل بمعية العديدين غيره من الجنود برفقته .

الفصل الثاني

غزوة سلب

أخيراً، لم يعد الحصول على المؤن ميسوراً من أماكن قريبة حتى يُستطاع الرجوع الى المعسكر في ذات اليوم. لذلك، استصحب (زينوفون) بعضَ سكان (طرابزوس) كأدلاء، واقتاد نصف الجيش ضد (الدريليين)[1]، مخلفاً النصف الآخر لحراسة المعسكر ـ وهو اجراء ضروري ـ لأن (الكولجيين)، الذين ازيحوا من مساكنهم، قد تربّبوا باعداد هائلة، وطفقوا يحتلون المواقع المشرفة عند المرتفعات. فأخفق أهالي (طرابزوس) في ارشاد اليونانيين نحو مواضع تيسّر فيها الحصول على المؤن، لأنهم كانوا على وئام مع القاطنين في تلك المناطق. الا أنهم كانوا راغبين في ارشادهم نحو الطريق المؤدية الى صُقْع (الدريليين) الذين قاسى منهم شعب (طرابزوس). فكانتْ الأرض وعرة جبلية، وكان القوم أصلب الأقوام القاطنة ساحل البحر الاسوّد قاطبة في القتال.

فلما تغلغل الأغريق، تقهقر (الدرياليّون)، وأضرموا، باديء ذي بدء، النار في منازلهم التي بدتْ لهم عاجزة عن المقاومة. وهكذا لم يتبقَّ للأغريق ما يأخذون سوى خنزير ما أو ثور أو حيوان آخر نجا من الضرام. كان لديهم موضع، هو عاصمتهم، فتربّبوا كلهم هناك. وكانت ثمّ وهدة سحيقة القرار حول الموضع بأسره، ومن العسير بلوغ اللاحيج[2] المؤدية الى الحصن.

(١) ـ Drilae : لم اعثر في القاموس الذي في حوزتي على ما يدل عليهم ولا في أطلس الموسوعة البريطانية.

(٢) ـ الطرق الضيقة في الجبال.

كان أفراد المشاة الخفيفة قد سبقوا افراد المشاة الثقيلة بمسافة زهاء نصف ميل ، واذ هم يعبرون فوق الوهدة العميقة ، ويلمحون وفرة الماشية والاسلاب الأخرى ، هاجموا الحصون . وتبعهم بعض الرمّاحة الذين جاءوا بقصد الاستغنام ، وبذا أصبح الذين عبروا فوق الهاوية قرابة الفي رجل . بيد أنهم لم يستطيعوا ضبط المكان بالهجوم ، وليس ذلك بمستغرب ، اذ كان ثمة خندق عريض يحيطه ، مع أكوام من التراب المزاح تشكل متراساً ، عليه سياج من الاوتاد وأبراج خشبية عند نقاط متعددة . لذا حاولوا التراجع ، لكن العدو ضغط عليهم بشدة . فلما أضحوا عاجزين عن الرجوع ، لأن سعة اللُحْج[٣] من الحصن الى الهاوية ما كانت لتستوعب غير رتل فردي فحسب ، للهبوط نحوها ، أرسلوا مخبراً الى (زينوفون) الذي كان على رأس المشاة الثقيلة ، أفاده أن الموضع مليء بكل أصناف المؤن ، لكنهم لا يستطيعون احتلاله «لأن الأعداء يبرزون لمهاجمتنا ، ومسلك رجعتنا عسير» .

عند استلام هذه المعلومات ، تقدم (زينوفون) شطر الهاوية ، وأوعز الى المشاة الثقيلة بالتوقف هناك . فاجتازها بنفسه مع ضباط المئة ، وتفحّص الموضع ليرى فيما اذا كان من الافضل سحب الجنود الذين سبق أن اجتازوا ، أم جلب المشاة الثقيلة عبرها كذلك ، اذا افتُرِض امكان احتلال الموقع . فلاح تعذّر الانسحاب دون خسائر جمّة في الارواح : كان رأي ضباط المئة أنهم متمكنون من الاستيلاء على الموقع ، ووافقهم (زينوفون) ، معتمداً كذلك على نتائج القرابين ، لان العرّافين تكهنوا بنشوب معركة ، لكن خاتمتها ستكون موفّقة . لذلك أعاد (زينوفون) ضباط المئة بغية اجتلاب المشاة الثقيلة عبر الهاوية ،

---

(٣) ـ لحج : طرف الوادي وكل ناتيء من الجبل تحته هاوية .

ولبث هو حيث كان. فسحب جميع المشاة الخفيفة من الخندق، وحرّم على أي فرد منهم الانشغال في قتال بعيد المرمى. وعندما وصلت المشاة الثقيلة، أمر كلَّ ضابط مئة بتشكيل فريقه بحسب الهيئة التي يعتقد أفضليتها لاقتتال جنده، ذلك أن ضباط المئة الذين كانوا متنافسين فيما بينهم باستمرار في اتيان الاعمال الجريئة، هم الآن متدانون من بعضهم البعض. ففعلوا كما أُمروا. ثم اوعز (زينوفون) الى المشاة الخفيفة كافة بالتقدم، ورماحهم مجردة في وضع التأهب. وقد ثبّت النبّالة سهامهم في الأوتار، اذ استوجب على الصنفين أن يطلقا أسلحتهما فور صدور الأشارة. وأخبر الجنودَ من الصنف الخفيف بملء أكياسهم بالحجارة، وأنفذ أناساً يعتمدهم للتأكد من تطبيق هذه الأوامر.

وعندما أعِدّ كل شيء، واتخذ ضباط المئة والملازمون الأولون والضباط الآخرون ـ الذين عدّوا أنفسَهم قادرين كرؤسائهم ـ مواقعَهم، باتوا جميعاً في الحقيقة على مرأى من بعضهم البعض، وذلك نظراً لطبيعة الأرض، وصاروا على هيئة الهلال. ثم بعد أن انشدوا نشيد الحرب، ونفخ الصور، أطلق المشاة الثقيلة صرخة المعمعة، وهجموا محدِثين قرقعة هائلة من اصطدام المقذوفات كالسهام والحراب وأحجار تُقذف من المقاليع ومقدار كبير منها من الايدي، ومياسم نارية موجّهة من بعض الذين استخدموها في الهجوم. تحت هذا الوابل من الاسلحة، اضطر الاعداء ان يتخلّوا عن الابراج والسياج الوتدي. وبذا أتيحت فرصة لـ(أجاسياس الستيمفالوسي)، فألقى عنه درعه، وتسلق مرتدياً قميصه فحسب، ثم عاضد الآخرون بعضهم بعضاً في الارتقاء، أو تسلّقوا بمفردهم، وبدا للجميع أن قد تم الاستيلاء على الموضع. فخفّت الوحدات الخفيفة نحو الداخل، كل يسطو على ما تيسّر له من الغنائم. بيد أن

. (زينوفون) وقف عند الأبواب ، وصدّ عنها كل من تمكن عليهم من المشاة الثقيلة ، وذلك لظهور وحدات جديدة من العدو في مواقع منيعة من الارض المرتفعة . فلم تمضِ برهة طويلة ، حتى سُمعت صيحة من الداخل ، وتدفّق الناس نحو الخارج ، بعضهم يحملون الاسلاب ، ويتخللهم بعض الجرحى . فكان ثمة تداكم(٤) حول الأبواب ، وبان نتيجة الاستفسار من الذين اكتُسحوا خارجاً أن هناك قلعة في الداخل ، يهاجِم منها الاعداء بقوة كبيرة ، وينقضّون على الأغريق الذين في الداخل .

اذ ذاك ، اوعز (زينوفون) الى (تولميدس) ـ Tolmides ـ المنادي أن يعلن السماح بدخول الراغبين في السلب . فتدفق زخم هائل نحو الامام ، وبما أن الذين كانوا يخترقون سبيلهم قد أرغموا الخارجين على التراجع ، احتجزوا بذلك العدوّ ضمن القلعة . فانتُهب كل شيء خارج القلعة ، وأخرج الاغريق الغنائم خارج الأبواب . فتمركزت المشاة الثقيلة ، بعضها عند السياج الوتدي ، وبعضها على الممر المؤدي الى القلعة . حينذاك شرع (زينوفون) وضباط المئة يتدارسون امكانية الاستيلاء على الحصن . فان تمكنوا ، فسيعني ذلك أنهم يستطيعون الأياب سالمين ، وإلا فلا بد أن التراجع أمر جد عسير . وبعد التأمل في الأمر ، قرروا أن الموضع لايُقهر البتة ، ولذلك اتخذوا التدابير للانسحاب .

فاقتلع كل رجل ما أمامه من الأوتاد في السياج الوتدي ، وأعادوا الافراد غير اللائقين للعمل أو حمل الاسلاب بمعية أغلب المشاة الثقيلة ؛ واستبقى ضباط المئة لديهم الرجال الذين كانوا موضع ثقتهم الخاصة . وعندما بدأوا بالتراجع ، هجمت عليهم من الداخل أعداد جسيمة من العدو ، مسلحين

(٤) ـ تداكم القوم : تدافعوا

بتروسهم وحرابهم ودروع لوقاية السيقان وخُوَذ (بافلوجونية)[٥]، وتسلق آخرون نحو سطوح الدور على جانبي الطريق الموصلة الى القلعة. وهكذا، حتى ارجاعهم القهقرى نحو الأبواب المؤدية الى هناك، بات غير مأمون العاقبة، لأن الأعداء أخذوا يطرحون قطعاً هائلة من الاخشاب، وبذا أمسوا في مأزق في حالي مكوثهم هناك أو تراجعهم. وقد زاد تطرّف الشمس[٦] من نذيرهم. لكنهم، بينما كانوا مستمرين في الاقتتال وفي لُبْس بصدد ما سيقدمون عليه بعدئذ، كشف لهم احد الارباب منفَذاً لانقاذ ذواتهم، اذ شبت النار فجأة في أحد المنازل عند الجهة اليمنى بباعث ما. فلما انهار هذا المنزل، فر الاعداء من الدور التي في الطرف الأيمن،فواتى الحظ (زينوفون) بأن لمح ما قد جرى، وأوعز بأضرام النار في البيوت التي في الجهة اليسرى كذلك. ولما كانت من الخشب، التهبت سريعاً، وفر الاعداء من هذه الدور أيضاً. فبقيت الآن قوة وحيدة للعدو، تُسبب المتاعب وهي التي تجابههم، وأتضح أنها قد انتوت الانقضاض عليهم عند خروجهم من المدينة وفي اسفل الوهدة السحيقة. آنذاك أمر (زينوفون) جميع الذين خارج مرمى المقذوفات أن يحملوا الاخشاب في الشّغار الذي يفصلهم عن الاعداء. وعندما جلبوا الكفاية من الخشب، أضرموا فيه النار، كما أضرموها في البيوت التي تلت المِتراس، كي يُسترعى انتباه الاعداء صوب تلك الناحية. بهذه الطريقة، تمكنوا من التراجع بصعوبة من الموضع، تحت ستار من صيانة النار بينهم وبين العدو. فالتهمت النار المدينة برمتها ـ البيوت والابراج والسياج الوتدي وكل ما عداها، خلا القلعة.

---

(٥) ـ نسبة الى اقليم (بافلاجونيا) ـ Paphlagonia ـ في آسيا الصغرى بمحاذاة البحر الاسود وهو اقليم جبلي، أقوامه أشداء.

(٦) ـ تطرفت الشمس: مالت الى الغروب.

في اليوم التالي، عاد الأغريق مستصحبين مؤنهم. كانوا يتوجّسون خيفة بشأن أوبتهم الى (طرابزوس)، لانحدار الطريق وضيقها، ولذلك تظاهروا بنصب كمين. كما أن أحد (الميسيين)[٧] في الجيش، المدعو (ميسوس) ـ Mysus ـ انطلق بصحبة أنفار (كريتيين)، وتخلّف في بقعة مكسوة بالاشجار، متظاهراً بمحاولة التغيب عن أنظار العدو، وظلت تروس الفريق النحاسية تلمع على مرأى منهم. فلاحظ الاعداء كل ذلك، وخشوا أن يكون ثمة كمين فعلي، وفي نفس الحين قام العسكر بعملية الانحدار. وعندما اعتبر (زينوفون) أنهم قد نأوا مسافة كافية، لوح للشخص (الميسي) بالركض للعودة بأقصى سرعة. فشرع هو ورجاله في العدْو. ولما أبصر (الكريتيون) أنهم قد سُبقوا في الركض، قفزوا من الطريق نحو أجمة، وأخذوا في التدحرج بين دِقّ الشجر[٨]، فنأوا سالمين. وانحدر الرجل (الميسي) نحو أسفل الطريق، واستصرخ طالباً النجدة، فخف الجنود الى معونته، وأنهضوه مصاباً بالكلوم. ثم تراجع فريق الانقاذ خطوة خطوة، والعدو يصوّب نحوهم، وبعض النبّالة (الكريتيين) يردّون عليه. وهكذا آبوا الى المعسكر قاطبة سالمين.

---

(٧) ـ Mysian : نسبة الى اقليم (ميسيا) الواقع غربي آسيا الصغرى بمحاذاة بحر (ايجه).
(٨) ـ دِقّ الشجر : الأشجار والشجيرات الآخذة في النماء حديثاً وتكون دقيقة الأغصان.

الفصل الثالث

اليونانيون يغادرون طرابزوس

عقار زينوفون في الاعوام اللاحقة

بما أن (خريسوفوس) لم يقفل، ولم تكن ثمة مراكب وافية لتقلهم، وأضحى الحصول على المؤن غير ممكن بعدئذ، قرروا وجوب مبارحتهم (طرابزوس). فوضعوا على ظهر السفينة المرضى والذين جاوزت اعمارهم سن الاربعين، والنسوة والاطفال وكل المتاع الذي لم يكن أخذه معهم لازماً. ورحل الباقون براً، لان الطرق كانت الآن في حال جيدة من الصيانة.

وبعد مسيرة ثلاثة ايام، وصلوا (سيراسوس)[1]، وهي مدينة اغريقية على الساحل ومستعمرة لسينوب في منطقة (كولجيّة). فلبثوا بها عشرة ايام، واستُعرض الجنود الذين تحت السلاح، وأُحصوا، فكان تعدادهم ثمانية آلاف وستمئة، وهو ما تبقى سالماً، بينما البقية أبيدت إما في القتال أو رَمْداً[2] من جرّاء الثلج، وقلّة قضت بسبب المرض. في هذا الموضع أيضاً، اقتسموا النقود التي حصلوا عليها من بيع أسراهم. فتقاضى القادة العشر، ووضعوه جانباً لأپولو ولأرتميس ربة (أفسس) حفظاً لهذه الغاية الدينية. وتناول كل قائد حصة من العشر، واحتفظ نيون (Neon) الأسيني[3] بنصيب (خريسوفوس) وديعة لديه. فيما بعد، قدّم (زينوفون) تقدمة لأپولو، ووضعها في المستودع الآثيني بدلفي، وقد نقش عليها اسمه واسم (پروكسينوس) لكونه صديقه الذي

---

(١) ـ Cerasus : أغلب ظني أنها مدينة (جيرسون) الحالية في تركيا ـ غربي طرابزون.

(٢) ـ رَمَدَ رَمْداً : هلك برداً.

(٣) ـ Asine : مدينة ساحلية على خليج آرجوس الى الشمال الشرقي من اسپرطة.

قتل مع (كليرخوس) . أما السهم الذي آل الى (أرتميس) ربة (أفِسس)، فقد أودعها لدى (ميجابيزوس) ـ Megábyzus ـ سادن معبد أرتميس عند أوبة (زينوفون) من آسيا أثناء المسير نحو (بيوطيا) برفقة (آجيسيلاوس) ـ Agesilaus اذ خال أن رحلته ستكون خطيرة الشأن . فطلب من (ميجابيزوس) أن يرد اليه المال إذا آب الى الوطن سالماً ، أما اذا حدث له حادث ما ، فكان عليه أن يفعل شيئاً ، به سيبهج الآلهة ، في اعتقاده ، ويقدمه اليها . وعندما أُقصي (زينوفون) وغدا مقيماً في (سيلّوس)(٤) على بقعة بجوار (أولمپيا)(٥) ، مُنحت اليه من لدن الاسپرطيين ، قَدِم (ميجابيزوس) الى (أولمپيا) لمشاهدة الالعاب ، واعاد المال الذي كان مودعاً لديه .

وعندما تسلمه (زينوفون) ، ابتاع عقاراً كتقدمة للربة (أرتميس) حسبما أعلمه الوحي . فاتفق أن كان ثَمَّ نهير يدعى (سَلينوس) يخترق تلك البقعة ، كما ان هناك نهيراً في (أفسس) يطلق عليه (سلينوس) ، يجري ماراً بمعبد أرتميس . وتوجد في النهرين اسماك وأصداف . كما يتوفر في فسحة (سيلّوس) القنص وجميع صنوف الالعاب . وأنفق (زينوفون) المال المكرّس لتشييد مذبح ومعبد أيضاً ، وغِبَّ ذلك اعتاد دوماً على اخذ معشار الحاصل الفصلي من الارض ، وتقديم ضحية للربة . فكان شأن جميع سكان المدينة ورجال ونساء المنطقة أن يسهموا في الاحتفال ، وزودت الأرباب المخيمين هناك في العراء بالشعير والخبز والنبيذ والطعام الشهي وبنصيب من الحيوانات المقدمة كقرابين من القطعان المكرّسة ومن البهائم المأخوذة أثناء القنص . وكانت هذه وفيرة ، لأن أنجال (زينوفون) وأولاد المستوطنين ألِفوا الذهاب للقنص خصيصاً لأجل

(٤) ـ Scillus : لم أعثر على ما يرشد اليها في الخوارط المفصّلة وهي على كل حال في تساليا .

(٥) ـ وادٍ مقدس كان في أيام الأغارقة ، قرب (أليس) في اليونان ، ميداناً للألعاب الأولمبية .

الاحتفال، وكل من عداهم أنص مرافقتهم في الصيد. فصل: فكان الهلوف[6] والأبقار الوحشية[7] والأوعال[8]، بعضها يُقتنص من الأرض المكرسة ذاتها، وبعضها من جبل (فولوي)[9]. تقع الارض على الطريق من اسپرطة الى (أولمبيا) وعلى بعد ميلين تقريباً من معبد (زيوس) في (أولمبيا). وثمة مروج وتلال ملتخّة[10] في البقعة المخصصة لأرتميس، وهي أرض صالحة لتربية الهلوف والوعول والخيول أيضاً، وعليه يتسنى تجهيز العلف للجيوانات التي تؤول الى الذين يؤمّون الاحتفال. والمعبد بالذات محاط بأصناف عديدة من أشجار الفاكهة لتناول ثمارها في فصولها. أما المعبد، فهو صورة مصغرة، طبق الأصل، من المعبد العظيم في (أفسس)، والمظهر نظير الذي في (أفسس)، كتمثال مصنوع من خشب السرو[11] قد يماثل آخر من تبر. وثمة عمود قائم بجوار المعبد، قد نُقش عليه مايلي:

«هذه الأرض مكرسة لأرتميس. على من يملكها ويجني حاصلها أن يقدم المعشار لأرتميس كل عام. وعليه أن يصون الهيكل بالمتبقي. لن يستتر عن بصر الربة كل من يهمل ذلك».

---

(٦) ـ هلوف: الخنزير البري.

(٧) ـ Antelopes ـ وتعني أيضاً (أرآم) جمع (ريم) وهو الظبي الأبيض.

(٨) ـ Stags ـ جمع الوعل وهو التيس الجبلي وتجمع كذلك (وعول) وقد تعني أيضاً (الأيل) وجمعها (ايائل) وهي غزلان ضخمة متشعبة القرون.

(٩) ـ Pholoe ـ في ثساليا.

(١٠) ـ ملتخة: مكتظة بالشجر.

(١١) ـ Cypress Statue: أغلب الظن انه يعني أن خشب السرو الضارب الى الصفرة كالذهب (التبر) لكن الفرق في الجوهر جلي.

الفصل الرابع

الموسينوسيّون الهمج

لقد واصلت الرحلة بحراً من (سيراسوس) نفس الثُلّة، كما سبق، وسار الآخرون براً. فلما أشرفوا على تُخُم (الموسينوسيين)[1]، أوفدوا (تيمسيثيوس) ـ Timesitheus ـ الذي كان مواطناً من (طرابزوس) وله علاقات سياسية مع الموسينوسيين)، ليسألهم إن كانوا سيعتبرون مسير الأغريق في أرض صديقة أو معادية. ولما كان (الموسينوسيون) معتمدين على مناعة مواقعهم، أجابوا أنهم لن يسمحوا للأغريق باختراق أرضهم.

عندئذ أفاد (تيمسيثيوس) اليونانيين أن (الموسينوسيين) في الصُقْع الأعلى في احتراب مع هؤلاء (الموسينوسيين)، وتقرر أن يُرسَل في طلب بعضهم لمعرفة ما إذا كانوا راغبين في عقد تحالف. فأُنفِذ (تيمسيثيوس) إليهم ،وعاد مستصحباً شيوخهم، وعند وصولهم عُقد اجتماع بين رؤساء (الموسينوسيين) وقادة الأغريق. فتكلم (زينوفون) كما يلي (وتيمسيثيوس) مترجمه: « أصدقائي الموسينوسيون. بما أننا لا نملك السفن، فنحن نروم العودة الى اليونان سالمين براً. إن هؤلاء القوم، الذين بلغنا أنهم خصومكم، يعيقوننا عن القيام بذلك. لذا تستطيعون ،إن شئتم، اعتبارنا حلفاءكم، فتكبدونهم ما ألحقوا بكم من أذى، ويكونون في المستقبل في قبضتكم: إن تركتم هذه الفرصة تفوتكم، فهل يمكنكم أن تتصوروا كيف تسنح لكم فرصة ثانية بالحصول على مثل هذه القوة العظيمة بجانبكم ؟» فأجابه رئيس (الموسينوسيين) قائلا إنهم رحبوا بالاقتراح،

---

(١) ـ Mossynoici : قوم برابرة ،لم أعثر في القواميس على ما يرشد إليهم.

وارتضوا التحالف. فقال (زينوفون): «حسناً جداً. والآن خبّرونا على أي نحو تبغون الأستفادة منا إذا أصبحنا حلفاءكم، وماهي المساعدة التي يمكنكم تقديمها الينا في اجتياز الأقليم؟» فقالوا: «لدينا قوات جاهزة لاختراق التخوم الغربية لعدونا المشترك، كما نرسل السفن لأجلكم الى هنا، وجنوداً ليقاتلوا معكم ويدلوكم على الطريق.»

فتبادلوا المواثيق وفق هذه الشروط ،ثم عاد الشيوخ. في اليوم التالي، رجعوا بثلاثمئة زورق منقور[2]، في كل منها ثلاثة أنفار، فنزل كل إثنين من الثلاثة، واصطفوا بسنَوّرهم[3] وتخلف شخص في كل زورق. فعاد أصحاب القوارب، واصطف الذين تخلفوا بحسب الترتيب التالي: وقفوا في خطوط، كل خط يضم زهاء مئة فرد، بعضهم إزاء بعض كالراقصين. وكان في حوزة جميعهم تروس مصنوعة من جلود الثيران البيضاء التي لم تجرد من الشعر، وشكلها كورقة العُلّيق، وحملوا في يمناهم حربة طولها زهاء تسعة أقدام، مدببة في طرف، وكرة خشبية من جذع الشجر في الطرف الآخر. وقد ارتدوا أردية قصيرة، لم تبلغ الركبتين، وكانت من السمك كقماش الحقائب الكتانية. وقد وضعوا على هاماتهم الخُوَذ الجلدية من الطراز (الپافلاجوني) مع خُصَل من الشعر، معقوصة في الوسط، لتوحي وقع تاج[4] قدماء الفرس. كما حملوا فؤوساً حربية من حديد.

بعد ذلك، إقتادهم فرد منهم، واقتفته البقية، وهم ينشدون جماعياً. فمضوا عبر الخط الأغريقي، واجتازوا المشاة الثقيلة، وساروا فوراً نحو العدو

---

(٢) قارب محفور مصنوع من جذع الشجرة.

(٣) السنوّر: لبوس من حديد كالدرع. وهو أيضاً جملة السلاح.

(٤) ـ Tiara: كما تعني أيضاً قبعة شائعة في (فريجيا) يستعملها الرجال والنساء.

للأغارة على موقع بدا من اليسير ضبطه . وكان ذلك حصناً إزاء المدينة التي دعوها حاضرتهم والتي شملت أرفع بقعة في صقع (الموسينوسيين) . لقد كان هذا الحصن الباعث على الحرب القائمة ، مادام قد افتُرض أن المستولين عليه يملكون كذلك السيادة على (الموسينوسيين) قاطبة ، لكن في عرف (الموسينوسيين) الذين حالفوا الأغريق ، لم يكن للفئة الأخرى حق الأستيلاء عليها ، إذ كان المفروض أن تكون مشتركة بين الفريقين . لكنهم اغتصبوها ، فأمّنوا لهم نفعاً غير منصف . فتبعهم بعض اليونانيين كذلك ، دون تعليمات من ضباطهم ، بل لمجرد غاية السلب .

لم يقم الأعداء بحركة طول توجّه مناوئيهم نحو الموقع ، لكن عندما تدانوا ، هجموا عليهم واضطروهم الى التراجع ، وقد فتكوا بعدد من بني جنسهم[٥] وبقليل من اليونانيين الذين رافقوهم في الغارة . واستمروا يعقّبونهم حتى لاحظوا اليونانيين قادمين الى نصرتهم ، فاستداروا عند ذلك وعادوا . وحزّوا رؤوس قتلاهم وجعلوها عرضة لأنظار اليونانيين وأعدائهم بالذات ، وهم يرقصون في نفس الوقت ، ويهزجون أهزوجة خاصة .

فارتبك الأغريق بهذا كثيراً . لقد ضاعفت هذه المناوشة جرأة الأعداء ، فانهزم الأغريق الذين مضوا مع حلفائهم ، رغم كونهم وفرة في العدد . ولم يحدث نظير هذا من قبل أثناء الحملة بكاملها . فدعا (زينوفون) اليونانيين للأجتماع ، وخطبهم قائلا : «أيها الجنود ، يجب ألا تخور عزائمكم من جراء الأحداث الأخيرة . أستطيع أن أؤكّد لكم وجود عدة منافع ومضار أيضاً في ما

---

(٥) ـ لقد استعمل الناقل الى الانكليزية كلمة Natives في هذا الموضع ، وهو كثيراً ما استعملها بشكل يستدعي الألتباس ، وقد آثرت تعريبها كما يلاحظ القاريء .

قد وقع . أولا من المحتم أن الناس الذين سيعملون معنا كأدلاء هم خصوم ألدّاء لأولئك الذين لا مناص لنا من محاربتهم. ثم هناك حقيقة كون أولئك اليونانيين الذين أعرضوا عن المكوث معنا في مواضعهم ، وعدّوا أنفسهم قادرين على إحراز نفس النجاح ، بصحبة سكان المنطقة ، كما يفعلون تحت إمرتنا ، قد اتعظوا ، وسيكونون أقل اندفاعاً ، في مناسبة أخرى ، لمغادرة المركز الذي عيناهم فيه . ما يتحتم عليكم فعله هو أن تتصرفوا بنحو تظهرون معه تجاه المستوطنين ، حتى الذين حالفونا ، أنكم خَلْق أفضل منهم ، وأبينوا للأعداء أنه لا ينبغي عليهم الآن أن يقاتلوا نفس الطراز من الرجال كما فعلوا عندما لم تكونوا منظّمين تنظيماً جيداً .»

لقد لبثوا ذلك اليوم حيث كانوا ، وفي اليوم التالي ، بعد أن قرّبوا القرابين ، ووجدوا الدلائل موافقة ، تناولوا فطورهم ، واصطفّوا بفصائل عمودية ، واضعين المحاربين من المستوطنين على يسارهم ، مصطفين بنفس النسق . ثم ساروا قدماً ، والنبالة تتخلل المسافات بين الفصائل ، وصفوف المشاة الثقيلة الأمامية لا تبعد عنهم كثيراً الى الخلف ، وذلك لأن الوحدات الخفيفة لدى العدو ، ظلت تعدو نحو أسفل الرابية وتُدحرج الصخور . لقد انشغل النبالة والمشاة الخفيفة مع هذه الفئة ، بينما سار باقي الجيش نحو الأمام حثيثاً . فقصدوا أولا الموضع الذي تقهقر منه المحاربون المستوطنون بمعية اليونانيون في اليوم المنصرم ، إذ عند هذا الموضع جرت تشكيلات العدو لمجابهتهم . فصمد السكان وقاتلوا المشاة الخفيفة ، لكنهم ولوا الأدبار حالما دنت منهم المشاة الثقيلة . فلحقت بهم المشاة من الصنف الخفيف فوراً تعقّبهم في ارتقاء الرابية نحو مدينتهم ، ثم جاءت المشاة الثقيلة في صفوف تباعاً . فارتقوا وأحدقوا

بأطراف حاضرتهم ، وعندئذ ـ إذ كان الأعداء كتلة واحدة ، استأنفوا القتال ، يرمون الرماح ، ويستعملون الحراب الطويلة الغليظة التي تبلغ من الحجم حداً يشقّ على الفرد حملُها ، وذلك معالجة منهم لأقصاء الأغريق عن المدى القريب أثناء المناوشة . إلا أن الأغريق ، وهم أبعد ما يكونون عن إفساح مجال من الأرض ، تقدموا لمناوصتهم[6] من قريب . وهكذا فر السكان من هذا الموضع كذلك ، وتخلّوا عن الموقع نهائياً . أما مَلِكُهم الذي كان ضمن برج خشبي مشيد على أرض مرتفعة ، والذي كان يُحمى من قبلهم جميعاً طالما مكث فيه ، ويسهمون في صيانته ، فلم يبرز خارجه ، كما لم يخرج الذي[7] في الموضع المحتل سابقاً : لذلك أُحرقوا مع البرجين سوية[8] . وأثناء التفتيش عن الغنائم في هذه الأمكنة ، عثر اليونانيون في الدور على أرغفة مخزونة بشكل أكوام ، ومصنوعة من دقيق العام الفائت ، والحبوب الجديدة وسيقانها وما عداها معزولة جانباً ، وأكثرها حنطة مجروشة ، كما عُثر على شرائح من سمك الدلفين مكبوسة في الدنان ، وعلى سَمْن الدلفين المعبأ في أوعية . لقد استعمل (الموسينوسيون) هذا السمن كما يستعمل الأغريق زيت الزيتون تماماً . وكانت في الطوابق العليا مقادير من الكستناء ، من النوع العريض المسطح ، التي استعملوها للأكل بكميات كبيرة بعد سلقها ثم خبزها بشكل أرغفة . كذلك عُثر

---

(٦) لمناوشتهم . ناوص : ناوش .

(٧) ـ (٨) : يبدو أن هناك خطأ طباعياً إذ أرجح أن كلمة «الذي» (٧) يجب أن تقرأ الذين) ولذلك أرى من الأفضل تضمين النص الأنكليزي للجملتين الأخيرتين : من(كما) الى (سوية) .

»nor would the one in the position that they had captured previously; so they and the towers were both burnt up together.«

وعلى هذا ينبغي أن تكون الكلمة (ones) بدلاً من (one) .

على الراف[9] الذي كان حاد المذاق لو شُرب صرداً[10] ، لكنه كان طيب العبير والطعم لو مُزج بالماء .

فتناول اليونانيون زادهم هنا ، وساروا بعد أن تركوا الموضع في أيدي (الموسينوسيين) الذين حاربوا الى جانبهم . فاجتازوا مدناً أخرى تعود الى القبيلة المعادية ، وعندما كان بلوغها ميسوراً ، غادرها القاطنون ، أو قصدوا اليونانيين طوعاً . كانت أكثر المدن من هذا القبيل . كان معدل الشقة بين المدن ثمانية أميال ، لكن مع كل ذلك ، استطاع الناس أن يسمعوا صياح بعضهم من مدينة الى أخرى على كثرة جبالها وأنواضها[11] .

ولما ازداد الأغريق تغلغلا ، وبلغوا صقع حلفائهم ، أشاروا لهم نحو بعض الغلمان من الطبقة التي في رَسْلَةٍ من العيش[12] ، وقد سُمّنوا خصيصاً بفضل تغذيتهم بالكستناء المطبوخة ، فكان لحمهم طرياً بالغ الصُفرة ، وكانت أجسامهم ، في الغالب ، عريضة كما أنها أُمْطِيَة[13] . وكانت صدورهم وظهورهم ملونة ألواناً زاهية ذات وشم على أشكال الزهور . لقد أنَص[14] هؤلاء القوم المواقعة الجنسية علانية مع الحظايا اللائي رافقن الأغريق ، وهذا في الحقيقة أمر طبيعي في مصرهم . وكان إهاب الرجال والنساء منهم زعفرانياً . وكثيراً ما

---

(٩) ـ الراف : الخمر .

(١٠) ـ صرداً : صرفاً ـ دون مزج بالماء تخفيفاً لحدّتها .

(١١) ـ أنواض : جمع نَوض وهو الوادي .

(١٢) ـ رَسْلَةٍ من العيش : عيش رخيّ ليّن : كناية عن الرفاه والغنى .

(١٣) ـ أمْطي : مديد القامة .

(١٤) ـ آنص : أراد ، رغب .

أفصح الذين اشتركوا في الحملة أن هؤلاء القوم أكثر الناس الذين اتصلوا بهم همجية، وأبعدهم عن أساليب الأغارقة. ففي تجمعاتهم، كانوا يتصرفون كما لو كانوا منفردين؛ وكانوا إذا اختلوا بأنفسهم، يتصرّفون كما لو كانوا عدانة[15] فكانوا يكلمون أنفسهم ويضحكون مع ذواتهم، ويقفون ويرقصون حيثما اتفق، كما لو كانوا فعلاً يؤدّون عرضاً للآخرين.

---

(١٥) ـ عدانة: جماعة، فريق.

الفصل الخامس

زينوفون يتكلم نيابة عن الجيش

سار اليونانيون ثمانية أيام، متغلغلين هذه الديار بجزئيها الحليف والمعادي، وجاءوا صقع (الخاليبيين). انها عشيرة صغيرة خاضعة لـ (الموسينوسيين)، معظمهم يتعيّشون عن طريق الأشتغال بالحديد.

بعد ذلك، بلغوا قوم (التيبارنيين)[1] الذين كانت ديارهم أكثر انبساطاً، ومدنهم الساحلية لم تكن محصنة جيداً، وقد أنص القادة مداهمة هذه المدن، وبذا يسدون الى الجيش فضلا. لذلك رفضوا شارات الولاء التي جاءتهم من (التيبارنيين)، وأخبروا الذين جلبوها بالأنتظار ريثما تدارسوا الأمر، وخلال ذلك، قدّموا عدداً من القرابين، فأعلن العرافون رأيهم بالاجماع ان الارباب لم ترتض القتال قط. لذلك تقبلوا الهدايا، وواصلوا السير مدة يومين في الصقع الذي عدّوه منطقة حليفة، حتى وصلوا (سوتيورا)[2]، وهي بلدة اغريقية ومستعمرة لـ (سينوپ)[3] تقع في أراضي (التيبارنيين).

فلذبوا هنا خمسة وأربعين يوماً، في غضونها ـ قبل كل شيء ـ ضحّوا للآلهة، ثم نظّموا مواكب بحسب الأساليب القومية لكل فئة، وأجروا العاباً رياضية. وأخذوا قسماً من ميرتهم من (پافلاجونيا)، والقسم الآخر من منازل سكان (سوتيورا)، اذ انهم لم يتيحوا لليونانيين تسهيلات لابتياع القوت، حتى أنهم لم يجيزوا ادخال المرضى ضمن أسوارهم.

---

(١) Tibareni

(٢) Cotyora : هي مدينة «أوردو» (Ordu) الحالية في تركيا.

(٣) Sinope : مدينة على ساحل البحر الأسود، حالياً في تركيا، مازالت محة يومنا هذا.

في تلك الاثناء ، وفد سفراء من (سينوپ) ، وكانوا قلقين بشأن (سوتيورا) - لأنها خاصّتهم وتؤدي اليهم الخراج - وبشأن الأرض ، لسماعهم بأنها قد أُتلفت. فقدموا الى المعسكر، وتكلموا بلسان (هيكاتونيموس) - Hecatonymus - الذي ذاع صيته كمتكلم لبق ، والذي قال : «أيها الجنود : لقد اوفدتنا مدينة (سينوپ) لنسدي اليكم التهاني لأنكم أغارقة وقد قهرتم الأجانب ، وللأعراب عن غبطتنا بوصولكم ههنا سالمين ، بعد أن واجهتم كل صنوف المحن المروعه ، كما بلغنا . لكننا ،ونحن بالذات كيونانيين ، نشعر أنه يحق لنا أن نتوقع منكم ، كيونانيين كذلك ، حسن المعاملة وعدم الايذاء . من المؤكد أننا لم نبادئكم بالحاق أي ضرر . ان القوم في (سوتيورا) هنا مستعمِرون أتباعنا ، ونحن الذين سلمناهم الأرض غب أن جردناها من السكان الاصليين . ولهذا السبب يؤدون لنا أتاوة منتظمة كما يفعل شعب (طرابزوس) و (سيراسوس) تماماً . لذلك ، كل ما تلحقون بهم من ضرر ، فستُعِدّه مدينة (سينوپ) موجها اليها كذلك . ان معلوماتنا الحالية تفيد أن بعضكم قد اخترقوا المدينة قهراً ، ونزلوا في منازلها ، وأنكم تتناولون ما تحتاجون من المنازل قسراً دونما موافقة . اننا لا نعتبر هذا صواباً ، وان مضيتم في التصرف على هذا النحو ، فسنُرغَم على التحالف مع (الكوريليين)[٤] و (البافلاجونيين) وكل من توفر عداهم» .

بعد ذلك ، استقل (زينوفون) للرد ، نيابة عن الجيش كما يلي : «يارجال سينوپ : كفانا سروراً أن وصلنا الى هنا ناجين بجلدنا وأسلحتنا بأيدينا . لم يتسنّ لنا اجتلاب كل غنائمنا ، ونحن نحارب العدو في آن معاً . لقد حللنا الآن

---

(٤) Coryliss .

بين مدن اغريقية ، وفي (طـرابزوس) ـ حيث مُنحنا التسهيلات ـ حصـلنا على الطعام وأدينا ثمنه . ولقـد جـازيناهم الجـزاء الحسـن لما شرفونا به ولما وهبوا الجيش من هبات . وقد أقصـينا أيدينا عن أية قبيلة مواطنة حليفتهـم ، وقد ألحقنا كل تخريب ، قدرنا عليه ، بأعدائهـم بعـد ان قادونا اليهـم بأنفسـهم . فأسـألوهم أي طـراز من الخلق قد وجـدونا . إنكم تسـتطيعون ذلك ، مادام المرشدون ـ الذين ارسلتهم المدينة معنا بباعث من الصـداقة ـ ما برحـوا ههـنا . لكننا عندما نأتي موضـعاً لا نُمنح فيه الفـرص لابتياع القـوت ، نأخـذ آنذاك تجهـيزاتنا ـ سـواء كان الاقليم غريباً عنا أم يونانياً ـ ولا نفعـل ذلك بدافع من اعتداء طائش بل من الضـرورة . ومع أن (الماكرونيين) مسـتوطنون ، فقـد نظرنا اليهم كأصدقاء لنا حينما فعلوا كل ما في وسـعهم لتزويدنا بهـذه الفـرص ، ولم نسـطُ عنوة على أي شيء عائد اليهـم . أما سكان (سـوتيورا) ، الذين تقـولون انهم رعاياكم ، فان كنا قد أخذنا أي شيء عائد اليهم ، فذلك ذنبهـم . انهـم لم يعاملونا كأصحاب . لقد أوصدوا أبوابهم دوننا ،ولم يجيزوا لنا دخـول بلدتهـم ، ولا اتاحـوا لنا مجـالا لابتياع الزاد خـارج اسـوارهم . وقالوا ان الشخص المسؤول عن هذا الاجراء كان حاكمهم المعين من قبل (سـينوپ) . أما اتهـامكم بعضنا باقتحام المنازل عنوة ، والأقامة هنالك ، فهذه هي الحقائق : لقد رجوناهم أن يُدخلوا المرضى في بيوتهم ، وعندما لم يفتحوا أبوابهم ، نفـذنا نحـو الداخـل عند موضع كانت طبيعـة الأرض تسـمح بذلك . وعدا ذلك ، لم نرتكب عنفـاً . لقد نزل مرضانا بيوتاً على نفقتهم الخاصة ، وقد عيّنا حـراساً عند الأبواب كي لايضحى سقماؤنا وجرحانا تحت رحمة حاكمكم ، بل قد نغدو في ظرف نتمكن فيه من سـحبهم متى نشـاء . أما البقية منا ، فكما تلاحـظون ، قد عسكرت في

العراء حسب تشكيلاتنا ، ونحن على استعداد ـ ان أحسنت معاملتنا ـ أن نرد الصنيع ، واذا أسيئت معاملتنا ، ان ندافع عن انفسنا . أما فيما يتعلق بتهديدكم ، إن خلتموه نافعاً ، بأنكم ستتحالفون مع (الكوريليين) و (الپافلاجونيين) ، فاننا ـ ان أُرغمنا على ذلك ـ متأهبون تماماً لمحاربتكم ومحاربتهم أيضاً . لقد قاتلنا ، حتى الآن ، خصوماً أضعاف تعدادكم ، ومن جهة أخرى ، إنْ نصمّم على مصادقة عاهل (بافلاجونيا) ـ وقد بلغنا أنه طامع في مدينتكم وفي المنازل بمحاذاة الساحل ـ فسنحاول أن نكون أصحابه عن سبيل معاضدته للحصول على مبتغاه» .

لقد تجلى أن السفراء الذين رافقوا (هيكاتونيموس) ، امتعظوا جداً آنئذٍ من مقالته ، فتقدم أحدهم وقال انهم لم يأتوا ليثيروا حرباً ، بل ليوضحوا أنهم أصدقاء ، وأعرب قائلا : «ان قدِمتم الى (سينوپ) ، فسنرحب بكم هناك مع هدايا الصداقة ، وفي الوقت الحاضر ، سنخبر القوم هنا باعطائكم ما يستطيعون . إننا ندرك أن كل ما تقول حقيق» .

بعد ذلك ، أرسل سكان (سوتيورا) هبات الصداقة ، وأولم القادة اليونانيون لسفراء (سينوپ) . فكانت ثَمَّ محادثات ودية ، ومن جملة الاشياء الأخرى ، استفسر كل فريق من الآخر عما ودّ معرفته بشأن المتبقي من الرحلة .

الفصل السادس
زينوفون يفكر في تأسيس مدينة

وهكذا انصرم ذلك اليوم. في اليوم التالي، دعا القـادة لأجتماع الجنود، وتقـرر فيه أن يطلب من موفدي (سـينوپ) الأسـهام في التداول بشـأن بقية رحلتهم. فان كان عليهم ان يسيروا براً، فغالب الظن سيكون شعب (سينوپ) نافعاً، لأنهم كانوا عارفين بديار (الپافلاجونيين). وان رحلوا بحراً، لاح أنهم سـيحتاجون الى مؤآزرتهـم، اذ هم الناس الوحيدون الذين بدوا قادرين على تزويد الجيش بالمراكب الكافية. لذلك استدعوا السفراء الى الاجتماع، وطلبوا ابداء مشورتهم، وأخبروهم أنهم ـ قبل كل شيء ـ قد اعتمدوا حقـوق قوميتهـم اليونانية المشتركة، من أجل موقف منصف، وأفضل مشورة ممكنة.

عندئذٍ، نهض (هيكاتونيموس)، وقبل كل شيء، اعتذر عما بدر من ملاحظاته بشأن مصاحبة (البافلاجونيين)، فقـال ان ما عنى هو أنهـم لم ينتووا مطلقاً اشـهار الحـرب على اليونانيين، بل رغم كونهـم قادرين على مصـادقة السكان الاصليين، فانهم كانوا سيفضّلون اليونانيين. وعندما سألوه المشـورة، تكلم كما يلي، مستهلا بصـلوة الى الآلهـة: («إنْ أسـدِ اليكم المشـورة، التي أُعدّها بنفسي الفضلى، أتضرع أن يصـيبني خير عميم، وإن أفعـل النقيض، فدعوني أقاسي بمقتضى ذلك.» يقول المثل «الاستشارة سـليمة، وما لدينا ههـنا لأستشارة من هذا الطراز تماماً. سـيطريني الكثيرون لو تَبيّن أني قد أحسـنت نصحكم، وسيلعنني الكثيرون اذا ظهـرت نصـيحتي سيئة. إني مدرك الآن أن ارتحـالكم بحـراً، سيعني مزيداً من المتاعب لنا، مادام سـينبغي علينا تزويدكم

بالسفن، بينما ان تذهبوا براً، فسيكون القتال أمراً مناطاً بكم. مع ذلك، يجب أن أفصح عما أعلم، وأني قادر على التحدث بشأن كل من جغرافية (بافلاجونيا) ومصادر ثروتها. انها ديار تضم أنضر السهوب جمالا وأكثر الجبال ضخامة. قبل كل شيء، إني عالم بالشطر الذي ستشرعون منه في غزوتكم ان السبيل الوحيد للأختراق، هو حيث ذرى الجبال الشاهقة على جانبي الطرآن[1]، واذا تمت السيطرة عليها - ولو من قبل قوة ضئيلة - غدت ذات منعة كافية. كل الرجال في العالم عاجزة عن المرور من هنا متى تم ضبط هذه المواضع. واستطيع ان اريكم اياها، اذا اهتممتم بايفاد أحدكم بمعيتي، وأعلم أن بعد هذا، تلي السهول وقوة من الفرسان التي يعدّها السكان أنفسهم تفوق فرسان العاهل بأسرها، فمنذ عهد قريب جداً، عندما استدعاهم العاهل، لم يرضخوا. وكان طرخانهم[2] جدّ فخور بذلك. بيد أنكم ان استطعتم التسلل عبر الجبال، أو احتلال الممر قبل العدو، وإنْ أحرزتم نصراً في السهل، مقاتلين فرسانهم اضافة الى مئة وعشرين الف راجل كذلك، فستُشرفون حينذاك على أنهارهم. أولا، نهر (ثرمودون)[3] الذي عرضه (٣٠٠ ق) وهو، ينبغي أن أقول صعب العبور، خصوصاً عندما تكون وحدات العدو أمامكم، وأخرى تفوقها تلاحقكم، من الخلف. ثم نهر (آيرس)[4] الذي عرضه ثلاثمئة قدم كذلك، والثالث نهر (الهاليس)[5] الذي سعته ربع ميل، ويتعذر اجتيازه دون قوارب. وأنّى ستعثرون على شخص يزوّدكم بالقوارب؟ ونهر

---

(١) طرآن: طريق.

(٢) طرخان: رئيس.

(٣) Thermodon: هذا النهر يسمى حالياً كلكيت (Kelkit) ويصب في النهر الذي يليه.

(٤) Iris: هو نهر يقع شرقي (الهاليس) ومعناه (قوس قزح) أو (حدقة العين) ويعرف حالياً (يشيل أيرمق).

(٥) Halys: هو النهر الذي يدعى حالياً (قزل إيرمق) في تركيا.

(پارثنيوس)[٦] هو الآخر عسير الأجتياز ، وهو الذي سيعترضكم بعد عبوركم نهر (الهاليس) . لذلك ، فانا ذاتياً لا أعدّ عبوركم صعباً الى درجة استحالته تماماً . بيد أنكم إن ترحلوا بحراً ، تستطيعوا أن تمخروا بمحاذاة الساحل من هنا حتى (سينوپ) ، ومنها الى (هراكليا)[٧] . وليس بعدها ثمة صعوبة في الرحيل ، براً أو بحراً . كما أن هناك وفرة من السفن في (هراكليا)» .

عند الأنتهاء من هذا الحديث ، أضحى بعض الناس في ريبة من أنه قد تكلم بدافع من صداقته مع (الكلوريليين) الذين له معهم علاقات رسمية ، وفكر الآخرون أنه سيحصل على مبلغ مقابل اسداء هذه المشورة ، وشك آخرون أن السبب الذي دعاه للتكلم على هذا النحو ، هو ألا يحدثوا أي ضرر للأرض العائدة الى (سينوپ) ، لو ساروا براً . على كل حال ، لقد صوّت الأغريق بالأتفاق على القيام بالرحلة بحراً .

بعدئذٍ ، تكلم (زينوفون) كالآتي : «يا رجال سينوپ : لقد اختار الجيش الطريقة التي تقترحون للرحيل . فالوضع الراهن ، كما يلي : ان كان سيتوفر العدد الوافي من المراكب حتى لا يتخلف عنا فرد واحد ، سننطلق بحراً ؛ أما اذا كان سيتخلف عنا البعض ، ويبحر الآخرون ، فلن نمتطي العباب . لأننا ندرك أننا بكامل قوتنا ، نستطيع انقاذ أرواحنا ، وتأمين الذخائر لأنفسنا . لكن إن أُحلق بنا ، وقوتنا لا تعادل الأعداء ، فاننا من الواضح تماماً لن نغدو أفضل من أرقّاء» .

وعندما وعى السفراء ذلك ، طلبوا الى الأغريق ان يوفدوا عنهم ممثلين الى

---

(٦) Parthenius : هو نهر (سقاريا) كما يدعى حالياً في تركيا .

(٧) Heraclea : هي مدينة على ساحل البحر الأسود وعند سفح جبل (قطران) .

(سينوپ) ، فعينوا (كاليماخوس) ـ Callimachus ـ الأركادي ، و(أريستون) ـ Ariston ـ الآثيني و (سامولاس) ـ Samolas ـ الآثي . فاتجه هؤلاء الرجال الى (سينوپ) .

في ذات الوقت ، عندما اعتبر (زينوفون) عدد المشاة الثقيلة الأغريق ، الذي كان هناك ، وعدد المشاة الخفيفة والنبالة ورماة المقاليع والفرسان ، وقد غدوا الآن ـ بعد كل تجاربهم ـ في منزلة عالية من الكفاءة ؛ وعندما اعتبر كونهم عند البحر الأسود(٨) ، حيث كان من المتعذر على قوة كهذه أن تتجمع ، دون نفقة باهظة ، خال تأسيسه مدينة هناك سيكون شيئاً بديعاً ، وبذا يكسب مساحة جديدة وقوة ضافية لليونان . فاعتقد أنها ستكون مدينة عظيمة عندما تصوّرَ تعداد الأغريق أنفسهم والناس القاطنين حول البحر الأسود . ولهذا الغرض ، قدم قرباناً قبل الافصاح عن الفكرة لأي فرد من الجنود . واستحضر للضحية (سيلانوس) ـ Silanus ـ الأمبراسي الذي كان عراف (كورش) . ولما كان (سيلانوس) في خشية من بروز الخطة الى حيز الوجود ، وأن الجيش قد يمكث في مكان ما هناك ، أشاع بين الجند أن (زينوفون) أنص بقاء الجيش ثَمَّ ، ولينشيء مدينة ، فيكتسب بذلك اسماً باهراً وبأساً لنفسه . لقد رغب (سيلانوس) ذاته في الأوبة الى اليونان بأسرع ما استطاع ، لانه كان قد اذخر الثلاثة آلاف جنيه التي حصلها من (كورش) عندما ضحى له ، وتكهن بصورة صحيحة عن الأيام العشرة .

وعندما نمت القصة الى الجنود ، فكّر بعضهم من الافضل أن يلذموا هناك ، لكن معظمهم لم يفكروا كذلك . لقد حدّث (تيماسيون) ـ Timasion ـ الدرديني و (ثوراس) ـ Thorax ـ البيوطي ، بعض التجار من (هراكليا) و (سينوپ)

---

(٨) Euxine : هكذا كان اسمه قديماً .

الذين كانوا ثمة ، وأخبراهم أنهم إن لم يزودوا الجيش بالمال بغية الحصول على مؤنهم أثناء الرحلة . فثمة خطر مكوث هذه القوة الهائلة في منطقة البحر الأسود . وقالا : «ان هذا ما يروم (زينوفون) وهو يحثنا ، حال وصول المراكب ، ألا نبدد لحظة واحدة في مخاطبة الجنود بأن نقول لهم : (ها أنتم ترون الآن أن لا سبيل لكم للحصول على المؤن خلال رحيل العودة ، أو لفعل أي شيء نافع لذويكم في الوطن - على فرض بلوغكم الوطن . مَيْدَ أنكم ان تهتموا للقيام بذلك ، تستطيعوا أن تتخيروا بقعة ، حيث تشاؤون ، في المنطقة المأهولة بالقرب من هذا الموضع عند البحر الاسود ، فتحتلوها وتسمحوا للراغبين في الأوبة أن يرجعوا ، وللراغبين في المكوث أن يبقوا ، وثمة سفن متوفرة لديكم ، وبذا تستطيعون الهبوط المباغت على أي مرفأ شئتم)» .

عندما سمع التجار بذلك ، أبلغوا مدنهم ، فأوفد (تيماسيون الدرديني) معهم (يوريماخوس) - Eurymachus - الدرديني ، و (ثوراس البيوطي) لأفشاء نفس الحكاية . فلما نمت الى سكان (سينوب) و (هراكليا) ، أوفدوا الرسل الى (تيماسيون) يستحثونه على قبول مبلغ من المال ، والمبادرة الى تحريض الجند على الابحار قصياً عن البحر الأسود . فرحب بالفكرة ، وخطب الخطاب التالي في حشد من الجند : «أيها الجنود ، علينا ألا نفكر في البقاء هنا ، وينبغي الا نعتبر شيئاً اهم من اليونان . مع ذلك ، يبلغني أن هناك أناساً يقدّمون القرابين بقصد البقاء ، حتى أنهم لم يخبروكم بذلك . ويسعني الآن التعهد بأن أدفع لكم «ستاتراً واحداً»[٩] شهرياً ، إنْ تبحروا بعيداً عن البحر الاسود ، اعتباراً من بدء

(٩) as A Stater of Cyzicus : (الستاتر) الأغريقي : عملة ذهبية تساوي (٢٠) من الدراخمات أو حوالي (٤) دولارات حالياً . أما (سيزيكوس) المنسوبة اليها هذه العملة ، فهي شبه جزيرة تمتد في بحر مرمرة نحو (٧٠) ميلا جنوب غربي اسطنبول .

الشهر . وسآخذكم الى (ترواس)[١٠] التي منها نُفيت ، وستساندكم مدينتي لأنهم سيبتهجون بعودتي . ثم سأقودكم بنفسي الى مواضع حيث تجدون المال وفيراً . إني خبير بـ(أيوليا)[١١] و (فريجيا) و (ترواس) وبمحافظة (ارتابازوس) ـArtabazus ـ برمتها ، وذلك لأنها منبتي أولا ، ولأني قد حاربت هناك بمعية (كليرخوس) و (درسيليادز) ـ Dercyllads ـ ثانياً» .

بعدئذٍ ، نهض (ثوراس البيوطي) الذي عارض (زينوفون) في مسالة القيادة ، وقال إنهم لو أبحروا من البحر الأسود ، لصادفوا أمامهم اقليم (الشيرسونيز) البديع الغني ، وبذا يستطيع البقاء هناك من أنص : أما غير الراغبين ، فبوسعهم العودة الى الوطن ، وإنه لمن السخف البحث عن الارض في أجزاء غريبة ، بينما هي في اليونان كافية ووافرة ، وأعرب قائلا : «والى حين وصولكم هناك ، سيضمن لكم (تيماسيون) وأنا كذلك ، مرتّبكم» . وقد افصح عن ذلك لعلمه بالوعد الذي قطعه سكان (سينوپ) و (هراكليا) شريطة أن يبحروا .

لقد لازم (زينوفون) الصمت أثناء هذه الخطب ، ثم نهض (فيليسيوس) ـ Philesius ـ و (ليكون) ـ Lycon ـ الآشيان ، وأفصحا أنه لشيء فظيع أن يعمل (زينوفون) في الخفاء لأقناع الناس بالمكوث هنا ، ويقرّب القرابين لذلك الغرض ، وفي نفس الحين لا يدلي بشيء من كل ذلك علناً .

حينئذ ، أضطُر (زينوفون) للوقوف والكلام ، فتحدث قائلا : «كما تعلمون ، أيها الجنود ، إني أقدم ما استطيع من القرابين لصالحكم ولصالحي ، وقصدي من ذلك هو عسى أن تجتلب كلماتي وأفكاري وأعمالي الخير الأعم والشرف

(١٠) Troad ــ : ثغر على بحر ايجه وهي التي دخلها بولس الرسول كما ورد في الفصل ١٦ من (سفر الاعمال) من العهد الجديد ـ الآية الثامنة .

(١١) Aeolia ــ : صقع في آسيا الصغرى قطنه الجنس الأيولي .

الأولى اليكم واليّ . تلك بالضبط كانت غايتي من تقديمي التضحية في هذه المناسبة . ذلك إن كان الأفضل أن أستهل بالتحدث اليكم وبحث المشروع ، أم نبذ الفكرة من اساسها . ان العرّاف (سيلانوس) أفادني باجابته عن اهم مسألة ، وهي أن دلائل الضحية كانت موافقة . وكان مرغماً على ذلك ، لأنه على سابق معرفة بأني شخصياً حائز على بعض الخبرة في هذه القضايا لحضوري الدائم تقديم القرابين . لكنه أفصح أن الضحية أظهرت له بعض الوقيعة بي والتآمر علي ـ وهذا امر طبيعي تماماً لأنه كان عالماً أنه بالذات مبيّت التهجم عليّ أمامكم . وقد فعل ذلك باشاعة الحكاية أني قد فكرت في تنفيذ هذه الخطة قبل الحصول على مرضاتكم أولا . والحقيقة ، لو رأيتكم بلا ايراد ، لوجبَ عليّ محاولة ايجاد خطة ، بها تستطيعون احتلال مدينة ما ، ثم يطيق الابحار نحو الوطن من شاء ذلك ، ويستطيع الآخرون أن ينتظروا ريثما يتم لهم الحصول على المال الكافي ليفيدوا ذويهم في الوطن . بيد اني الآن الاحظ أن سكان (هراكليا) و (سينوپ) يبعثون اليكم السفن للأقلاع من هنا ، ويعدكم هؤلاء جعائل[١٢] منتظمة من اول الشهر ، لذا أعتقدها فكرة ممتازة بأن نصل حيث نبغي أن نكون في مأمن ، ويُدفع لنا مقابل ذلك بحسب المساومة . اني شخصياً أنبذ خطتي التي كونتها ، واوصي جميع الذين قصدوني وأخبروني بوجوب تنفيذها ، أن يتخلوا عنها كذلك . من رأيي ، طالما بقيتم متماسكين بقوتكم العظيمة الراهنة ، فأنتم واثقون من الاحترام والحصول على المؤن . ان احدى نتائج القوة هي المقدرة على أخذ ما يعود الى الأضعف . أما إذا تفرقتم ، واذا أضحت قوتنا هذه مجزأة الى فرق ، فلا يسعكم آنذاك تأمين طعامكم ، وسيكون

(١٢) : جعائل ـ جمع جعيلة وهي راتب المحارب .

الانطلاق من هنا أمراً محـــزناً . لذا فرأيي هو رأيكم بالذات ـ أي علينا أن نمضي الى اليونان : لكن اذا تبين أن فردا ما يغادرنا قبل سلامة الجيش بأسره ، فاعتقد بوجوب احالته الى المحاكمة لسوء التصرف . فليرف الأيدي من يرتضي منكم ذلك» .

فرفع كل فرد يده . بيد ان (سيلانوس) صاح محاولا التكلم ، ليظهـر أن الانطلاق سيكون من حـق الراغبين في الذهاب ، لكن الجنود لم يحتملوا ذلك ، وهددوه أنه سيؤدي الثمن ان هم ضبطوه منهزماً .

بعد أن سمع سكان (هراكليا) أنه قد تقرر الأبحار من منطقة البحـر الأسـود وأن (زينوفون) نفسه قد عرض الأمر للتصويت عليه ، أرسلوا السـفن ، لكنهـم أخفقـوا في المحـافظة على وعدهم بشـأن المال ، كما أمّلوا (تيماسـيون) و (ثوراس) . ولما رأى الاثنان أنهما من وعدا بالجعائل ، أدركا أنهما باتا الآن في وضع جدّ حرج ، وفي خشية من الجيش . لذلك قصدا (زينوفون) ، مستصحبين معهما القادة الآخرين الذين شاوروهم حول التآمر السابق ، وهؤلاء كانوا القادة قاطبة ماخـلا (نيون الأسـيني) وكيل (خـريسوفوس) الذي لم يعـد حتى ذلك الحين ، وأخبروا (زينوفون) أنهم نادمون على فعلتهم ، وأنهم فكروا أن أفضـل ما يفعلون هو الابحـار شـطر نهـر (فاسس) لتوفر السـفن هنالك ، ويحتلون الأرض (الفاسية) . وكان عاهل تلك البلاد ، آنذاك ، حفيد (آيتس) ـ Aietes .

فأجـاب (زينوفون) أنه لم يحبذ ذكر أي شيء من ذلك للجيش ، وقال : «لكنكم تستطيعون الدعوة للأجتماع ، ان شئتم ، وتطرحون الأقتراح» .

اذ ذاك ، عرض (تيماسـيون الدرديني) فكرته ، وكانت أن الافضـل عدم الدعوة للاجتماع ، بل ينبغي على كل واحد منهم أن يحـاول اقناع ضـباط المئة الذين تحت امرته . فانصرفوا وقاموا بذلك .

الفصل السابع

زينوفون يدافع عن نفسه

وهكذا وجد الجنود المسالة تثار بأكملها مكرراً . واختلق (نيون) ـ Neon ـ بأن (زينوفون) رغش[1] على القادة الآخرين ، وكان يفكر في تضليل الجند وأخذهم ثانية الى (فاسس) . فتميز الجنود غيظاً عندما سمعوا ذلك ، وعقدت الاجتماعات ، وتربيوا في حشود ، وانتحلوا كل عذر لخشيتهم أنهم ينبغي أن يعملوا كما فعلوا في حالة المنادين (الكولجيين) ومأموري السوق . وعندما وقف (زينوفون) على جلية الأمر ، قرر دعوة الجيش للاجتماع فوراً ، بدلا من تركهم مجتمعين بحسب مشيئتهم ، ولذا أوعز الى المنادي بالدعوة الى الانعقاد ، فتوافدوا الى الاجتماع حالما سمعوا صوت المنادي ، وبدت عليهم اللهفة على ذلك . لم يتهم (زينوفون) القادة بأنهم قد قصدوه حول الموضوع ، وبدلا من ذلك ، تحدث قائلا : «أيها الجنود ، أسمع أن البعض يتهمني بنيتي على خدعكم وأخذكم الى (فاسس) . لذلك ، ارجوكم أن تعيروني سمعكم . اذا ثبتت إساءتي اليكم ، وجب علي عدم مغادرة هذا الموضع دون أن أكابد من أجل ذلك . ومن الجهة الأخرى ، اذا ثبت أن الذين يتهموني هم المسيئون ، فينبغي عندئذ أن تعاملوهم كما يستحقون تماماً . اني الآن على يقين أنكم تدركون الجهة التي تبزغ منها الشمس ، والجهة التي تتناص[2] فيها . وأن فرداً ان شاء الذهاب الى اليونان ، فعليه بالرحيل غرباً ، بينما ان انص الانطلاق الى منطقة من مناطق

---

(١) ـ رغش على : سخب على .

(٢) ـ تغرب .

السكان الأصليين ، فعليه بالسير في الاتجاه المعاكس ـ نحو الشرق . فهل يمكن التصـور أن احـداً يسـتطيع تضـليلكم بأن تفكروا أنّ ذُكاء[٣] تشرق هناك ، وتتطرف[٤] هنا ، أم تغـرب هنا وتبزغ هناك؟ كما أنكم تدركون هذا جيداً ـ أن الشمول[٥] تأخذنا بعيداً عن البحر الاسـود صـوب اليونان وأن الجنوب تقـودنا نحو (فاسس) . وعندما تهـب الشَمِيل[٥] ، يقـال إن الطقس ملائم للأبحـار الى اليونان . لذلك ، هل من الصواب أن يستطيع فرد ما خـدعكم بركوبكم السـفن حينما تهب الجنوب؟ قد تقـولون سـأجعلكم في السـفن عند سكون العَـيلم[٦] ؛ لكني سـأمخر بسـفينة واحـدة ، وأنتم في مئة سـفينة على الأقل . لذلك ، كيف يتسنى لي ارغامكم على الابحار معي ضد ارادتكم ، أو تضليلكم في اللحاق بي؟ لكن دعونا نتصـور أنكم قد خُـدعتم ، أو بالأحـرى سُـلب عقلكم ، من قِبَلي ، وأننا نبلغ (فاسس) . عندئذ نذهب الى الشـاطيء ، وسـتكون لديكم فكرة جلية أنكم لسـتم في اليونان . فأنا الذي ضـللتكم ، سـأكون فرداً فحسـب ، وأنتم تناهزون عشرة آلاف ، بأيديكم الاسلحة . كيف يُسلِّم الانسان ذاته الى العدالة بأسلوب فعال اكثر من هذا النمط من الأجراء من أجله وأجلكم؟ كلا . كل هذه الأقاويل تصـدر من اناس اغبياء ، أو من خَلَّق هم حسـادي ، لأني أعامَل من لدنكم معاملة متميزة . ومع ذلك ، لا يستطيعون أن يملكوا عذراً ممكناً ليضـحوا حساداً . متى أعقتُ أيا منهم عن الكلام تجـاهكم ، لو كان لديه شيء ، قيمٌ ؛ أو عن القتال إن شاء القتال في سبيلكم وسـبيله ؛ أو عن البقـاء يقـظاً أثناء الليل ، مفكراً في الخطط من أجل سـلامتكم؟ هل اعترضتُ سـبيل فرد في موضـوع

(٣) ـ علم للشمس غير منصرف .

(٤) ـ تغيب

(٥) ـ الشمول والشميل نفس المعنى : الريح الهابة من ناحية الشمال .

(٦) ـ البحر

انتخاب الضباط؟ اني على أهبة تامة للأنسحاب ؛ لأفسح له اتخاذ مركزي. أبغي ان استيقن فقط، أنه رجل من ذلك الطراز الذي يسدي اليكم الخدمة النافعة. لكني في الحقيقة، بقدر ما يخصني الأمر، قد قلت ما فيه الكفاية في هذا الصدد. ان يظن أحدكم أنه قد خدع بهذا الشكل، ام أن أحداً عداه قد ضلله في ذلك، فلينطق ويحدثنا عن ذاك.

«لكن، عندما ينجّز هذا بصورة مرضية، لا تتفرقوا من الاجتماع قبل الاصغاء الى ما أروم الافصاح عنه بصدد نزعة معينة الا حظها في الجيش. فانها ان تظل وتصبح كما تلوح أنها كائنة، فقد آن الأوان بأن نفكر جدياً في شأن وضعنا بالذات، ونهتم كي لا نظهر أمام الملأ والسماء، وتجاه الصديق والعدو، أننا جماعة من الناس، تافهة ومزرية للغاية».

عندما سمع الجنود ذلك، استغربوا ما عنى، وطالبوه بالاستمرار. عندئذ شرع في الكلام مجدداً: «اني متاكد أنكم تتذكرون بعض المواضع الجبلية العائدة الى السكان الأصليين، التي كانت على وفاق مع شعب (سيراسوس). لقد اعتاد بعض القاطنين أن ينحدروا ويبيعونا حيوانات للتضحية وأشياء أخرى من مقتنياتهم؛ وأعتقد أيضاً أن بعضكم قصدوا أدنى هذه المنازل، وعادوا بعد اقتناء مشترياتهم. فوجد (كليراتوس) - Clearatus - أحد ضباط المئة، أن هذا الموضع صغير، وأنه قد تُرك من غير حراسة بسبب من اعتقاد السكان أننا أصحابهم. لذلك، أغار عليهم تحت جنح الظلام بنية نهب المكان دون اعلام أي أحد منا بذلك. وكانت خطته، إن احتلّ الموضع، عدم الرجوع الى الجيش، بل الاقلاع بسفينة تحمل رفاقه، وتمخر بمحاذاة الساحل، فيضع

فيها ما قد معد[٧] ، ويبحر من البحر الاسود رأساً . ان اصحابه في المركب قد اتفقوا معه بشأن هذا التدبير، كما علمت الآن . لذلك ، إستجمع الذين حملهم على الذهاب معه ، واقتادهم نحو الموضع ، لكن الشمس بزغت قبل بلوغه هناك ، وتجمع السكان في كتلة ، وأطلقوا عليه المقذوفات من معاقلهم ، وقاتلوهم فقتلوا (كليراتوس) مع آخرين ، ولو أن بعضاً منهم عادوا الى (سيراسوس) .

«لقد وقع ذلك في اليوم الذي شرعنا في المسير الى هنا ، لكنه كان لم يزل في (سيراسوس) بعض الذين كانوا ذاهبين بحراً ، ولم يُلقوا مرساتهم بعد . بعدئذٍ ، استناداً الى سكان (سيراسوس) ، وصل ثلاثة من شيوخ المنطقة الى (سيراسوس) ، وطلبوا الاجتماع بهيئتنا العامة . وعندما ألفوا أننا قد غادرنا ، أخبروا سكان (سيراسوس) أنهم قد دهشوا لتفكيرنا بالهجوم عليهم ، وعندما أنبأهم أهالي (سيراسوس) أن العملية لم تكن مخولة ، سروا بذلك ، وعزموا على الابحار نحونا ليخبرونا بما حدث ، ويتيحوا للمعنيين القدوم لاستلام موتاهم لمواراتهم . غير أنه اتفق لبعض اليونانيين الفارين أنهم ما برحوا في (سيراسوس) . وعندما وجدوا الجهة التي ينطلق اليها هؤلاء السكان الاصليون ، أقدموا على رميهم بالحجارة ، وعلى دعوة البقية لتحذو حذوهم . لذلك ، رُجم هؤلاء الرجال ـ السفراء الثلاثة ـ حتى الموت . وبعد أن جرى ذلك ، قصدنا أهالي (سيراسوس) وأعلمونا به . فنحن القادة ، عندما سمعنا الحكاية ، انفعلنا كثيراً لما حدث ، وبحثنا مع اهالي (سيراسوس) كيفية دفن جثث اليونانيين . لقد كنا جالسين سوية خارج الموضع الذي كانت فيه الاسلحة ، واذا بنا ـ على حين غرة ـ نسمع جلبة عظيمة وصراخات تقول :

---

(٧) ـ اختلس

«جندلوهم! أرموا حجارتكم!» وبعد ذلك ، شاهدنا اعداداً من الرجال ، مهرولين والحجارة بأيديهم ، وآخرين يلتقطون الاحجار . فلما لاحظ أهالي (سيراسوس) ما حدث في مدينتهم ، ذُعروا كثيراً بطبيعة الحال ، واتخذوا طريقهم نحو سفنهم . أجل ، وكان هنالك بعضنا ممن داهمه الذعر كذلك . غير أني توجهت نحوهم ، مستفسراً عن كل ما جرى ، وكان بعضهم لا يعلم شيئاً عن الامر ، بيد أن الاحجار ما فتئت بأيديهم . وأخيراً وجدت أحدهم على علم بذلك ، فأفادني أن مأموري السوق كانوا يعاملون الجيش معاملة مهينة . عند ذاك ، لمح أحدهم المأمور (زيلارخوس) ـ Zelarchus ـ منحدراً نحو اليم ، فأطلق صيحة . وحالما سمعها الآخرون ، هجموا عليه وكأنّه هِلّوف[8] أو وعل لاح للبصر . فلما شاهد أهالي (سيراسوس) اتجاه الجنود ناحيتهم ، أيقنوا أنهم هدف الهجوم ، وأسرعوا بالفرار ، ملقين أنفسهم في البحر . والحقيقة ، لقد القى بعضنا أيضاً أنفسهم في العيلم معهم ، وغرق الذين لم يعرفوا السباحة . فما الذي تظنون قد ادى بهم ان يفعلوا ذلك؟ انهم لم يلحقوا بنا أذى ، لكنهم خشوا أن قد اعترانا الخَبَل فجأة كالكلاب . فان تستمر مثل هذه الاعمال ، ففكروا فقط ماهي الحال التي سيكون عليها جيشنا . انكم ، الجيش برمّته ، ستفقدون الطاقة على محاربة من تشاؤون ، وعلى إنهاء الخصومات . ويستطيع كل راغب أن يذهب بعيداً حسب مشيئته ، ويقتاد قوة نحو أي هدف يميل اليه . وعندما يؤمّكم الرسل ، مطالبين بالصلح أو بقصد آخر ، يستطيع من يشاء قتلهم ، وبذا يمنعونكم من الاصغاء الى قضايا الذين يلجأون اليكم . وعندئذٍ ، لا يجد الضباط ، الذين تنتخبون في اجتماع عام ، موضعاً للوقوف ، بينما القائد الذي انتخب نفسه تلقائياً ، ويشاء أن يصرخ : «أرجموه بحجارتكم!» ستكون له

(٨) ـ خنزير بري

السلطة الوافية لأعدام أي ضابط أو جندي منكم دون محاكمة ، اذا شعر بميل للأقدام على ذلك . واذا كان ثمة أناس على استعداد لطاعته كما وُجِد فعلا في هذه المرة .

«فتأملوا الآن»ما الذي فعل نحوكم هؤلاء القادة المنتخَبون من تلقاء أنفسهم . اذا كان المأمور (زيلارخوس) قد الحق بكم أي ضرر ، فقد اقلع للفور ، ولم يقنعكم مقابل ذلك . وان كان ، من ناحية أخرى ، بريئاً ، فقد هرب من الجيش خشية اعدامه ظلماً دون مقاضاة . ان الذين رجموا الرسل حتى الموت ، قد سعوا في أن تكونوا وحدكم اليونانيين الذين لا يؤمن دخولهم الى (سيراسوس) ، إلا أن تذهبوا عنوة . أما الموتى ، فمع أن الذين قتلوهم ، أعطوكم سابقاً فرصة لدفنهم ، فقد صيَّر هؤلاء الناس من غير المأمون عليكم أن تذهبوا لاستلام الجثث ، حتى لو كانت برفقتكم هيئة مناداة رسمية . من الذي يمضي منادياً ، ان كان قد قتل المنادين بنفسه؟ بيد أننا قد التمسنا أهالي (سيراسوس) أن يواروهم .

«فان كانت هذه الافعال مصيبة ، فصادقوا عليها ، كي ندرك أن الامور ستجري على هذا المنوال في المستقبل ، وبذا يستطيع كل فرد أن يحترس لنفسه ، ويحاول نصب خيمته في موقع لا يُقتحَم . أما اذا تحسبون هذا الضرب من المسلك أدنى الى تصرف البهائم منه الى الكائنات البشرية ، فدعونا نعتبر كيفية وضع حد لذلك . فان لم نفعل فكيف نستطيع ، بحق السماء ، الاستمرار في تقديم القرابين للآلهة براحة ضمير بينما نرتكب أعمالا شريرة؟! وكيف تتسنى لنا مقاتلة خصومنا إن نقتلْ أناسنا بالذات؟ أية مدينة ترحب بنا ودياً إذ تشاهد هذه الحال من الفوضى بيننا؟ من الذي يشعر بأية ثقة في منحنا تسهيلات لابتياع قوتنا ، لو علم أننا متهَمون بأفعال عظيمة الخطورة كهذه؟ اننا ـ في الوطن ـ

نتوقع الأطـراء حتماً من كل فرد، لكن من ذا الذي يمتدحنا ان كان سـلوكنا هذا سيستمر؟ اني على يقين أننا بالذات لن نقول كلمة طيبة عن أناس يفعلون نظير هذه الاشياء».

بعـدئذٍ، وقفـوا جميعـاً، وقالوا ان الذين تزعموا هذه التصرفات يجـب أن يعاقَبوا، وفي المستقبل ينبغي الا تكون ثمة فرصـة لمعـاودة التصرف الفـوضوي، وان الذين يرتكبونه، يتحتم اعدامهم. وعلى القادة أن يقوموا بتحـريات قانونية في هذه القضايا كافة، كما يستوجب أن تجرى استقصاءآت عن أي من القضايا الأخـرى حيث ارتكَب الخـطأ فرد ما منذ وفاة (كورش). فعـيّنوا ضـباط المئة ليكونوا بمثابة هيئة المحلفين.

وعملا بتوصية (زينوفون)، التي نالت مسـاندة العـرافين، تقـرر تطهـير الجيش، وأُجريت شعيرة التطهير.

الفصل الثامن

زينوفون يسوّغ التأديب أثناء الضرورة

لقد تقرر كذلك وجوب إجراء استقصاء في تصرف القادة سابقاً . ونتيجة لهذا الاستقصاء ، غُرِّم (فيليسيوس) ـ Philesius ـ و (زانثيكلس) ـ Xanthicles ـ عشرين قطعة من (المينا)(١) لعدم كفاءتهما في حراسة أحمال السفن التجارية ، وغُرِّم (سوفانتيوس) ـ Sophaenetus ـ عشر قطع من (المينا) لأنه قد أهمل مركزاً ذا مسؤولية عهد اليه .

وتقدم بعض الافراد باتهامات على (زينوفون) ، مدّعين أنهم قد ضُربوا من قبله ، مستندين باتهاماتهم أنه قد تصرف بتجبّر . فسأل (زينوفون) الرجلَ ، قبل كل شيء ، عن الموضع الذي جرى فيه الحادث ، فقال :«لقد حدث حيث كنا نقضي رَمْداً(٢) . وعندما كان كل ذلك الثلج .»

فقال (زينوفون) : «حسناً . عندما كان الطقس كما تقول ، ولما كان طعامنا الى نفاد ، ولم تكن لدينا قطرة من نبيذ ، وحينما كان العديد منا ينوء تحت وطأة جميع مشقاتنا ، والأعداء يلاحقوننا ، لو صحّ أني تصرفت بتجبّر آنذاك ، لسلمتُ أن تجبّري حتما يفوق حتى ما لدى الحمار ، ويقولون ان الحمير تملك من الصلابة حدا لا يصيبها معه الأرهاق . مع ذلك ، قل لنا ما هو الباعث على ضربك . هل طالبتك بشيء ، ثم ضربتك لأنك لم تعطنيه ؟ هل كنت أسترد منك شيئا ما ؟ هل كان لنزاع حول صبي وسيم ؟ أم أسأت معا ملتك عندما كنتُ

(١) (المينا) عيار فضي يعادل مئة من (الدراخمات) أو عملة نقدية تعادل خمسين شاقلا .

(٢) الهلاك من البرد الشديد.

ثملا ؟» فقال إنه لم يكن أي شيء من ذلك . ثم سأله (زينوفون) إن كان فرداً من المشاة الثقيلة . فأجاب بالنفي : أو أحد المشاة الخفيفة . فنفى كذلك . لقد كان فرداً طليقاً . كانت مهمته إقتياد البغل بجانب قائده . عندئذ . ميّزه (زينوفون) ، وقال له : «إذا . أنت هو الرجل الذي كان حاملا أحد المصابين ؟» فأجاب : «أجل . أنا هو بالتأكيد . وقد أرغمتني على القيام بذلك . وبعثرتَ جميع معدات رفاقي في ذلك الموضع .»

فقال (زينوفون) : «أما فيما يتعلق ببعثرة المعدات ، فكيفية ذلك هي أني سلّمتها رجالا آخرين لحملها ، وأمرتهم بتسليمها إليّ . وعندما استعدتُها منهم ، أعدتُها إليك كاملة سالمة ، وفي حال جيدة بعد أن أبرزت إلي الرجل الذي كنتَ حامله . لكن ينبغي على جميعكم أن تسمعوا ما حدث فعلا ، فإنه جدير بالأصغاء إليه . لقد تُرك أحد الرجال لأنه أضحى عاجزاً عن مواصلة السير . كل ما عرفت عن الرجل أنه كان أحدنا . لقد أرغمتك على حَملِه كي يستطاع إنقاذ حياته . وأعتقد أن الأعداء كانوا يلاحقوننا عن كثب .»

لقد أيد الرجل ذلك ، وواصل (زينوفون) قائلا : «لقد أنفذتُك الى الأمام . ألم أعد إليك ثانية مع المؤخرة . فألفيتك تحفر حفرة لتواري الرجل ؟ فوقفتُ بحذائك ، واستصوبتُ عملك ، أليس كذلك ؟ ثم ، عندما كنا واقفين هناك ، سحب الرجل ساقَه ، وصرخ الناس ثمة قائلين : إنه حي . لكنك قلت إنه يستطيع البقاء حيا بقدر ما يشاء ، وإنك لن تحمله . إذ ذاك ضربتك ، وأنت صادق في ذلك تماما . كان مردّ ذلك الى حصول فكرة لدي أنك قد كنت على سابق علم بأن الرجل على قيد الحياة .» فأجاب الرجل : «وما في ذلك ؟ لقد قضى نحبه بعد أن أطلعتك عليه ، أليس كذلك ؟» فقال (زينوفون) : «لا ريب في

أننا سنموت جميعاً . هل يبرر هذا وجوب دفننا كافة ، ونحن أحياء ؟» إذ ذاك ، ذَعَقوا[٣] الرجلَ ، ناقمين وقائلين إن (زينوفون) لم يضربه بمقدار نصف استحقاقه .

بعد ذلك ، طلب (زينوفون) من أي فرد آخر أن يدلي بالأسباب لضربه ، وإذ لم ينهض أحد ، واصل كلامه قائلا : «إني ، أيها الجنود ، أقرّ أني قد ضربت رجالا في أحوال انعدام النظام ـ ذلك الطراز من الناس الذين كانوا مقتنعين تماما أن حياتهم تصان بسيركم في تشكيلات ، وبالقتال عندما استوجب ذلك ، لكنهم هجروا الصفوف ، وانهزموا يرومون الحصول على أكثر من حصّتهم العادلة من الأسلاب . لو سلكنا جميعا على هذا النحو ، لَمَحِقنا عن بكرة أبينا . وثمة أحوال كذلك ، عندما كان الانسان يفقد السيطرة على نفسه ، وأبى الوقوف ، مسلما ذاته الى العدو ، فحينئذ ضربتُ البعضَ وأرغمتهم على متابعة المسير . وعلة ذلك ، أني شخصيا ، في مرة من المرات ، أثناء الزمهرير ، بينما كنت أنتظر بعض الرجال الذين كانوا يحزمون أمتعتهم ، جلست برهة طويلة ، فألفيت صعوبة في النهوض ومد الساقين . وعليه ، نتيجة لخبرتي الذاتية ، أخذت بعد ذلك في دفع الناس الآخرين عندما لمحتهم جالسين ومتوانين . إن الحركة الدائمة والنشاط حافظا على حرارة الجسم ، وعلى مرونة الأطراف ، لكني وجدت القعود والجمود يؤثران على انجماد الدم ، وانفصال الأبهام الذي ـ كما تعلمون ـ قاسى منه الكثيرون . ثم في أحوال تلكوء البعض بعامل كسلهم ، فأعاقوكم في المقدمة واعاقونا في المؤخرة عن اللحاق بالمسيرة ، ربما قد ضربت واحداً أو اثنين بقبضتي ؛ لكن ذلك كان من اجل ابعادهم عن طعنات

(٣) صاحوا به .

أسنة رماح العدو . أجل ، وبما أنهم الآن في منجى ، فلديهم متسع لانصافهم اذا جوبهوا بأية معاملة سيئة مني . أما ، من ناحية أخرى ، لو وقعوا في ايدي الاعداء ، فما هو الانصاف القانوني الذي يخالون نواله مهما كابدوا؟ انّ قضيتي بسيطة تماماً . ان كنت قد عاقبت أي فرد لصالحه ، فينبغي عندئذ أن أفسرها أنها بالضبط عين نهج الوالدين مع اولادهما ، وأسلوب المعلمين مع تلاميذهم . كذلك الاطباء ، يستخدمون المشارط والقضبان الحديدية الساخنة لخير مرضاهم . لكنكم ان تقصدوا أن أعمالي ناجمة عن تصلب ، فأرجو أن تدركوا أني في الوقت الراهن ، والحمد لله[٤] ، أكثر ثقة مما كنت سابقاً ، وأني الآن أبسل مما كُنت في الماضي ، والذج[٥] مزيداً من الراف[٦] ، بيد أني ـ مع هذا ـ لا أضرب أي فرد . والسبب لأني اراكم حالياً تتمتعون بطقس لطيف . لكن حالما تهب العاصفة ، ويهيج العيلم[٧] ، لابد قد لاحظتم كيف ان الضابط في مقدمة السفينة يسخط على رجاله لمجرد حركة من الرأس ، وهكذا يفعل صاحب السكان[٨] مع الذين تحت امرته . ومَرَدّ ذلك ، حتى الهفوات البسيطة ، في ظرف كهذا ، قد تؤدي الى قلب كل شيء رأساً على عَقِب . لقد سلّمتم بأنفسكم أني كنت محقاً في ضرب هؤلاء الرجال . لقد كنتم آنذاك واقفين بمحاذاتي ، والسيوف بأيديكم ، وليس حَصَيَات الاقتراع[٩] ؛ وكان في مقدوركم

(٤) ((Thank God)) .

(٥) أشرب : أجرع .

(٦) الخمرة .

(٧) البحر .

(٨) صاحب السكان هو المشرف على توجيه (الدفه) والدفّة مولّدة .

(٩) Voting Pebbles : حَصَيَات جمع حصاة من (الحصى) الذي هو صغار الشكل الملونة . ولا يُعلَم ما هو المقصود ، على وجه التحديد بتعبير المؤرخ «حصباب حمل الحصى اثناء الانتخابات كان من العادات أو التقاليد الأغريقية آنذاك .

أن تخفّوا الى معونتهم لو شئتم . والحقيقة أنكم لم تتقدموا لمساعدتهم ، ولا ساهمتم معي في معاقبة الافراد الذين تصرفوا تصرفات فوضوية . والنتيجة هي ، أنكم بأغماض العين عنهم ، قد افسحتم ، لاردأ العناصر بينهم ، مجالا أن يصبحوا لا يطاقون . من رأيي ، إنْ تهتموا بملاحظة ما حولكم ، تجدوا أن الرجال الذين كان سلوكهم أسوأ من غيرهم آنذاك ، هم الآن أكثرهم سجايا لا يطاق احتمالها . دونكم قضية (بويسكس) ـ Boisous ـ الملاكم التسالي . في تلك الايام ، اطلق نغمة صاخبة أنه عليل جداً حتى أنه لا يستطيع حمل الدرع ، والآن تناهى الي أنه قد ابتز الكثيرين من أهالي (سوتيورا) . انّ كنتم عقلاء ، فستعاملونه بأسلوب يختلف تماماً عما يعامل الناس به الكلاب . انهم يقيّدون الكلاب ، السيئة الطبع ، خلال النهار ، ويطلقونها آناء الليل ، لكنكم إنْ كنتم أهل حصافة ، فستكبّلونه ليلا ، وتطلقونه نهاراً .

وأضاف (زينوفون) قائلا : «مع ذلك ، فأنا مُتَقَمّع[10] للحقيقة بأني في الاحوال التي اغلظتُ فيها أحدَكم ، أجدكم تتذكرونها وتتكلمون بصددها ، أما الأحيان التي أعنتكم فيها خلال الطقس القارس ، واقصيت الأعداء ، أو أديت دوري في اسعاف أي معلول أو محتاج ، فلا يتذكر أحد عن ذلك شيئاً ، ولا تتذكرون المناسبات التي فيها أطريتُ رجلا لأحسانه في عمل ما ، ام منحتُ جندياً ، تصرف ببسالة ، كلّ ما استطعت من تكريم . مع ذلك ، إنّ تذكّر الحسنة أكثر من السيئة لشيء مشرّف وعادل ومستقيم ، وأدعى للغبطة» .

حينئذٍ ، نهض الجمع ، وضربوا الامثلة على بعض هذه الأشياء ، وكانت النتيجة أن تم كل شيء على ما يرام .

(١٠) متحيّر ومندهش ، من الفعل تقمع ، أي تحير واندهش .

القسم السادس
السير نحو البوسفوز

الفصل الأول
زينوفون يأبى عرضَ القيادة العليا

بعـد ذلك ، وفي غضـون الفترة التي أنفقـوا هنا ، اقتاتوا بعضـا على ابتياع الطعام ، وبعضاً على انتهـاب إقليم (پافلاجـونيا) . وكان (الپافلاجـونيون) كذلك حاذقين للغاية في إبادة الضالين ، وحاولوا أثناء العتمة إيقـاع الضرر بين أولئك الذين كانوا معسكرين في المواقع الأمامية ، ونتيجة لذلك ، سـاد كلاً من الطرفين شعور حاد جداً .

لقـد أوفد (كوريلاس) -Corylas- حـاكم (پافلاجـونيا) آنئذ ، رسـلا الى الأغريق ، مع خيول وأكسية فاخرة ، وقالوا ان (كوريلاس) مستعد لابرام اتفاق لن يؤذي ، بموجبه ، أي الطرفين الآخر . فأجـاب القـادة بوجـوب بحـث هذا الطلب مع الجيش ، لكنهم في ذات الحين أجـروا للسـفراء اسـتقبالا مضـيافاً ، ودعوا أيضاً نفراً من بقية الجيش ، عدّوهم أهلا للوجاهة .

بعد تضـحية بعض الثيران التي غنموا ، وبهـائم أخـرى كذلك ، أولموا وليمة فاخـرة ، ولو أنهـم أكلوا متكئين على مقـاعد واطئة ، وارتشـفوا من اقداح هي قرون عثروا عليها في ذلك القطر . وعندما سكبوا قربان الخمر ، وأنشدوا نشيد الحرب ، نهض أولا شخصان من (ثراشـيا) ، وأديا رقصـة على نغـمات الناي ، وهما بسنوّرهما[١] . فنطّا عاليا برشاقة عظيمة ، ولوّحا بحساميهما ، وفي الختام ، جلغ[٢] أحدهما الآخر - كما حسب الكل - فاجلعبّ[٣] ، وظـل يؤدي الحـركات

(١) السنوز : هولبوس من عد كالدرع . وهو ايضاً جملة السلاح وكل سلاح من حـديد . والمقصـود هنا هو لبوس الدرع .

(٢) ضربه بالسيف .

(٣) امتد صريعاً

طول الوقت . فصاح (الپافلاجونيون) لهذا المشهد ، وجرّد الأول زميله من أسلحته ، ومضى خارجا وهو ينشد أنشودة (سيتالكس)[٤] . بعدئذ حمله رجال (ثراشيّون) آخرون ، وكأنه قد زُهق ، مع أنه لم يُصب بسوء البتة .

بعد هذا ، وقف بعض (الآينيين)[٥] و (الماجنسيين)[٦] بمعداتهم الكاملة ، ورقصوا رقصة يسمونها (رقصة الزارع) . وكانت طريقة الرقص هي أن يلقي أحد الرجال سنوّره ، ويشرع في البذار . إنه يسحب فداناً للثيران ، ويستمر في التطلع حواليه ، وكأنه يتوجس خيفة . ثم يظهر سارق ما ، وحالما يلمحه الباذر ، يلتقط أسلحته ، وينطلق لملاقاته ، ويناضل في سبيل الفدان . وقد أدوا كل ذلك على أنغام الناي . وأخيرا يوثق اللصُ الرجل الآخر ويحمله بعيدا مع الثيران ، ولو أن الحارث ، في بعض الأحيان ، يوثق اللص ثم يربطه بالثيران ويسوقه وقد قيد يديه خلف ظهره .

بعد هذا ، تقدم شخص (ميسي) يحمل ترساً خفيفا في كل يد ، ورقص . وجعل من نفسه ، أحيانا ، أن يبدو للعيان ، وكأن شخصين يداهمانه ، واستخدم الترسين تارة وكأنه يقاتل شخصا آخر ، وكان طورا يدور سريعا ، فينقلب رأسا على عقب ، وهو قابض على الترسين ، وذلك بإداء في منتهى الروعة[٧] . وأخيرا رقص الرقصة الفارسية ، وهو يصدم الترسين ببعضهما ، ويثني ركبتيه ، ثم يقفز نحو الأعلى ثانية ، مؤدياً كل ذلك مع محافظته على إيقاع الناي . وبعده ، وقف

---

(٤) ـ Sitalces ـ لعله اسم اسطوري .

(٥) ـ Aenianes ـ لم اعثر على هذه النسبة في القاموس .

(٦) ـ Magnesians ـ نسبة الى (ما جنسيا) في اليونان .

(٧) ـ من هذا يستدل على وجود الرقص التمثيلي في زمن الاغارقة ولعله عرف قبلهم .

بعض (المانتنيين) و (الأركاديين)، وقد ارتدوا أفخر سنوّر توفر لديهم، وتقدموا نحو الأمام على ألحان الناي، محافظين على إيقاع الرقصات الحربية. وأنشدوا النشيد الحربي، ورقصوا كما يجري في الشعائر الدينية.

لقد عدّ المشاهدون (الپافلاجونيون) أن تأدية كل هذه الرقصات، مع السنوّر، شيء مذهل، وعندما لاحظ الشخص (الميسي) مدى تأثرهم بما مُثّل أمامهم، إستحصل إذنا من أحد الأركاديين الذين ملكوا فتاة راقصة، واستحضرها بعد أن كساها بأحسن كسوة حصل عليها، وأعطاها ترساً خفيفا، فرقصت عندئذ الرقصة (الپرهكية)[٨] برشاقة فائقة، وكان ثمة إستحسان كثير. واستفسر (الپافلاجونيون) عما إذا حاربت النسوة كذلك برفقة الرجال، فقال اليونانيون إن النسوة هن اللواتي اكتسحن العاهل خارج المعسكر. وهكذا اختُتمت الوليمة الليلية. في اليوم التالي، إستقدموا الرسل أمام الجيش، فقرر الجنود قبول الطلب بألاّ يؤذي أي الطرفين الطرف المقابل، ثم انطلق الرسل عائدين.

وإذ ظهر أن هنالك سفناً وافية. ركبها اليونانيون، ومخروا نهاراً وليلة بريح مؤاتية، جاعلين (پافلاجونيا) عن يسارهم. في اليوم التالي، بلغوا (سينوپ)[٩]، وجاءوا ليرسوا في (هارمين)[١٠]، ثغر (سينوپ). إن أهالي (سينوپ) يقطنون مقاطعة تؤول الى (پافلاجونيا) وهم مستعمِرو (ميليطس)[١١]. فبعثوا الى

---

(٨) ـ Pyrrhic: رقصة خاصة حربية تؤدى خلالها الحركات كالهجوم على العدو وتجنّبه.

(٩) ـ Sinope: مدينة على البحر الاسود ما زالت محتفظة باسمها حتى اليوم.

(١٠) ـ Harmene.

(١١) ـ Miletus: هي مدينة (ملاطية) الحالية في تركيا على ساحل بحر إيجه.

اليونانيين هدايا الصداقة ، وكانت أربعة آلاف وزنة[١٢] من دقيق الشعير ، والفا وخمسمئة من دنان النبيذ . كما قدم الى هنا (خريسفوس) بقارب ، فظن الجنود أنه قد أتاهم بأشياء ، لكنه لم يجلب شيئا البتة ، سوى رسالة تفيد أن (أناكسيبيوس)[١٣] ، أمير البحر الأسبرطي ، والأسبرطيين الآخرين بعثوا بتهانيهم الى الجيش ، وأن (أناكسيبيوس) وعدهم جعيلة حال خروجهم من البحر الأسود .

لقد مكث الجنود خمسة أيام في مرسى (هارمين) ، وإذ خالوا أنهم الآن أضحوا غير نائين عن اليونان ، فقد ازدادت ، عن ذي قبل ، نفرتهم من الأوبة ، وهم صِفر الأيادي . وفكروا أنهم لو عينوا فرداً قائدهم الأعلى ، لبات في وسعه أن يستخدم الجيش ليلا ونهاراً أفضل مما يستطاع بجهاز القيادة المشتركة الحالي . سيكون من الأيسر كتمان ما كانوا يفعلون إن كان ثمة ما يستوجب التكتم . وإذا استوجب أن يعملوا سريعا ، فستتضاءل خطورة تسديد الضربة بصورة متأخرة ، إذ لن تكون ثمة حاجة للتشاور بين عدة أشخاص ؛ بل سيُعمل ، بدلا من ذلك ، بحسب قرارات القائد الأعلى ، بينما في السابق ، أنجز القادة كل شيء وفق تصويت الغالبية .

وبينما كانوا يفكرون على هذا النمط ، وقع اختيارهم على (زينوفون) ، فأمَّه ضباط المئة ، وأخبروه أن ذلك كان شعور الجيش ، وأعرب كل فرد منهم عن شعوره الشخصي الطيّب تجاهه ، وعالج إقناعه بقبول القيادة . وكان لبعض الدواعي راغبا أن يقوم بذلك ، إذ بدا له ، إنّ فعل ذلك فسيتعاظم صيته بين

---

(١٢) ـ Bushel : مكيال انكليزي للحبوب سعته (٣٤) أو (٣٥) لتراً

(١٣) ـ Nnaxiblus .

أصدقائه، وسيكون إسمه أكثر ذيوعاً في (آثينا)، كما أنه قد يكون العامل على تحقيق بعض الخير للجيش. إن اعتبارات كهذه قد حملته فعلا على الرغبة في منصب القائد الأعلى. غير أنه، عندما تأمل أن ليس من رجل قادر على الأدلاء بما سيتمخض عنه المستقبل، ولهذا السبب، فثمة مغامرة أنه قد يخسر حتى السمعة التي قد اكتسب، لذلك بات في حيرة مما سيفعل. وبما أنه كان متردداً في صدد قراره، صمم أن أفضل ما يفعل هو عرض الأمر على الآلهة، فاستقدم ضحيتين نحو المذبح، وضحى لزيوس الملك الذي أعلنه كاهن (دلفي) الرب الذي تنبغي استشارته. كما فكر أن هذا هو ذات الآله الذي أوحى اليه الرؤيا التي ترامت له حينما انضم لأول مرة الى منصب المساهمة في المسؤولية عن الجيش. ثم تذكر أيضا أن نسراً ناداه من اليمين أثناء مغادرته (أفسس)[١٤] لتقديمه الى (كورش). فقد كان الطير جاثما، وأفاد العرّاف مرافِقُه أن العلامة عنت شيئا عظيما ومجيدا أكثر من المعتاد، مع أنها أنبأت عن مشقة، إذ يتاح للطيور الأخرى أن تهاجم النسر، خصوصاً، عندما يكون جاثما. كما أخبر أن العلامة لم تشر الى توفيق عظيم، ما دام النسر يحصل على طعامه عندما يكون محلقا في الغالب.

عندما قرّب (زينوفون)، كشف له الرب أن عليه ألا ينشد مزيدا من القيادة وألا يتسنمها إذا انتخبوه. تلك إذاً كانت خاتمة الأمر. بيد أن الجيش تجمّع وتكلم كل فرد، محبذا اختيار قائد واحد. وعندما أجمعوا على ذلك، وضعوا إسم (زينوفون) في المقدمة، وإذ اتضح أنهم كانوا سيتتخبونه لو طُرح الموضوع، من أي فرد، للأقتراع عليه، نهض (زينوفون) وتكلم قائلا: «إني لمغتبط كثيراً، أيها الجنود، كأي فرد لو كان في مركزي. بالتشريف الذي

(١٤) ـ Ephesus : مدينة على ساحل بحر (ايجه) المشهورة بجودة شعر الماعز فيها.

تولوني . أشكركم على ذلك ، واتضرع الى الآلهة أن تجعلني وسيلة لتحقيق بعض النفع لكم . لكني لا أعتقد ، في صالحكم أو صالحي ، بأن ترشّحوني قائداً ، بينما ثمة إسپرطي يصلح للمنصب . إنكم ستحصلون على أدنى مساعدة ممكنة منهم ، إن احتجتم إليها ، كما أظن أن المنصب لن يكون لي سليم العاقبة تماما . إني عارف جيدا أن (الأسپرطيين) لم يكفّوا عن محاربة بلادي بالذات حتى حملوا المدينة بأسرها أن تُقر إن قوم (إسپرطة) أحرزوا السلطان عليهم كما على سائر اليونان . فحالما سلّموا بذلك ، أوقف (الاسپرطيون) القتال . ولم يعزلوا المدينة بعد ذلك مطلقا . لذا ، وأنا أعلم هذا ، إن ذاع صيتي بتقويض كرامتهم عندما أملك الطاقة على ذلك ، فالذي أتصور ، أني سأُعاد الى رشدي سريعا جدا . أما فيما يخص وجهة نظركم أن هناك مجالا أقل للتعكير مع قائد فرد مما لو كان عدة قادة ، فدعوني أطمئنكم أنكم إن تُعيّنوا فردا آخر للقيادة ، فلن تجدوني باعثا على التعكير . أعتقد أن كل من يخلق التعكير لقائده ، أثناء دوران رحى الحربّ ، فهو إنما يجعل التعكير لذاته . ومن الناحية الأخرى ، إن تنتخبوني ، فلن أدجر[١٥] لو ألفيتم أناساً مستائين من عملكم ومن مكانتي .»

بعد الفراغ من كلامه هذا ، نهض المزيد العديد منهم على أقدامهم ، وقالوا إن عليه أن يتقبل القيادة . وقال (أجاسياس الستيمفالي) إن كان الأمر كذلك ، فستكون الأمور على حال غير معقولة . وتساءل يقول : «هل سيغضب الأسپرطيون حتى إذا التأم القوم في وليمة غداء ، ولم يُعيّنوا إسپرطياً رئيسا للتشريفات ؟ إن كانت الأمور كذلك ، فيبدو أننا ، كاركاديين ، لا يسعنا أن نقود حتى فريقا واحداً من المشاة» . عندئذ ، هتف الجميع مؤيدين مقال (أجاسياس) ـ Agasias.

---

(١٥) أدجرُ : أحتارُ . دَجِرَ : حار .

وأدرك (زينوفون) أن عليه أن يضيف شيئا الى ما سبق أن قال، فبرز نحو الأمام وتحدث ثانية: «أصدقائي، كي تتأكدوا من الحقائق، أقسم لكم بكل الأرباب والربات، أني حالما علمت نهج تفكيركم، قدمتُ قرباناً لأستجلي إذا كان الأفضل لكم أن تعهدوا إليّ بهذه القيادة أم لا، وإذا كان الأفضل لي قبولها على عاتقي أم لا. لقد كشفت لي الآلهة جليا بدلائل القرابين، وبقدر من الوضوح حتى أن شخصا عديم الخبرة كان سيفقه، أن عليّ ألا أرتضي القيادة المطلقة.

ولهذا، انتخبوا (خريسوفوس) - Chirisophus - وبعد انتخابه، برز وتكلم كالآتي: «في وسعي أن أؤكد لكم، أصحابي، لو كنتم قد انتخبتم شخصاً آخر، فما كنت لاسعى ضده. مع ذلك، فقد أحسنتم الى (زينوفون) بعدم انتخابكم أياه. اذ أن (دكسيبوس) - Dexippus - كان قد مضى الى اقصى مجال استطاعه ليحط من شأنه في نظر (أناكسيبيوس) - Anaxibius - بالرغم من عمل كل ما وسعني ليلازم الصمت. لقد قال (دكسيبوس) إنه اعتقد بأن (زينوفون) كان يفضّل أن يساهم مع (تيماسيون) - Timasion - الدرديني في قيادة جيش (كليرخوس) بدلا منه[١٦] وهو الاسبرطي. لكن بما أنكم قد انتخبتموني، فأنا كذلك، سأبذل قصارى جهدي أن أؤدي لكم خدمة نافعة. لذلك، تهيأوا للأبحار غداً، اذا كان الطقس ملائماً للاقلاع. سيكون سبيلنا نحو (هراكليا)[١٧]، وعليكم جميعاً أن تحاولوا الوصول هناك. سنبحث جميع القضايا الاخرى فور بلوغنا هراكليا».

---

(١٦) المقصود هنا هو (دكسيبوس) الاسبرطي الذي غادر الجيش الأغريقي.

(١٧) - Heraclea: مدينة على ساحل البحر الاسود وعند سفح جبل (قطران) وفي شرقي نهر (سقاريا) الحالي والمدعو (بارثنيوس) قديماً أيام الأغارقة.

الفصل الثاني
الجيش ينشطر الى ثلاثة اقسام

في اليوم التالي، أقلعوا من هنا، مبحرين بمحاذاة الساحل لمدة يومين بريح مؤاتية. فلمحوا شاطيء (جاسون)[1] حيث يقال ان السفينة[2] قد ارسيت، وحيث مصبات أنهر عديدة: (الثيرمودون)، (الآيرس)، (الهاليس) ثم (البارثنيوس)[3]. وبعد أن مخروا، مجتازين (البارثنيوس)، بلغوا (هراكليا)، وهي مدينة اغريقية، ومستعمرة (ميجارا)[4] في اقليم (ماريانديني)[5]. فرسوا بالقرب من شبه الجزيرة (الأخيروسية)[6] حيث يقال إن (هرقل)[7] قد هبط الى العالم السفلي ليدرك (سربيروس)[8]، وحيث مازال الدليل على مهبطه قائماً لمسافة ربع ميل في جوف الأرض. وأرسل سكان (هراكليا) هبات الصداقة الى اليونانيين، وكانت عبارة عن أربعة آلاف وزنة من دقيق الشعير، والفي زير من النبيذ، وعشرين ثوراً ومئة خروف. ثمة نهر، يخترق الصيهب، عرضه

(١) ـ اسم اسطوري لبطل هو ابن (آيسون) العاهل على (ايولكوس) وزعيم البحارة الذين ركبوا في المركب الذي انطلق بحثاً عن الفروة الذهبية تلبية لرغبة عم (جاسون) مقابل تنازل الأول عن العرش غب موت والد (جاسون).

(٢) ـ Argo: هي السفينة التي أقلعت بجاسون ونوتيته.

(٣) ـ وردت أسماء هذه الأنهر في الفصل السادس من القسم الخامس.

(٤) ـ Megara: مدينة في اليونان بالقرب من خليج كورنث.

(٥) ـ Maryandyni.

(٦) ـ Acherusian Peninsula.

(٧) ـ Heracles: رب القوة والخوارق عند الأغريق قديماً.

(٨) ـ Cerberus: كلب اسطوري يحرس أبواب المناطق الجهنمية، مخيف الهيئة، ذو ثلاثة رؤوس مختلفة شكلا.

زهاء مئة قدم ، يدعى (ليكوس)[٩] .

هنا عقد الجنود اجتماعاً ، وبحثوا اذا كان ينبغي عليهم الرحيل براً أم بحراً من منطقة البحر الأسود ، لما تبقى من الطريق . فوقف شخص (آشي) يدعى (ليكون) ـ Lycon ـ وتكلم قائلا : «أيها الأصحاب ، اني لفي دهشة من القادة لعدم قيامهم بأية محاولة لتزويدنا بالدراهم لنبتاع الطعام . ان الهبات التي قد حصلنا عليها ، لن تدوم لنا ثلاثة ايام ، كما يُظَن ، وليس لدينا موضع نلجأ اليه لاستحصال القوت لأنفسنا . لذلك أرى أن نطالب سكان (هراكليا) بمبلغ ثلاثة آلاف (ستاتر)[١٠] على الاقل» .

وقال غيره : «على الاقل عشرة آلاف» . وعَرَض للفور انتخاب مندوبين لايفادهم الى المدينة أثناء انعقاد الجمع كي يتبينوا الرد ، ويتخذوا التدابير بمقتضاه . بعدئذ ، اقترحوا أسماء المندوبين ، أولهم (خريسوفوس) لأنه قد انتُخب قائداً ، ثم وضع البعض اسم (زينوفون) . لقد عارض (خريسوفوس) و (زينوفون) هذا الاقتراح بشدة ، لوحدة شعورهما ، ذلك أن من الخطل ارغام مدينة اغريقية ، ذات علاقات ودية معهم على احراز شيء ما ، لايهبه السكان اياهم من تلقاء أنفسهم . واذ اتضح أنهما كانا ضد الخطة ، أرسل الجند (ليكون الآشي) و (كاليماخوس البرهاسي) ـ Callimachus of Parrhasia ـ و (أجاسياس الستيمفالي) ، فانطلقوا الى (هراكليا) ، وأنبأوا الناس بما اعتزم الجيش . وقيل ان (ليكون) أضاف على ذلك تهديدات بما سيصيبهم ، ان لم يفعلوا كما طولبوا . فأصغى اهالي (هراكليا) الى المندوبين ، وقالوا انهم

---

(٩) ـ Lycus .

(١٠) ـ انظر الحاشية رقم (٩) من الفصل السادس من القسم السابق (الخامس) .

سيتشاورون في الموضوع . ثم جمعوا مقتنياتهم خارج المدينة حالا ، وجلبوا ضمن الاسوار كل الميرة التي كانت خارجها لغرض البيع . فأوصدت الابواب ، وشوهد رجال مدججون بالسلاح على الحصون .

فنجم عن ذلك ، أن الافراد الذين سببوا الاضطراب ، اتهموا القادة بعرقلة خططهم . فاجتمع (الأركاديون) و (الآشيون) سوية برئاسة (كاليماخوس البرهاسي) و (ليكون الآشي) . وكانت حججهم أن من المشين أن يترأس (البيلوبونيزيين) آثيني واسبرطي لم يستقدما جنوداً في الجيش ، وهم الذين قاموا بالعمل الشاق ، وأحرز غيرهم حسن الجزاء ، مع أنهم كانوا المسؤولين عن حقيقة كونهم ما فتئوا في قيد الحياة ، دون أن تكون قيمة تذكر لبقية الجيش (والحقيقة أن ما يربو على نصف الجيش تألف من الاركاديين والآشيين) . لذلك ، قالوا لو كان لديهم أي نصيب من الادراك ، لاجتمعوا قاطبة ، وانتخبوا قادة خاصين بهم ، وانهم ـ بالسير بصورة مستقلة عن الباقين ـ يحاولون احراز بعض النفع لأنفسهم . ذاك هو النهج الذي أجمعوا عليه . فالأركاديون والآشيون ، الذين كانوا تحت امرة (خريسوفوس) و (زينوفون) ، تخلوا عنهما ، والتأموا مع الآخرين . وانتخبوا من بينهم عشرة قواد ، وصوتوا أن على هؤلاء القادة تنفيذ كل ما يصادَق عليه بقرار الاغلبية . وهكذا انتهت قيادة (خريسوفوس) العليا غبَّ ستة أو سبعة أيام من تولّيها .

فاتجهت نية (زينوفون) الآن الى القيام بالرحلة معهم ، لأنه فكر أن ذلك أسلم من ذهاب كل شخص في سبيله منفصلا . غير أن (نيون) ـ Neon ـ أقنعه بالمضي لوحده . لقد سمع من (خريسوفوس) أن (كليندر) ـ Cleander ـ حاكم بيزنطية ، قال إنه سيأتي ببعض زوارق الى ميناء (كالپ) ـ Calpe ـ وعلى هذا

أسـدى الى (زينوفون) هذه المشـورة ، كي لا يكون غيرهما على علم بالأمر ، فيرحلا بحراً من البحـر الاسـود بهـذه الزوارق مع جنودهما فحسـب . ان (خـريسوفوس) الذي ثبطته الاحـداث الاخيرة ، وانقلب ضـد الجيش ، نتيجـة لهـا ، أنبا (زينوفون) أن باستطاعته أن يفعـل كما أنص . وكان (زينوفون) ـ انفك راغباً في مغادرة الجيش كلية ، والانطلاق بحراً ، لكنه عندما قرّب لهـرقل المرشـد(١١) ، للوقوف على ما اذا كان الافضـل والاصـوب أن يسـير مع الجند المتخلفين هناك ، أم يبارحهـم قاطبة ، أظهـر الرب ، من علامات القـرابين ، أنه يتحتم عليه السـير معـهم . وهكذا انشـطر الجيش الى ثلاثة أشـطر . كان (الأركاديون) و (الآشيون) وهم اكثر من اربعة آلاف مقـاتل ، كلهـم من المشـاة الثقيلة ، ألفوا كتلة واحدة . كما كان زهاء ألف وأربعـمئة من المشـاة الثقيلة مع (خريسوفوس) وحوالي سـبعمئة (تراشي) من المشـاة الخفيفـة التي كانت تابعـة لكليرخوس ـ Clearchus . وكان مع (زينوفون) ألف وسبعمئة من المشـاة الثقيلة وثلاثمئة من المشاة الخفيفة ، وهو الوحيد الذي كان في حوزته قوة من الخيالة ، تناهز أربعين فارساً .

لقد حصل (الأركاديون) على السـفن من سكان (هراكليا) ، وأبحـروا أولا ،

---

(١١) ـ Heracles the Guider .

وقصـــدهم أن يداهموا (البيثينيين)[١٢] ليحتازوا أوفر قدر ممكن من الغـــنائم . فهبطوا الى ميناء (كالپ) في موضـــع عند أواســـط (ثراشـــيا) تقـــريباً . أما (خـــريسوفوس) ، فانطلق من مدينة (هراكليا) وتقـــدم ســـيراً خـــلال البلاد (الهراكلية) . وعندما اجتاز التخوم نحو (ثراشيا) ، سار بمحاذاة الساحل ، لأنه كان حينذاك منحـرف الصـحة . واحتاز (زينوفون) بعض الســـفن ، وهبط على الحدود بين (ثراشيا) والاقليم العائد الى (هراكليا) . ثم سار براً نحو الداخل .

(١٢) ـ Bythinians .

الفصل الثالث

زينوفون ينقذ الأركاديين

كانت مصادفات كل فريق، كالآتي: وطأ (الأركاديون) البر ليلا عند ميناء (كالپ)[1]، وزحفوا على القرى الأمامية، النائية عن البحر زهاء ثلاثة أميال. وعندما لاح النور، اقتاد كل قائد قوته صوب قرية. وعندما لاحت للنظر قرية كبيرة نسبياً، ضم القادة قواتهم، وقصدها فريقان معا. كما تمركزوا على رابية، اتفقوا أن يعودوا فيتربوا عليها جميعاً. ونتيجة لشن هجومهم بغتة، قبضوا على بعض العبيد، وأحاطوا قطعانا كبيرة من الماشية. غير ان فلول (التراشيين) تجمعت في كتلة، ولما كانوا أفراداً من النوع الخفيف، نجا عديدون من أيدي المشاة الثقيلة. وغِبَّ أن تنظّموا، داهموا أولا الفريق الذي كان بقيادة (سميكرز) ـ Smicres ـ أحد القادة (الأركاديين). كان هذا الفريق في طرآن[2] أوبته الى موضع التجمع المعيّن، ومعه أسلاب غزيرة. ولبرهة، قاتل الأغريق أثناء مسير العودة، لكنهم في موضع، حيث تحتم عليهم اجتياز جدول مائي، دُحروا من قبل (التراشيين)، وأبيدوا قاطبة حتى (سميكرز). أما الفريق الآخر؛ الذي كان بقيادة (هيجا سندر) ـ Hegesander ـ أحد العشرة ـ فقد تخلف منهم ثمانية أحياء، وكان (هيجا سندر) أحد الناجين. أما الجماعات

---

(١) ـ Calpe ـ انظر الخارطة: مدينة وثغر تقع شرقي خلقيدونية

(٢) طريق.

الأخرى ، فانضمت الى بعضها ثانية . بعضها دون عسر ، وبعضها بعد قتال عميس[٣] .

بعد أن أحرز (الثراشيون) الفوز ، تنادوا وحشدوا قواهم أثناء الليل ، وهم في منتهى الجرأة . وعند الفجر ، كانت الرابية ، التي عسكر عليها الأغريق ، محاطة بأعداد هائلة من الفرسان والمشاة الخفيفة ، وكان المزيد منهم يفد باستمرار . لقد كانوا في منجى خلال هجومهم على الاغريق ، اذ بينما كان على الاغريق أن يهرولوا لأطلاق أسلحتهم لانعدام أي نبّال أو رمّاح أو فارس في صفوفهم ، تقدم (الثراشيون) لرمي أسلحتهم جرياً أو ركوباً ؛ وعندما حمل الاغريق عليهم ، تراجعوا بسهولة ، في حين داهم آخرون من ناحية أخرى . فكان في طرف العديد من الجرحى ، وفي الطرف الآخر لم يكن ثمة جريح واحد . فأضحت النتيجة أن اليونانيين ما عادوا قادرين على مبارحة موضعهم ، وأخيراً عزلهم (الثراشيون) حتى عن التزوّد بالماء . في هذا الموقف الحرج جداً ، شرعوا يتفاوضون من أجل المهادنة ، وقد تم الأتفاق على بعض الشروط ، لكن عندما طالب الأغريق بالرهائن ، أبى (الثراشيون) تسليمهم ؛ وعند هذا الحد ، انقطعت المفاوضات . هذا اذا ما وقع للأركاديين .

في نفس الحين ، لقد سار (خريسوفوس) بموازاة الساحل ، وبلغ مرفأ (كالپ) . وكان (زينوفون) يسلك الطرآن البري الداخلي ، والتقى بعض فرسانه ، الذين كانوا يطوفون في القطر ، بنفر من المسنّين الظاعنين هنا وهناك . وعندما جُلبوا اليه ، إستفهمهم (زينوفون) ان كان قد نما اليهم وجود جيش اغريقي آخر في أي موضع غير هذا . فاخبروه بالقصة كاملة ، وافادوا أن

---

(٣) شديد .

الأغريق محاصرون الآن على رابية ، وقد أحدق بهم (التراشيون) بكامل قوتهم . اذ ذاك ، وضع (زينوفون) الرقابة المشددة عليهم ، كي يكونوا مرشدين عند الحاجة اليهم . فأنفذ نفراً من الانضباط العسكري ، وبعد تجميع الجنود ، حدّثهم قائلا : «أيها الجنود ، لقد قُتل بعض الاركاديين ، والباقون على تلة محاصرون . رأيي الشخصي : ان أبيدوا ، فلن تُكتب لنا النجاة أيضاً ، والخصم بمثل هذا العدد ، وفي ذات الحين ، بهذا القدر من الجرأة . وعليه أفضل ما نفعل هو أن ننجد هؤلاء القوم بأسرع ما نستطيع ، وبذا ان كانوا لا يزالون على قيد الحياة ، تمكنا من الانضمام اليهم في القتال ، ولا نُترك منفردين لنجابه الخطر وحدنا . ليس لنا مجال الابتعاد من هنا سالمين نحو أية وجهة . ان طرآن العودة الى (هراكليا) طويل ، ونظيره عبر الاقليم الى (خريسوپوليس)[٤] ، والأعداء ملاصقون . ان الطريق الاقصر هو المؤدي الى مرفأ (كالپ) حيث نتصور (خريسوفوس) هناك ، اذا وصل سالماً . وقد تقولون ان السفن ثمة غير متوفرة لتبحر بنا ، وان نبقَ هناك فليس لدينا من زاد حتى ليوم واحد . لكن افترضوا أن الناس المحاصَرين قضي عليهم ، فمجابهة المستقبل لمفردنا فقط ، مع رجال (خريسوفوس) ، ستغدو عملية اكثر مشقة مما لو أنقذنا هؤلاء (الأركاديين) ، ولو اتحدنا جميعاً ووحّدنا جهودنا لانقاذ ذواتنا . كلا ، يتحتم علينا الذهاب وقد اعتزمنا : اما أن نموت أعزاء ، واما أن نقوم بعمل في منتهى البسالة لانقاذ حيوات العديد من اليونانيين . ربما كانت مشيئة السماء هي التي تقودنا بقصد أن تُذِلّ الذين تبجّحوا بدرايتهم أحسن من سواهم ، وأن تمنحنا ـ نحن الذين شرعنا في مسعانا باستشارة السماء ـ مكانةً اكثر سمواً من مكانتهم .

---

(٤) ـ Chrysopolis ـ أنظر الخارطة : ثغر واقع عند مدخل مضيق البوسفور .

الآن ، يلزم أن تتبعـوني ، وأن تكونوا على يقـظة ، لتتمكنوا من تنفيذ الأوامر الصادرة اليكم. فلنمضِ الآن قدماً حتى نقرر ميقات العشـاء ، فنخيم بعـدئذ . أثناء سـيرنا ، على (تيماسـيون) ـ Timasion ـ الأنطلاق راكباً نحـو الأمام مع الفـرسان ، ملتفتاً الينا بين فينة وأخرى ، ومسـتقصياً كذلك ما يكتنف أمام سبيلنا ، كي لا يأخـذنا شيء على حين غِرّة» بعـد هذا الخـطاب ، اقتادهم نحـو الامام . كما أرسل الى الجناحين والى الارض المرتفعة بعضاً من أنشـط المشـاة الخفيفـة ، ليتمكنوا من اعطاء الأنذار ، ان هم لمحـوا أية حـركة حيثما كان . واوعز اليهـم باضرام النار في اي شيء صـادفوه قابل للاحتراق . لقـد انتشر الفرسان ، بقدر ما كان مأموناً أن يفعـلوا ذلك ، وشرعوا في اضرام النيران . اما أفراد المشاة الخفيفة ، السائرة بحـذاء المرتفعـات على الجناحين ، فقـد أضرموا النار في كل الاشياء التي لمحوا ، قابلة للاشـتعال ، وكذلك فعَـل صُلْب الجيش الرئيسي متما جابهتهم أشياء غادرها الآخـرون . وهكذا لاح للعـيان كان القـطر باسره ملتهب ، وان الجيش الأغريقي كان بقوة عظيمة .

وعندما أزف الوقت ، تسلقوا رابية ، وخيموا . واستطاعوا أن يلمحـوا نيران معسكر العدو ، فقد كانت تبعد زهاء أربعة أميال ، وأوقدوا ، هم كذلك ، أكثر ما استطاعوا من النيران. وحالما فرغوا من تناول الطعام ، أُصـدر الايعـاز باطفـاء جميع الشعاليل . وعينوا الخفراء ليلا ، فرقدوا . وفي الفجر ، بعد الأبتهالات الى الآلهـة ، اصـطفوا في نظام حـربي ، وتحـركوا قدماً بأسرع ما يمكن . ان (تيماسيون) والفرسان الذين ساروا في الطليعة مع المرشدين ،كانوا على الرابية ، حيث قد حوصر اليونانيون ، قبل ان يحققـوا مِن الموضـع الذي كانوا فيه . ولم تقـع العـين على جنود ، أحـلاف أم اعداء ، فأبلغ (زينوفون) والقســم الرئيسي

بذلك . كل ما أبصروا كان بعض الرجال والنساء المسنين ، وقليلا من الأغنام والثيران المتروكة . فتقمّعوا[٥] ، لأول وهلة ، ما الذي قد حدث! الا انهم علموا بعدئذ من الناس المتخلفين هناك أن (التراشيين) قد انصرفوا عندما دجدج الليل ، وأن اليونانيين ـ استناداً اليهم ـ قد غادروا كذلك ، لكن لم يعلموا أية جهة سلكوا .

وعندما سمع رجال (زينوفون) ذلك ، تناولوا وجبتهم ، وحزموا معداتهم ، واستأنفوا المسير ، راغبين في الألتحاق بقوات الآخرين عند مرفأ (كالپ) بأسرع ما يستطاع . في هذه المسيرة ، شاهدوا آثار سير (الأركاديين) و (الآشيين) على الطرآن المؤدي الى (كالپ) . وعندما التقى الجمعان ، سُرّوا برؤية أحدهم الآخر ، وحيّا كل منهما الآخر كالأشقاء . واستفسر (الأركاديون) رجال (زينوفون) عن الباعث على اطفاء الشعاليل ، وقالوا : «عندما لمحنا النيران ، حسبنا أنكم ستداهمون العدو ليلا . وبقدر ما استطعنا التعليل ، لقد خشي العدو ذلك أيضاً ، وتقهقر ، فقد ولوا حوالي ذلك الوقت بالضبط . لكن عندما لم تظهروا للعيان ، وانصرم الوقت ، حسِبنا أنْ قد بلغكم ما كان يحدث لنا ، ودهاكم الرعب لذلك ، فركتتم الى الفرار شطر العيلم[٦] . لقد اعتزمنا عدم التخلف عنكم ، لذلك سِرنا في هذا الاتجاه أيضاً» .

---

(٥) تحيروا واندهشوا .

(٦) البحر .

الفصل الرابع

إعادة توحيد الجيش

صعوبات بشأن الميرة

لقد عسكروا ذلك اليوم على الساحل بجوار المرفأ . إن هذا الموضع المدعو ميناء (كالپ) ، كائن في (تراكيا) الآسيوية ، وهذه[1] تبدأ من مدخل البحر الأسود ، وتؤلف الأقليم الواقع على يمين المبحر الى البحر الأسود حتى (هراكليا) . والرحلة من (بيزنطية) الى (هراكليا) ، تستغرق يوما كاملا بقارب ذي مجاذيف ، وليس بين هاتين المدينتين أية مدينة أخرى ، يونانية أو حليفة ، بل هناك (الثراشيون) و (البيثينيون) فقط ، وهم كما يقال يسيئون معاملة أي إغريقي يقع في قبضتهم من جراء تحطيم سفينة ، أو أية كارثة . يقع ميناء (كالپ) في منتصف الطريق بين (هراكليا) و (بيزنطية) . وهناك رأس بارز في البحر ، والجزء الذي يجابه اليم بالذات جرف شديد الأنحدار ، لا يقل ارتفاعه عن عشرين قامة[2] عند أخفض نقطة ، واللسان الأرضي داخل اليم ، الذي يوصله[3] بالبر ، يمتد زهاء (٤٠٠ ق) ، ومساحة اللسان قابلة لاستيعاب عشرة الآف شخص . يقع المرفأ أسفل الجرف مباشرة ، والساحل يواجه الغرب . وعند البحر تماما ، وضمن حدود الرأس . ينبوع ماء عذب ، يتدفق غزيرا . وهناك الكثير من الأخشاب ، ومنها في غاية الجودة لبناء السفن خصوصاً ، تنمو

---

(١) لقد استعملت إسم أشارة بدلا من (تراكيا الآسيوية) التي كرر المؤرخ استعمالها .

(٢) ـ Fathoms : القامة ستة أقدام . وعلى ذلك يكون الأرتفاع (١٢٠) قدماً .

(٣) الضمير في الفعل يعود الى الرأس البارز في البحر .

أشجارها حتى منحـدر البحـر . وتمتد الجبال زهاء ميلين داخلا ، وفي ذلك الأتجاه ، تكون التربة هشة خالية من الحجارة ، والجزء الموازي للساحل ، الممتد أكثر من ميلين ، مكسو بالأشجار الضخمة من جميع الأصناف . وثمة أرياف عديدة مجاورة ، تضم قرى آهلة ، والأرض هنالك تنتج الشعير والحنطة وجميع أنواع الخضارة والدخن والسمسم وكثيرا من التين ووفرة من الأعناب التي يستخرج منها النبيذ الجيد ، وكل ما عدا ذلك ، خلا الزيتون .

تلك هي صفات الأقليم . لقد نزلوا الى المهرَقان[٤] القريب من البحر ، ولم يبغوا أن يعسكروا في الجزء القابل لأن يصبح موقعا حصينا : والحقيقة ، لقد ظنوا حتى الدنو من المكان قد نم عن دافع مبيت ، وأوحى أن بعض الخَلق كانوا راغبين في تأسيس مدينة هناك . لقد التحق أغلب الجنود بالخدمة لوقوفهم على سخاء (كورش) ، وليس لأنهم كانوا في عسر ؛ وبعضهم استصحب الرجال ، وتحمل بعضهم نفقات ضافية لأعداد ذواتهم ، وهجر آخرون آباءهم وأمهاتهم وأولادهم في الوطن ، بقصد الأوبة وهم حائزون على المال ليعطوهم ، إذ قد تناهى الى سمعهم أن اليونانيين الآخرين ، بمعيّة (كورش) ، قد أحرزوا لأنفسهم خيراً غزيرا . هكذا كان إحساسهم . لذلك قَرِموا[٥] الى العودة سالمين الى اليونان .

في فجر اليوم التالي ، بعد انضمام الفريقين ، قدّم (زينوفون) قربانا ليستجلي بشأن تجريد قوة خارج المعسكر . لقد كان ذلك أمرا حيويا بغية الحصول على الميرة ، كما كان يفكر في مواراة الموتى . وبما أن دلائل الضحايا كانت ملائمة ، رافقه (الأركاديون) كذلك ، ودفنوا أغلب الجثث حيث سقطت كل منها . ونظرا

(٤) Beach : ساحل البحر المرمل وقد نضب عنه الماء فبقي الودع .

(٥) إشتاقوا .

لمرور خمسة أيام على بقـائها مطروحـة هناك ، لم يعـد بالأمكان جلبهـا ، بل التقطوا بعض الأجساد من الطرق ، وقاموا بدفنها على أفضل وجه استطاعوه ، وبالوسائل المتوفرة لديهم . لقد أقاموا نصبا عظيماً ، وضعوا عليه أكاليل الزهور من أجل الذين لم يعثر عليهم ، وبعـد أن فرغوا من ذلك ، عادوا الى المعسكر ، وتناولوا وجبتهم ، ورقدوا ليلتهم .

في اليوم التالي ، تربب الجنود كافة ، بمبادرة غالبة من قواد المئة ـ أجاسياس السـيتمفالي وهيرونيموس الأيلي وآخـرون من ذوي الرتب العـالية بين الأركاديين ـ واتخـذوا قرارا ، مؤداه : إذا طـالب أي فرد في المستقبل بشَـطر الجيش ، فعـقوبة ذلك يجـب أن تكون الموت ، وأن الجيش يجـب أن يعـود الى تكوينه الأصـلي ، وأن القـادة الأصـليين يجـب أن يكونوا الآمرين . كان (خـريسوفوس) حينئذ قد قضى نحبه ، نتيجـة لتناوله جـرعة من دواء في دور الحمّى ، فاستلم قيادته (نيون الأسـيني) ـ Neon of Asine . بعـد اتخـاذ هذا القرار ، وقف (زينوفون) ، وتكلم قائلا : «أيهـا الجنود ، يبدو أن علينا أن نقـوم برحلتنا سيرا على الأقدام ، لأننا لا نملك السـفن ، وعلينا أن نشرع الآن ، إذ ليس عندنا الميرة إن مكثنا هنا . لذلك سـنقدّم قربانا : أما أنتم ، فعـليكم أن تشدّوا حذافيركم[٦] لتقاتلوا بالصلابة التي قد حاربتم بها دائما ، ما زال الأعداء قد استعادوا ثباتهم»

بعـد ذلك ، قدّم القـادة قرباناً ، وكان عرّافهـم (أركسـيون) ـ Arexion ـ الأركادي لأن (سيلانوس الأمبراسي) سـبق أن غادر شـطر الوطـن بقـارب استأجره من (هراكليا) . فقدموا الضحية بقصد المبارحـة ، لكن دلائل القـرابين لم تكن موافقـة ، ولذلك أخلدوا الى الراحـة ذلك النهـار . واجترأ بعض الناس

(٦) تشدو' حذافيركم : تتاهبوا تهيأوا .

على الأدلاء أن (زينوفون)، لرغبته في إقامة مدينة في الموضع، قد حمل العرّاف على القول إن الدلائل لم تكن موائمة للمبارحة. وعليه صرّح (زينوفون) أن كل راغب، يستطيع أن يحضر تقديم الضحية في اليوم التالي، ودعا كل عراف الى الأسهام في فحص الضحايا. فقُدّمت التضحية، وحضرها العديدون، لكن رغم أنهم ضحوا ثلاث مرات بقصد المغادرة، لم تنفك الدلائل ضدها. لذلك أصيب الجنود بالخيبة، إذ أن الميرة التي اجتلبوا معهم، أخذت في النضوب، ولم تكن ثمة إمكانية لابتياع أي زاد في البقاع المجاورة.

غِب ذلك، عقدوا اجتماعا آخر، وخاطبهم (زينوفون) قائلا: «أصحابي، كما ترون، حتى الآن، ليست لدينا بشائر مؤاتية لسيرنا، وألاحظ أن ميرتكم أخذت تنفد. لذا أعتقد علينا أن نُضَحّي أضحية بصدد هذا الغرض ذاته فحسب.» فاستقل عندئذ أحدهم، وقال: «ثمة تفسير مقبول تماما لعدم ملاءمة البشائر لنا. فقد بلغني البارحة - عَرَضاً - نبأ من أحد الناس في سفينة رست هنا، يفيد أن (كليندر)، حاكم بيزنطية، على وشك القدوم الى هنا مع زوارق ومراكب أخرى.» عندئذ، صار كل فرد يحبّذ البقاء، لكن الانطلاق بحثاً عن الميرة، كان أمرا قاهرا. ثم ضحّوا ثلاث مرات مجددا، بقصد القيام بالتجريدة، لكن البشائر كانت معاكسة. فقصد الجنود خيمة (زينوفون) رأسا، يشكون انعدام الميرة، بيد أنه أبى اقتيادهم ما دامت البشائر معاكسة.

في اليوم التالي، أقيمت تضحية أخرى. وبما أن الموضوع همّ الجميع، تقاطر كل الجيش تقريبا حول الذبيحة. وإذ لم تُعطِ القرابين النتائج المطلوبة، لم ينطلق القادة بصحبة فريق من الجند. لكنهم دعوا الى اجتماع، قال فيه (زينوفون): «من المحتمل قد تجمّع الأعداء في كتلة واحدة وسنُرغَم على

القتال. لذلك، إن نغادرْ معداتنا في الموضع الدفاعي المنيع هاهنا، ونمشِ بهيئة حربية، فقد تغدو القرابين ملائمة لنا.» وعندما وعى الجنود ذلك، صاحوا أن ليس ثمة موجب لأخذهم الى الموقع الحصين، بل يجب بالأحرى إقامة الذبيحة فورا. لم يتبقّ عندهم شياه[٧]، لكنهم ابتاعوا بعض ثيران الجرّ، واستعملوها للتضحية. فحث (زينوفون) كلينورَ الأركادي أن يشدّ حذافيره[٨] للعمل إن تبدّى أي شيء من ذلك، لكن حتى حينذاك، لم تكن العلامات ملائمة.

لقد تسنم (نيون) قيادة (خريسوفوس)، وعندما شاهد الحال التي غدا عليها رجاله بفعل انعدام الطعام، شاء أن يفعل لهم خيرا. فقد وجد شخصا من (هراكليا)، أفاد أنه عالم ببعض القرى المجاورة، حيث يتسنى الأستيلاء على بعض الميرة، وأجاز ذهاب كل راغب، وسيتوفر الدليل ليرشدهم الى الطريق. فمضى زهاء ألفي رجل مسلحين بالحراب الصغيرة، وحاملين حقائب جلدية وأنواعاً عديدة من الأكياس، لكنهم عندما أدركوا القرى، وانتشروا لجمع المؤن، حدث قبل كل شيء أن انقضّ عليهم فرسان (فرنابازوس) ـ Pharnabazus ـ وقد جاءوا لأسناد (البيثينيين) بقصد الأنضمام إليهم، ومَنْع الأغريق من دخول (فريجيا)، إن أمكن. لقد فتكت هذه الخيالة بخمسمئة يوناني على الأقل، وفر الباقون الى الجبال.

بعد ذلك، عاد أحد المقْلَعِطّين[٩] الى المعسكر، وأفاد ما وقع. وبما أن القرابين لم تكن ذات دلائل موافقة في ذلك اليوم، تناول (زينوفون) ثورا من

---

(٧) شياه جمع (شاة) وهي الواحدة من الغنم للذكر والأنثى. وتجمع كذلك أشاوه.

(٨) يشد حذافيره: يستعد، يتأهب.

(٩) جمع المقّلعِط وهو الهارب الخائف.

عربة (لم تتوفر قرابين أخرى)، وبعد تقريبه، توجّه للأنقاذ مع كل الجنود الآخرين الذين كانت أعمارهم دون الثلاثين. فانتشلوا الأحياء، وعادوا الى المعسكر برفقتهم.

كان الوقت ساعتئذ قد شارف الغروبَ، واليونانيون - في حال من القنوط العميق - يهيئون وجبة المساء. وعلى حين غرة، أغار بعض (البيثينيين) على المراكز الأمامية، وهم مستترون بالأحراش، فقتلوا بعض الرجال، وأرجعوا الباقين القهقرى الى المعسكر. وكان ثمة صياح كثير، فهرع جميع اليونانيين الى أسلحتهم؛ لكن بما أن القُطر مكتظ الغابات، لم يبدُ من المأمون أن يُشرع في التعقيب أو نقل المعسكر أثناء الليل. ولهذا أنفقوا ليلتهم، حاملين السلاح، مع عدد واف من الخفراء لضمان سلامتهم.

الفصل الخامس
نصر إغريقي

هكذا أمضوا الليلة. عند الفجر، تقدم القادة في الطرآن المؤدي الى الموقع الدفاعي المنيع. فاتخذ الجنود أسلحتهم ومعداتهم، وتبعوهم. وقبل أن يحين موعد الوجبة، احتفروا خندقاً عبر الطريق نحو الموقع، وأقاموا بمحاذاته سياجاً من أوتاد، تاركين فيه ثلاثة منافذ. كما وصلت سفينة من (هراكليا)، تقل شعيراً وماشية ونبيذاً.

لقد استيقظ (زينوفون) مبكراً، وقدم أضحية بقصد مغادرة موضعهم. ان البشائر التي أُخذت من الذبيحة الأولى، كانت ملائمة، وحال الأنتهاء من التقدمة، لمح العراف (أركسيون البرهاسي) نسراً، دل على حسن الحظ، فأنبأ (زينوفون) باقتياد الجيش خارجاً. بعد ذلك، اجتازوا الخندق، واصطفوا بانتظام. وأعلنوا أن على الجند، بعد تناول طعامهم، أن يشرعوا في المسير متأهبين للعمل، تاركين الزحام العام والعبيد حيث كانوا. وهكذا سار الباقون جميعاً، عدا (نيون)، اذ فُضّل أن يتخلف في المعسكر، ليكون مسؤولا عن الأفراد الذين هناك. لكن حينما غادره ضباط المئة والجنود هنالك، بات الآخرون خجلين لعدم اللحاق بمن ذهبوا، فتبعوهم مخلفين من تجاوزت أعمارهم الخامسة والاربعين فقط. فلازم هؤلاء المعسكر، بينما انطلق الآخرون.

وقبل أن يسيروا ميلا ونصف الميل، طفقوا يصادفون أجساماً ميتة، ولذلك اجتلبوا مؤخرة طابورهم الى الجثث الأولى التي شاهدوا، ودفنوا كل الذين

اكتنفهم الطابور . وبعد أن واروا تلك الجملة ، استأنفوا المسير ، وعادوا ثانية فجلبوا المؤخرة الى الأوائل من الطائفة الثانية من الجثث غير المدفونة ، وواروا ـ على نفس الشاكلة ـ كل الذين لم تكتنفهم العساكر . وعندما بلغوا الطريق المؤدية الى خارج القرى ، حيث كانت الأجساد ملقاة بأعداد كبيرة ، جمعوها سوية ، وطمروها .

كان الوقت الآن عصراً ، فاقتادوا الجيش خلال الضياع تماماً . وكان الجنود يستولون على جميع التجهيزات التي استطاعوا رؤيتها ضمن صفهم ، واذا بهم لمحوا الأعداء فجأة ، قادمين نحوهم على بعض الربى ازاءهم ، وأعداداً من الفرسان والمشاة بهيئة حربية . لقد كانا (سبيثريداتس) ـ Spithridates ـ و (راثينس) ـ Rhathines ـ اللذين توجها من (فرنابازوس) ـ Pharnabazus ـ بقوة فعالة .

عندما أبصر الاعداء اليونانيين ، توقفوا عند مدى يبعد عنهم زهاء ميل ونصف . فقرّب (أركسيون) العرّاف الأغريقي حالا ،وكانت البشائر موافقة في التقدمة الأولى . ثم كلم (زينوفون) الضباط قائلا : «من رأيي ، علينا ان نحتفظ ببعض الفصائل الاحتياطية خلف خط المعركة ، وبذا يكون لدينا جنود يتقدمون لأمداد الخط ، اذا احتيج اليهم ، حتى اذا فقد الاعداء ترابطهم ، صادفوا تجاههم جنوداً جدداً ومنظّمين» . فوافقوا جميعاً على هذا الأقتراح ، وقال (زينوفون) : «لذلك تقدموا صوب العدو ، فنحن الآن لا نروم الوقوف ساكنين غِبّ أن شاهدناهم وشاهدونا . سأغدو هناك بعد أن أكون قد نظمت الفصائل الخلفية بالشكل الذي اتفقتم عليه» .

عند ذاك ، سار الآخرون ، ورافق (زينوفون) المفارز الخلفية الثلاث ، وكان قوام كل منها مئتي جندي . وأمر واحدة منها بالسير وراء الميمنة ، تاركة زهاء

مئة قدم بينها وبين صُلب الجيش . كان (ساmولاس) ـ Samolas ـ الآثني آمراً على هذه المفرزة ، وأرسل مفرزة أخرى لتتبع القلب بقيادة (بيرهيوس) ـ Pyrrhlus ـ الأركادي ، والمفرزة الثالثة على الميسرة بقيادة (فاسياس) ـ Phasias ـ الآثيني .

وهكذا ساروا قدماً ، ووصل رجال المقدمة نَوضاً[1] وسيعاً ملتخّاً[2] ، حيث كان المرور عسيراً . فتوقفوا هناك ، جاهلين فيما اذا لزم اجتياز هذا النوض أم لا . فبلّغوا القادة وضباط المئة بالمجيء نحو المقدمة . لقد استغرب (زينوفون) ما عسى أن يكون قد أعاق المسير ، وحالما سمع الكلمة المبلّغة ، جرى راكباً بأسرع ما استطاع . وعندما كان الضباط ملتئمين ، قال (سوفانتيوس) ، أكبر القادة سناً ، ان مسألة امكان عبور نوض كهذا أم لا ، تكاد لا تستحق الاعتبار . فاشترك معهم (زينوفون) بحرارة قائلا : «تعلمون جيداً ، أصحابي ، أني لم أتطرف في أي حين بتعريضكم لأي خطر . وهذا يعود الى علمي أن مُنيتكم هي تفضيلكم البقاء في قيد الحياة على احراز صيت الأقدام . لكن الظروف الراهنة هي أننا لا نستطيع مغادرة هذا الموضع بدون اشتباك ، طالما ـ ان أحجمنا عن التقدم شطر الأعداء ـ سيلاحقوننا وينقضّون علينا عندما نتقهقر . لذلك يجب أن تتمعنوا في أي نهج تفضلون اتباعه ـ الزحف عليهم وأسلحتكم في وضع التأهب ، أم أن تديروا ظهوركم فتشاهدوا الاعداء يتعقبوننا من المؤخرة . بيد أنكم تعلمون جيداً أن التقهقر ازاء العدو ليس من اعمال البسالة في شيء ، بينما الملاحقة تُكسِب ، حتى الجبناء ، جرأةً . وبقدر ما يهمني الأمر ، إني دون ريب ، بوجودي مع نصف عدد الرجال ـ لو عملت في عملية تعقيب ـ سأغدو أسعد من

(١) النوض : الوادي . مخرج الماء .

(٢) ملتخ : كثيف الشجر .

كوني مع ضُعف العدد أثناء التقهقر. أما هؤلاء الأعداء ههنا، فأنا عالم أنكم بالذات لا تتوقعون منهم أن يصمدوا تجاهنا، ان حملنا عليهم. لكن ان نتراجع، فكلنا نعلم أنهم سيملكون الشجاعة ليجدّوا في اعقابنا. أما أن قضية عبورنا سيترك وهدة عسيرة في مؤخرتنا فور ذهابنا للقتال، أليس هذا ما ينبغي أن نطمئن اليه؟ أود أن يحسب الخصم أن التقهقر في كل اتجاه أمر ميسور له، لكن يتحتم علينا أن ندرك من ظرفنا بالذات، أن لا نجاة لنا الا بالانتصار. كذلك يدهشني شخصياً أي فرد بتفكيره أن هذا الاخدود اكثر هولاً من بقية الارض التي قطعنا. كيف نستطيع عبور الجَدَد[3] اذا لم ندحر فرسانهم؟ كيف تتسنى لنا العودة بالسير على الجبال التي عبرنا، اذا كان كل هؤلاء المشاة الخفيفة في أعقابنا؟ واذا حاولنا الوصول الى البحر سالمين، فسنجد البحر الاسود وهدة رحيبة! ثمة، لا توجد مراكب لتقلنا، ولا زاد يقيم أودنا حينما نقيم هناك. وكلما عجّلنا بالاياب الى هناك، وجب علينا الاسراع في الشروع في البحث عن الميرة مجدداً. لذلك من الافضل أن نقاتل الآن، وقد تناولنا وجبة زاد، فذلك أفضل من ان نقاتل عداً ومِعَدُنا خاوية. زملائي الجنود: ان القرابين ملائمة لنا، والبشائر صالحة، وعلامات الضحايا على احسن ما يرام. دعونا نتأهب لهؤلاء القوم. لا شك أنهم قد لا حظونا، ولا نبغي أن نفسح لهم مجالا ليتناولوا عشاءهم مستمرئين[4]، أو يعسكروا حيث يرومون».

بعد هذا، قال ضباط المئة لزينوفون أن يقتادهم، ولم يُبدِ أحد أية اعتراضات. لذلك تقدمهم وأوعز أن على كل فرد أن يجتاز الاخدود عند الموضع الذي اتفق أن يكون فيه. بهذا الشكل، فكر أن الجيش سيدرك

(٣) الجدد: الأرض السهل الغليظة. يقول المثل «من سلك الجدد أمن العثار».

(٤) براحة وهناء دون غصص.

الجانب الآخر بكتلة أكثر تراصاً مما لو تقاطروا على الجسر الذي كان قائماً على النَوض. وعندما اجتازوا، مضى بحذاء الخط، وخاطب الجنود قائلا:
«أيها الجنود، تذكروا جميع المعارك التي خضتموها ظافرين بعون الآلهة، وبالقتال بشكل متلاحم، وتذكروا ما يحدث للمقلعِطّين من العدو. فكروا في هذا أيضاً ـ أننا الآن على أعتاب اليونان. تقدموا اذاً، و (هراكلس) المرشد دليلكم، ونادوا رفاقكم بأسمائهم أثناء المسير. من المجدي أن تفكروا أن كل من يقول أو يفعل شيئاً جريئاً وباهراً الآن، سيعمل على ان يتذكره الأنام الذين يريدهم أن يتذكروه».

هكذا تكلم وهو يجري بجواده على طول الخط، وفي نفس الحين طفق يقودهم الى الامام بخط حربي، مع المشاة الخفيفة على الجناحين، ودنوا من العدو. وأُصدر الايعاز بإمالة الرماح حتى اعطاء الاشارة من البوق: عندئذ، يخفضون رماحهم نحو الموضع الواجب للهجوم، وينطلقون قدماً بخطى ثابتة، ولم يُسمح لاحد أن يتقدم بصورة ثنائية. بعد ذلك، بُلِّغت الكلمة ـ «زيوس المنقذ، هراكلس المرشد».

لقد لزم الأعداء موضعهم، حاسبين أنهم يملكون موقعاً جيداً. وعندما تدانى الجيشان، ضأضأ[٥] مشاة الأغريق الخفيفة، وهرعوا نحو العدو قبل صدور الايعاز اليهم من أي فرد. فهجم الاعداء لملاقاتهم، وكأن الفرسان و (البيثينيون) متراصفين، فردوا المشاة الخفيفة على اعقابهم. لكن عندما تقدم خط المشاة الثقيلة بخطى سريعة، وفي نفس الحين صوت البوق وانشدوا نشيد الحرب، ثم ضأضأوا وهم يخفضون الرماح تأهباً للكر، فلم يصمد الاعداء،

(٥) صوتوا ـ أي أحدثوا صوتاً وضوضاء.

وركنوا الى الفرار . فعقّبهم (تيماسيون) مع الفرسان ، ونكأوا[٦] العدو بقدر المستطاع ، بالنسبة الى ضآلة عددهم . ان جناح العدو الايسر ، حيث كان الفرسان في طور التعقيب ، قد تشتت للفور ، لكن جناحهم الأيمن عاد للتجمع على رابية ، لان ملاحقته لم تكن شديدة الوطأة . وعندما أبصر اليونانيون أن الجناح الأيمن آخذ في التمركز ، بدا أن أسلم وأيسر ما ينبغي عمله هو شن الغارة عليهم حالا . لذا أنشدوا نشيد القتال وهجموا فوراً ، فنكص الاعداء على اعقابهم . بعدئذ ، شرعت المشاة الخفيفة في تعقيبهم ، حتى تمزق الجناح الأيمن . والذين لقوا حتفهم ، لم يكونوا كثرة ، لأن خيالة العدو ، التي كانت بقوة هائلة ، فرضت الحيطة على اليونانيين .

لقد لاحظ اليونانيون أن خيالة (فارنابازوس) ما برحت مصطفّة ، وأن فرسان (البيثينيين) يلتئمون سوية للانضمام اليها ، ويتطلعون من قمة الرابية نحو الاسفل لمعرفة ما كان يدور . لقد أنهكهم[٧] التعب ، لكنهم مع ذلك ، عقدوا العزم على وجوب مداهمة الخيالة أيضاً بكل ما أوتوا من طاقة ، لمنعهم من استعادة أنفاسهم وجرأتهم . لهذا اصطفوا وتقدموا ، فانهزمت خيالة الاعداء نحو أسفل الرابية ، كما لو أن خيالة كانت تتعقبهم فعلا . فاحتموا بنَوضٍ هنالك ، لم يكن اليونايون على علم به . أما اليونانيون ، فقد كفّوا عن الملاحقة لتأخر الوقت . بعد ذلك ، عادوا الى الموضع الذي شنوا عنده الهجمة الأولى ، وأقاموا تذكاراً للنصر ، وآبو الى البحر حوالي الغروب . وكانت الشقة نحو معسكرهم قرابة ستة اميال .

---

(٦) قتلوا فيهم وجرحوا وأثخنوا .

(٧) المقصودون هنا هم اليونانيون .

الفصل السادس
إنزعاج مع الأسبرطيين

بعد هذا ، عزل الأعداءُ أنفسَهم ، ونقلوا عوائلهم ومقتنياتهم الى أبعد ما استطاعوا . في ذات الحين ، انتظر اليونانيون (كليندرَ) والزوارق ووسائط النقل التي كان من المفروض قدومها . فكانوا يذهبون كل يوم خارج المعسكر بمعية حيوانات نقل الأمتعة والعبيد ، ويجلبون قمحاً وشعيراً ونبيذاً ودخناً وتيناً وخُضَراً ، دون خشية الهجوم عليهم . كان البلد ينتج كل شيء يحتاج اليه الفرد ، إلا الزيتون .

عندما كان الجيش مستقراً في المعسكر . أجيز أفراد بالذهاب لغرض السلب ، والذين فعلوا ذلك ، احتفظوا بغنائمهم . أما عندما جرّد الجيش بأسره تجريدة ، فكل ما حصل عليه الفرد ، إذا توجّه حسب مشيئته ، عُد مُلكاً مشاعاً .-فأضحى الآن كل شيء وفيرا . إضافة الى ذلك ، جُلب الطعام من المدن اليونانية في جميع الأطراف لبيعه ، وكان يبهج الناس الماخرين بمحاذاة الساحل أن يرسوا هنا ، لسماعهم أن مدينة كانت تؤسس هناك ، وأن مرفأ صالحا ثَمَّ . كما أن الأقوام المعادية القاطنة في الجوار ، طفقت توفد الرسل الى (زينوفون) لأنه قد نما إليهم أنه المشرف على الترتيبات الخاصة بإنشاء المدينة ، وسألوه عما ينبغي أن يفعلوا ليكونوا على علاقات ودية . فأتاح (زينوفون) للجنود مشاهدة هؤلاء الرسل .

وسط كل هذا ، وصل (كليندر) بزورقين ، لكن دون وسائل نقل . واتفق حين وصوله ، أن كان الجيش خارج المعسكر ، لكن بعض المتأخرين عن العودة ، ذهبوا الى الجبال وراء الغنائم ، وسطوا على عدد من الشياه . وإذ

خشوا أن تؤخذ منهم الأشاوه ، أخبروا بشأنها (دكسـيبوس) ـ Dexippus ـ الرجل الذي فرّ من (طرابزوس) بسفينة ذات خمسين مجـذافا ـ وحثّوه أن ينوب عنهم في العناية بالشياه ، على أن يأخـذ حصـة له ، ويعيد إليهم الباقي . فأزاح (دكسيبوس) من سبيله الجنود المحيطين به ، والذين أعربوا أن امتلاك الأشاوه يؤول الى الجميع . ثم قصد (كليندر) وقال إنهم كانوا يحاولون اتخاذ الشياه لأنفسهم . فأوعز (كليندر) أنه ينبغي ان يُحضر اليه كل من فعل ذلك . فقبض (دكسيبوس) على أحد الجنود ، وشرع في أخـذه اليه . غير أن (أجاسياس) صادف الجماعة ، وأنقذ الرجلَ الذي كان جندياً في زمرته . فأخذ الجنود الآخرون هناك يرمون (دكسيبوس) بالحجـارة ، وظلوا يصرخـون : (خائن!) حينذاك ، ذُعر الكثيرون من رجـال الزوارق أيضـا ، وفرّوا الى البحر و(كليندر) ضمنهم . لقد حاول (زينوفون) والقادة الآخـرون إيقافهم ، وأخبروا (كليندر) أن ليس ثمة ما يُخشى ، وبينوا أن علة الأضـطراب هو القـرار الذي أجمع عليه الجيش . غير أن (كليندر) جُعل في حال من الهـياج من قبل (دكسيبوس) ، وقد خجل من الذعر الذي بدر منه . وقال إنه يعتزم الأقلاع ، وسيصدر الأمر باعتبارهم خصوما مشتَرَكين ، ولن تكون ثمة مدينة تستقبلهم . كان الأسپرطيون ، آنذاك ، سائدين على اليونان برمّتها . فلاح أن الأمر ليس في صالح اليونانيين ، والتمسوه ألا ينفّـذ تهـديداته . غير أنه أبى التحـول عما اعتزم ، إلا إذا سُلّم الشخص الذي خلّص الجندي المقبوض عليه . إن الرجل الذي كان يبحث عنه هو (أجـاسياس) الذي كان صـديق (زينوفون) الدائم . وهذا هو الباعث الحقيقي الذي حمل (دكسيبوس) على اتهامه[1] .

---

(١) المقصود هنا هو اتهام أجاسياس . راجع الفصل الأول من هذا القسم لمعرفة سر العداوة بين (زينوفون) و (دكسيپوس) .

حينئذ، ولما لم يكن أحد يعلم ما يفعل، طالب الضباط بعقد اجتماع العسكر. لقد استصغر بعض الجند شأن (كليندر)، لكن (زينوفون) لم يعتبر الأمر غير ذي بال قطعا. فنهض وتكلم قائلا: «أيها الجنود، من رأيي أن الأمر خطير، إذا انصرف (كليندر) كما يقول، وشعوره عنا كما هو الآن. ليست المدن اليونانية نائية، والأسپرطيون هم سادة اليونان. إنهم يملكون السلطان. أجل، كل فرد إسپرطي في المدن، له الأقتدار أن يفعل هناك ما يشاء. لذلك، وقبل كل شيء، إن أوصد (كليندر) أبواب (بيزنطية) في وجهنا، ثم اصدر الأوامر الى الحكام الأسپرطيين الآخرين في المدن العديدة بعدم إدخالنا بحجة أننا نعصي الأسپرطيين، وأننا خارجون على القانون، وبعدئذ إذا بلغ نفس الإخبار عنا أميرَ البحر (أناكسيبيوس)، صعب علينا المكوث هنا أو الابحار بعيداً. في الوقت الراهن، يملك الاسپرطيون النفوذ الفائق في البر والبحر. لذا لا يصح، في سبيل شخص أو شخصين، أن يُحرَم الباقون منا جميعا من دخول اليونان. كلا، يلزم أن نمتثل لما يقولون. إصالة عن نفسي - وقد تناهى إليّ أن (دكسيپوس) يقول لكليندر إن (أجاسياس) ما كان ليُقدِم على ما فعل إنْ لم أكن أنا قد أمرته بذلك الفعل - أقول بالأصالة عن نفسي، إني على استعداد لأقصاء الملامة عنكم وعن (أجاسياس)، إن أفصح (أجاسياس) ذاته عن وجود أي ضِلع لي في ما حدث، وإني مستعد لأحكم على ذاتي بأقسى العقاب، ولأنال ذلك العقاب إن كنتُ المحرِّض على قذف الحجارة، أو أي عمل عنيف. كما أقترح إن كان (دكسيپوس) متهِماً أيّ فرد آخر، فعلى ذلك الفرد تسليم ذاته الى (كليندر) للمحاكمة. بهذا الأسلوب، ستُمسون في حِل من كل مسؤولية في القضية. والأمور كما هي الآن، سيشقّ علينا - بدلا من جميع

مأمولنا في نوال الشرف والمجد في اليونان ـ إذا لم يُنظر إلينا حتى نظرة توازي النظرة الى أبناء جلدتنا ، وأن توصَد أبواب المدن دوننا .»

بعد ذلك الخطاب ، نهض (أجاسياس) وتكلم قائلا :ـ «أيها الجنود ، أقسم لكم بكل الآلهة والآلهات، أن (زينوفون) لم يوعز إلي بتخليص الرجل ، ولا أي أحد سواه من بينكم . لكني إذ رأيت جندياً صالحا وفردا من زمرتي ، يساق من قِبَل (دكسيبوس) الذي تعرفون أنه خائنكم . بدا ذلك شيء لا يطاق ، فأنقذتُ الرجل ؛ أقرّ بهذا . وليس ثمة حاجة أن تسلّموني . إني ، كما يصرح (زينوفون) ، أسلّم ذاتي الى (كليندر) لمقاضاتي وليفعل بي ما يحلو له . لا تخلقوا الخصومات مع الاسپرطيين من أجل هذا . أريدكم أن تصلوا الوطن سالمين حيث يروم كل فرد أن يكون . لكني أريدكم أن تختاروا بعض الناس ، وتوفدوهم معي الى (كليندر) كي يتمكنوا من الكلام نيابة عني ، ويفعلوا ما يستطيعون إن أهملت شيئا .» إذ ذاك ، أفسح له الجيش مجالا لانتخاب من شاء ليرافقوه ، فأختار القادة .

بعدئذ ، توجّه (أجاسياس) والقادة والذي خُلِّص الى (كليندر) . فتكلم القادة كما يلي : «لقد أوفدنا الجيش إليك ، يا (كليندر) ، وهو يلتمسك ، إن كنت تتهم جميعنا ، أن تنظر في القضية بنفسك ، وتعاملنا كما ترى مناسبا : إذا كنتَ تتهم واحدا أو أثنين أو أكثر ، فيعتقدون أن الصواب في تسليمك ذواتهم للمقاضاة . لذا إن كنت تدعي على أي منا ، فها نحن أمامك . وإذا كان غيرَنا ، فلك أن تدلنا على إسمه فحسب . ليس من فرد ، راغب في إطاعة أوامرنا ، سيأبى المثول .»

ثم برز (أجاسياس) نحو الأمام ، وتكلم قائلا : «أنا ، يا (كليندر) ، هو الرجل

الذي خلّص الجندي عندما كان (دكسيپوس) يسوقه ، وأوعزتُ برجم (دكسيپوس) بالحجارة . وسبب ذلك علمي بطيبة هذا الجندي ، كما قد عرفت (دكسيپوس) أيضا . علمتُ أنه الذي اختاره الجيش ليشرف على السفينة ذات الخمسين مجذافا ، التي أقنعنا أهالي (طرابزوس) بإعطائها إيانا ، كي نتمكن بها من تجميع وسائط النقل لأخذنا الى الوطن سالمين ، وعلمت أن (دكسيپوس) قد فرّ وأدّى دور الخائن للجنود الذين برفقتهم صينت حياته . وهكذا تُركنا ـ بعد أخذ السفينة من سكان (طرابزوس) ـ مشوّهي السمعة هناك نتيجة لذلك ، وبما أن (دكسيپوس) قد نال سهما في الصفقة ، كنا نحن أنفسنا ضالين . لقد سمع ، كما قد سمعنا نحن ، كم كان من المستحل علينا أن نعبر الأنهار ، ونعودَ الى اليونان سالمين سيراً على الأقدام . هذا هو طراز الرجل الذي منه انتشلتُ الجندي . إذا كنت أنت الذي تسوقه ، أو أياً من حاشيتك ، وليس أحد الهاربين من خدمتنا ، فلكَ أن تتأكد أني ما كنتُ أفعل ما فعلتُ . إنْ تقتلْني الآن ، فتذكّر أنك ستقتل رجلا طيباً بسبب جبان حقير.»

بعد الأصغاء الى ذلك ، قال (كليندر) : إن كان (دكسيپوس) قد فعل كما ذُكر ، فمن المستحيل تزكية مسلكه . ومن الجهة الأخرى ، أعتبِرُ معاملة (دكسيپوس) بعنف غير موجبة ، حتى لو كان سافلاً بالفعل . بدلا من ذلك ، وجب أن يحاكَم وينال ما استحقّ طبقا للمحاكمة التي تطالب بها القادة أنفسهم . وقال : «فاذهبوا الآن ، واتركوا (أجاسياس) معي ، وعودوا عندما أخبركم لتحضروا المحاكمة . إني لا أتهم الجيش ، أو أي فرد آخر ، مادام هذا الرجل يقرّ بنفسه أنه خلص المقبوض عليه .»

ثم تكلم الرجل الذي انتُشِل : «أما أنا ـ يا كليندر ـ إن كنتَ تعتقد أني كنتُ

مسوقا لأني قد ارتكبت شيئا خاطئا . فأنا لم أضرب أحدا أو أرجمْ بالحجارة . كل ما قلت إن الشياه مُلكٌ عام ، لأن الجيش تبنّى قرارا أن كل من يسطو على الغنيمة بمفرده ، عندما يكون الجيش قد جرد تجريدة ، فما يحرزه يجب أن يُعدّ ملكا مشاعاً . هذا ما قلت . والشيء الثاني ، قبض (دكسيبوس) علي ، وكان يسوقني حتى لا يُرَثَم(٢) أحد بكلمة حول الأمر ، بينما قد أتيح له أن يتناول حصته ، ويحتفظ بالمتبقي من الغنيمة لأجل السُرّاق ضد قرار الجيش .» فأجاب (كليندر) عن ذلك ، قائلا : «مادمتَ مشمولا بالامر ، تخلّفْ هنا ، كي يتسنى لنا أن نبتّ في ما نفعل بشأنك أيضا .»

بعد هذا ، تناولت جماعة (كليندر) الغداء . واستدعى (زينوفون) الجيش الى الأجتماع ، وأشار بإرسال المنتدَبين الى (كليندر) ليسألوه الرفق بالرجلين ، فاعتزموا إيفاد القادة وضباط المئة و (دراكونتيوس) - Dracontius - الأسپرطي ، وكل من عداهم ممن بدا من المحتمل أن يكونوا نافعين ، وإعلامَهم بالتماس (كليندر) ، بمنتهى الحماس ، لأطلاق سراح الرجلين . فقصد زينوفون (كليندرَ) ، وتحدث قائلا : «إن الرجلين في حوزتك ، يا كليندر ، وقد خوّلك الجيش السلطة بأن تفصل كما يروقك بخصوص الرجلين وكل الجنود . إنهم الآن ، في غاية الهمة ، يلتمسونك بإعادة هذين الرجلين إليهم وعدم إعدامهما . في ظروف مرت ، عمل الأثنان كثيرا في سبيل الجيش . إن يُلبَّ مطلب الجند ، يعدوك - مقابل ذلك - لو كنت راغبا أن تصبح قائدهم ، وإن عطفت الآلهة ، أنهم سيُظهرون لك حسنَ نظامهم ، وسيثبتون لك أنهم ، بإطاعة قائدهم وبعون السماء ، لا يعرفون معنى للرهبة في وجه العدو . لديهم إلتماس آخر أيضا .

---

(٢) ينطق .

عندما تكون قد تسنمتَ القيادة، ستمنح (دكسييوس) والآخرين فرصة ليدل كل فرد على ماهو أهل له، وأنك ستكافيء كلا منهم بحسب جدارته.»

فوعى (كليندر) ذلك، وقال: «قَسَمًا بالأخوين التوأمين[٣]، سأعطيك رداً عاجلا. أطلق لكم الرجلين، وسآتي بنفسي لأنضم إليكم. وإن تمنحني الآلهة القدرة، فسأقودكم من هنا الى اليونان. إن كلماتكم بالذات مغايرة تماما لما بلغني عن بعضكم، والذي[٤] أوحى أنكم كنتم تُقصون الجيش عن الأسپرطيين.»

آنئذ، إمتنّ الموفدون من (كليندر)، وعادوا آخذين الرجلين معهم. لقد قدّم (كليندر) قربانا بقصد القيام بالرحلة، وعاشر (زينوفون) بعلاقات جد ودية. والحقيقة أنهما اتفقا على حسن الضيافة المتبادلة. وعندما لاحظ كيف أن الجيش نفّذ الأوامر بأسلوب حسن التنظيم، ازداد رغبة في أن يغدو قائدهم. غير أن الدلائل لم تكن ملائمة، رغم تضحيته في ثلاثة أيام متفرقة، ولذلك استدعى القادة جميعاً، وتكلم قائلا: «إن البشائر لم تكن في صالحي لأقتادكم من هنا. لكن عليكم ألا تخوروا بسبب ذلك. يبدو أنكم الناس الذين أوكلت إليهم مهمّة إرجاع الجيش الى الوطن. لذلك قودوهم. وعندما تُدركون (بيزنطية)، سنستقبلكم هناك أحسن استقبال نستطيعه.» بعد هذا، قرر الجنود إهداءه هدية من الشياه التي كانت مقتنى مشاعاً. فتقبّل الهدية، ثم أعادها إليهم. وأبحر بعدئذ.

---

(٣) هما التوأمان السماويان في برج الجوزاء ويدعوهما الأغارقة (كاستور) و (بولوكس) نجلا (زيوس) و (ليدا) وقد عبدهما الاسپرطيون خصوصا.

(٤) يعود هذا الاسم الموصول على (ما) الفاعل قبله.

وســـار الجيش متغــلغلا بلاد (البيثيين) غِبّ أن صّرفوا الحبوب التي جمعوها ، وما تبقى من غنائمهم . وعند سـيرهم على طـول الطريق المباشر ، لم تسنح لهم فرص السـطو على أية غنائم لاسـتصحابها الى القـطر الحليف الذي كانوا يقصدون ، لذلك اعتزموا الأوبة في دربهـم لنهـار وليلة . بذلك اسـتحوذوا على كثير من القيان والماشية . وبعـد سـتة أيام ، بلغـوا (خـــريسوپوليس)[٥] في (خلقيدونية)[٦] حيث مكثوا سبعة أيام لبيع أسلابهم .

(٥) Chrysopolis ـ يلاحـظ من الخـارطة أن هذه المدينة ملاصـــقة الى خلقيدونية ، وكلتا هما مطلتان على مضيق البوسفور تماماً .

(٦) ـ Chalcedon ـ وتسمى كذلك (خلقيدون) حتى يومنا هذا . لكن البعض في تركيا يطلق عليهـا (كاليكون) . و (المجمع الخلقيدوني) منسوب إليها ، وهو أحد أقدم المجامع الكنسية المسيحية الهامة ، انعقد سنة (٤٥١) للميلاد وأدان (يوطيخس) الذي قال بوجود طبيعة إلاهية فقط في المسـيح . ويطلق الاتراك عليها إسم (كادي كوي) .

القسم السابع

بيزنطية، تراكيا
وآسيا الصغرى

الفصل الأول

إضطراب في بيزنطية

لقد أُخطر (فارنابازوس) الآن بإمكانية اختراق الجيش إيالته ، لذلك أنفذ الى أمير البحر (أناكسيبيوس) الذي كان في (بيزنطية) ، طالباً نقل الجيش من آسيا[1] ، واعداً إياه بتقديم جميع المساعدات اللازمة لذلك . فاستدعى (أناكسيبيوس) القادة وضباط المئة الى (بيزنطية) ، وقطع وعداً ، إذا اجتاز الجنود المضايق ، فستكون لهم فرصة لأحراز المال . فقال الضباط الباقون إنهم سيبحثون المشروع . ثم يعودون ثانية ، لكن (زينوفون) أنباه أنه كان مزمعاً على مغادرة الجيش للفور ، وأنه أنص[2] الأنطلاق بحراً . غير أن (أناكسيبيوس) حثه على العبور مع الآخرين ، وأن يبارحهم من ثَمّ، فارتضى (زينوفون) ذلك .

في الوقت ذاته ، بعث (سيوثس) ـ Seuthes ـ التراكي (ميدوسادس) ـ Medosades ـ الى (زينوفون) مع رسالة يسأله فيها الأنضمام اليه بمحاولة حمل الجيش على اجتياز المضايق ، وقال إن عاضَدَه (زينوفون) في هذا ، فلن يندم على ذلك . فرد (زينوفون) قائلا : «سيجتاز الجيش المضايق في أية حال . وبقدر ما يتعلق الأمر بذلك ، ليست ثمة حاجة أن تدفعوا لي أو سواي أي شيء مقابل ذلك . سأغادره بمجرد عبوره ؛ لذلك على (سيوثس) أن يتصل بمن سيمكثون ، ومن يظنهم أناساً يُعتَمَدون لمعاضدته .»

---

(١) هي آسيا الصغرى أو تركيا حالياً .

(٢) أراد .

بعد هذا ، عبر الجيش قاطبة الى (بيزنطية) . بيد أن (أناكسيبيوس) أخفق في دفع أية جعيلة لهم .وبدلا من ذلك ، أمر بالمناداة على الجنود أن يتناولوا أسلحتهم وأمتعتهم ، ويسيروا خارج المدينة : كان مزمعاً أن يرسلهم الى الوطن وبنفس الوقت يحصي عددهم . لقد دَغَصَ[3] الجنود على هذا الأخبار ، لأنهم لم يكونوا حائزين على الدراهم ليبتاعوا الميرة لأنفسهم أثناء الرحيل . فقاموا بحزم أمتعتهم على مضض .

لقد أضحى (زينوفون) خِلّ (كليندر) الحاكم الأسبرطي ، وبما أنه انتوى الابحار في الحال ، قصده مستودعاً . غير أن (كليندر) قال له : «لا تنطلق . إن تفعل ، فستكون موضع شبهة . إذ ، حتى الآن ، ما انفك بعض الخَلق يقولون إنك السبب في عدم مضي الجيش من هنا سريعاً .» أجاب (زينوفون) : «لستُ مسؤولا عن ذلك ،بل الجنود أنفسهم الذين تعوزهم الميرة ، ولذاك السبب ليسوا شديدي التشوق الى الأرتحال من هنا .» فقال (كليندر) : «مع ذلك ، أنصحك بالخروج من المدينة وكأنك سترافق الجيش . بمجرد أن يصبح الجيش خارجا ، تستطيع آنئذ تركهم .» فقال (زينوفون) : «حسنا جدا . سنذهب الى (أناكسيبيوس) ونسوّي هذا الأمر .» فمضيا إليه ، وأخبراه بمحادثاتهما . وقال (أناكسيبيوس) إن على (زينوفون) أن يفعل كما قد أقتُرح ، وعلى أفراد الجيش أن يحزموا معداتهم ، ويرحلوا بأسرع ما يمكن . وأنذر أن كل من لا يكون ضمن العرض ، لأحصاء العدد ، سيُعرِّض ذاته للّوم .

بعد هذا ، ساروا خارج المدينة ـ القادة أولا ثم الباقون . لقد مشى الجميع الى الخارج باستقامة ، خلا القليلين ، واتخذ (أتيونيكوس) ـ Eteonicus ـ موضعا له

(٣) امتلأوا غضباً .

عند الأرتاج[٤] ، حتى إذا صار الكل خارجا ، استطاع غلقَ الرُتج ، ووضع عليها العارضة . عندئذ ، استدعى (أناكسيبيوس) القادة وضباط المئة ، وخاطبهم قائلا : «يسعكم أن تحصلوا على ميرتكم من الأرياف (التراكية) . هناك ، سيُعثر على كميات وفيرة من الشعير والقمح والأطعمة الأخرى . وعند حصولكم على ميرتكم ، يمموا شطر (الشيرسونيز) . حيث سيعطيكم (سينيسكوس) ـ Cyniscus ـ جعائلكم .»

لقد وعى أحد الجنود ذلك ، أو أن أحد ضباط المئة قال للجيش بشأنه . في الوقت ذاته ، كان القادة يبحثون موضوع (سيوثس) ، إذا كان سيغدو صديقا أم خصما ، وإذا كان ينبغي عليهم أن يسيروا الى (الجبل المقدس)[٥] أم أن يعرّجوا نحو أواسط (ثراشيا) . وبينما كانت هذه المباحثات جارية ، مَعّدَ[٦] الجنود أسلحتهم ، وهرعوا عائدين نحو الأرتاج ، معالجين الرجوع الى داخل السور . عندما لاحظ (أتيونيكوس) ورجاله انقضاض المشاة الثقيلة ، أوصدوا الرُتج ، ووضعوا فوقها العارضة . فأخذ الجنود يطرقون الأرتاج ، قائلين إنهم قد عوملوا معاملة مجحفة للغاية ، وإنهم دُفعوا خارجا في قطر معاد ، وهددوا بتحطيم الأرتاج ، إلا إذا فتحها الناس في الداخل طوعا . فعدا البعض نازلين نحو اليم ، واخترقوا المدينة فوق السد الذي ترتطم به الأمواج ، منطلقين من

---

(٤) الأرتاج :جمع رَتج وهو الباب الكبير يكون عادة في أسوار المدن قديما . وهو عين الرتاج وجمعه رُتج . لم أعثر في (المنجد) و (البستان) على جمع لهذين المفردين ، لكني استعنت بالقياس : صفد ، حجر ، فلك ـ جمعها أصفاد وأحجار وأفلاك . بساط وحزام ـ جمعها بُسُط وحُزُم .

(٥) هو جبل الاولمب (أولمپوس) في تساليا التي ارتفاعه (٩٧٥٤) ق . وعليه بيت الآلهة لدى الاغريق قديماً .

(٦) إستلّ أو جرّد .

السور، وعندما أبصر الجنود، الذين ما عتموا في الداخل، ما كان دائرا عند الأرتاج، حطموا العارضة بالفؤوس، وفتحوا الرتج على مصاريعها، فهجموا كلهم بعدئذ نحو الداخل.

وعندما لمح (زينوفون) ما كان يدور، وخشيةً من شروع الجيش في النهب، ووقوع أضرار لا تعوض، قد تلحق المدينة ومصلحتَه ومصلحة الجند، عدا نحو الأمام، ونَفَذَ داخل الأرتاج مع الزحام. ولما رأى سكان (بيزنطية) الجيشَ مقتحما طريقه نحو الداخل، فرّوا من ميدان السوق. واعتصم البعض بمراكبهم، والبعض بدورهم، والذين اتفق أن كانوا داخلا، هرعوا الى الشوارع، وسحب بعضهم الزوارق نحو الماء بقصد الأنطلاق بها للنجاة، وظن الجميع أنهم هالكون، وكأن المدينة قد احتلها الأعداء. لقد فر (أتيونيكوس) الى القلعة، وهبط (أناكسيبيوس) الى اليم، وأقلع باتجاه القلعة أيضا بزورق لصيد الأسماك. ثم أرسل فورا في طلب الجنود من حامية (خلقيدون)، لأن الذين كانوا لديه ضمن القلعة، لم تَبدُ قدرتهم على الصمود تجاه الأغريق. وحالما لمح الجنود (زينوفون)، خفّ نحوه العديدون منهم، وقالوا: «إنها فرصتك الآن يا (زينوفون) لتغدو رجلا بجيلا[٧]. لديك مدينة، وعندك زوارق، وتملك المال، ونحن عسكرك. إن شئت الآن، إستطعت أن تفعل لنا الخير، واقتدرنا أن نجعلك عظيما.»

فأجاب (زينوفون): «صواباً نطقتم، وذاك ما سأفعل. إن كانت هذه مشيئتكم، فاصطفوا حالا بمقتضى صفوفكم المعتادة.» لقد قال ذلك بغية تهدئتهم، ولم يأمر ذلك بنفسه فحسب، بل أنبأ الآخرين بتبليغ الأيعاز بالأصطفاف. ثم شرعوا في تنظيم أنفسهم بحسب مفارزهم، وسرعان ما

---

(٧) عظيما.

اصطف المشاة الثقلية في ثمانية صفوف، واجلوذ[8] المشاة الخفيفة نحو أماكنهم على الجناحين. وكان الموضع، الذي هم فيه، يسمى (الميدان التراكي)، وكان مكاناً صالحاً للعرض، لتجرده من المنازل، وكانت الأرض دَلِصَة[9].

وعندما ألقى الرجال الأسلحة، وهدأ هياجهم قليلا، جمّع (زينوفون) الجيش سوية، وتحدث قائلا: «أيها الجنود، لا أستغرب كونكم ناقمين، وتفكيركم أنكم قد خُدعتم وعوملتم بمظاظة[10]. إلا أننا، إن نطلق العنان لعواطفنا، ونحمل الأسبرطيين الذين هنا على التعويض عن تضليلهم، وننتهب المدينة التي هي غير مسؤولة مطلقاً، فينبغي عندئذ أن نعتبر ما ينجم بعدئذ. سنمسي في حال حرب، أشهرناها بأنفسنا، مع الأسبرطيين وحلفائهم. ونستطيع أن نتصور، مما شاهدنا ومما نقدر أن نتذكر من التأريخ القريب، شكلَ الحرب التي ستدور. عندما احترب الآثينيون مع إسبرطة وحليفاتها، كنا حائزين على ثلاثمئة سفينة، على الأقل، في البحر أو الثغور، وكان في حوزتنا إحتياطي من الدَبْر[11] في (الاكروبوليس)[12]، ومالية سنوية من الضرائب في الوطن وما وراء البحار، تبلغ على الأقل ألف وزنة.[13] لقد كنا سادة كل الجزر، وكانت في حوزتنا مدن عديدة في كل من آسيا وأوربا، من جملتها هذه المدينة (بيزنطية)، حيث نحن حاليا، ومع كل ذلك، مزقتنا الحرب، وأمسينا في المصير الذي كلكم تعلمون

---

(8) مضوا مسرعين.

(9) منبسطة.

(10) المظاظة: الفظاظة وشدة الخلق.

(11) المال الكثير.

(12) ـ Acropolis ـ قلعة آثينا القديمة.

(13) ـ Talent ـ إما وزنة فضة تساوي (250) أو (340) جنيها، وإما وزنة ذهب التي تساوي عشرة آلاف جنيه تقريباً.

عنه. إذاً، ما تظنون سيكون مصيرنا الآن، في حين لا يقف بجانب (الأسپرطيين) حلفاؤهم الأصليون فحسب، بل قد انضم إليهم (الآثينيون) وكل الذين كانوا حلفاء (آثينا)، وفي حين (تيسافرنوس) وكل السكان الأصليين على الساحل خصومنا، وألد أعدائنا عاهل الفرس الذي زحفنا عليه بغية تجريده من إمبراطوريته والأجهاز عليه، إذاً تمكنا؟ مع كل ذلك في طرف، هل يستطيع أي فرد أن يكون من الحمق بأن يفكر في سنوح الحظ لنا بالظفر؟ بحق السماء، لا تدعونا أن نفقد رشدَنا، فنهلك مجللين بالعار، مقتتلين مع موطننا وأصدقائنا وأقربائنا بالذات، وكلهم في المدن التي ستشنّ الحرب علينا. سيكونون محقين تماما في دخول الوغم[١٤] ضدنا، إن نسلب الآن أول مدينة إغريقية جئناها، مع أننا وبكل ما ملكنا من طاقة، لم نبغِ قطّ التسلطَ على مدينة غريبة. إني أتضرع الى السماء كي أُطمَرَ الى عمق عشرة الآف قامة[١٥] تحت الثرى قبل أن أراكم تفعلون شيئاً كهذا. مشورتي لكم هي: بما أنكم أغارقة أنفسكم، يتحتم أن تحاولوا استحصال العدالة بالرضوخ لقادة الأغريق. إن لم تفلحوا في ذلك، فينبغي أن نصبر على التعسّف لئلا نُقصي ذواتنا عن اليونان على الأقل. أحسب أن ما يستوجب علينا فعله الآن، هو أن نستوفد معتَمَدين الى (أناكسيبيوس) بهذا البلاغ: «لقد اخترقنا المدينة، بلا نيّة على القيام بأعمال العنف. إن مرادنا الحصول على بعض المساعدة العملية منك. إن لم نُعطَ شيئا، فعلى الأقل سنبيّن بجلاء أننا مغادرون المدينة بباعث من إطاعتنا أوامرك، وليس بسبب خدعة.» فعُمل بمقتضى هذا الأقتراح، وأُنفِذَ (هيرونيموس) ـ Hieronymus ـ الذي من (أليس)[١٦] لأبلاغ الرسالة بصحبة

(١٤) الحرب أو الوغى.

(١٥) ـ Fathom ـ القامة ستة أقدام.

(١٦) ـ Elis ـ إقليم في اليونان قديما حيث كانت تقام الألعاب الاولمپية.

(يوريلوخـوس) ـ Eurylochus ـ الأركادي و(فيليسـيوس) ـ Philesius ـ الآثي . فذهب هؤلاء الرجال لتنفيذ تعليماتهم .

لكنما ، إذ كان الجنود قاعدين القرفصاء ، قصـدهم شخص (ثيبي)[١٧] يدعى (كويراتيداس) ـ Coiratidas ـ الذي لمْ يكن مبعداً عن اليونان ، لكنه جال بحثا عن عمل كقائد ، يعلن عن إمكانياته لذلك المنصب ، إذا احتاجت أية مدينة ، أو قوم ، الى واحد . آنئذ ، برز وقال إنه على استعداد لقيادة الجيش نحـو الجـزء (التراكي) المدعو (دلتا) حيث سـيصيبون الكثير من الأسـلاب ، وإنه سـيزوّدهم بطعام وشراب ، بحسب اكتفاء أفئدتهم ، وهم في سبيلهم الى هناك . وعندما كان الجنود يصغون الى ذلك العرض ، ورد الجـواب من (أناكسـيبيوس) مفيداً : إن أطاعوا الأوامر ، فلن يأسفوا ، وسيرفع تقريرا عن القضـية برمتهـا الى حكومته المركزية ، وإنه شخصياً يرغب أن يسدي إليهم الخدمة التي في مقدوره .

بعدئذ ، إتخـذ الجنود (كويراتيداس) قائدا لهـم ، ورحلوا خـارج أسـوار البلدة . ودبّر (كويراتيداس) أن يعـود الى الجيش في اليوم التالي برفقـة عراف وقرابين للتضحية ، ومعه أيضـا طعـام وشراب للجنود . وحـالما غادروا المدينة ، أوصد (أناكسـيبيوس) الرتج ، وأصـدر نداء أن أي جندي يُعـثَر عليه ضـمن الأسـوار ، سـيباع كرقيق . في اليوم التالي ، وصـل (كويراتيداس) مع العـراف وبهـائم التضـحية ، وكان في زمرته عشرون رجـلا يحملون دقيق الشـعير ، وعشرون آخـرون يحملون نبيذاً ، وثلاثة رجـال يحملون زيتوناً . وكان رجـل يحمل غاية ما استطاع من الثوم ، ورجـل آخـر يحمل عِدْلَ ذلك من البصـل . لقد هيأ (كويراتيداس) هذه الأشياء للتوزيع ، ثم قرّب ذبيحته .

---

(١٧) ـ Theban ـ نسبة الى (ثيبس) ـ Thebes ـ وهي حاضرة (بيوطيا) دمرها الأسكندر المقدوني .

لقد طلب (زينوفون) من (كليندر) التوجّه إليه لرؤيته وترتيب نفوذه الى المدينة ، واتخاذ سفينة من (بيزنطية) . وعندما وصل (كليندر) قال: «ها قد أتيتُ بعد مواجهة الكثير من الأزعاج في تسوية الأمور . يقول (أناكسيبيوس) إنه لا يحبّذ فكرة وجود الجنود خارج الأسوار و (زينوفون) في الداخل . ويقول إن (البيزنطيين) أيضا منقسمون الى عدة معسكرات متناحرة . على كل حال ، أفاد أنك تستطيع الدخول إن كنت على أهبة الأبحار بمعيته .» إذ ذاك ، ودّع (زينوفون) الجنودَ ، ومضى الى داخل المدينة برفقة (كليندر) .

في نفس الحين ، أخفق (كويراتيداس) في الحصول على بشائر موافقة من تضحيته في اليوم الأول ، ولم يوزع أي طعام على الجيش . في اليوم التالي ، وضعت القرابين في موضعها عند المذبح ، وقد وضع (كويراتيداس) إكليلا من زهور على هامته ، وكل شيء مُعَدّ للتضحية ، وإذا بتيماسيون (الدرديني) ونيون (الأسيني) وكلينور (الأورخوميني) يتوجهون إليه ، قائلين له ألا يضحي ، إذ ما كان ليقتاد الجيش إلاّ إذا قدّم الأطعمة . عندئذ ، أوعز (كويراتيداس) بتوزيع الطعام ، لكن ما لديه لم يكن يكفي وجبات يوم واحد لكل نفر . لذلك ، مضى مستصحباً معه حيوانات التقدمة ، وقد نبذ فكرة أحتياز القيادة .

الفصل الثاني
زينوفون يفاوض سيوثس

لقد تخلف لقيادة الجيش (نيون الأسيني) و (فرينيسكوس) و (فيليسيوس) و (زانثيكلس) الآشيون و (تيماسيون الدرديني). فساروا قدما نحو بعض الضياع (التراكية) بجوار (بيزنطية)، وعسكروا هناك. هنا حصل إنقسام في الرأي بين القادة. فقد رغب (كلينور) و (فرينيسكوس) في التوجه بالجيش الى (سيوثس) الذي استمال هذين بأن وهب أحدهما حصاناً والآخر امرأة. وأراد (نيون) الذهاب الى (شيرسونيز) وفكرته من ذلك أنه، بمجرد أن يصبحوا تحت السيطرة الاسپرطية، سيُعيَّن آمراً على الجيش بأسره. وكان (تيماسيون) يحبذ عبور المضايق، عائداً نحو آسيا، لأنه ظن في وسعه آنذاك أن يضمن أوبته الى بلدته. فساند الجنود خطته، لكن إذ كان الوقت يُنفَق في المباحثات، باع الكثير منهم أسلحتهم في البلد، وأبحروا منه على مسؤوليتهم، وتدفق الآخرون نحو المدن. لقد استبشر (أناكسيبيوس) بأنباء انفضاض الجيش، إذ خال أنه بذلك كان يعمل بأسلوب من منتهى الفضل تجاه (فارنابازوس).

أثناء رحلة (أناكسيبيوس) من بيزنطية، التقاه (أريستارخوس) عند (سيزيكوس)[1]، الذي قدم ليحل محل (كليندر) كحاكم (بيزنطية). وقد أشيع أيضا أن پولوس (Polus) الذي كان سيحل مكان (أناكسيبيوس) كأمير البحر، أضحى الآن على وشك دخول (الهيليزپونت). إن (أناكسيبيوس) أعلم (أريستارخوس) أن يبيع - كعبيد - جميع جنود (كورش) الذين ألفاهم متخلفين في (بيزنطية). لم يبع (كليندر) أيا منهم، والحقيقة أنه أشفق على المرضى

(١) - Cyzicus - سبه جزيرة ممتدة في بحر (مرمرة) نحو (٧٠) ميلا جنوبي اسطنبول.

والجرحى، واعتنى بهم، وحمل سكّان البلدة على إيوائهم. غير أن (أريستارخوس) باع أربعمئة على الأقل كأرقاء، حالما وصل. وأبحر (أناكسيبيوس) بموازاة الساحل الى (پاريون)[2]، ومن هناك، كما اتُفِق عليه، بعث برسالة الى (فارنابازوس). غير أن (فارنابازوس)، عندما اكتشف أن (أريستارخوس) قد وصل لتسنم حاكمية (بيزنطية)، وأن (أناكسيبيوس) لم يعد في منصب أمير البحر، كف عن الأهتمام بشأن (أناكسيبيوس)، وشرع بدلا من ذلك في دخول نفس المفاوضات مع (أريستاخوس) بصدد جيش (كورش) كما كان يتفاوض مع (أناكسيبيوس) سابقاً.

بعد ذلك، استدعى (أناكسيبيوس) زينوفونَ، وحثه على الأوبة مبحراً الى الجيش بالسرعة المستطاعة، مستخدماً كل الوسائل المتوفرة لتلك الغاية. وأخبره أن يضم الجيشَ بعضه الى بعض، وأن يستعيد إليه أكثر ما يمكن من الذين ارفضّوا عنه. ثم كان عليه أن يقتاد الجيش الى (پيرنثوس)[3]، ومن ثم يقلّه الى آسيا بأسرع ما استطاع. في نفس الحين، زوّد (زينوفونَ) بسفينة ذات ثلاثين مجذافاً وكتاب تعريف، وأوفد معه رجلا كي يُخبِر سكان (بيرنثوس) ليجهزوه بمراكب حتى تدرك الجيش بأسرع ما يمكن. عندئذ، إجتاز (زينوفون) مبحراً، وقدم الى الجيش. لقد أحسن الجنود استقباله، وكانوا مبتهجين ليلحقوا به خالا بقصد العبور من (تراكيا) الى آسيا.

عندما سمع (سيوثس) أن (زينوفون) قد آب ثانية، أنفذ إليه (ميدوسادس) بحراً، والتمسه بجلب الجيش إليه، وقد قطع من الوعود كلّ ما ظَنّ من شأنه

---

(٢) - Parion - لم أعثر عليها في الخرائط الحديثة أو أطلس الموسوعة البريطانية.

(٣) - Perinthus - مطلة على بحر مرمرة في قسم (تراكيا) غربي بيزنطية.

أن يستميله به . غير أن (زينوفون) أجاب باستحالة القضية كليا ، وبعد تلقي هذا الرد ، انطلق (ميدوسادس) راجعاً . وعندما وصل الأغريق (بيرنثوس) ، انفصل (نيون) بمعية ثمانمئة رجل عن الباقين ، وعسكر منعزلا . وكانت بقية الجيش مجتمعة في معسكر عند أسوار (بيرنثوس) . فانهمك (زينوفون) الان باستجماع المراكب ، ليتسنى العبور بالسرعة المستطاعة . عند ذاك ، وصل (أريستارخوس) ـ Aristarchus ـ الحاكم الأسبرطي على بيزنطية بزورقين ، وبما أنه قد استُميل لمصلحة (فارنابازوس) ، منع ربابنة السفن من نقل الأغريق . ثم ذهب الى الجيش ، وأخبر الجنود بعدم العبور الى آسيا . فأعلمه (زينوفون) أن (أناكسيبيوس) قد أصدر الأمر ، وقال : «لقد أرسلني الى هنا لهذا السبب بعينه .» عندئذ تكلم (أريستارخوس) ثانية ، وقال : «لم يعد (أناكسيبيوس) أمير البحر . من جهة ثانية ، أنا الحاكم ههنا : وإن أعثرْ على أي منكم مبحراً ، فسأغرق سفنكم .» وانطلق ، مع هذه الكلمات ، نحو المدينة .

في اليوم التالي ، أرسل في طلب قادة الجيش وضباط المئة ، لكنهم عندما باتوا على مقربة من الأسوار ، أفاد أحدُهمْ (زينوفونَ) أنه إذا نفذ الى الداخل ، فسيُقبَض عليه ، وإمّا أن يُعالَج أمره فورا ، أو أن يُسلَّم الى (فارنابازوس) فعلا . عندما توفرت هذه المعلومات لدى (زينوفون) ، أرسل الآخرين مقدماً ، وقال إنه شاء أن يقدِّم قربانا . فرجع وضحّى بغية التعرّف إذا كانت الآلهة ستجيز له محاولة أخذ الجيش الى (سيوثس) . لقد أقدم على ذلك لأنه رأى العبور غير مأمون ، ما دام الذين أرادوا منعه مالكين الزوارق ، كما لم يشأ الذهاب الى (الشيرسونيز) ، فيضحى محاصَراً ، والجيش ينقصه كل شيء ، وفي وضع يلزم معه الأذعان لأوامر الحاكم فورا ، وحيث يُستبعَد حصول الجيش على أية مؤن .

عندما كان (زينوفون) يفكر على هذا المنوال، رجع القادة وضباط المئة من جهة (أريستارخوس) وأفادوا أنه قال لهم أن ينطلقوا في الوقت الحاضر، وأن يعودوا غداً. بهذا لاح خداعه أكثر جلاء. وكان فأل القرابين ملائما (زينوفون) والجيش بالسير سالمين نحو (سيوثس). ولذلك استصحب (زينوفون) ضابطَ المئة (پوليكراتس) الآثيني، وشخصاً كان موضع ثقة القادة المعنيين باستثناء (نيون)، وسروا راكبين لمسافة ستة أميال شطر عسكر (سيوثس). وعندما أوشكوا على الوصول هناك، صادف نيراناً دون أي خفير عليها. فظن، لأول وهلة، أن (سيوثس) قد غادر نحو موضع آخر، لكنه بعد أن سمع البعض يصيحون، وصوّت رجال (سيوثس)، متبادلين كلمة السر، أدرك أن العلة في إضرام الشعاليل أمام مراكز الحراسة هي التمكن من ستر أعداد ومواقع مراكز الخفارة في العتمة، بينما المتوجهون صوبَها لا مناص من رؤيتهم بفضل الضياء الذي هناك. وإذ أدرك (زينوفون) حقيقة الوضع، أرسل مقدماً ترجمانَه المرافق، وأخبره أن يُعلِم (سيوثس) أن (زينوفون) هنالك يريد أن يحدّثه. فاستفهم (التراكيون) إن كان هو (زينوفون) الآثيني من الجيش، وعندما أجاب الترجمان أنه هو، وثبوا على ظهور جيادهم وأسرعوا. بعد برهة قصيرة، ظهر حوالي مئتي جندي من المشاة الخفيفة، فرافقوا (زينوفون) وصَحبَه الى (سيوثس).

كان (سيوثس) في برج، وكانت حراسته في غاية العناية، كانت ثمة خيول معدّة جمعيها بالألجمة، ومحيطة بالبرج. لقد اعتاد، خشية الخطر، إطلاقَ الخيول لترعى نهاراً، وهيأها ليلا باللجُم إحتراساً. وكان الباعث على هذا، أنه قيل فيما سبق إن سلَفَه (تيريس) - Teres - مع جيش جرار، قد خسر عديداً من الرجال في هذا الشطر من الأقليم، وإن قافلة أمتعته قد سطا عليها السكان

الأصليون الذين يطلق عليهم (الثاينيون)[٤] ، ويعد هؤلاء أكثر خطراً من جميع الأقوام ، وخصوصاً أثناء القتال ليلا . وعندما دنوا من البرج ، أوعز (سيوثس) أن في وسع (زينوفون) الدخول برفقة أي رجلين يختارهما . فنفذوا ثَمَّ ، وقبل كل شيء ، حيا أحدهما الآخر ، وشرب كل منهما نخب الآخر ، بحسب العادة (التراكية) المتبعة ، في قرون مملوءة بالنبيذ . وكان مع (سيوثس) ميدوسادس الذي قام بدور سفيره في كل الأوقات . بعدئذ ، تحدث (زينوفون) قائلا : «في المرة الأولى ، يا (سيوثس) ، أوفدت اليّ (ميدوسادس) الذي ههنا نحو (خلقيدون) ، طالبا مني الأنضمام إليك في محاولة العبور بالجيش من آسيا ، ووعدت أنك ـ إذا أفلحتُ في هذا ، كنتَ ستكافئني على ذلك ، أو أن ذلك ما ذكر (ميدوسادس) الماثل هنا .»

ثم استفهم[٥] (ميدوسادسَ) فيما إذا كان هو قد نقل المحادثة بصورة صحيحة ، فأيد (ميدوسادس) ذلك . وواصل (زينوفون) يقول : «ثم قصدني (ميدوسادس) ثانية بعد أن عبرتُ نحو الجيش مرة أخرى من (پاريون) ، ووعدني أنك ستعاملني كصديق وشقيق إذا اجتلبتُ الجيش إليك ، وعلاوة على ذلك ، ستهبني بلدة من البلدان الواقعة على الساحل ، والعائدة إليك .» ثم استفسر (ميدوسادسَ) ثانية ، إن كان ذلك ما قد أفاد ، فرد (ميدوسادس) بالأيجاب . فقال (زينوفون) : «والآن إذاً ، قل لسيوثس أولا : بماذا أجبتك في خلقيدون .» قال ميدوسادس : «قلت إن الجيش سيعبر الى (بيزنطية) ، وليس ثمة حاجة لدفع أي شيء لك أو أي أحد عداك ، بقدر ما يتعلق الأمر بذلك . وقلتَ إنك عندما تكون قد اجتزت المضايق ، ستغادر الجيش . وقد حدث كل شيء كما قلتَ إنه سيحدث .» فقال (زينوفون) : «وماذا قلتُ عندما قصدتني في

(٤) ـ Thyni

(٥) المستفهم هو (زينوفون)

(سليمبريا)[٦] ؟» أجاب : «قلت إن ذلك متعذر ، وإن الجيش قاصد (پيرنثوس) ، ثم يجتاز نحو آسيا .»

فقال (زينوفون) : «والآن ، ها قد أتيت ، وها هو (فرينيسكوس) أحد قادتنا ، وها هو (پوليكراتس) واحدنا من ضباط المئة . وفي الخارج رجال هم موضع ثقة قادتنا ، بصورة خاصة ، ما خلا (نيون) الأسپرطي . إن تبغِ أن تكون مفاوضاتنا أكثر إلزاماً ، فاستدعهم داخلا كذلك . وأنت يا (پوليكراتس) ، إذهب وبلغهم أوامري أن يتركوا أسلحتهم خارجا . واترك حسامك في الخارج أيضا قبل أن تعود .»

وعندما وعى (سيوثس) ذلك ، قال إنه لا يستطيع أن يرتاب في أي آثيني : إنه عالم بوجود وشيجة قربى بينه وبينهم ، واعتبرهم أصحابه الحقيقيين . وبعد أن دخل الرجال الذين طُلبوا ، سأل (زينوفون) سيوثسَ ، قبل كل شيء ، عن الغرض الذي رام استخدامَ الجيش لأجله . فتحدث (سيوثس) قائلا : «كان والدي (مايسادس) ـ Maesades ـ وقد حكم (الميلانديتيين)[٧] و (الثاينيين) و (الترانيبسيين)[٨] . ونظراً لانحطاط قوة (الاودريسيين)[٩] ، أكتسِح أبي خارج هذه البلاد . فغدا عليلا ، وقضى نحبه ، ورُبّيتُ يتيماً في بلاط العاهل الحالي (ميدوكوس) ـ Medocus . لكني حالما أيفعت ،لم أعدْأحتمل فكرةالعيش عالة على مائدة رجل آخر . جلست إزاءه متوسلا ، والتمسته أن يهبني من الرجال قَدْرَ ما استطاع لأتمكن من تكبيد اولئك الذين أخرجونا كل الخسائر التي

(٦) ـ Selymbria

(٧) ـ Melanditae

(٨) ـ Tranipsae

(٩) ـ Odrysae

أقدر عليها، وأعيش في المستقبل دون كوني متطفلا على حسن ضيافته. عندئذ، منحني كل الرجال والخيول التي ستراها في وضح النهار. وها أنا الآن أحيا معهم بتدمير مملكتي الأصلية. إن كنتم ستنضمون إليّ، فأعتقد أني، بمعونة السماء، سيتسنى لي أن أستعيد السلطان بسهولة. لأجل هذا أريدكم.»

فقال (زينوفون): «لنفترض أننا التحقنا بك. ما الذي يسعك أن تعطي الجنود والقادة وضباط المئة؟ خبّرنا، كي يتاح لهؤلاء الرجال إبلاغ الجيش عند العودة.» فوعد (سيوثس) بإعطاء كل جندي أجر (ستاتر سيزيكوسي)[١٠] واحد شهريا، وضعف الأجر لضباط المئة، وأربعة أضعاف ذلك للقادة، ومقدارا من الأرض أيضا بحسب السعة التي أرادوا، وفدادين من الثيران، وبلدة حصينة على الساحل. فقال (زينوفون): «إنّ نحاولْ أن نفعلَ ما تبتغي، لكننا لا نُوفَّق في ذلك، ويداهمنا خطر من الأسبرطيين، فهل ستقبلون في بلادكم بالذات أي فرد يبغي الأعتصام بكم؟»

فقال (سيوثس): «أجلْ. سأفعل وسأجعلكم أشقائي ورفاق المائدة، وأمنحكم نصيباً من كل مكاسبنا. وأنت، يا (زينوفون): سأعطيك إبنتي، وإن كنت تملك إبنة، فسأبتاعها منك وفق العادة (التراكية). وسأهبك (بيزانث) موضعاً للأقامة فيه، وهي أفضل من كل بلداني على الساحل.»

(١٠) الستاتر السيزيكوسي: عملة إغريقية ذهبية تساوي عشرين من الدراخمات أو ما يقارب (٤) دولارات حالياً.

الفصل الثالث

اليونانيون يزحفون بمعية سيوثس

عندما سمع الأغريق ما لديه أن يقول، تصافحوا مع (التراكيين)، دلالة على الصداقة، وانصرفوا راكبين. فبلغوا المعسكر قبل الفجر، وأذاعو معلوماتهم بين اولئك الذين استوفدوهم. عند طلوع النهار، إستقدم (اريستارخوس) القادة اليه ثانية، لكنهم أجمعوا على دعوة الجيش للأجتماع، وعدم الاهتمام بالذهاب الى (أريستارخوس). فتقاطر الى الاجتماع جميع الجنود، عدا الذين تحت امرة (نيون)، وقد كانوا في معسكر يبعد زهاء ميل واحد. فلما التأموا جميعاً، وقف (زينوفون) مخاطباً، وقال: «أصحابي، ان أريستارخوس، مع زوارقه، حائل دون ابحارنا للعبور نحو المكان الذي نروم، لذلك ليس من المأمون الاقلاع بوسائلنا للنقل. ان (أريستارخوس) هذا بعينه، يقول لنا باتخاذ طريقنا عنوة فوق الجبل المقدس الى (شيرسونيز). ويقول إنْ نحاولْ شقّ طريقنا، ونصل الى هدفنا، فسوف لا يبيع أيا منكم كعبيد مثلما فعل في (بيزنطيه)، ولن يمارس معكم أية مخاتلة بعد: بدلا من ذلك، ستقبضون جعيلة، ولن يترككم مستمرين في العيش على ميرة شحيحة كما أنتم حالياً. هذا ما يقول (أريستارخوس). من جهة أخرى، يقول (سيوثس)، إنْ تلتحقوا به، فسيكون محسناً اليكم. فعليكم الآن أن تتمعّنوا فيما اذا كنتم ستمكثون هنا لتبحثوا ما تفعلون، أم أنكم أولا تعودون من أجل المؤن. رأيي الخاص، بما اننا لا نملك المال لابتياع القوت، وبما أنهم لا يجيزون لنا أخذه بدون أن نؤدي ثمنه، يتحتم علينا الذهاب الى القرى حيث السكان أضعف منا، وسيسمحون لنا بأخذ ما نحتاج. ثم، عندما نملك المؤن، نستطيع هناك أن

نصغي الى ما يُعرض علينا، ونتخيّر أفضل ما يبدو لنا. يرجى من الموافقين على هذا الاقتراح، رفع ايديهم.» فرفع الجميع أيديهم، ومضى (زينوفون) يقول: «عودوا إذاً، واحزموا عدّتكم. اقتفوا ضباطكم عند صدور الايعاز بالسير».

بعد هذا، اقتاد القدموس[1] (زينوفون)، واقتفاه الباقون. لقد حاول (نيون) وبعض الافراد الذين أرسلهم (أريستارخوس) أن يحملوهم على الرجوع، لكنهم لم يأبهوا لهم. وعندما قطعوا زهاء ثلاثة أميال، التقاهم (سيوثس)، وحينما أبصره (زينوفون)، سأله التقدمَ راكباً نحوهم، كي يستطيع ان يُدلي بما عدّ في الصالح العام تجاه اكبر عدد ممكن من السامعين. وعندما دنا منهم، تكلم (زينوفون) قائلا: «إننا سائرون الى منطقة حيث يُرجَّح حصول الجيش على الطعام. وعندما نصل هناك، سنُصغي الى عروضك وعروض (الأسبرطيين)، وسنختار ما يتراءى لنا الافضل. سنعتبر أنك ستكون مضيافاً معنا، لو قدتنا الى موضع حيث الميرة وفيرة جداً.» فقال (سيوثس): «حسناً جداً. أعرف عدداً من القرى، متجاورة وحافلة بكل صنوف الميرة. انها دانية الى حد انكم تستطيعون بلوغها بيسر لتتناولوا وجبة.» فقال زينوفون: «دلنا على الطريق اذاً».

فأدركوا القرى بعد الظهر، ثم اجتمع الجنود، وخاطبهم (سيوثس) قائلا: «أريدكم، أصحابي، أن تخدموا معي، وأنا أعد باعطاء الجنود (سيزيكوسية)[2] شهرياً، مع الزيادة المألوفة من الجعيلة الى ضباط المئة والقادة. فضلا عن ذلك، سأرفع رتب المستحقين. ستأخذون زادكم وشرابكم من البلد، كما أنتم

---

(١) المقدمة. الطليعة.

(٢) المقصود بها: الستاتر السيزيكوسي الوارد ذكرها في الفصل السابق وتعادل زهاء أربعة دولارات.

فاعلون الآن ، لكني شخصياً سأطالب بالاحتفاظ بكل الاسلاب التي نحرزها ، لأتمكن من تصريفهـا ، فيتسنى لي تجهيز جعائلكم . عندما يلوذ أعداؤنا بالفرار ، سنتمكن من تعقيبهم وجـرّهم ، واذا صمدوا تجـاهنا ، فسنحاول بمعاضدتكم التغلّب عليهم».

عندئذ ، سأله (زينوفون) : «الى اي مدى من البحـر ، تروم الجيش أن يتبعك؟» أجاب : «لا أكثر من مسيرة سبعة أيام عَوْضُ[٣] ، وعادة أقل من ذلك» . بعد ذلك ، أُعطيَ فرصة الكلام كل من رغب ، وتحدث البعض بذات الصدد ، قائلين ان عرض (سيوثس) كان ممتازاً . وأعربوا أن الفصل شتاء ، ولذلك حتى لو أنص الفرد الأبحار نحو الوطن ، لتعذّرَ ذلك ، كما أنهم لا يستطيعون أن يَحتَدوا[٤] في قطر صديق ، اذا وجب عليهم ان يدفعوا نقوداً من اجل طعامهم . أما العيش في منطقة معادية ، والحصول على الميرة منها ، فذلك آمَنُ لهم ، متى كانوا مع (سيوثس) وليس لوحدهم . والحصول على جعيلة ، زيادة على ذلك ، بدت لهم فرصة مؤاتية حقاً .

استناداً الى ذلك ، قال (زينوفون) : «ان كان لدى أحد ما يقول ضد هذا العرض ، فلينطق . والا ، فسأعرض الامر للاقتراع» . واذ لم يكن لدى أحد ما يفصح معارضاً ، طرح الموضوع للتصويت عليه ، فاتُفق على المشروع ، وأخبر زينوفون (سيوثسَ) حالا ، أنهم سينضمّون اليه في تجريدته .

بعد هذا ، بينما عسكر باقي الجيش بتشكيلاته ، دعا (سيوثس) ، الذي كان مسيطراً على قرية مجاورة ، ضباط المئة والقادة للغداء . وعندما كانوا عند

(٣) أبداً . مطلقاً .

(٤) يقيموا . يلبثوا

مدخل مُقام (سيوثس)، ومنتظرين الدخول للغداء، برز رجل من (ماروني)[٥] يدعى (هراكليدس) ـ Heraclides ـ وقصد كل من اعتقد باحتيازه شيئاً ما ليعطي (سيوثس). فقصد أولا بعض أناس من (باريون) كانوا هناك لغاية ابرام تحالف مع (ميدوكوس) عاهل (أودريساي)، مستصحبين الهدايا للعاهل وقرينته. فأنبأهم (هراكليدس) أن (ميدوكوس) كان في شمالي القطر على مسيرة اثني عشر يوماً من البحر، بينما (سيوثس) من جهة أخرى، وقد احتاز هذا الجيش، سيغدو سيد المناطق الساحلية، وقال: «انه سيكون جارَكم هناك، وسيضحى في أفضل وضع لينفعكم أو يضرّكم. ان كنتم عقلاء، فستعطونه ما معكم من الهبات، فهذه صفقة ستكون أفضل لكم مما اذا تمنحونها (ميدوكوس) الذي يقيم بعيداً من هنا».

بهذا النحو كلمهم. ثم قصد (تيماسيون الدرديني)، إذ قد سمع أنه يمتلك بعض الكؤوس والطنافس الفارسية. وأعلم (تيماسيونَ) أن العادة المألوفة، عند دعوة (سيوثس) الخلقَ للغداء، هي أن يهب الضيوف الهدايا مُضيفَهم. وقال: «إنْ يصبحْ سيوثس رجلا بجيلا في هذه البقاع، فسيتسنى له إمّا إرسالك الى الوطن أو جعلك موسراً لوحتَدْتَ[٦] هنا».

بنفس الشاكلة، قصد كلَّ فرد من الضيوف، محاولا استحصال بعض الشيء لأجل (سيوثس). وتوجّه الى (زينوفون) كذلك، وقال له: «إنك قادم من اعظم حاضرة في اليونان، وأسمك مبرَّز مع (سيوثس). ربما ستفكر أن من المجدي أن تحوز مكاناً محصّناً، وشيئاً من الارض في هذا القطر، كما قد فعل آخرون

(٥) Maronea ـ هي مدينة ساحلية مطلة على بحر تراكي غربي (ألكسندروپوليس).
(٦) حَتَدْتَ: أقمت. حتد: أقام.

من بني جلدتك . لذا حجيء[7] بك أن تُسفِر عن تقديرك (سيوثس) بأقصى السخاء . أسدي اليك هذه النصيحة ، لأني صديقك ، وأعلم أنك كلما أجزلت في اعطاء (سيوثس) ، تعاظمت خدماته التي سيعطيكها» . لقد ارتبك (زينوفون) عندما وعى ذلك ، اذ كل ما جلب من (پاريون) كان عبداً وكفاية من المال يعتاش عليها .

بعدئذ ، مضوا الى الغداء . كانت الجماعة مكونة من طراخنة[8] (التراكيين) الذين كانوا هنالك ، والقادة وضباط المئة الأغريق ، والرسل الذين وفدوا من الولايات المختلفة . فجلسوا متحلّقين للغداء ، ثم جُلبت مناضد ثلاثية القوائم للجميع ، كانت المناضد حافلة بشرائح اللحم على هيئة أكوام ، وأرغفة مخمرة كبيرة لاصقة باللحم بوساطة سفافيد . وكانت المناضد دائماً الصق ما تكون بالضيوف . وكان هذا جاري عرفهم ، وقد استهلّه (سيوثس) . كما أن (سيوثس) تناول الأرغفة التي وُضعت عنده ، وقطّعها الى قطع ، رمى بها نحو من تخيّر ، وكذلك فعل باللحم ، محتفظاً بكفايته ليأكل . لقد حذا حذوَه الآخرون الذين كانت المناضد أمامهم . غير أنّ أركادياً يدعى (أريستاس) ـ Arystas ـ الذي كان أكولا هائلا ، تخلى عن أية فكرة لتوزيع الطعام حواليه ، ومَعَدَ[9] له رغيفاً ضخماً ، ووضع اللحم على زكبتيه ، وانصرف الى تناول وجبته بنفس الحين . أخذوا يدورون عليهم بقرون النبيذ ، فتناول كل فرد قدراً . غير أنّ (أريستاس) ، عندما قصده الساقي مع القرون ، تطلع الى (زينوفون) الذي لم يكن قد شرع بعد في الأكل ، وقال : «ناوِله شيئاً منه! لديه متسع من الوقت ، اما أنا فليس لي بعد!» .

---

(٧) خليق . قمين .

(٨) رؤساء ، والمفرد طرخان : الرئيس .

(٩) أخذ . خطف .

فسمع (سيوثس) الملاحظة ، واستفسر حاملَ النبيذ عما قاله ، فأخبره الساقي ، الذي كان يفقه الأغريقية ، بما قال ، وأثار ذلك كثيراً من الضحك . وبينما كانت الصبهاء تدار ، نفذ (تراكي) يقود جواداً أبيض . فأمسك بقرن طافح بالنبيذ ، وقال : «سيوثس ، أنا أشرب نخب عافيتك ، وأهبك هذا الحصان . على صهوته ، ستقتفي وتباغت خصومك . وعند تقهقرك ، سوف لا تخشى خصما من الخلف .» وجلب رجل آخر غلاما ، وأهداه الى (سيوثس) بنفس الطريقة ، غِبَّ أن لَذَجَ[10] نخبَ صحته ، وأتى رجل آخر بملابس لحليلة سيوثس . كما ذاج[11] (تيماسيون) نخب عافيته ، وأهداه كأسا لجينية وطنفسة قيمتها عشرة (ماينات)[12] . ووقف آثيني ، يدعى (جنيسيبوس) ـ Gnesippus وقال إنها لعادة قديمة حسنة أن يُهدي الملكَ من يملكون شيئاً للأعراب عن احترامهم ، وأن يقدّم العاهل الهبات الى من لايحوزون شيئا . وقال : «أنا كذلك ، أبغي أن أحتاز شيئا لأعطائك لتبيان إجلالي .»

ولم تكن لدى (زينوفون) فكرة عما سيفعل ،وكان هو أيضا في منزلة الشرف ، جالسا على كرسي بجوار (سيوثس) ، فأوعز (هراكليدس) آنئذ الى الساقي أن يسلمه القرن . غير أنه إذ كان مخمورا قليلا ، وقف ثابتاً ، وقبض على الكأس ، وتكلم قائلا : «سيوثس ، إني أهدي إليك نفسي ورفاقي ههنا ، لنكون أصحابك الأمناء ، ليس فيهم من يتراجع ، وكلهم في الحقيقة ينشدون مصادقتك أكثر مني . فها هم الآن ، لا يطلبون منك مزيداً ، بل يتشوقون الى مجابهة الصعاب والأخطار في سبيلك طوعاً . بمساعدتهم ، إن شاءت الأرباب ، ستربح أرضا شاسعة ـ بعضها سيكون ميراثك الخاص الذي ستستعيد ، وبعضها

---

(١٠) شرب . جرع

(١١) ارتشف . شرب

(١٢) الماينات (Minae) جمع ماينا (Mina) عملة تساوي زهاء أربعة دنانير أو جنيهات .

سيكون نتيجة الفتوح الجديدة . ستحرز أعداداً من الخيول ، وأعدادا من الرجال والنساء الملاح . وليس هؤلاء ممن ستنالهم عنوة . سيأتونك والهبات بأيديهم .»

فنهض (سيوثس) عندئذ ، وشاركه في احتساء الخمرة ، ثم في رش الثمالتين على حلتيهما . بعد ذلك ، قدم أناس ، ونفخوا في القرون نظير التي يستعملون لأعطاء الأيعازات في الحرب ، وآخرون كانت لديهم أبواق مصنوعة من جلود الثيران الخام ، أطلقوا منها أنغاماً رتيبة من الطراز الذي يُعزَف على «المجادس»[13] . فوقف (سيوثس) ذاته ، صارخا صرخة الحوزاء[14] ، وقفز برشاقة عظيمة ، متمثلا برجل صافَ[15] عن أتجاه السلاح . كما ظهر بعض بهاليل محترفين .

وعندما أوشك الصُمَيْر[16] ، نهض الأغريق ، وقالوا إنه قد أزف الوقت لأقامة الحراسة ، وإعطاء كلمة الليل . وطلبوا من (سيوثس) أن يوعز بعدم قدوم أي (تراكي) الى المعسكر الأغريقي ليلا ، وقالوا : «ومردّ هذا الى أنّ خصومنا (تراكيون) ، وحلفاءنا أنتم (تراكيون) كذلك .» وإذ أخذوا في الأنصراف ، نهض (سيوثس) دون أن يلوح عليه أي أثر للسكر مطلقاً ، ومضى خارجاً ، واستدعى جانباً قادة الأغريق سوية ، وخاطبهم قائلا : «أصحابي ، حتى الآن لم يعلم خصومنا بتحالفنا . لذلك ، إن سرنا نحوهم قبل أن يكونوا قد احتاطوا لمباغتة ، أو اتخذوا تدابيرهم للدفاع ، تسنت لنا فرصة حسنة جدا للأستيلاء على الأسرى والغنائم .» لقد أقرّ القادة هذا الأقتراح ، وأخبروه أن يرشدهم الى الطريق . فقال : «إذن تأهبوا وانتظروني . عندما يحين الأوان ،

---

(١٣) Magadis : نوع من المزمار ذي صوت شديد

(١٤) الحرب

(١٥) مال . انحرف .

(١٦) مغيب الشمس .

سآتيكم ، وعندئذ ـ مع المشاة الخفيفة وأنتم برفقتي ـ سأقودكم قُدُماً بمعونة الآلهة .»

فقال (زينوفون) : «إن كنا سنزحف ليلا ، أودّك أن تعتبر فيما إذا لم تكن تجربة الأغريق هي المفضّلة . إن فريق الجيش الذي يتولى شق الطريق أثناء زحوفنا النهارية هو حالياً أكثر ملاءمة لطبيعة الأقليم ؛ فقد يكون هذا الفريق : المشاة الثقلية ، أو المشاة الخفيفة ، أو الخيالة . أما ليلا ، فتجربة الأغريق ، هي أن يكون شطر الجيش الأبطأ حركة ، في القدموس . بهذا الأسلوب ، يقلّ احتمال فقدان الجيش تماسكه ، ويتضاءل احتمال ضلال الرجال بعضهم عن بعض ، دون أن يعلموا الموضع الذي هم فيه . عندما تفقد قوة ما ترابطها ، يحدث غالباً أن يصطدم بعضهم ببعض ، وعن جهل متبادل ، يقع الضرر للطرفين .»

عندئذ ، قال (سيوثس) : «هذا اقتراح وجيه جداً . سأتبع تجربتكم . كما سأعطيكم كأدلاء بعضاً من أكبر الناس سناً ، ولهم أتم الدراية بالأقليم ، وسأجتلب المؤخرة بنفسي مع الفرسان . وإذا لزم ، استطعت بلوغ الطليعة حالا .» واتفقوا على أن تكون «آثينا» كلمة السر ، لأواصره العائلية مع (آثينا) ، وبعد الفراغ من هذه المحادثة ، انصرفوا ليرتاحوا .

حوالي منتصف الليل ، ظهر (سيوثس) مع فرسانه ، مرتدين دروعهم ، مع مشاته الخفيفة ، وكلهم متأهبون للعمل . فعيّن لهم مرشديهم ، ثم سارت المشاة الثقيلة في الطليعة ، تليهم المشاة الخفيفة ، والخيالة مؤلّفة قوة المؤخّرة . عند مطلع النهار ، ركب (سيوثس) شطر المقدمة ، وأعرب عن ارتياحه من نسق سير الأغريق . وقال إنه ، أثناء المسير الليلي ، حتى مع أتباع قليلين ، غالباً ما

انفصل هو نفسه والفرسان عن المشاة ، ومضى قائلا : «غير أننا الآن ، عند الفجر ، نبدو جميعاً كتلة واحدة ، كما ينبغي أن نكون . ما أريد منكم الآن ، هو أن تمكثوا هنا ، وتنالوا قسطاً من راحة . ساستطلع حواليّ ، ثم أعود اليكم .»

بعد أن رتم بذلك ، مضى راكباً على شعب فوق الجبال . وعندما وصل جزءاً غزير الثلوج ، فحص الأرض للوقوف على آثار مواطىء الأقدام المؤدية الى سبيل ما . واذ لم يشهد آثار سير الأقدام على الشعب ، آب مسرعاً ، وقال : «أصحابي ، سيكون كل شيء على ما يرام ، ان تكن الآلهة بجانبنا . سننقضّ على هؤلاء القوم ، قبل أن يعلموا أي شيء عن ذلك . والآن سأدلّكم على الطريق بمعية الفرسان ، حتى اذا لمحنا أحداً ، فلن تتاح له فرصة الدابرة[١٧] لأخبار العدو . إلحقوا بنا ، وان تخلفتم عنا ، اقتفوا آثار سنابك الخيل . بمجرّد اجتيازنا الجبال ، سنصير بين جملة من القرى الحافلة بالمؤن» .

لقد بلغ قُنّة الجبال عند الظهيرة ، ولما تطلّع الى القرى ، رجع راكباً نحو المشاة الثقيلة ، وقال : «سأوعز الآن الى الخيّالة بشن الغارة في الصَيهب ، وأرسلُ المشاة الخفيفة الى القرى . أريد منكم اللحاق باسرع ما يُستطاع ، كي تتمكنوا من الأغاثة ان كانت ثمة مقاومة ما .» عندما تلقى (زينوفون) هذه التعليمات ، ترجّل ، فسأله (سيوثس) : «علامَ تنزل عن صهوة جوادك ، بينما مبتغانا الانطلاق سريعاً؟» فقال (زينوفون) : «لأني أشعر أكيداً بأنك لا تريدني بمفردي فحسب . ستجد أن المشاة الثقيلة ستعدو أسرع ، وستكون اكثر تشوقاً الى القيام بذلك ، اذا أنا اقتدتهم سيراً على الاقدام أيضاً .»

---

(١٧) الهزيمة .

عندئذ، مضى (سيوثس)، وذهب معه (تيماسيون) برفقة أربعين فارساً تقريباً. واستدعى (زينوفون) أوفر رجال الفصائل حيوية، ممن أعمارهم دون الثلاثين، وأسرع برفقتهم تحت إمرته الخاصة؛ بينما اقتاد (كلينور) الباقين. وعندما أدركوا القرى، توجه (سيوثس) نحوه راكباً مع زهاء ثلاثين فارساً، وقال: «زينوفون، لقد جرت الامور كما قلت أنت تماما. ان هؤلاء القوم في قبضتنا، لكن فرساني قد خرجوا عن نطاق السيطرة، وتوجهوا في اتجاهات شتى للتعقيب، وأخشى أن يلتئم العدو في موضع ما بكتلة واحدة، فيُلحِقَ بنا بعضَ الضرر. يلزم على بعضنا، كذلك، المكوث في القرى، لأنها ملأى بالناس».

فقال (زينوفون): «اذاً، انا ورجالي، سنحتل الذُرى. مُرْ (كلينور) أن يمدَّ خَطَّه عِبْرَ الصَيهب، حتى يكتنف الأرياف».

فقاموا بهذه العمليات، ونتيجة لها، أسِر ما يقرب من ألف عبد، وألفي ثور، وعشرة آلاف رأس من الماشية الأخرى.

الفصل الرابع

قتال موفّق بمعية (سيوثس)

في اليوم التالي، أحرق (سيوثس) القرى، وجعلها سملقاً[1]، دون أن يذر[2] أي بيت قائم، بغية إشاعة الذعر بين الأسباط[3] الأخرى، وليريهم ما الذي سينتابهم، إن هم أبوا الأستسلام. ثم استأنف المسير إياباً، مرسلاً (هيراكليدس) إلى (پيرنثوس)، لتصريف المغانم، حتى يتوفر المال لدفع جعائل العسكر. وقد عسكر بنفسه مع اليونانيين في السَّهْب[4] الذي يقطنه (الثاينيون) الذين هجروا بيوتهم، وفروا الى التلال.

هنا كان الثلج غزيراً، والبرد زمهريراً، الى حد انجمد معه الماء الذي اجتلبوا لطعامهم، والنبيذ الذي في الدنان، وفقد عدد من الأغريق أنوفهم وآذانهم بقرصة الصقيع. إذ ذاك، بدا من اليسير معرفة الباعث على ارتداء (التراكيين) جلود الثعالب حول رؤوسهم وآذانهم، والعلّة في تغطية أرجلهم بالجلابيب، وليس الجزء الأعلى من أجسامهم فقط، والداعي لارتدائهم المعاطف الطويلة التي تبلغ أقدامهم، بدلا من معاطفنا القصيرة، عندما يكونون على صِهاء[5] الخيل.

لقد بعث (سيوثس) بعض الأسرى الى التلول، وأخبرهم أن يُفيدوا: إذا لم

---

(١) قاع صفصف.

(٢) يترك. يبقي.

(٣) الأقوام. القبائل.

(٤) أرض مستوية.

(٥) ظهور. صهوات.

ينحدر السكان ويدخلوا منازلهم ، ويُذعنوا له ، فسيضرم قراهم كذلك ، ويتلف محاصيلهم ، وسيقضون سَغَباً . نتيجة لذلك ، نزل النساء والأولاد والمسنّون الى الصيهب ، لكن الشبان عسكروا في القرى القائمة على سفوح الجبال . وعندما اكتشف (سيوثس) ذلك ، طلب من (زينوفون) أن يأخذ أصغر الرجال ضمن المشاة الثقيلة ، ويتبعه . فشرعوا ليلا ، وبلغوا القرى فجرا ، فانهزم أغلب السكان ، لأن الجبال كانت قريبة ، لكن (سيوثس) أعدم بالحربة جميع الذين أسرهم بلا شفقة .

كان بمعية (زينوفون) شخص (أولينثيني)[٦] يدعى (أپيستنيز) - Episthenes - شديد الشغف بالغلمان . في هذه المناسبة ، أبصر فتى لطيف المحيا ، في أنضر مرحلة من العمر ، بيده درع ، وإعدامه وشيك . فهرع الى (زينوفون) ، والتمسه أن يفعل ما وسعه من أجل الغلام الوسيم . فقصد (زينوفون) سيوثسَ ، وسأله ألا يفتك بالولد ، مخبرا إياه ، في نفس الحين ، أي طراز كان (أپيستنيز) ، وأنه في الماضي شكّل فريقاً ، وحارب بمعيتهم بمنتهى البسالة ، والمنقبة الوحيدة التي توخى في فريقه ، كانت الجمال البدني . فقال (سيوثس) عندئذ : «وهل أنت راغب أن تموت عن الغلام يا (أپيستنيز) ؟» فمد (أپيستنيز) عنقه ، وقال : «أنزل ضربتك ، إن يقلْ لك الصبي بذلك ، وإن هو سيمتنّ مني بعد ذلك .» عندئذ ، أستفهم (سيوثس) الغلامَ فيما إذا سيقتل (أپيستنيز) عوضا عنه ، لكن الغلام قال : «كلا» ، والتمسه أن لا يقتل أيا منهما . عند ذاك ، وضع (أپيستنيز) ذراعيه حول الفتى ، وقال : «الآن ، سيوثس ، سيتحتم عليك أن تقاتلني من أجله . لن أتخلى عن الصبي مطلقاً .»

---

(٦) - Olynthian - نسبة الى (أو لينثوس) مدينة قديمة في جنوب شرقي مقدونيا ، دمرها فيليب المقدوني الثاني عام (٣٥٧) ق . م .

فضحك (سيوثس)، ولم يفعل شيئا آخر بشأنه. لقد قرر أن يعسكر حيث كانوا، كي لا يستطيع الناس في الجبال، الحصولُ على الطعام حتى من ضياعهم. فانحدر بنفسه الى الصيهب، وعسكر هناك. بينما عسكر (زينوفون)، ورجاله المختارون، في أعلى قرية بين الجبال، وخيّم اليونانيون الباقون ملاصقين القبائل المسماة «التراشيين الجبليين».

ولم تنصرم أيام كثيرة، حتى هبط (التراكيون) من الجبال، وشرعوا يفاوضون (سيوثس) بشأن شروط الصلح، وتسليم الرهائن. في ذات الحين، ذهب (زينوفون) الى (سيوثس)، وأخبره أنهم[7] كانوا مقيمين في منازل وضيعة، والعدو مشرف عليهم، وقال إنه يفضّل أن يعسكر في موقع منيع في الخلاء، بدلا من المنازل حيث في الأمكان تمزيقهم. فأخبره (سيوثس) أن تكون معنوياته عالية، وأطلعه على الرهائن التي كانت لديه، ونزل بعض (التراكيين) من الجبال، وارتجوا (زينوفون) ذاته لأعانتهم في بحث شروط المصالحة. فارتضى أن يفعل ذلك، وأخبرهم أن يكونوا ذوي معنويات قوية، وضمن لهم - إن هم خضعوا لسيوثس - عدم إصابتهم بمكروه. لكن الحقيقة هي أن طلباتهم كانت من أجل أن يتاح لهم القيام بأعمال تجسسية.

جرى كل هذا نهارا. في الليلة التالية، انحدر (التراكيون) من الجبال، وشنوا غارة. لقد كان صاحب كل دار بمثابة دليل لهم، فالحقيقة كان من العسير العثور في الديجور على موضع الدور في القرى دون هادٍ، لأنها كانت محاطة بسياجات عالية لأبقاء المواشي ضمنها. ولما باتوا عند أبواب المنازل، رشقها بعضهم بالسهام، وضربها آخرون بالهراوات التي كانوا مسلحين بها، حاسبين أنهم بذلك يهوون على رؤوس الحراب. وأضرم آخرون النار في

(٧)يقصد اليونانيين.

البيوت، واستمرّوا ينادون (زينوفون) باسمه، قائلين له أن يبرز خارجا، فيُقتل، وإلا فإنه سيُحرّق حيًا حيث وُجد. وأخذت النار تلوح من خلال السقوف، وكان رجال (زينوفون) داخل الدار، مدججين بالسلاح، ماسكين بأيديهم تروسهم وأسيافهم وخُوَذهم. بعدئذ، نفخ البوقَ (سيلانوس) - Silanus - وهو (ماكستي)[٨] عمره زهاء ثماني عشرة سنة، وفي الحال مَعَدوا سيوفهم، هم واليونانيون في الدور الأخرى، وهجموا خارجا. فانهزم (التراكيون)، معلّقين تروسهم خلف مناكبهم، كما هو أسلوبهم، وبينما كان بعضهم يعتلون السياج، أُمسِكوا هناك معلّقين، وقد اشتبكت تروسهم بالأوتاد. وقُتل غيرهم لأخفاقهم في تلمّس سبلهم للخروج. فلاحقهم اليونانيون خارج القرى، وأعاد الكرّة أنفار من (الثاينيين) في العتمة، مُطلقين أسلحتهم تحت ستار الظلمة الى ناحية الضياء، وسدّدوا مرماهم نحو فصيل من اليونانيون الذين كانوا يجتازون ببيت ملتهب. فجرحوا ضابط المئة (هيرونيموس) - Hieronymus - اليودي[٩] و (ثيوجينس) - Theogenes - اللوكري[١٠]، لكن واحدا لم يُقتل. بيدَ أن البعض، علقت النار بأرديتهم ومعداتهم. فقدم (سيوثس) لنجدتهم بسبعة فرسان أولا، مستصحباً نافخَ البوق (التراكي). وعندما رأى ما كان دائراً، جعل نافخَ البوق يصوّت طول الوقت، دلالة على أنه في طريقه لأغاثتهم، فساعد ذلك أيضا على إرهاب العدو. فهنّأ الأغريقَ عندما بلغهم، وقال إنه توقّع أن يجد عددا منهم قتلى.

---

(٨) - Macistian .

(٩) - Euodian .

(١٠) - Locrian - نسبة الى منطقة (لوكريس) في اليونان قديماً، القسم الشرقي يشمل شمال غربي (بيوطيا) والغربي، سمالي خليج كورنثوس.

بعد هذا ، طلب (زينوفون) من (سيوثس) أن يسلّمه الرهائن ، وإن شاء أن ينضمّ إليه في تجريد هجوم على الجبل ، أو أن يدعه ينطلق بمفرده . لذلك ، في اليوم التالي ، سلّم (سيوثس) الرهائنَ الذين كانوا من المسنين ، والذين ادّعوا أنهم أبرز الناس مقاماً بين الجبليين ، فسار هو مع قوته برفقة (زينوفون) . عندئذ أضحى جيش (سيوثس) في تعداده ثلاثة أضعاف ما كان عليه أصلا . إذ أن أعدادا من (الأودرياسيين) ، وقد تناهت إليهم انتصارات (سيوثس) ، هبطوا للأنضواء تحت لوائه . عندما تطلّع (الثاينيون) من الطود نحو الأسفل ، وأبصروا القوة الهائلة من المشاة الثقيلة والمشاة الخفيفة والفرسان ، انحدروا والتمسوا المصالحة ، متعهّدين بتنفيذ جميع أوامر (سيوثس) ، سائلينه تقبّل الضمانات منهم . عندئذ ، استدعى (سيوثس) زينوفونَ وأخبره بعروضهم . وقال إنه لن يعقد الصلح إن شاء (زينوفون) أن يثأر لنفسه من الهجوم الذي قد شنّوه .

أجاب (زينوفون) : «بقدر ما يهمّني ، أعتقد أني قد ثأرت فعلا بما فيه الكفاية ، إن هم سيستبدلون حريتهم بالعبودية .» غير أنه أشار على (سيوثس) أن يَسْتَهِبَ[11] ـ كرهائن ـ الناسَ الذين هم أكثر قدرة على إلحاق الضرر به في المستقبل ، وأن يَدَعَ الرجال المسنّين يلبثون في البيوت .

بعدئذ ، خضع لسيوثس كل فرد في هذا الشطر من (تراكيا) .

---

(١١) يأخذ .

الفصل الخامس

إزعاج بشأن الأجر

بعد ذلك، عبروا نحو (التراكيين) فيما وراء (بيزنطية)، في الجزء المدعو بالدلتا[1]. لم تعد هذه المنطقة خاصة (مايسادس)، لكنها آلت الى (تيريس) نجل (أوددريسس). هنا وصل (هيراكليدس)، جالباً ما حصل عليه من تصريف الأسلاب. فقدم (سيوثس) ثلاثة أزواج من البغال (لم يكن ثمة غيرها) وبعض فدادين من الثيران، ثم أنفذ في طلب (زينوفون). فسأله أن يتقبّل هذه، ويقسّم الباقي بين القادة وضباط المئة. وكان رد (زينوفون): «أصالة عنْ نفسي، سأغدو مكتفياً تماما لأسهب شيئا ما في المرة القادمة. أنصحك باعطاء هذه الأشياء الى القادة وضباط المئة الذين خدموا معي.»

فنال (تيماسيون الدرديني) زوجا من البغال، وأخذ (كلينور) و (فرينيسكوس الآشي) الزوجين الآخرين. واقتسم ضباط المئة فدادين الثيران. كان الشهر قد انصرم الآن، لكن (سيوثس) أعطى الجنودَ أجر عشرين يوما فقط، إذ أن (هيراكليدس) أفاد أن هذا كل ما استطاع بيعه من الأسلاب. فغضب (زينوفون) لذلك، وكلم (هيراكليدس) بصدده جادا، وقال: «من رأيي أنك غير مهتم بسيوثس، كما ينبغي عليك. لو كنت كذلك، لعدت بأجر تام، حتى لو استوجب عليك أن تقترض المال، وإن تعذّر عليك بأية طريقة أخرى، كنتَ تبيع الرداء الذي عليك.»

(١) الدلتا هو الحرف الهجائي الأغريقي الذي يقابل (D) اللاتيني ويرسم هكذا (∇) مثلث مقلوب منفتح. ويقصد به الجزء الأوربي المطل على بحر مرمرة.

بهـذا غدا (هيراكليدس) قَطِماً[٢] ، وفي نفس الحين خـائفا من فقـدان ثقـة (سيوثس) ، ولذلك منذ ذلك اليوم فصاعداً ، فعل كل ما في وسـعه ليوغر صـدر (سيوثس) على (زينوفون) . ولام الجنود (زينوفون) لعدم الحصول على أجرهم ، وأصبح (سيوثس) معـادياً له لأنه كان يطالب بجعـائل الجند باسـتمرار . وحتى ذلك الوقت ، كان يقول له دوما إنه متى وصـل البحـر ، سـيهبه (بيزانث)[٣] و (جانوس)[٤]و (الحصن الجـديد)[٥] ، لكنه ما عاد الآن يشـير الى هذه الأماكن . وكان هذا حصلية بعض دسائس أخـرى من (هيراكليدس) الذي قال : ليس من المأمون أن يعطى رجل ، وخلفه جيش ، مواقع محصّـنة . لهـذا أمسى (زينوفون) في حيرة مما يجب عليه أن يفعل بصـدد المسـيرة المنتواة ، أبعـد من ذلك نحـو الداخل . لقد ظل (هيراكليدس) يُحضِر القادة الآخرين قبالة (سيوثس) ، مخبرا إياهم ليقولوا إن في مقدورهم أن يقـودوا الجيش جيدا ، كزينوفون تماما . ووعد أنهم في بحر أيام قلائل سـيحصلون على جعـيلة شـهرين كاملين ، وحثّهـم على الألتحاق بالمسيرة مع (سيوثس) . فقـال (تيماسـيون) : «بقـدر ما يخصّـني ، لن أخدم بدون (زينوفون) حتى لو كنت سأظفر بجعـيلة خمسة شـهور .» ووافقـه (فرينيسكوس) و (كلينوّر) .

عندئذ ، عنّف (سيوثس) هيراكليدسَ لعدم دعوته (زينوفون) في نفس الوقت ، وأعقب ذلك أنهم اسـتدعوا (زينوفون) لوحـده . غير أن (زينوفون) ، وقد رأى

---

(٢) غاضب . حانق .

(٣) ـ Bisanthe .

(٤) ـ Ganus ـ لا أثر لها على خوارط الموسوعة البريطانية .

(٥) ـ New Fort ـ لم أعثر عليها في خوارط الموسوعة البريطانية .

(٦) ـ Salmydessus ـ لم أهتد إليها حتى في خارطة الموسوعة البريطانية .

ما هي لعبة (هيراكليدس) - وهي أنه وام جَعلَه غير محبوب لدى القادة الآخرين، استصحب للمواجهة كل القادة الآخرين وضباط المئة أيضا. لقد اقتنع جميعهم بما قال (سيوثس)، وساروا معه الى (سالميديسوس)[6]، تاركين البحر الأسود على يمينهم. وتغلغلوا في بلاد (التراكيين) الذين يطلق عليهم (ملينوفاجي)[7]. في هذا الشطر، شطّت وتحطمت أعداد هائلة من السفن المبحرة نحو البحر الأسود، لوجود سواحل رملية، تمتد قصياً نحو العيلم. إن (التراكيين) القاطنين هنا، يقيمون الأعمدة ليعلّموا مناطقهم الساحلية، وكلٌّ يمعذ أسلاب الحطام على بقعته الخاصة من الأرض. وقيل سابقاً، إن جموعاً هائلة منهم، قبل أن يقيموا علامات المناطق، اقتتلت فيما بينها على المغنم. وقد عُثر هنا على أعداد من الأسرة والصناديق والكتب المدونة، وكثير من الأشياء الأخرى نظير ما يحمله الملاحون في صناديقهم الخشبية.

فأخضعوا القومَ في هذه المنطقة، ثم قفلوا راجعين. إذ ذاك، أضحى جيش (سيوثس) أكبر من الجيش الأغريقي، إذ أن مزيداً من (الأودرياسيين) قد انحدروا إليه بأعداد غفيرة. وظلّت قبائل أخرى تنضم الى عسكره بمجرد خضوعها له. لقد عسكروا بعيدا عن البحر حوالي ثلاثة أميال، على سهل فيما وراء (سليمبريا). حتى ذلك الوقت، لم تكن ثمة بادرة للأجر، فبات الجنود في غاية السخط على (زينوفون) لهذا السبب. كما أن (سيوثس) لم يعد على وفاق معه، وكلما قصده بغية التحدث إليه، كانت ثمة أعذار شتى آنذاك بأنه كان منشغلا.

---

(٧) - Melinophagi - لم أجد لهم ذكراً في القواميس.

الفصل السادس

زينوفون يهاجَم فيدافع عن نفسه

في هذا الوقت، وقد انصرم شهران تقريباً، قَدِم الاسپرطيان (خـارمينوس) -Charminus - و (پولينيكوس) - Polynicus - من لَدُن (ثيبرون) - Thibron - بأنباء تفيد أن الاسپرطيين عقدوا النية على محاربة (تيسافرنوس). وان (ثيبرون) قد أبحر، عازماً على البدء بالأعمال العدائية، وأنه الآن نشد خدمات الجيش الأغريقي، وعَرَضَ جعيلة قدرها جنيهاً في الشهر لكل نفر، وضعف ذلك لضباط المئة. وأربعة أضعافها للقادة.

عندما وصل هذان الأسپرطيان، وحالما اكتشف (هيراكليدس) أنهما قد وفدا لتسجيل المتطوعين للخدمة العسكرية، أنبأ (سيوثس) أن ذلك حدث عظيم، وقال: «ان الاسپرطيين يحتاجون الى الجيش، بينما انت، لم يعد لكَ فيه نفع. انْ تُسلِّمْهُ، فستحسن الى الأسپرطيين، ولن يستمر الجند على مطالبتك باجرهم، ماداموا سيغادرون البلاد.» لما وعى (سيوثس) ذلك، أخبره باستقدام الأسپرطيَيْن اليه، واذ قالا إنهما قد قدما لتجنيد الجند، أجاب أنه سيسلّمهما الجيشَ، وأنه شاء أن يكون صديقهما وحليفهما. لقد دعاهما الى مأدبة، وضيّفهما ضيافة فاخرة، لكنه لم يدعُ (زينوفون) أو عداه من القادة الأغريق. وأثناء الوليمة، عندما استفهم الأسپرطيان أي طراز كان (زينوفون)، أجاب (سيوثس) أنه ليس طالحاً، لكنه صديق الجنود العاديين أكثر مما يلزم، ومضى يقول: «ولهذا السبب، فهو ليس موفقاً كما ينبغي أن يكون».

فقال الأسپرطيان: «انه يحاول التودد الى الرجال. اليس كذلك؟» فأجاب

(هيراكليدس) : «أجل إنه لكذلك بالضبط» . فاستفهما : «إذاً ، أما يعترضنا بصدد اتخاذ الجيش؟»

قال (هيراكليدس) : «بلا ريب . لكنكما ان دعوتما الى استقطاب العسكر ، ووعدتماهم جعيلتهم ، فلن يولوا (زينوفونَ) كثير اهتمام ، بل سيضحوا في غاية الابتهاج للانطلاق معكما .» واستفسر ا : «إذاً كيف يتسنى لنا ان ندعو للأجتماع؟» قال (هيراكليدس) : «في صباح الغد الباكر ، سنمضي بكما الى الجيش . وإني على يقين أنهم عندما يرونكما ، سيتقاطرون الى الاجتماع تلقائياً» . وهكذا انصرم ذلك النهار .

في اليوم التالي ، جلب (سيوثس) و (هيراكليدس) الاسپرطيّين نحو الجيش ، وأقطبَ الجنودُ حولهما . فتكلم الاسپرطيان كما يلي : «لقد اعتزمت حكومتنا محاربة (تيسافرنوس) ، الرجل الذي اساء معاملتكم جداً . لذا إن انضممتم الينا ، ثأرتم من خصمكم ، وسيتقاضى كل منكم جنيهاً في الشهر ، وضِعف ذلك يُدفع الى ضباط المئة ، وأربعة أضعافه الى القادة» .

لقد اغتبط الجند بسماع هذا العرض ، ووقف للفور أحد (الأركاديين) ، يتهجّم على (زينوفون) ، وكان (سيوثس) هنالك أيضاً ، لانه شاء أن يعلم كيف ستنتهي الأمور . لقد وقف حيث أتيح له الاستماع الى الاحاديث ، وكان ترجمانه برفقته ، مع انه ـ شخصياً ـ كان على معرفة وافية بالأغريقية . عندئذ ، استهل (الأركادي) كلامه : «أيها الأسپرطيون[1] ، كان الواجب أن تكون معكم منذ أمد طويل ، لو لم يُغْرِنا (زينوفون) بالقدوم الى هنا ، حيث كنا ولم نزل نحارب هذا الشتاء الفظيع بطوله ، مستمرين على الحركة ليلَ نهار . في ذات

---

(١) ولو أنه يخاطب شخصين اسبرطيين لكنه الارجح انه يعني الاسبرطيين عموماً .

الحين ، يصيب (زينوفون) كل الكسب من جهودنا . لقد جعله (سيوثس) ثرياً بصورة خاصة ، بينما هو[٢] يحتجز أجرنا . أصالة عن نفسي ، لو نسنى لي أن أشاهده يُرجَم حتى الموت ، لا عتقدت أني سأكتفي ، ولن يتبقى ما أشكو منه بصدد كل ما قد قاسيت ، وبذا يُكفِّر عن الاساوب الذي به جرّنا هنا وهناك» .

بعد هذا ، نهض عدّة أشخاص آخرين ، وتكلموا بنفس المعنى . ثم تحدث (زينوفون) قائلا : «أفترض أنه ما من رجل ينبغي أن يُدهَش من اي شيء يقع له ، مازلتُ الآن أواجه اتهاماتكم بينما انا مُدرِك بضميري الذاتي اني قد فعلت ، بأقصى طاقتي ، لأُعينكم . لقد قفلت راجعاً ، بعد أن شرعت فعلا في التوجه شطر الوطن ، وإني بكل تأكيد ، لم افعل ذلك لأني سمعت أنكم كنتم تحققون يُسراً لذواتكم . الباعث هو علمي أنكم كنتم في وضع عسير ، فَأَنَصْتُ[٣] اعانتكم ان استطعت . عندما عدت اليكم ، أنفذَ (سيوثس) ، الماثل هنا ، عدة مخبرين اليّ ، وقدّم وعوداً شتى إن أنا أقنعتكم بالأنضمام اليه . كما تعلمون أنفسكم ، لم احاول ذلك . لقد اقتدتكم الى الوجهة التي حسبتُ من اليسير جداً عليكم العبور منها نحو آسيا ، اذا اعتقدتُ أن ذلك أفضل ما تفعلون ، وأيقنت أن ذلك ما ابتغيتم أنفسكم . ثم جاء (أريستارخوس) بزوارقه ونهانا عن الابحار ، وأحسب قد كان من المناسب تماماً بعد ذلك ، أني دعوتكم الى الاجتماع للتداول في ما يجب علينا فعله بعدئذ . حينذاك ، سمعتم مطالبة (أريستارخوس) بوجوب مسيركم الى (شيرسونيز) ، وأصغيتم الى (سيوثس) يحثّكم على الانضمام اليه . كلّكم قلتم انكم ستذهبون مع (سيوثس) ، وكلكم

---

(٢) اغلب الظن أن المتكلم يعني (زينوفون) بالذات وليس (سيوثس) .

(٣) أردت .

صوّتم على ذلك . هل لي أن استفهمكم ما هو الأذى الذي الحقتُ بكم في ذلك الظرف ، باقتيادكم نحو الجهة التي اعتزمتم السير اليها بالأجماع؟ .

«الشيء التالي ، هو أن (سيوثس) طفق يخدعنا بشأن الاجر . سيحق لكم اتهامي ومقتي ان أبديت الآن أي رضى عن أفعاله . اذ مع أني كنت أخلص صديق له ، فأنا الآن على خلاف معه اكثر من أي فرد آخر . لقد اخترت أن أكون الى جانبكم بدلا من جانبه ، لذا كيف يحق لكم أن تنمّوني لهذه الأشياء بعينها وهي التي سببت فقداني صداقته؟ وربما تقولون إني قد تقاضيت أجركم من (سيوثس) واني أحاول الآن تضليلكم بشأنه . على كل حال ، وعلى أساس من هذا الافتراض ، فهذا شيء ، يمكن التثبت منه : ان (سيوثس) ، ان أعطاني شيئاً ، فأنا موقن لم يعطنيه بغية فقدان ما منح ودفع اكثر منه اليكم . كلا ، ان هو وهبني شيئاً ، فأتصوره قد وهبنيه على اساس أنه مُعطيني القليل تحاشياً لدفع أكثر منه اليكم . لذلك ، إن تظنّوا هذا ما قد حدث ، فأنتم الآن قادرون على جعل التدبير بكامله عقيماً لكل منا ، وذلك بمجرد مطالبتكم بأجركم منه . وإن أملك شيئاً من ماله ، فجلي أن (سيوثس) سيطالب به ، وسيكون على حق ناجز ليفعل ذلك ، او لم أقم بالعمل الذي ارتُشيتُ لتأديته .

«في الحقيقة ، أنا عالم أني قصي جداً عن تناولي أجركم . أقسم لكم بكل الأرباب والربّات أني لم أُصِبْ من (سيوثس) حتى ما أمّلني شخصياً . انه ماثل هنا وسامع ، وهو يدري ان كانت يميني غموساً أم لا . وأحلف لكم أيضاً ، لأدهشكم حتى أكثر من ذلك ، أني لم أنل ما نال القادة الآخرون ، والواقع حتى ولا بمقدار ما أحرز ضباط المئة . وقد تتساءلون لماذا لم افعل؟ هذا هو السبب : لأني ، يا أصحابي ، اعتقدت أني بمقاسمتي بؤسه الأصلي ، سأضاعف

من صداقته لي عندما يغدو في وضع يستطيع أن يعرب عن صداقته . والآن ، طبعاً ، أراه يحقق الرخاء لذاته ، كما قد وقفتُ على جوهر سلوكه . ومن السهل أن تقولوا لي : (ألا تخجل من نفسك لأنه قد غرّر بك على هذا النحو من البلادة؟) كنت سأخجل حتماً لو أن من ضلّلني فرد مخاصم ، لكن لكونه صديقاً ، فأعتقد أن ممارسة الخديعة اكثر زراية من مقاساتها . ومهما يكن ، إن كان على الفرد أن يحترس من خِلّه ، فاني متأكد أننا قد اتخذنا كل احتياط ممكن لتجنب اتاحة أي عذر معقول لسيوثس أن يحجب عنا ما قد وعد . اننا لم نؤذِه ، اننا لم نهمل مصالحه ، ولم نحارب خجلين من أي مقصد دعانا اليه . وقد تقولون كان الواجب عليّ أن استحصل منه ضمانات عند البداية ، وبذا ما كان في مقدوره أن يخدعنا حتى لو أنص ذلك .

«أصغوا إذاً الى ما سأقول حول هذه النقطة . ما كنت لأُ فصِحَ عن هذا مطلقاً في حضوره ، لولا الحقيقة أنكم تبدون إمّا على جهل تام بما أنا فاعل ، واما أنكم في أقصى حدود نكران الجميل . أودّكم أن تستعيدوا الى أذهانكم الوضعَ الذي كنتم فيه ، فأنقذتكم منه بجلبكم الى (سيوثس) . إنكم تتذكرون التوجّه الى (بيرنثوس) حيث اغلق الرتج (اريستارخوس الأسبرطي) ، ورفض السماح لكم بالدخول؟ ثم عسكرتم خارجاً في الخلاء ، وكان الفصل منتصف الشتاء . كان عليكم أن تبتاعوا ميرتكم ، وألفيتم ما وُجد للبيع غير متوفر بصورة وافية ، ولم يكن لديكم المال الوافي لتبتاعوا ما كان هنالك . لقد أُرغمتم على البقاء في (ثراشيا) ، لأن الزوارق كانت راسية هناك ، فأعاقتكم عن الابحار نحو (آسيا) . كان المكوث في (تراكيا) يعني أن الفرد في قطر عدو ، حيث كنتم تجاه قوات عظيمة من الفرسان والمشاة الخفيفة . كانت لدينا مشاة ثقيلة فعلا ،

وبهجومنا على القرى بقوتنا الكاملة ، يُحتمل أننا كنا سنظفر بالميرة نوعاً ما ، لكن لم يكن لدينا الجنود الذين يمكن استخدامهم في التعقيب لأسر العبيد أو الماشية . ألفيت أن المشاة الثقيلة أو الخيالة لم يعد لهما وجود كصفوف منّظمة في جيشكم . ففي وضع يائس كهذا الذي وصفتُ ، هل كان يتبادر الى ذهنكم أني قد أسأت عملاً من اجلكم لو اني ـ دون أن أطالب بأي أجر البتة ـ قد ضَمنتُ لكم محالَفَةَ (سيوثس) فحسْب ، وهو الذي كان يملك كلّ ما احتجتم اليه من الفرسان والمشاة الخفيفة؟ تعلمون أنكم ، بالعمل متظافرين معهم ، صادفتم مزيداً من القوت في القرى ، لأن (التراكيين) كانوا مرغَمين على مبارحتها سريعاً ، كما أنكم أسرتم حصة أكبر من العبيد والماشية . لقد تلاشت قوات العدو تماماً فورَ التحاق الخيالة بنا ، بينما سابقاً عقّبونا بفرسانهم ومشاتهم الخفيفة بجرأة وافية ، ومنعونا من الانقسام الى مفارز صغيرة كي نجلبَ كمياتٍ أوفر من الميرة . فالآن ، فَرَضاً أن الشخص الذي أعانكم لتتزودوا بهذه الطمأنينة ، لم يؤدِّ اليكم كثيراً من المال في نفس الحين ، هل هذا خَطْبٌ جلل يحدث لكم؟ هل هذا هو الداعي الذي يجعلكم تعتقدون أني لا استحق البقاء حياً مهما يكن؟

«تأمّلوا بعد ذلك وضعَكم الآن وأنتم ذاهبون . لقد أحرزتم كثيراً من الطعام طول الشتاء مع كل ما حصلتم عليه من (سيوثس) ، علاوة على المساومة التي اُتفق عليها . كل ما استهلكتم كان خاصة العدو ، وعندما كنتم في عيش دَغْفَلي[4] ، لم تروا فرداً من رجالكم يُقتَل ، ولم تفقدوا واحداً منهم حيا . انكم محتفظون بكامل سمعتكم التي اكتسبتم بمحاربة الاقوام الأصلية في (آسيا) ،

---

(٤) مرفه ، رخيّ .

واضـافة الى ذلك ، قد احـرزتم مزيداً من المجـد بقهـر (التراكيين) الذين حـاربتموهم في أوربا . يتحتم أن أقول : يجب أن تحمدوا الألهـة لمجـرد هذه الاشياء التي تسخطكم عليّ، وينبغي عليكم أن تعدّوها نعماً.

«كل هذه حظوظكم. والآن بحق السماء ، تأملوا حظوظي. عندما شرعتُ في الذهاب الى الوطن ، مضيت مكرَّماً للغاية من قبلكم ، ومشهوراً بسببكم في أعين اليونانيين الآخرين. كنت موضع ثقة الأسپرطيين. ولولا ذلك ، لما أرسلوني اليكم ثانية. لكنما ، وأنا أنطلق الآن ، أجِـدُني مدغوصـاً عليه[٥] في أعين الأسپرطيين بسبب تخرّصاتكم : بعملي لمصـالحكم ، غدوت على خـلاف مع (سيوثس) الذي آملت ، غب الخـدمات التي أدّيناها اليه أنتم وأنا ، أن يزوّدني وأطفالي ، ان وُجِدوا ، بالطمأنينة والتكريم. أما أنتم ، الذين لأجلكم قد لحقتني كل هذه البغضـاء من أنام أقوى مني بكثير ؛ أنتم الذين في سـبيلكم لم أكفّ قط ، حتى الآن ، عن اشغال نفسي لاحقق كل الخير الذي أستطيع من أجلكم ؛ فهـذه هي الفكرة التي تحملون عني. حسـناً ، تناولوني بأيديكم. انكم لم تقبضوا عليَّ محاولاً الهروب أو منهزماً . ان تفعلوا ما تقولون أنكم سـتفعلون ، فتذكروا أنكم ستقضون على رجل قد أنفق السـاعات الطوال يقِظاً لنجـاتكم ، وقد تجشـم كثيراً من المتاعب والاخـطار في رفقتكم ، مؤدياً ما عليه ومزيداً ، وهو ـ مع الآلهة بجانبنا ـ قد اقام ـ بالأشـتراك معكم ـ عدة انصـاب للاحتفـال بانتصاراتنا على الغرباء ، وقد أجهد نفسه للغاية في مناهضـة رعونتكم ، والانتباه الى عدم معـاداتكم أية ولاية اغريقية. وعلى ذلك ، يمكنكم الآن أن تنطلقـوا بحرية الى حيث شئتم براً أو بحراً.

---

(٥) مغضوباً عليه.

«والآن، إذ أنتم مفلحون في مختلف المجالات، وأنتم مقلعون نحو الأوطان التي تقتم اليها طويلا جداً، واقوى دولة في اليونان تطلب خدماتكم، والأجر يُعرض عليكم، وبينما قدم الاسبرطيون لاقتيادكم، وهم المفروض أن يكونوا أفضل القادة: هل يبدولكم ان هذه اللحظة ملائمة لأعدامي الحياة بأسرع ما تستطيعون؟ عندكم ذاكرات ملحوظة. لم يكن هذا شعوركم عندما اكتنفتنا الصعاب. كنتم آنذاك تدعونني أباكم، ووعدتم أنكم ستتذكرونني دائماً أني ذلك الذي قد احسن اليكم. على كل حال، هؤلاء الرجال، الذين قدموا الآن، ينشدون خدماتكم، قادرون على تكوين فكرتهم الخاصة. من رأيي أنهم كذلك لن يكون ظنّهم بكم أفضل، لسلوككم بهذا النحو تجاهي».

وهكذا أنهى خطابه، ونهض (خارمينوس) الاسبرطي، وتكلم قائلا: «قسماً[٦] بالشقيقين التوأمين، لا يبدو لي انكم تملكون أي عذر لسخطكم على هذا الرجل. لدي بالذات من الدليل ما أُقدّمه لصالحه. عندما استفسرنا (سيوثس) ـ أنا و (پولينيكوس) ـ أي طراز من الرجال كان (زينوفون)، كان الخطأ الوحيد الذي استطاع أن يجد فيه هو، كما قال (سيوثس): كان صديق الجنود العاديين الحميم. ولهذا لم يكن موفّقاً كما ينبغي في علاقاته معنا، نحن الأسبرطيين ،ومع سيوثس».

بعده، قام (يوريلوخوس) ـ Eurylochus ـ الأركادي من (لوسيا)[٧]، وقال: «رأيي أيها الاسبرطيان، أن عملكما الأول في استلام القيادة هو وجوب استحصال أجرنا من (سيوثس)، سواء رضي ذلك أم أبى، وأنه لا ينبغي،

---

(٦) هما نجمان في برج الجوزاء ـ راجع الحاشية (٣) في الفصل السادس من القسم السابق.

(٧) Lusia: أغلب الظن أنها في موضع ليسيا (Lasia) الحالية المطلة على خليج (أبيداقروس) بالقرب من شبه جزيرة ميثانا (Methana).

عليكم سَهْبنا[٨] معكم حتى تكونوا قد أنجزتم ذلك» .

ثم تكلم (پوليكراتس) ـ Polycrates ـ الآثيني بايعاز من (زينوفون) ، قائلا : «أصحابي ، أشاهد (هيراكليدس) ههنا أيضاً . انه الرجل الذي سَهَبَ الاسلاب التي أحرزنا بالقتال في سبيلها ، والذي باعها وأخفق في اعطاء ما تجمع لديه من الوارد سواء لسيوثس أو لنا . بدلا من ذلك ، احتجزها لذاته ، وما انفكت لديه . إنْ كان لنا نصيب من ادراك ، فسنقبض عليه . انه ليس (تراكيا) ، بل اغريقياً ، يخدع بني جلدته بالذات» . وعندما وعى (هيراكليدس) ذلك ، ارتبك جداً ، وقصد (سيوثس) قائلا : «ان الصواب في ما نفعل هو أن ننأى عن متناول قبضة هؤلاء الرجال» .

عندئذ ، امتطى هو و (سيوثس) جواديهما ، وجَرَيا نحو معسكرهما . ولما وصلا هناك ، أوفد (سيوثس) ترجمانه الشخصي (أبروزلمس) ـ Abrozelmes ـ الى (زينوفون) ، وسأله أن يبقى في خدمته مع الف نفر من المشاة الثقيلة ، واعداً اياه في نفس الحين بأن يهبه المواقع المحصّنة التي سبق أن وعده بها . وأَسرّه أنه قد سمع من (پولينيكوس) أنه سيعُدَم حتماً من قبل (ثيبرون) ، إنْ هو وقع بأيدي الاسپرطيين . وقد ارسلتْ طائفة من اناس آخرين أنباء الى (زينوفون) ، كلّها تفيد أنه كان موضع شُبهة ، وأن عليه أن يحترس . نتيجة لتلك التحذيرات ، أخذ (زينوفون) حيوانين ، وضحّاهما لزيوس الملك ، مُستفهِماً ان كان الأفضل له ان يمكث مع (سيوثس) بحسب الشروط المعروضة ، أم أن يبارح مع بقية الجيش . كان جواب (زيوّس) : وجوب مغادرته برفقة الباقين .

---

(٨) أخذنا .

الفصل السابع

زينوفون يحادث سيوثس

بعد هذا ، عسكر (سيوثس) عند مسافة تبعد قليلا ، ومضى اليونانيون ليتخذوا منازلهم في بعض القرى ، حيث عزموا على تجميع كل ما تيسر لهم من الميرة قبل مسيرهم الى البحر . لقد أُعطي (ميدوسادس) هذه القرى من لدن (سيوثس) ، فامتعض (ميدوسادس) إذ رأى مقتنياته في هذه القرى مسهوبة من قبل اليونانيين . لذلك استصحب واحداً من عُليَة القوم بين (الأودرياسيين) ، الذي قد وفد من الشمال برفقة ثلاثين فارساً ، واستدعى (زينوفون) من الجيش اليوناني . فذهب (زينوفون) لمواجهته بصحبة بعض ضباط المئة ، ومسؤولين آخرين . عندئذ ، تكلم (ميدوسادس) كما يأتي : «إنكم ، يا (زينوفون) ، لمخطئون في إتلاف ضياعنا ، ونحن الآن ننذركم إنذاراً وافيا - أنا نيابة عن (سيوثس) ، وهذا الرجل نيابة عن (ميدوكوس) ، عاهل الأقليم الداخلي - أن تبارحوا هذا الشطر من البلاد . إن تخفقوا في ذلك ، فلن ندعكم تركبون هواكم ، بل سنعتبركم خصوماً ، وننافح عن أنفسنا إن تُلحقوا الضرر ببلادنا .»

فأصغى إليه (زينوفون) ، ثم رد عليه قائلاً : «إنك في الحقيقة ، إذ تتكلم بهذا النحو ، يصعب إعطاؤك أي جواب على أية حال . إن ما سأقول ، هو لصالح هذا الشاب[1] الماثل هنا ، كي يدرك أي صوجان[2] أنتم ، وأي طراز من الخلق

---

(١) هو الشخص الذي من عُليه الأودرياسيين المشار اليه آنفاً .
(٢) أي الناس .

نحن . قبل أن نصبح حلفاءكم ، كنا نجول في هذه البلاد أنّى شئنا ، نتلفها ونمحضها[3] بالنار كما يحلو لنا ، وعندما أقبلتَ نحونا كرسول ، اعتدت أن تعسكر معنا دون أن تخشى أي خصوم . أما أنتم من أرهاط (سيوتس) ، فلم تأتوا هذا الجزء من الأقليم أبداً ، وإن فعلتم ، فقد عسكرتم هناك وخيولكم مهيأة بألجمتها ، وذلك دلالة على أنكم في منطقة حيث أعداؤكم أقوى مما كنتم . ثم أصبحتم حلفاءنا ، وبفضلنا وفضل معونة الأرباب ، تهيمنون الآن على القطر . في هذه المرحلة ، تعالجون إخراجنا من هذا القطر ، وقد ضبطناه بأسلحتنا بالذات ، فسهبتموه منا . تعلمون تمام المعرفة أن العدو لم يَحُزِ الطاقةَ على إخراجنا . ثم ، وأنتم أقصى ما تكونون عن تقديم الهبات قبل أن تطالبونا بالسير نحو الوطن ، أو أن تعاوضونا ، بأي شكل كان ، من أجل الخدمات النافعة التي نلتم من قبلنا ، نجدكم في الحقيقة تبذلون قصارى جهدكم لأعاقتنا عن أن نعسكر هنا ، بينما ها نحن الآن قد شرعنا في الأوبة . إنك بالتماسات من هذا القبيل ، لاتبدي شعوراً مناسباً سواء تجاه الآلهة ، أم نحو هذا الرجل الماثل هنا . الذي يراك في رغد هذا اليوم . لكنه ـ كما سلّمتَ بنفسك ـ كان عارفاً بك قبل أن غدوت حليفنا ، كشخص تعيّشَ على ريع حملات السلب .»

عندئذ ، توقف (زينوفون) لحظة ، ثم استأنف القول : «لماذا تقصدني بهذه الألتماسات ؟ لم يعدْ زمام القيادة بيدي . إنه بيد (الأسبرطيين) ، وأنتم قد سلمتموهم الجيشَ ليقتادوه من هنا ، ولم تكونوا كرماء الى درجة أن تدعوني للأسهام في المباحثات ، وبذا ـ تماما كما أصبحتُ غير مرغوب فيه لديهم عندما جلبت الجيش إليكم ـ كان في مقدوري الآن تعويضهم عن ذلك بأن أعيده اليهم .»

---

(٣) نحرقها

فقال الطرخان (الأودريسي)، عند استماعه ذلك: «بقدر ما يخصني، يا (ميدوسادس)، أشعر كأني أغور في الرغام خجلا حينما أستمع ما يقول. ما كان ينبغي أن آتي معك لو علمت ذلك مسبقا. لذلك، سأنطلق الآن راجعا. إن (ميدوكوس)، عاهلي، لن يستصوب فكرة إخراج الناس، الذين أحسنوا اليه صنعاً، من البلد.» بعد أن نطق بذلك، امتطى حصانه وجرى به، كما فعل جميع الفرسان الآخرين عدا أربعة أو خمسة منهم. غير أن (ميدوسادس) الذي استاء من أسلوب تخريب البلد، سأل (زينوفون) أن يستدعي القائدين الأسبرطيين.

عندئذ، استصحب (زينوفون) أفراداً، رجّح إمكانية جدواهم، وذهب لمقابلة (خارمينوس) و (پولينيكوس)، وأخبرهما أن (ميدوسادس) أنص رؤيتهما بغية توجيه نفس الطلب الذي رفعه إليه، ألا وهو وجوب مغادرة البلاد. وقال (زينوفون): «لذلك، أحسب أنكم تستطيعون أن تقبضوا الأجر العائد للجيش، لو أخبرتم (ميدوسادس) أن الجنود قد التمسوكم أن تؤازروهم في استحصال أجرهم من (سيوثس)، شاء ذلك أم أبى، وبأنهم يقولون: حال حصولهم على الأجر، سيتبعونكم طوعاً، وأنكم تعدّون طلباتهم محِقّة؛ وأنكم تضمنون المبارَحَة فورَ نوال الجنود حقوقهم»

فأصغى الأسبرطيان الى ذلك، وأجابا أنهما سيقولان كل ذلك وكل ما عداه حتى يكون وقع ذلك أشد ما يمكن. فتوجهوا تواً، مستصحبين كل الضباط المتفوقين. عند وصولهم، تكلم (خارمينوس) قائلا: «إن كان لديك ما تقول لنا، يا (ميدوسادس)، فأفصح عنه. وإلا، فلدينا ما نقول لك.» فاصطنعَ (ميدوسادس) عندئذ منتهى الصغار، وقال: «كل ما عندي لأقول هو هذا، و (سيوثس) يقوله بالذات: إننا نرجو ألا تُساء - من قبلكم - معاملة الذين

أصبحوا أصدقاءنا . عندما تُلحِقون بهم أي ضَرٍّ ، فأنتم في الحقيقة تلحقونه بنا لأنهم يؤوان إلينا .»

فقال الأسبرطيان : «حالما سينال أجركم أولئك الذين أحرزوا لأجلكم رعايا جدد ، سنكون على أتم الأهبة للأنطلاق . وإلا ، فنحن الآن هنا ، لندعمهم ونجعل الذين غشّوا جنودنا ، وحنثوا في قسمهم ، يكابدون من جرّاء ذلك . فان كنتم ضمن هذه الفئة ، فسنستهل بضمان الأقتصاص منكم .»

ثم تكلم (زينوفون) : «ميدوسادس : هل تهتم بإعطاء هؤلاء القوم ـ الذين نحن في بلادهم ، والذين قلتَ إنهم كانوا أصدقاءكم ـ فرصةً للأدلاء بما لو كانوا يفضّلون مغادرتكم البلاد أم مغادرتنا ؟» لقد عارض (ميدوسادس) هذا الأقتراح ، لكنه أوصى ، كأفضل إجراء ، أن يذهب الشخصان الأسبرطيان الى (سيوثس) بشأن الأجر ، وأعرب عن أمله أنهما سيفلحان . وإن لم يستطيعا ، اقترح عندئذ إيفاد (زينوفون) بمعيته ، ووعد بدعمه . في نفس الحين ، إلتمسهم بعدم إحراق القرى .

فيما بعد ، أوفدوا (زينوفون) وآخرين معه ، مِمَّن عُدّوا أكثر الناس نفعا . وعندما قدم نحو (سيوثس) ، تحدث قائلا : «لم أحضر هنا ، يا (سيوثس) ، لأسألك شيئا ما ، بل لأبذل قصارى جهدي لأوضح أنك كنت مخطئا في نقمتك علي ، لأني كنت أتكلم لصالح الجنود ، وأستمرُّ على مطالبتك بدفع ما وعدتهم . في الحقيقة لقد اعتبرتُ دفعَ أجرهم في صالحك تماما كما أن استلامه من صالحهم . قبل كل شيء ، أُدرِكُ أنهم ، بعد الآلهة ، كانوا المسؤولين عن إعلاء شأنك ، ما زالوا قد ملّكوك على مناطق شاسعة وعلى أعداد هائلة من الشعوب . ولذا ، مهما فعلت ، مشرِّفاً كان أم مشينا ، فمن المحتم أن يتناهى الى سمع

الأنام. هذا هو وضعك الآن. وحسبتُ أنه كان من الأهمية عدم اكتسابك الصيت السيء لأخفاقك في الأبانة عن امتنانك من الذين آزروك عندما أرسلتهم الى الوطن. كما حسبت من المهم أن تملك سمعة حميدة بين رجالنا الستة آلاف. وأهم من ذلك، لم يكن يجدر بك أن تضع نفسك في موضع من لا يثق الناس بوعده. عندما لا يكون الناس موضع ثقة، ألاحظ أن كلماتهم تنساق دون قوة في ذاتها، ومن غير أن توحي الثقة الى الآخرين، لكن عندما يشتهر الناس بأنهم يكنّون احتراماً للحقيقة، تكون كلماتهم فعالة تماما كقدرة الناس الآخرين على تحقيق أي غرض يهدفون إليه. إذا راموا البلوغ بأي شخص نحو الأدراك السليم لمنزلته، فأنا أعلم أن تهديداتهم تكون ذات تأثير عميق، بالضبط كعقاب فعلي صادر من آخرين. وإن أناساً مثل هذا الطراز، إن يقطعوا الوعود، ينالوا أغراضهم بشكل موفّق تماما كالآخرين الذين يدفعون المال توّاً. فكِّرْ في قضيتك بالذات. كم دفعتَ لنا قبل أن ظفرت بتحالفنا؟ أنت عارف أنك لم تدفع شيئا البتة. كلا، لقد وثقنا بك، وأيقنّا أنك ستكون صادقاً في ما قلتَ، وبذا كوّنتَ جيشاً لجباً ليسير معك، ويحرز لك أمبراطورية، لا تضاهي ثلاثين (وزنة)[4] التي يعتقد رجالنا بوجوب تأديتها إليهم، فحسب، بل أضعاف ذلك. إذاً، قبل كل شيء، فهذا الشعور، بإمكانية الوثوق بك، هو الذي أحرز لك مملكتك، وهو ما يُفرِّط به مقابل هذا المبلغ من المال.

(٤) Talent ـ اما وزنة فضة تساوي (٢٥٠) أو (٣٤٠) جنيهاً، واما وزنة ذهب التي تساوي عشرة آلاف جنيه تقريباً.

«ثانياً، أودّك أن تفكر في مدى عظمة الانجاز الذي خُيِّل اليك سابقاً باحرازك كل ما قد فتحت الآن، وما تحوز حالياً. اني لموقن تماماً أنك كنت تتضرع من أجل نوال كل المنجزات التي تمت لك، بدلا من أضعاف مبلغ المال. وأرى الآن أن الاخفاق في احراز كل هذه الفتوح أشد ايلاماً، واكثر شَيناً مما لو أنها لم تُحرز أبداً، بالضبط كما أن الانغماس في الفقر بعد الثراء أشق مما لو كان الفرد غير غني قط أولا، وظهور الفرد كشخص عادي غِبّ ان كان عاهلا، أشد ايلاماً من عدم كونه عاهلا على الاطلاق. انك تدرك، ايضاً، أن الناس الذين أصبحوا رعاياك الآن، ما كانوا مقتنعين لارتضاء حكومتك بأي حب شخصي نحوك، لكنهم فعلوا ذلك اضطراراً وأنهم سيحاولون استعادة حريتهم، اذا انعدم الشعور بالرهبة الذي يعمل كرادع لهم. فافترض الآن، أولا، أنهم يُشاهدون علاقاتك مع جنودنا جيدة الى حد أن الجنود سيلبثون هنا، لو طلبت اليهم ذلك، أم يعودون سريعاً عند الحاجة اليهم؛ وأن آخرين، غب أن يكونوا قد سمعوا عنك شتى الأنباء الحسنة من رجالنا، سيخفّون سريعاً للانضمام اليك متما شئت: أو فَرَضاً أن هذا الانطباع السيء عنك يتولد لديهم ـ ألا وهو استبعاد قدوم جنود يونانيين آخرين اليك، لانعدام ثقتهم بك من جراء الاحوال السائدة حالياً، وحتى الذين ههنا هذا الحين يميلون الى رعاياك اكثر منك بالذات: فأي هذين الخيارين تحسبه الافضل كي تجعل رعاياك في رهبة منك، وينظرون الى حكومتك نظرة مناسبة من التوقير؟ انها لحقيقة كذلك أن رعاياك الحاليين قد دانوا لك ليس بباعث من كونهم دوننا عددياً، لكن لفقدان الزعامة فحسب. نتيجة لذلك، ثمة مخاطرة الآن أنهم قد يتخذون لذواتهم زعماء، إما بعض رجالنا الذين يظنون

قد أسيئت معاملتهم من قِبَلك ، أو حتى (الاسبرطيين) الذين هم أشد بأساً . إنّ هذا ما سيحدث على الارجح ، عندما تجد جنودنا متعهدين بالخدمة مع الاسبرطيين باستعداد أعظم ، شريطة أن يستحصل الاسبرطيون أموالهم منك الآن ، والاسبرطيون لعلة حاجتهم الى جيشنا ، يرتضون هذا الاشتراط . من الواضح تماماً ، أن (التراكيين) الذين هم رعاياك الآن ، سيضحون على أهبة السير ضدك أكثر بكثير من السير معك . إنّ تظل قوياً ، فكل ما يكسبون من ذلك هو العبودية ، بينما إن تنكسرْ ، يستردّوا حريتهم .

«وعلى افتراض وجوب اهتمامك بهذه البلاد الآن كأنها ملكك الخاص ، أي هذين الخيارين تحسب أنسب لجعل البلاد أقصى ما تكون عن الضرر ـ بأن يستلمَ جنودنا ما يطالبون ، وينصرفوا مخلّفين بعدهم حالا من الاستقرار ، أم بمكوثهم هنا ، يعيشون كأنهم في منطقة معادية ، وبحصولك على مزيد من القوات متفوّقة عددياً ، تتطلب ميرتها الخاصة ، وبأن تتخذ تدابير مضادة تجاه رجالنا؟ أي سبيل ستسلك في الانفاق الزائد ، أأن تدفع الى رجالنا استحقاقهم ، أم بمؤاجرة قوة أكثر اقتداراً ، تاركاً الدَينَ الأصلي غير مسدّد كذلك؟

«ان فكرة (هراكليدس) ، التي أوضح لي شخصياً ، هي أن المبلغ المطالَب به مفْرِط . أستطيع أن أؤكد لك أن استلام ودفع هذا المبلغ الآن ، لهو أيسر بكثير مما لو قبضت أو سددت معشار هذا المبلغ قبل قدومنا . ليست الأرقام هي التي تعطي معنى (الكثير) أو (القليل) بقدر ما تحدده موارد الشخص الذي يدفعه[٥] أو الذي يستلمه[٥] . وماليّتك السنوية حالياً ستبلغ أكثر من كل مقتنياتك السالفة .

---

(٥) المقصود بما يُدفع أو يُستَلم هو الكثير أو القليل .

«كنتُ ، ياسيوثس ، في ما أنا قائل ، مقدراً منصالحك كأنها مصـالح صـديق . أودّك أن تُعَدَّ جديراً بالتوفيق الحسن الذي انعمت به الآلهـة عليك ، وأروم أن أتحاشى خسران سـمعتي نهـائياً بين الجيش . أسـتطيع تطمينك أني حـالياً ، والجيش بشعوره الراهن ، عاجز عن ايذاء خصومي ، حتى لو شئتُ ذلك ، وان أردتُ جلب الجنود ثانية لمعـاضدتك ، عُدِمتُ الطاقة على ذلك : هكذا يشـعر الجيش تجاهي الآن . مع ذلك ، أمام الآلهـة العـارفة بالحقيقـة ، أسـتطيع أن أستدعيك كشاهد على الحقيقة بأني ما تناولت منك شيئاً قط للجنود ، فاحتفظتُ به ؛ وأني لم أسالْكَ قط شيئاً لصالحي الشخصي مما كان عائداً لهـم ؛ كما أني لم أطـالبك حتى بما وعدتني . وأقسِم أني ما كنت لآخـذه أبداً حتى لو قدّمته الي ، الا اذا كان الجنود سينالون استحقاقهم في نفس الحين . انه لعمل مشِين أن أحقق تسوية قضاياي ، وأهمل قضاياهم بطريقـة مزرية ، خصـوصاً عندما كنتُ في موضع التكريم من لدنهم .

«ان (هراكليدس) ، دونما ريب ، يحسَب أن ليس من شيء خـطير الشـأن في الحياة ، بالنسبة الى احراز المال بأية وسيلة ممكنة . وأنا ، يا (سيوثس) من جهة اخـرى ، أعتبر أن ليس ثمة أنبل وأزهى المقتنيات من الشرف والتعـامل النزيه والسخاء ، يحوزها الفرد ، وخصوصاً رجل يملك سلطاناً . إن رجـلا يمتلك هذه الخصال[٦] ، لهو غني في امتلاك عدّة خـلاّن ، وثري في حقيقـة كون العـديد من الآخرين يودّون أن يصبحوا أصـحابه . إن هو مجـدود ، فلديه خَلق آخـرون يشاطرونه سعادته ؛ وان ساءت أموره ، فلن يُعدَمَ أناساً يتقدمون لأعانته .

---

(٦) وردت هذه الكلمة في النص الانكليزي (Things) وتعني (الاشياء) وقد آثرت استعمال كلمة (الخصال) بدلاً.

«ان أنت أخفقت أن تكتشف من افعالي أني صديقك الحميم ، وان أنت ما برحت عاجزاً عن استيعابك الحقيقة ، كنتيجة لما أنا قائل ، ففكّر اذاً بكل الاشياء التي كان يتفوّه بها الجنود . لقد كنت هنالك بنفسك ، وسمعت أقوال الذين كانوا يحاولون احصاء مثالبي . أتهموني أمام (الاسپرطيين) بتفضيلي مصالحك على مصالح (الأسپرطيين) ، وهم أنفسهم تهجموا عليّ لاهتمامي بتصريف شؤونك بصورة حسنة أكثر من تصريف شؤونهم . لقد زعموا أني قد استلمت الرشى منك . هل تتصور أنهم اتهموني بتقاضي هذه الرشى منك لأنهم قد لا حظوا أني قد شعرت نحوك بأية ضغينة ، أم لأنهم في الحقيقة لاحظوا أني شديد التشوق الى دعم رغباتك؟ ينبغي أن أقول : كل فرد يعتقد أن النية الطيبة يجب ان تُبان تجاه الشخص الذي منه سَتَهَبَ أحد ما رشوةً . وأنت ، قبل أن أودّي اليك أية منفعة ، أحسنتَ استقبالي ، ناظراً ومتكلماً بلطف ، مستضيفاً أياي ، ولم يأخذك النَصَب من وعدي بجميع الاشياء في المستقبل . والآن وقد ظفرتَ بما اردت ، وغدوتَ أعظم رجل كان في مقدوري أن أجعلك ، فكيف تستطيع احتمال جعلي مهاناً ، كما أنا ، بين الجنود؟ اني على تام الثقة أنك ستقرر دفعَ المال ، وأن الزمن سيعلّمك ، وأنك بالذات سوف لا تطيق احتمال رؤية الذين وهبوك خدماتهم طوعاً ، صارخين ضِدّك . ان ما اسألك فعله ، عند تسديدك المال ، هو أن تفعل كل ما في وسعك لتركي وسُمعتي في الجيش ذات السمعة التي وجدتني أملكها» .

عندما استمع (سيوثس) الى حديثه ، لعن الرجلَ الذين كان مسؤولا عن عدم تأدية المال منذ أمد طويل . كل واحد ظنّ أنه عنى (هيراكليدس) بذلك الشخص ، وقال سيوثس : «أما أنا ، فلم أقصد حرمان رجالك من أجرهم ،

وسأصرفه اليهم الآن» . عندئذٍ ، تحدث (زينوفون) ثانية : «والآن ، اذ تعتزم الدفعَ إليهم ، أرجوك أن تدفع المال بوساطتي ، ولا تدعْني بفضل خدمتي لك ، أحصل على سمعة بين الجيش ، تختلف عن تلك التي كنت نائلها ، عندما جئناكم أول الأمر» .

أجاب (سيوثس) : «انك حتماً لن تقاسي فقدان أية سمعة في الجيش بسببي ، وإن تبقَ معي ، محتفظاً بالف من المشاة الثقيلة فقط تحت إمرتك ، فسأمنحك الأماكن المحصّنة وكل الاشياء الأخرى التي وعدتك» . وتكلم (زينوفون) من جديد ، قائلا : «أما ذلك ، فمستحيل . دعنا نعدْ الآن» . قال (سيوثس) : «مع ذلك ، على كل حال ، أنا عارف أن بقاءك في صحبتي ، سيكون أسلم لك من ذهابك» . قال (زينوفون) : «أنا ممتن لك كثيراً لامعانك الفكر من اجلي ، لكن لا يتسنّى لي البقاء . غير أني ، إن بلغتُ مرتبةً أرفع مقاماً في أي مكان ، فينبغي أن تعدَّ ذلك شيئاً سيكون لصالحك أيضاً» .

ثم تكلم (سيوثس) مجدداً : «ليس لديّ المال الوفير . لكنّ ما اقتنى ، وهو (وزنة) ، سأعطيكه . كما سأعطيك ستمئة ثور ، وزُهاء أربعة آلاف شاة ، ومئة وعشرين عبداً . خذها عندما تنصرف ، وخذ كذلك الرهائن من الناس الذين أساءوا اليك» . عندئذ ، ضحك (زينوفون) ، وقال : «لنفرض أنّ كلّ هذا لا يفي بتأدية الأجر ، إذاً وزنة من ، سأقول إنها لدي؟ أليس من الافضل لي ، وأنا في وضعي الخطر ، أن أنصرف الى الوطن ، وأبتعد عن الرّجْم . لقد سمعتَ تهديداتهم» .

لقد لبثوا ذلك اليوم هناك ، وفي اليوم التالي ، أعطاهم (سيوثس) المواشي التي وعدهم ، وارسل رجالا لسوق الماشية . حتى ذلك الحين ، كان الجنود

يقولون : إنّ (زينوفون) قد انطلق ليعيش مع (سيوثس) ، وليحصل على ما وعده (سيوثس) . بيد أنهم ، عندما لمحوه عائداً ، ابتهجوا وخفّوا لملاقاته . وحالما رأى (زينوفون) خارمينوس وبولينيكوس ، قال لهما : «نظراً لتأثيركما ، لقد تم استحصال هذا للجيش . ها أنا أعهد به اليكما ، وأسألكما تصريفه واقتسامه بين الجنود» . نتيجة لذلك ، استلموا الماشية ، وعيّنوا عليها اناساً ليتصرفوا بها ، وباعوها . وقد نجم عن ذلك كثير من عدم الرضا . كان (زينوفون) بمنأى عن القضية ، وأوضح أنه كان يتأهب للأوبة الى الوطن (ان التصويت على إقصائه لم يصدر بعد في آثينا آنئذ) . الا ان أصدقاءه في المعسكر ، قصدوه ملتمسين عدم مغادرته حتى يكون قد اقتاد الجيش خارج (تراكيا) ، وسلّمه الى (ثيبرون) .

الفصل الثامن

زينوفون يبارح الجيش

لقد أبحروا من هنا نحو (لامپساكوس)[1] ، حيث قدم لمقابلة (زينوفون) العراف (يوكليدس) ـ Euclides ـ الفليوسي[2] نجل (كليجوراس)[3] الذي رسم تصاوير جدران (اللايسيوم)[4] . فهنأ (زينوفون) بسلامة عودته ، واستفسره عن مقدار الذهب الذي معه . فأقسم له (زينوفون) قسماً مقدساً أنه لم يكن يملك حتى ما يفي بتسديد نفقاته أثناء العودة لو لم يبعْ جواده ومقتنياته الخاصة . فلم يُصدّقه (يوكليدس) . بيد أنه ، عندما بعث شعب (لامپساكوس) هدايا الى (زينوفون) ، وكان هو يضحي لأپولو ، أوقف (يوكليدس) بجانبه ، ولما فحص (يوكليدس) الضحايا ، قال له انه الآن أيقن عدم امتلاكه المال ، كما قال : «وأعرف حتى لو جاز أن يسلك المالُ سبيلَه اليك ، فسيكون ثمة حائل ما ، وإنْ لم يكن شيء آخر ، فأنت ستكون عائقاً لذاتك» .

لقد سلّم (زينوفون) بحقيقة ذلك ، ومضى (يوكليدس) يقول : «أجل . وزيّوس ، رب الأستعطاف[5] ، حائل ، آخر» . ثم استفهمه ان كان قد ضحّى

---

(١) Lampeacus : هي مدينة على ساحل مضيق الدردنيل وتسمى حالياً في تركيا (لاپسكي) Lapeeki .

(٢) نسبة الى فليوس Philus واقعة غربي (كورنثوس) وقريبة جداً من نيمي Nemea الحالية .

(٣) Cleagoras .

(٤) بقعة من الارض قرب (آثينا) القديمة ، موقع الجمنازيوم ـ الملعب ـ المشهور بالموضع الذي ضمن أروقته علم (أرسطو طاليس) والكلمة مشتقة من كلمة (Lykeios كنية الآلهة أپولو عند الأغريق وهم يدعونه (ليكيوم) .

(٥) Zeus of Propitiation .

لذلك الرب ، مضيفاً : «كما اعتدتُ أن أفعل من أجلك في الوطن ، مضحياً له القرابين ، ومقدماً المحرقات» . فأجاب (زينوفون) إنه لم يُضحِّ لزيوس ، رب الأستعطاف ، منذ مبارحته الوطن ، وأشار عليه (يوكليدس) بأن يُقرِّب قرباناً كما أعتاد تماماً أن يفعل في الماضي ، وأجاب أن عاقبة ذلك ستكون لصالحه .

في اليوم التالي ، ذهب (زينوفون) الى (أوفرينيون)[٦] ، وقدّم قرباناً ، محروقاً رِتَتة[٧] كاملة ، على حسب الشعائر الخاصة ببلاده ، وكانت البشائر موافقة . في ذات اليوم ، وصل (بيون) ـ Bion ـ و (نوسيكليدس) ـ Nausiclides ـ لدفع أجرهما الى الجيش . لقد أقاما علاقات ودية مع (زينوفون) ، واجتلبا واعادا اليه حصانه الذي بيع في (لامپساكوس) بخمسين جنيهاً . لقد بلغهما شغفُهُ بالحصان ، ولذلك تبادر اليهما الشك أنه قد باعه بدافع الضرورة ، وأبيا أن يدفع لهما ثمنه مجدداً .

بعدئذ ، ساروا عِبرَ ترواس[٨] ، وعَبّ اجتياز جبل (إيدا)[٩] ، بلغوا أولا (أنتندروس)[١٠] ، ثم ساروا بمحاذاة الساحل الى سهل (ثيب)[١١] . ورحلوا من

---

(٦) Ophrynion : لم أهتَدِ الى موقعها .

(٧) جمع رَت وهو الخنزير .

(٨) The Troad : هي طروادة المشهورة : تقع على بحر (أيجه) ويطلق عليها بالانكليزية Troy أيضاً ، وقد وردت في الفصل السادس عشر من سفر الاعمال من الانجيل ، الآية الثامنة ، باسم (ترواس) .

(٩) سلسلة جبال في اقليم (ميسيا) في آسيا الصغرى حيث اغتُصِبت (جانيميد) وحوكم (پاريس) كما ورد في الأساطير الأغريقية .

(١٠) Antandrus : لا أثر لها على خارطة الكتاب والخرائط الأخرى .

(١١) Thebe هو السهل المطل على بحر أيجه جنوبي (جناقلعة) .

هنا بطريق (أدراميتيون)[١٢] و (كرتونون)[١٣] الى سهل (كايسوس)[١٤]، وبذا وصلوا (بيرجامون)[١٥] في ميسيا.

هنا، أحسنتْ (هيلاس) ـ Hellas ـ استقبال (زينوفون)، وهي قرينة (جونجيلوس) ـ Gongylus ـ التي من (ايريتري)[١٦]، ووالدة (جورجيون) ـ Gorgion ـ و (جونجيلوس). فأنبأته أن فارسياً يدعى (أسيداتس) ـ Asidates ـ كان مقيماً في الجَدَد[١٧]، وأنه إن مضى ليلا بثلاثمئة رجل، استطاع القبض على هذا الفارسي بمعية حليلته وأولاده ومقتنياته الوفيرة. لقد أوفدت معه ليدلهم على الطريق ابن عمها[١٨] ورجلا يدعى (دافناغوراس) ـ Daphnagoras ـ الذي كانت شديدة الولع به. فأخذ (زينوفون) هذين الرجلين معه، وقدم قرباناً، وأفاد (باسياس) ـ Basias ـ العراف الذي من (أليس)[١٩]، وقد كان هناك، أن الفؤول كانت ملائمة له جداً، وأن الرجل سيؤسرّ حتماً. لذلك، بعد الغداء، شرع (زينوفون) في السير، آخذاً معه، بقصد نفعهم، ضباطَ المئة الذين كانوا من خاصّة أصدقائه، ومخلصين اليه في كل شيء. وقصده أيضاً ما يقرب من ستمئة شخص آخرين، محاولين فرضَ خدمتهم عليه، لكن ضباط المئة، أرجعوهم كي لا يعطون حصة من الأسلاب التي اعتبروا عائديتها اليهم سلفاً.

---

(١٢) هي أدرميت Edremit الحالية في تركيا.

(١٣) Certonon.

(١٤) Caecus.

(١٥) هي (بيرجاما) الحالية في تركيا.

(١٦) Eretrea: قريبة جداً من نيسارا Nea Psara الحالية المطلة على خليج (ايفويا) الجنوبي.

(١٧) السهل.

(١٨) يجوز أن يكون ابن عمتها أو خالتها أو خالها أيضاً

(١٩) Elis: أقليم في اليونان قديماً حيث كانت تقام الألعاب الأولمبية.

لقد أدركوا المكان حوالي منتصف الليل، فنجا منهم العبيد خارج القلعة مع أغلب الماشية هناك، لأنهم قد تركوا ذلك جانباً كي يقبضوا على (أسيداتس) نفسه، وممتلكاته الخاصة. لقد أخفقوا في محاولتهم اقتحام البرج الذي كان مرتفعاً ومنيعاً ومزوّداً بشرفات وبأعداد كبيرة من الجنود الأكفّاء، ولذلك حاولوا إحداث ثغرة فيه. لقد كان سمك الجدار بمقدار ثمان قطع من اللبن، لكن بطلوع النهار، تم إحداث فجوة. وفي لحظة ظهورها، أنفذ واحد من الداخل سفوداً هائلا لشيّ الثيران، وغرزه في فخذ أدنى رجل من الفجوة؛ ثم، باطلاق وابل من السهام، جعلوا مجرّد الدنو خطراً. لقد تنادى المدافعون أيضاً، وأعطوا الشارات بتحريك المشاعل، وبذا برز (إتامينس) ـ Itamenes ـ مع قوته لمددهم، وأقبل من (كومانيا)[20] بعض الآشوريين من المشاة الثقيلة، وحوالي ثمانين فارساً (هيركانياً)[21] من مرتزقة العاهل أيضاً، وبعدئذ حوالي ثمانمئة من المشاة الخفيفة مع الفرسان كذلك، بعضهم من (پارثنيون)[22]، وبعضهم من (أپولونيا)[23] والبلد المجاور.

فحان للأغريق لحظتئذ أن يفكروا في كيفية القدرة على الانصراف. لقد قبضوا على كل الثيران والشياه التي كانت هناك، وساقوها مع العبيد كذلك داخل مربع مفرغ، متخذين هذه التشكيلة ليس بدافع من رغبتهم في السلب، بقدر ما توخوا منع انقلاب تقهقرهم الى هزيمة، كما قد يحدث لو أنهم مضوا

---

(٢٠) Comania: لم اعثر عليها في خريطة الموسوعة البريطانية.
(٢١) Hyrcanian: نسبة الى (هيركان) وهو بحر (قزوين) أو بحر (الخزر).
(٢٢) Parthonion: مدينة في القسم الشرقي من أواسط اليونان شمالي (أليفريون) حالياً.
(٢٣) Apollonia: لم اعثر عليها في خريطة الموسوعة البريطانية.

مخلفين غنائمهم واذا امتلك العدو الجرأة بسبب ذلك ، في حين يفقد رجالُهم الأقدام . ولهذا ، كانوا يتقهقرون بنحوٍ تبيّن منه أنهم كانوا على استعداد للقتال من أجل أسلابهم .

عندما رأى (جونجيلوس) ضآلة عددِ الأغريق ، وأن مهاجميهم كانوا بقوة عظيمة ، برز بقوته الخاصة ، ضد رغبة والدته ، يبتغي الاسهام في القتال . كما ان (پروكلس) - Procles - و (تيوثرانياس) - Teuthranias - سليل (داماراتوس) - Damaratus - برزا من (هاليسارن)[٢٤] لتقديم اسنادهما أيضاً . في نفس الحين ، تقدم رجال (زينوفون) تحت وابل شديد من السهام واحجار المقاليع ، على هيئة دائرة ، وذلك لصدّ المقذوفات بتروسهم ؛ وبمشقّة عظيمة اجتازوا نهر (كاركاسوس)[٢٥] ، وقد جُرح نصفهم تقريباً . في هذه الواقعة ، جُرح ضابط المئة (أجاسياس) الستيمفالي ، الذي ظلّ يحارب متقهقراً طول الوقت . وأخيراً ، عادوا سالمين ، وبرفقتهم زهاء الفي عبد ، وثلة من الشياه تكفي للقرابين .

في اليوم التالي ، قدّم (زينوفون) أضحية ، واقتاد الجيش بأسره ليلا ، ونيته السير بأسرع ما يستطاع شطر (ليديا) ، كي لا يبقى (أسيداتس) بعد الآن في خشية من كونه قريباً ، وكي يخفف من احتياطاته . غير أن (أسيداتس) أنبيء أن (زينوفون) قد قرّب قرباناً آخر بقصد مداهمته ، وأنه سيصل مع الجيش برمّته . لذلك ، ذهب ليعسكر في بعض القرى التابعة لمدينة (پارثنيون) . فعثر

---

(٢٤) Halisarne : لم اعثر عليها في خريطة الموسوعة البريطانية .

(٢٥) Carcasus : هو نهر مازال حتى الآن ويقع جنوبي (بيرجاما) أو (بيرجامون) .

عليه رجـال (زينوفون) هنا ، وضبطوه مع قرينته وأولاده وخيوله وكل مقتنياته . وهكذا ثبتت صحة البشائر من التضحية الأولى .

ثم آبوا الى (برجـامون) ، فالفـى (زينوفون) أن لزاماً عليه الآن أن يكون شاكراً للرب . واتفق (الأسبرطيون) وضباط المئة والقادة الآخرون والجنود على تقديم خيرة الغنائم اليه ـ من خيول وثيران وكل شيء . وبذا أضحى آخـر الأمر الآن قادراً على إسداء الأحسان الى غيره .

بعدئذٍ ، أقبل (ثيبرون) ، وتسلّم الجيش . لقد ألحقه ببقية جيشـه الأغريقـي ، وشنّ الحوزاء على (تيسافرنوس) و (فارنابازوس) .

تذييل المعرب

عندما ناهزتُ إنجاز الكتاب ، علمت أن ثمة مؤلفاً جغرافياً بالأنكليزية ، يمتّ الى موضوع الكتاب بصلة ، عنوانه (الفرات الأوسط) للمستشرق الرحالة الجيكي (ألويز موسيل)(١) وعند الرجوع إليه ، استقيت المعلومات التالية :ـ

الصفحة ٢٢١

يرجّح المستشرق المذكور أن نهر (خالوس) ـ Chalus ـ الذي ذكره (زينوفون) هو نهر (عفرين) الحالي ، وأن نهر (درداس) ـ Dardas ـ هو نهر (الذهب) كما يسمى حالياً ، ويبعد عن (ثاپساكوس) ـ Thapsacus ـ مسيرة ثلاثة أيام ، وهذه الأخيرة تعني (المخاضة) وهي التي وردت في التوراة باسم (تفساح) التي فتحها الملك سليمان .

أنظر الفصل الرابع من الجزء الأول ـ الملاحظتين (٦) و (٧) في الهامش

وأنظر كذلك ص ٢٢٩ من المجلد العشرين من مجلة (سومر) حيث تجد ما يؤيد رأي المستشرق المذكور .

الصفحة ٣١٨

يعين المستشرق مدينة (ثابساكوس) ـ Thapsacus ـ شمالي (بالس) التي هي (قنسرين) ، ويقول ، إستناداً الى أريان (Arlan) ، إن الأسكندر المقدوني اجتاز الفرات عند (ثابساكوس) على جسرين من زوارق في حزيران من عام (٣٣١ ق . م) . واستناداً الى (أوبانس) ـ Obbanes ، إن (ثابساكوس) الأسكندر قريبة

(١) »The Middle Euphrates« BY Alois Musil- New York, 1927.

من خرائب (ساموما) ـ Samuma ـ القريبة من (بالس)، ويعتقد أن (بالس) هي (قنسرين) أو صفين العربية.

أنظر الفصل الرابع من الجزء الأول ـ الملاحظة (٨) في الهامش، وخارطتي (ديار العرب) و (صورة الجزيرة) لابن حوقل في كتاب (العراق في الخوارط القديمة) من جمع وتحقيق الدكتور احمد سوسة.

الصفحة ٢٢٢

يرجح المستشرق أن مدينة (كورسوت) ـ Corsote ـ هي خرائب التاوي. وأغلب الظن أنه يعني (الطاوي) التي لم أعثر عليها في الخرائط.

أنظر الفصل الخامس من الجزء الأول ـ الملاحظة رقم (٢) في الهامش.

أما (خارماند) أو (كارماند) ـ Charmande ـ فيعيّنها المستشرق في جنوب غربي (تل الأسود) حالياً حيث خرائب (آد) ـ أو (عاد) التي لم أهتد إليها.

أنظر الملاحظة رقم (٨) في الفصل الخامس من الجزء الأول

ويفيد أن المسافة بين (كورسوت) وپايلاي: «الأبواب ـ تل الأسود» تبلغ (٢٦٥) كليومتراً.

أما (كوناكسا) ـ ساحة المعركة ـ قرب الفرات، فيعينها المستشرق عند موضع دعاه (خرائب الكنيسا)، يبعد (٤) كليو مترات عن النهر(الفرات). ولم أقف على ذكر لهذا الموضع في المراجع الأثرية العراقية حتى لحظة تدوين هذه الملاحظات.

أنظر الفصل الثامن من الجزء الأول، والحاشية رقم (١) من ذات الفصل.

ويضيف أن الشقة بين «بابلاي» ـ الأبواب ـ الى «كنيسا» ـ كوناكسا ـ تبلغ (٩٠) كليومتراً، قطعتها الحملة في ستة أيام؛ وأن الخندق الذي اجتازه الأغريق في اليوم الرابع من المسيرة الأخيرة مع جيش (كورش) الفارسي قبل المعركة، هو خندق (الوشاش).

أنظر الفصل السابع من الجزء الأول، والملاحظة رقم (٨) في الهامش.

الصفحة ٢٢٤

قال المستشرق: لقد تراجع الأغريق من (كوناكسا) الى معسكرهم عند مدخل قناة (الدفّار) ـ العيسوي ـ ومن ثمَّ عادوا القهقرى ـ إما شمالا أو نحو الشمال الشرقي، لأن الشمس كانت عن يمينهم ـ وذلك بحثاً عن بعض المنازل البابلية التي لم تُنتَهَب بعد، والتي لايمكن أن تكون إلا شمالي الفرات، فأدركوها مع هبوط الظلام.

كما قال: ليس تعيين موضع معسكر اليونانيين، قرب قناة (الدفار) ـ العيسوي ـ هو وحده الذي يتفق مع قصة مسير (زينوفون)، لكن طبيعة القطر كذلك. لقد انتُهِبت جميع القرى التي بمحاذاة الفرات من قبل «العاهل العظيم»، وكانت القرى على بعد (١٧ كم) من نهر (الخر) القريب من أطلال تل الشعيبي الحالي.

وأفاد: إن خرائب (أم قطيم) ـ Umm Ketime ـ تقع عند السور المادي، وإن الترعة الاولى، التي اجتازها اليونانيون مع جيش (آريوس) الفارسي ـ نائب كورش ـ عند تراجعهم، هي قناة (نهر الملك) المسمى بالآرامية (السريانية) «نهرا ملخا» ـ Nahra Malcha ـ وأما الترعة الثانية فهي نهر (صرصر).

أنظر الفصل الرابع من الجزء الثاني.

الصفحة ٢٢٦

يرجح المستشرق أن نهر (فيسكوس) ـ Physcus ـ كان نهراً طويلا ، ويسمى اليوم (الأدهم) أو (العُظَيم). وذكر أن عند مسافة (١٦٠ كم) الى شمالي (الأدهم)، يمتد حوض (الزاب) الأسفل الخصيب الذي كان بالأمكان بلوغه غِب مسيرة ستة أيام، بمعدل (٢٧ كم) يومياً، وهذا ما يحمله على تعيين مقام (پاريزاتس) ـ والدة كورش وأرتحششتا ـ هناك.

أنظر الفصل الرابع من الجزء الثاني.

الصفحة ٢٢٦ أيضا

قال المستشرق لو سلّمنا ان اليونانيين ساروا بنفس المعدل الذي ساروا به بعد عبور الدجلة قرب «سيتاس» Sittace عائدين الى الوراء أربع مسيرات، طول الواحدة (٢٥ كم) من نهر (الأدهم) ـ العُظَيم ـ بمحاذاة دجلة، فذلك يوصلنا الى تخوم مدينة (سلوقيا) ـ Seleucia ـ التي يرجح أنها موقع (سيتاس)؛ وعليه ينبغي أن يكون الأغريق قد اجتازوا دجلة بالقرب من أطلال (تل عمر) الحالي، الواقعة شمالي موضع (سلوقيا).

أنظر الفصل الرابع من الجزء الثاني ـ الملاحظة رقم (٣) في الهامش.

وعند الأطلاع على كتاب الدكتور أحمد سوسة، الموسوم (فيضانات بغداد في التاريخ)[٢]، عثرتّ فيه على ذكر بعض الأنهار والترع التي أوردها المستشرق الجيكوسلوفاكي السالف الذكر، والتي أرجّح أنها كانت موجودة منذ العهد الفارسي والمادي، بل منذ العهد (الأكدي) أو (البابلي). قال الدكتور سوسه في

(٢) مطبعة الأديب البغدادية ـ سنة ١٩٦٣ ـ القسم الأول.

الصفحة (٢٢٧) : « ... كما كانت أنهر واسعة تتفرع من الجانب الأيسر لنهر الفرات كنهر الملك ونهر صرصر ونهر كوثي ...» . وأورد في الصفحة (٢١٤) مايلي : «وكان يأخذ نهر عيسى من الجانب الأيسر لنهر الفرات في نقطة تقع شمال الفلوجة الحالية ، فيسير في أتجاه جدول الصقلاوية ونهر المدحية الحاليين حتى يصل الى بلدة (المحوّل) ... ، وعندها يتشعب ... الفرع الأول وهو استمرار المجرى الرئيس للنهر ... يصب في جنوب بغداد الحالية عند التلول المعروفة اليوم باسم (تلول خشم الدوره) ... وكان يُعرف هذا الفرع الكبير باسم (نهر عيسى الأعظم) لتمييزه عن الفرع الثاني الذي كان يستأثر باسم (نهر عيسى) ... المسمى اليوم نهر الداوودي ... ومن ثم يعبر نهر (الخر) الحالي الذي لم يكن موجوداً آنذاك ...» . وذكر في الصفحة (٢٠٤) قوله : «وأما الفرات ، فكانت تتفرع منه الجداول الأربعة التي ذكرها (زينوفون) ...» دون أن يسميها . أنظر خارطة (بغداد في أول أدوارها العباسية) للدكتور أحمد سوسه في كتابه الآنف الذكر بين (ص ٢٢٨) و (ص ٢٢٩) ، وخارطة (ابن حوقل) في نفس الكتاب ـ (ص ٢٤٢) وكذلك خارطة (بغداد الغربية) ـ ص ٢٥٨ .

وقد أتى الدكتور سوسة على ذكر (المدائن) في كتابه الآنف الذكر ، فأورد ما يلي في الصفحة (٢٧٠) : «وتؤيد الروايات التأريخية القديمة أن العمران في منطقة المدائن يرجع الى ما قبل عهد الأكاسرة والفرثيين ، وقد رجّحه المؤرخون الى العهد الأغريقي ، لأن الحكام اليونان خلفاء الأسكندر المقدوني قد سبقوا الفرثيين الى اختيار الموضع نفسه لينشئوا فيه قصورهم ، فقد شيد (سلوقس نيقاطور) في القرن الثالث قبل الميلاد مدينة (سلوقيه) على الضفة اليمنى من النهر مقابل أرض المدائن الفارسية ، ولاتزال آثار هذه المدينة تعرف اليوم باسم

(تلول عمران) أو (تل عمر) وهي تقع مقابل طاق كسرى الحالي في الجانب الأيمن لنهر دجلة ... وهناك من يشير الى أن هذه المنطقة كانت معمورة قبل عهد الأسكندر، فذكر المستوفي في كتابه (نزهة القلوب) أن الملك (يا مشيد اليشدادي) أقام جسراً على نهر دجلة في المدائن وهو جسر مقوس من الآجر، إلا أن الأسكندر هدمه على اعتبار أنه أثر عظيم من آثار الملك الفارسي. ولما أعاد (أردشير بابكان) بناء المدينة رغب في إعادة بناء هذا الجسر، لكنه لم يستطع إنجازه، لذلك أقام جسراً عائما من سفن مربوطة بعضها ببعض بسلاسل حديد. وكانت منطقة المدائن مثل منطقة بغداد مزدهرة ببساتينها وحقولها ومزارعها، فكان الجانب الغربي منها (جانب سلوقيه) يروى من نهر الملك (نهر ملكا القديم) الذي كان يتفرع من نهر الفرات..»

كما أورد المؤلف في الصفحة (٢٦٩) قوله: « .. وقيل إنما سميت المدائن لكثرة ما بنى بها الملوك والأكاسرة بحيث أصبحت مجموعة من المدن متصلا بعضها ببعض، كما أنها كانت تعرف أيضا باسم (طيسفون) نسبة لأحدى المدن التي شيدت هناك.»

والذي أراه، في هذا الصدد، أن تسمية (طيسفون) قريبة من (سيتاس) التي أوردها (زينوفون) في كتابه، خصوصاً وأن (طيسفون) تكتب بالانكليزية هكذا: (Ctesiphon) وأرجح أن بعض التحوير والتحريف قد طرأ على الأسم إما من قبل (زينوفون) ذاته أو بعد ذلك بقرون، كما أرجح أن تسمية (سيتاس) كانت آنذاك تُطلق على الضفتين الغربية والشرقية. والملاحَظ من خارطتي (العراق) لابن حوقل والمقدسي أن (المداين) واقعة على الضفة الغربية في الخارطة

الأولى، وعلى الضفتين الغربية والشرقية من دجلة في الخارطة الثانية.[3]

ولقد حاولت الحصول على كتاب الدكتور سوسة الموسوم (وادي الفرات ومشروع سدة الهندية[4])، فلم أوفّق، فارتأيت أن أوجّه إليه خطاباً، أستوضحه بعضَ النقاط الغامضة. فحررت إليه الخطاب الآتي :ـ

---

(٣) العراق في الخوارط القديمة ـ جمع وتحقيق الدكتور أحمد سوسة ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٩.

(٤) مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٤٥.

بغـــداد ـ ١٧ آب ١٩٦٥

حضرة الدكتور الفاضل أحمد سوسه المحترم

تحية عطرة، وأتمنى أن تكون بخير

بالأشارة الى مكالمتي الهـاتفية معــك في يوم الخميس المنصرم، الموافق (١٢) الحالي، بصـدد كتابك «وادي الفـرات ومشروع الهـندية» يؤسـفني عدم حصولي على نسخة منه في المكاتب كافة، ومن المتعذر عليّ كذلك استعارته من المكتبات العــامة في الوقت الحــاضر لارتباطــي بالوظيفــة. لذلك ارتأيت أن أستفهمك شخصياً بشأن بعض المواقع والجداول الأثرية أو الحالية التي أوردها المستشرق الجيكوسلوفاكي (ألويز موسيل) في كتابه «الفـرات الأوسـط» والذي له مســاس بكتاب زينوفون: «الحملة على فارس»، الذي فرغتُ حــديثاً من ترجمته. فألتمسك أن تجيب عن الأسـتفسارات التالية برسـالة مسجّلة، بغـية نشرها بالنص ضمن (التذييل) الذي هو في طور الأعداد الآن: ـ

١ ـ أين هو موقع خندق الوشّــاش الذي ذكره (موســيل)، وهل كان في زمان البابليين والماديين، وما اسمه آنذاك أو في العهد الساساني؟

٢ ـ يُعيّن المستشرق (موسيل) ساحة معـركة (كوناكسـا) عند موضـع يطلق عليه (خرائب كنيسا أو كنيزه أو الكنسية) على بعد (٤) كليومترات من الفرات. فهـل من دليل الى ذلك؟ وأين هو موقع هذه الخـرائب حــالياً ـ علماً أني أرجّح موقع المعركة قريباً من اليوسفية أو الأسكندرية أو اللطيفية؟

٣ ـ أين موقع أطلال (تل الشعيبي) الحالية بالقرب من نهر الخر؟

٤ ـ هل كان نهر الخر معروفاً في زمان البابليين ؟ وماذا كان يطلق عليه في العهد المادي أو الساساني ؟

٥ ـ أين تقع خرائب أم قطيم (Umm Ketime) التي عينها (موسيل) عند السور المادي بقرب (نهر الملك) ؟

٦ ـ الى أي عهد يرتقي جدولا (اليوسفية) و (الأسكندرية) الحاليين ، وهل يمكن تسميتهما ؟

هذا ما عنَّ لي استفهامك عنه . وذلك اعتقاداً مني بفضلك وحوزتك على العلم الغزير في هذا المجال . أختم بالسلام عليك وبتقديم شكراني إليك سلفاً .

ووردتني الأجابة كما هي مدرجة بالنص أدناه :ـ

بغـــداد ـ ١٩٦٥/٨/٢١ .

عزيزي الأستاذ السيد يعقوب فرام منصور

تحية وسلاما وبعد ، فقد تسلمت كتابكم المؤرخ في ١٧ آب ١٩٦٥ ، وقد وصلني في وقت أنا منهمك في إعداد مسوّدات وطبع كتابي الأخير عن «فيضانات العراق» ومن حسن الصدف أن الملزمة الأخيرة من الكتاب تتناول تاريخ نهر الوشّاش (نهر الصقلاوية) أو نهر الخر أو الكرمة الحاليين بين الصفحة (٣٨٧) والصفحة (٤٠٠) أرسلها إليكم طياً لاعتقادي أنها تفي بالمرام بل أكثر من المرام ، فأرجو أن يكون جوابي عن المادة الخاصة بتاريخ نهر الوشاش (نهر الخر الحالي) وتسميته شافياً ، وأرى أن أضيف الى ماورد في الملزمة المذكورة أن تسمية (الوشاش) أو (الخر) هي تسمية حديثة ، وترمز الى مهمة المجرى أي خرير المياه أو صرف المياه الى النهر ، والواقع أن مجرى الوشاش أصبح في الأيام الأخيرة مبزلاً ، تُبزَل فيه مياه الفيضانات التي تغمر منطقة الجانب الغربي من بغداد الى نهر دجلة في موسم الصيهود (موسم شح المياه) .

أما استفساركم عن موقع (كوناكسا) الذي جرت فيه المعركة الحاسمة بين جيش العشرة آلاف وجيش (أرتاكسركس) ، فالأرجح تثبيته في جوار مدينة (الأنبار) الواقعة على الضفة اليسرى(٥) لنهر الفرات قرب قرية (الصقلاوية) الحالية على بعد حوالي ستة كليومترات من جنوب صدر جدول الصقلاوية الحالي ، حيث تدل الأوصاف على أن جيش العشرة آلاف سلك عند مجيئه الى

---

(٥) إذا كان وجه الفرد باتجاه الشمال والمنبع كانت الشمس عن يمينه فتكون المدينة على الضفة اليمنى من نهر الفرات . أما إذا كانت وجهته شطر الجنوب والمصب ، فعندئذ تكون المدينة على الضفة اليسرى .

العراق طريق أيسر[٦] الفرات الذي يمتد بمحاذاة النهر حتى موقع (كونكسا) .. وكان ذلك حسب وصف (زينوفون) بعد أن عبر الجيش الخندق ، وهو المجرى الذي يربط الفرات بدجلة ، مما يدل على أن صدر النهر كان مكسوراً في حينه ، وقد ذكر (زينوفون) في وصف هذا الخندق أنه يمتد مسافة اثنى عشر فرسخاً (زهاء ٤٥ كليومتراً)[٧] حتى ينتهي الى سور الميديين ، وقد قام (أرتاكسركس) بتخريب السد في صدر النهر بعد عبور جيش (كورش) عليه ، فقطع خط الرجعة عليه .

أما (تل كنيسه) ، فيقع قرب جدول الرضوانية القديم ، وهو من جملة التلول التي كانت على نهر ملكا القديم وسور الميديين (أنظر الخارطة مقابل ص ٤ من كتاب «وادي الفرات ـ الجزء الثاني») ولا يوجد أي دليل على أن التسمية محرّفة من (كونكسا) لأنه يوجد في هذه المنطقة بجوار (تل كنيسه) تل باسم (تل الدير) بمعنى أن تسمية (كنيسة) و (دير) دارت على الألسن بعد التأريخ الميلادي .

أما (اليوسفية) فالظاهر أنها تسمية حديثة منسوبة الى شخص يُعرف باسم يوسف ، قام بحفر النهر أو أعاد حفره . وأما جدول (الأسكندرية) ، فتسميته منسوبة الى بلدة (الأسكندرية) ، والأرجح أن هذه التسمية ترجع الى عهد الأسكندر لأن الأسكندر تجوّل في مناطق الفرات ، والواقع أنه لقي حتفه في هذه المنطقة . ويدلّنا التاريخ على أنه كان يعمل بالذات على أصلاح جداول الري ، وإقامة السدود وما الى ذلك من مشاريع إعمارية في هذه المنطقة .

---

(٦) إذا اعتبرنا المشرق ، كان الطريق أيمن الفرات .

(٧) في الحقيقة لم يذكر زينوفون طوله بل حدد انتهاءه عند السور المادي كما ذكر عرضه وعمقه (٣٠ ق) و (١٨ ق) على التوالي .

هذا وإني مستعد أن أقابلكم في بيتي في أي وقت شئتم لشرح ما تودّون الأستفسار عنه. كما أني مستعد أن أعيركم نسختي من كتاب «وادي الفرات» إذا رغبتم. وختاماً أرجو قبول المعذرة لتأخري في الأجابة. هذا مع تقديري وخالص تمنياتي.

المخلص

أحمد سوسه

وفيما يلي مقتبسات من كتاب الدكتور سوسه (فيضانات العراق) تحت الطبع. ورد في ص (٣٨٩) النص التالي بخصوص نهر الصقلاوية :ـ

«وقد صار هذا النهر يُعرف بعدة أسماء في مختلف الأدوار التاريخية، فأقدم تسمية له هي (نهر حدّاقل)[٨] وكان ذلك في العهد البابلي، ثم سماه الآشوريون (نهر أراهتو) وسماه الرومانيون بعدهم باسم (نهر ملكا)، وفي زمن العرب صار يعرف باسم (نهر عيسى)[٩] كما أنه صار يعرف في العهد الأخير باسم (نهر الكرمة) أو (نهر الصقلاوية)»

وورد في ص (٣٩٠) النص الآتي: «كان قد عرف الأقدمون مجرى صقلاوية القديم كجزء من نهر دجلة بل صدره الرئيس فأطلقوا عليه إسم قل ـ دجلة)، وعلى هذا الأساس كان الأقدمون يعتبرون هذا النهر المنبع القديم لنهر دجلة»

وفي التاسع من أيلول، إهبتلتُ سويعة، فزرت الدكتور سوسه في داره للتناقش والتحاور، إكمالا للبحث، فأعارني ـ مشكوراً ـ كتابه (وادي الفرات ومشروع سدة الهندية). وعندما استفهمته بشأن موقع أطلال تل (الشعيبي) بالقرب من نهر (الخر)، وخرائب (أم قطيم) عند السور المادي ـ الواردين في رسالتي إليه، واللذين لم يتطرق إليهما في رده عليهما ـ أفاد أنه لا يستطيع تحديد الموقع الأول تحديداً دقيقاً لتغيّرات حصلت في معالم البسيطة في ذلك الجوار، ولأن العمران قد امتد الى تلك الجهة. أما الموقع الثاني، فيرجّح أنه بالقرب من (عرقوب حبل الصخر) شرقي جدول اليوسفية الحالي، مبدياً أن السور المادي الذي ألمع إليه زينوفون و (موسيل) إن هو ـ في الحقيقة ـ إلا بقايا

---

(٨) ورد اسم هذا النهر في الفصل الثاني من (سفر التكوين) من الجزء الأول من (التوراة).

(٩) نسبة الى عيسى بن على بن عبدالله بن عباس

من جدار سد نبوخذ نصر[١٠]، المقام لأغراض الري والوقاية من أخطار الفيضان، وأن كثيرين من الباحثين والمؤرخين يخطأون في هذا، كما أنهم لا يميزون بين السور (المادي) وسور (سميراميس). للاستزادة التفصيلية، يحسن الرجوع الى كتاب الدكتور سوسه ومطالعة الصفحات (١١ ـ ٢٧).

أما بصدد ساحة معركة (كوناكسا)، فعند التمعّن في خارطة كتابه السالف الذكر ـ والتي يجدها القاريء في خاتمة التذييل ـ ألفيت أنها من المحتمل كثيرا أن تكون عند تل (كنيسة)[١١] بجوار جدول (الرضوانية) بمحاذاة الفرات، وقريبا من جدول (اليوسفية) الحالي. وهذا يتفق مع ترجيحي الوارد في ملاحظتي على هامش الفصل الثامن من القسم الأول من الكتاب؛ وأستبعد أن يكون ميدان المعركة عند الأنبار ـ كما ذكر الدكتور سوسه في رسالته ـ لأن جيش كورش الصغير، بعد عبوره الخندق (الوشاش أو الصقلاوية) واظب على المسير ثلاثة أيام حتى التحم الجيشان[١٢]. وهذا الشوط يكاد أن يوصل العساكر الى جوار تل (كنيسه) المذكور أو جدول (اليوسفيه) الذي يُحتمل عدم وجوده آنذاك.

---

(١٠) يرجح الدكتور سوسه أن هذا الخزان يبدأ من نقطة بالقرب من تل (عكر) الغربي الواقع قريباً من صدر نهر الرضوانية القديم ثم يتصل بعرقوب (حبل الصخر) ـ انظر الخارطة.

(١١) أنظر الخارطة. أما أطلال (تل الدير) فيؤخذ من الكتابات التي عثر عليها هناك أنها بقايا مدينة (سيبار ياخرورو) وتبعد عن مجرى الفرات الحالي (١٢) كليومترا الى الشرق وهي احدى المدن الأربع التي كانت قبل الطوفان. وظهر من أنقاضها أنها كانت ذات ثلاثة أو أربعة أبواب، ويرجح أنها من المدن المجاورة لمعبد (سيبار) وأن ديراً كبيراً شيد على أنقاضها. وقد أجريت التنقيبات في سنتي (١٨٩٠ ـ ١٨٩١) في اطلال تل الدير من قبل السير (بج) ص (٨٠) و (٨١).

(١٢) راجع الفصل السابع من القسم الأول من الكتاب.

أمّا أن تسمية (كنيسه)[١٣] أُطلقت بعد بدء التاريخ الميلادي، فمع أن هذا الرأي لا يخلو من صحة، بيد أني أعتقد أن التسمية محورة الى حد ما عن البابلية أو الآرامية (السريانية) اللتين تعودان الى أرومة واحدة. فكلمة (كنيسة) ذاتها ليست عربية بل إرَمية النِجار وتعني (المجمع) كما أنها تعطي ذات المعنى في العبرانية بتغيير طفيف، هو حذف تاء التأنيث. وعامل التحوير قوي جداً في ترجيح أن (كوناسا) أو (كوناكسا) أو (كنوشا) أو (كنيسه) تسمية واحدة، وليس ببعيد أن تظل التسمية قريبة من الأصل مدة أربعة وعشرين قرناً على التقريب، كما حافظت (الأسكندرية) بالذات ـ وهي بجوارها ـ على إسمها القديم حتى الآن؛ وكما حُوِّرت (أوروك) السومرية، مثلا، الى (الوركاء) منذ العصور العربية الأولى حتى عصرنا. أما العامل الجغرافي المساعد لهذا الترجيح، فهو ـ كما يلاحظ القاريء ـ إذا ألقى نظرة فاحصة على الخارطة، حيث يلمح ويقدّر أن تل (كنيسه) لا يبعد أكثر من (٤) أو (٥) كيلومترات عن الفرات الذي لم يحوّل مجراه عند هذا الموضع مطلقاً، وهي المسافة التي يتقبلها

---

(١٣) أورد الأستاذ فؤاد جميل في ص ٢٢٨ من مجلة سومر (العدد العشرون ١٩٦٤) هذا الأسم بهذا الشكل (كناسة) معرفة بالألف واللام، ورجح أن موقعها قرب طريق الحلة ـ بغداد وليس ببعيد عن المسيب، وهو نفس رأي الأستاذ طه باقر الذي ذكرته سابقاً.

إذا اعتبرنا إمكانية وجود أقوام عربية آنذاك، فثمة احتمال كبير أن تصح أمثال هذه التسميات: كناسة، كناس، كناشة، قناص، قناصه، كناز، أما (كناسة) فتعني الزبالة التي تكنس أو موضع الزبالة. وقد عثرت مؤخراً على إسم رجل دعي (محمد بن كناسة)، ورد في أخبار الشاعر (إسماعيل بن يسار) في كتاب (الأغاني) ـ بيروت م ٤ ص ٢٥٣. أما (كناس) فتعني بيت الظبي والجمع (أكنسة). اما (كنّاشة) فتعني الأصل الذي تتشعب منه الفروع. أما إذا الكلمة آرامية الأصل أو بابلية، فتفسيرها عندي أصعب، وأترك هذا للمتخصصين.

العقل عند التمعّن في وصف (زينوفون) ساحة المعركة، وبلوغها في غضون ثلاثة أيام بعـد اجتياز الخندق المرجّـح أنه خندق (الوشّـاش) الذي هو نهـر (الصقلاوية).

وقبل الفراغ من هذا التذييل، أرى لزاماً عليّ أن أتطرق الى مدينةُ (أوبس)ـ Opis ـ وتحديد موقعها. ولما فاتني أن أذكرها في خطابي الى الدكتور سوسه، أثرتُ مسألتها أثناء اجتماعي به، دون التوصل الى رأي جازم، يُرتاح إليه. فأرتأيت أفضلية الرجوع الى مؤلّف المستشرق (موسيل)، ومؤلف الدكتور سوسه (وادي الفرات ومشروع سدة الهندية) الذي أعارني إياه مشكوراً.

من كتاب (موسيل)[14]، يتضح أن مدينة (أوبيس) هي المدينة البابلية القديمة (أكشاك) والتي دعيت أيضا أوبي (Upie)، ومنهـا اشـتق الأسـم الكلاسـيكي (أوبيس). وقد كانت هذه حـاضرة مملكة حـافظت على اسـتقلالها في العـهد البابلي القديم حقبة طويلة. وذكر هناك أيضا أن مؤلفي آشور لم يذكروا هذه المدينة، لكن ملوك بابل الجدد أحيوها بإسمها القديم (أكشاك) وليس باسـمها المستحدث أوبي (Upie).

وتعـليقاً على هذا القـول، أورد بالنص اقتباس الدكتور سـوسه من كتاب المستر جورج سميث (تاريخ سنحاريب): « ... ومما جـاء أيضـا في الكتابات الآثارية التي تصف غزوات سناخريب وانتصاراته على البابليين (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق. م.) أنه اسـتخدم أشخـاصا من بلاد الحثيين الأختصـاصيين، فأسكنهـم (نينوى) حيث قاموا ببناء أسطول نهـري، ثم جـاء بأحـذق البحـارة؛ وأنزل أسـطوله في نهـر دجلة فانحـدر به حتى مدينة أوبيس، وقد جـاء في الرواية أنه

(١٤) ص ٢٦٣.

نقل أسطوله هذا من أوبيس براً الى نهر الفرات ، فأنزله فيه قرب صدر نهر أراكتو ...»[١٥]

فاذا كان استقاء هذه المعلومات من المصادر الآشورية ، وهذا هو المرجح ، لاحظنا جلياً أن تسمية (أوبس) كانت شائعة بين المؤرخين الآشوريين ، خلافاً لما أورده (موسيل) .

وورد في كتابه أيضا أن (هيرودوتس) لم يذكر إن كانت (أوبس) فوق أو أسفل مصب نهر الجيندس ـ Gyndes ـ (ديالى)[١٦] ، لكن تحديده لموقعها يجعلها كائنة في شرقي «سيبار» ـ Sippar ـ عند تلول (أبي حبة) حالياً . وأضاف (موسيل) في معرض بحثه عن هذه المدينة المندرسة وعن خزان نبوخذ نصر، أن هذا العاهل أقام سداً طوله خمسة أميال بابلية ، ممتدا من (أوپس) حتى جوار «سيبار» بين ضفتي دجلة والفرات ، وهذا الوصف يتفق مع طول السد المذكور (٥ أميال بابلية أو زهاء ٦٠ كليومتراً) . وبما أن أقصر مسافة بين سيبار الى دجلة هي (٣٠) كليومتراً نحو الشرق ، وجب أن نعيّن موضع (أوپس) عند نقطة على ضفة دجلة اليمنى جنوبي الخزان[١٧] . وهذا الخزان مكوّن من سد ترابي غُطّي بالحجارة والقار للمحافظة عليه[١٨] .

أما الدكتور سوسه ، فقد أورد ما يلي : «... أما مدينة (أوپس) ، فقد اختلف العلماء الآثاريون في أمر تعيين موقعها ، فمنهم من عيّنه في أطلال (منجور)

---

(١٥) وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ص ٩١ ـ ٩٢ .

(١٦) ذكر المطران (أدي شير) في الجزء الأول من كتابه (تاريخ كلدو وآشور) أن الأغريق يطلقون على هذا النهر اسم (ثوراثادوتس) . وأرجّح أنهم شرعوا في إطلاق هذه التسمية بعد فتوح الأسكندر المقدوني .

(١٧) ص ٢٥٩ . (١٨) وادي الفرات للدكتور أحمد سوسه ص ١١ .

الواقعة جنوب شرقي (بلد) ومنهم من ادّعى أن آثارها تقع في التلول المجاورة لمدينة «حربة» القديمة، على أن أكثر العلماء الثقاة، الذين أشبعوا هذا الموضوع بحثاً، أجمعوا على أن مدينة (أوپيس) تقع في محل ما جنوب مدينة بغداد، وفي طليعة هؤلاء (جـورج رولنســن) العــالم الآثاري المعـروف الذي عيّن موقع (أوپيس) بالقرب من مصب نهر ديالى في دجلة، فرجّح أن تلول (خفـاجي) الآثارية تمثّل أطلال تلك المدينة .. في حين عيّن موسيل موقع المدينة في جوار (سلوقية)، داعما نظريته هذه بما جاء في كتابات المؤرخين القدماء ولا سيما ما أورده هيرودوتس (الكتاب الأول الفقرة ١٨٦) عن أن مدينة (أوپيس) تقع على نهر دجلة في جنوب مصب نهـر جندس ـ ديالى.»[١٩] والمقصـود بجـربه هي (حربى) حيث بقايا جسر على الدجيل.

مما أسلفت، يبدو أن ثمة تناقضاً بين ما ذكره (موســيل): أن المؤرخ هيرودوتس لم ينوّه إن كانت (أوپيس) فوق أو أسـفل مصـب (ديالى)، وبين ما أورده سوسه: أن هيرودوتس عيّن موقع (أوپيس) جنوبي (ديالى).

وجاء في حاشية مجلة (سومر) ـ العـدد العشرون ـ مايلي: «كانت أوپس على مفرق النهروان (أي القاطول) من دجلة. ويميل الكولونيل رولنصون[٢٠] الى أن القاطول أي النهروان هو نهر فسـقس هذا .. وكانت أوپس على حـظ كبير من الأهمية التجارية، وازدادت أهميتها هذه بسبب أفول نجم المدن الآشـورية التي على دجلة، ثم أنهـا لاقت نفس المصـير عندما نبه شـأن (سـلوقية) و (أفامية).

---

(١٩) وادي الفرات ومشروع سدة الهندية بغداد ١٩٤٥ ـ ص ١١ ـ ١٢.

(٢٠) أرجح أنه (جورج رولنسن) الذي ذكره الدكتور سوسه في الفقرة السالفة.

وقال «فرد هوفر»: مدينة (أوپس) كانت قائمة على مصب نهر فسقس بالتحقيق.»[٢١]

وفي موضع آخر من كتاب (موسيل) أفاد: بما أن موقع (سيتاس) - Sittace - غير معلوم، فمن العسير تحديد موقع (أوپس) بالضبط كما أورده (زينوفون) بل نحتاج الى موضع للشروع حتى نصلها. وإذا كان (زاپاتاس) Zapatas - هو الزاب الكبير، فيجب أن تكون (أوپس) بعد عشر مسيرات (٥٠ فرسخا) الى الجنوب بمحاذاة دجلة. إذ أن جيش (كورش)، بعد اجتيازه دجلة نحو الضفة الشرقية على جسر عائم على ٣٧ قارباً، قطع (٢٠) فرسخاً في أربع مسيرات (أيام)، فوصل نهر فيسكس (العظيم - الأدهم)، فعبروه على جسر حيث كانت (أوپيس) مدينة مترامية، وبعدها قطعوا (٣٠ فرسخاً) في غضون ست مسيرات (أيام)، فأدركوا نهر الزاب؛ وبذلك تكون الشقة بين الزاب الكبير وموضع عبور دجلة (٥٠ فرسخاً)، قُطعت في غضون عشرة ايام. فتكون (أوپس) عندئذ بالقرب من التقاء العظيم بدجلة. لكنّ (موسيل) يعتقد أن هذا الوصف يناقض المعلومات المتوفرة لديه عن خزان (نبوخذنصر) والسور المادي، ويعني أن موقع (أوپس) كائن عند نقطة تبعد أكثر من (٨٠) كيلومتراً شمالي سيبار (تلول أبي حبة)، ويرجّح أن (زينوفون) قد التبس عليه الأمر، فأطلق اسم (أوپيس) على مدينة (سيتاس).

(٢١) ص ٢٥٤ - الحاشية. مما يجدر ملاحظته هو تغيير مجرى دجلة عند جنوبي اصطبلات بحيث كانت استدارته قديما أقل بكثير من الوقت الحاضر. أنظر الخارطة في خاتمة التذييل، تلاحظ أن نهر العظيم (الأدهم) كان سابقا يصب في موضع يبعد زهاء (١٢ كم) عن موضعه الحالي نحو الجنوب الغربي. وهذا الاختلاف يجب أخذه بنظر الأعتبار عند محاولة تحديد موقع (أوپس). وهذا الفرق عائد أصلا الى تغيير مجرى دجلة تغييرا ملحوظا كبيرا، كما يُلاحَظ من الخارطة.

وتعـليقاً على ما سـلف ، أقول : لا يبعـد أن يكون (زينوفون) مخـطئاً في التفـاصيل التي اوردها . فهـو كذلك لا يذكر لنا نهـرين من روافد دجلة هما : ديالى (الجيندس) والزاب الأسـفل (الصـغير) اللذين لا ريب في وجـودهما آنذاك ، ولا معدى عن اجتيازهما من قبل الجيش المتجه شمالا بمحـاذاة دجلة . ولعل اهمال ذكرهما يفسّر لنا علة الخـطأ أو الألتباس في تحـديد موقع (أوبس) الصحيح . والغريب في الامر ، أن (موسيل) ذاته يفصح آنفاً أن موقع (سـيتاس) غير معـلوم ، بينما هو قد ذكر في (ص ٢٢٦) من كتابه أنه يرجـح أن تكون (سـلوقيه) موضـع (سـيتاس) ، كما أتيت على ذلك في أول التذييل . فاذا سـلّمنا جدلا بصـحة هذا الرأي ، كان (ديالى) أول نهـر يعـترض المسـيرة ، لكن المدة الواجبة لبلوغه والوصول الى (أكشاك) ـ أوبي ـ عند تلول خفـاجي حـالياً ـ لا تعدو اليوم الواحد ، بينما (زينوفون) يفيدنا أنهم قد بلغوا (أوبس) بعـد وصـول نهر (فيسكس) الذي هو حسب اجماع المؤرخين والباحثين تسمية أخرى لنهـر (الأدهم) ـ العُظَيم ـ وغِبَّ أن ساروا أربعة أيام بعد اجتياز دجلة ، قطعوا خلالها (٢٠) فرسخـاً . فهـل التبس الأمر على (زينوفون) ، فذكر أنهـم قد بلغـوا (فيسكس) ، وقد غاب عن ذهنه قبله (الجيندس) ، كما سـها فذكر (أربعـة أيام بعد اجتياز دجلة) بدلا من يوم؟ أجل . لا يُستبعد أن يخطيء (زينوفون) في سرد التفاصيل وذكر الأماكن اذا كان اعتماده على الذاكرة فحسب دون التدوين ، مع مراعاة حالة الأغريق القلقة آنذاك .

وأعود الى مدينة (سـيتاس) ـ Sittace ـ فأورد ما ذكره الدكتور سـوسه بشأنها : «لقد اختلف العلماء في أمر تعيين موقع مدينة سيتاس ، فظنه بعضهم في شمال بغداد وهؤلاء ممن يعتنقون النظرية القـائلة بأن سـور الميديين كان يقـع

شمالي بغداد ، وبينهم المستر (جيزني) الذي يميل الى الظن بأنها كانت تقع في (الشريعة البيضاء) شمالي التاجي بقليل . والبعض الآخر ، ممن يرون أن سور الميديين كان يقع جنوب بغداد ، ظـنّ أن موقع مدينة (سيتاس) يُحتمل أن يكون في أماكن عدة جنوب بغداد ، فالمستر (كروت) في كتابه (تاريخ اليونان) ـ الجزء التاسع ـ يرى أن مدينة (سيتاس) كانت تقع على بعد ثلاثة أميال من جنوب مدينة بغداد ، بينما نجد المستر (رولنسن) في كتابه (الممالك القديمة) ـ الجزء الاول ـ يميل الى تعيين موقع (سيتاس) على الضفة الشرقية من دجلة في مسافة تبعد (٣٣) ميلا من جنوب شرقي نهر (ديالى) . وهناك من يرى أن (تلول الدير) الواقعة على ضفة الشرقية من دجلة على بعد زهاء (٦٠) كيلومتراً من جنوب مصب نهر ديالى هي عبارة عن أطلال (سيتاس) . وقد ذكر (سترابون) أن مدينة (سيتاس) تقع على الطريق بين (بابل) و(سوسه) وعلى بعد نحو (٥٠) ميلا من الاولى . ومهما يكن من أمر ، فاننا نميل الى الاعتقاد بأن (سيتاس) كانت تقع في محل ما جنوب بغداد بالقرب من نهر دجلة»[٢٢] .

وتعليقاً على ما أسلفت ، أقول : اني أرجح أن تكون (سيتاس) التي أوردها (زينوفون) في موضع (تلول عمر) الحالية عند (سلوقية) المواجهة أطلال المدائن ـ قرب سلمان پاك الحالية على الضفة الأخرى ـ لأن (زينوفون) قد عيّنها عند دجلة قبل العبور وعلى بعد ميل ونصف منه . اذ لا أعتقد أن مجرى دجلة الحالي هناك قد تغير كثيراً عن مجراه القديم آنذاك ، بينما (تلول الدير) الكائنة بجوار (عرقوب حبل الصخر) تبعد زهاء (٣٠) كليومتراً عن دجلة ، وهذا يناقض تفاصيل (زينوفون) التي تذكر هذا البعد أنه ميل ونصف الميل .

---

(٢٢) وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ـ ص ٢١ .

أما مدينة (لاريسّا) ـ Larissa ـ التي ذكرها (زينوفون) في الفصل الرابع من القسم الثالث، فأشير الى الحاشية التي ذكرتها ثمة بصددها، وأورد ما يلي دعماً لرأيي أنها (نمرود) ـ كالح ـ الآشورية : «ان لاريسّا التي يذكرها زينوفون هي لدى جميع المعنيين (خرائب نمرود) التي قام (لايرد) بكشوفه الرائعة فيها»[٢٣] .

وختاماً لبحثي، أعرض أني اجتمعتُ بالاستاذ فؤاد سفر، مفتش التنقيبات العام، في مكتبه بتاريخ الرابع والعشرين من تشرين الاول من هذا العام (١٩٦٥)، مفصِحاً عن رغبتي في اطلاعه على الكتاب، قبل دفعه الى الطبع، وفي تحرير تصدير له، والاستنارة بآرائه وتوجيهاته في صدد بعض مواضيع الكتاب، والاطّلاع على مصادر ضافية تمتّ اليه بصلة. فأشار عليّ بمطالعة بحث الدكتور بارنيت R.D. Barnett في مجلة الدراسات الهيلنية[٢٤] عن السور المادي والأمكنة والمواقع التي أوردها (زينوفون)، فاستقيتُ المعلومات التالية التي يغلب عليها الترجيح والحدس دون الجزم والقطع البات :

١ ـ يرجّح أن نهر ماسكاس (Mascas) الذي كان يحيط بمدينة (كورسوت) لا يعدو عن كونه قناة متشعبة من الفرات، لا أثر لها حالياً.

أما (كورسوت) هذه، فيرجح موقعها عند باغوز (Baghouz) جنوبي (ألبوكمال)، وهذا يتفق مع ترجيحي[٢٥] الذي أوردته بصددها في الفصل الذي ورد ذكرها فيه.

---

(٢٣) مجلة (سومر) ـ عدد (٢٠) سنة ١٩٦٤ ص ٢٥٤ الحاشية.

(٢٤) The Journal of Hellenic Studies. LXXX III 1963.

(٢٥) الحاشية رقم (٢) في الفصل الخامس من القسم الأول.

٢ ـ يرجّح أن الأبواب (Pylae) تقع على مسافة (١٠ كم) جنوبي هيت، بينما (موسيل) يعيّنها عند (تل الاسود). راجع حاشيتي رقم (٣) في الفصل الخامس من القسم الاول.

٣ ـ يرجّح أن (كارماند) مركبة من كلمتين (كار) ـ Klr ـ السريانية التي تعني (القار) و (ماند) الفارسية التي هي صفة تلصق بأواخر المسميات، بينما (موسيل) يقول إنها لفظه سريانية مركبة من (Karma - Adad) أي (كرمة أداد) الكائنة عند (آد) مقابل (تل الأسود) ـ طالع حاشيتي رقم (٨) في الفصل الخامس من القسم الأول.

٤ ـ يرجّح أن موقعة (كوناكسا) دارت عند موضع ما بين (عقرقوف) ـ دور كوري كالزو ـ و (تل حبه) ـ سيبار. وأنه في سنة (١٨٦١) كان في مكان ما يبعد حوالي (٥٠) ميلا شمالي (بابل) موضع يدعى (ناصفيات) أو (نصيفات) ـ تل كنيسة حالياً ـ يغلب على الظن تسميته في الأصل (كنيستا) من قبل العبرانيين المقيمين في العراق، اذ كان مركزاً مقدساً لليهود، فيه حجارة وتربة من (القدس) بعد خرابها في عام (٥٩٧ ق.م.) والكلمة عبرانية تعني المجمع (سيناجوج ـ Synagouge) أو الكنيس ـ معبدهم. ويضيف أن الشقّة من (الأبواب) ـ تل الأسود فرضاً ـ الى (الأنبار) ـ ٤٠ ميلا ـ ومن (الأنبار) الى (عقرقوف) ـ ٣٣ ميلا ـ ومن (عقرقوف) الى (الناصفيات) ـ تل كنيسة موقع كوناكسا المرجح ـ ١٠ أميال. وعلى ذلك تكون المسافة بين (تل الاسود) الى (كوناكسا) : ٨٣ ميلا. ويذكر المؤرخ بلوتارخ (Plutarch) في كتابه (حياة أرطحششت) أن الموقعة جرت على مسافة (٥٠٠ ستاد) من بابل أي على بعد (٥٠ ميلا) على التقريب، بينما

(زينوفون) يعيّنها على بعد (٣٦٠ ستاداً) أي زهاء (٣٦ ميلا)[٣٦] .

٥ ـ يميل هرزفلد (Herzfeld) الى تعيين (سيتاس) ـ Sittace ـ عند (واسط) ، لكن هذا أبعد من (٨) فراسخ ـ ٣٠ ميلا ـ عن السور المادي . أما (پليني) ـ Pliny ـ فيعيّنها شرقي دجلة مقابل (أنتيوكيا) بين دجلة وديالى (Tornadotus) . واستناداً الى (سترابو) ، تقع (سيتاسين) ـ Sitacene ـ شرقي سلوقية . وثمة رأي آخر يقول بوقوع (سيتاس) بالقرب من (العزيزية) الحالية ، حيث بجوارها تلان يُسمّيان (الحومانية) . وهذا يعني وقوعها على مسافة (٣٠ ميلا) جنوبي سلوقية . والملاحَظ أن دجلة يكاد أن يشكل جزيرة عند العزيزية[٣٧] . أما أنا فأعتقد أن (الصويرة) الحالية قد تكون أقرب الى المعقول .

٦ ـ يرجّح موقع قرى وأملاك (پاريزاتس) والدة كورش وشقيقه العاهل عند (الدور) الحالية على دجلة جنوبي تكريت الحالية .

٧ ـ يرجّح موقع مدينة (كايناي) ـ Caenae ـ عند مدينة تكريت الحالية أما أنا فاعتقد كما ورد في حاشيتي بصددها .

٨ ـ يرجّح أن كلمة فيسكوس (Physcus) مشتقّة من كلمة سريانية (Psh) تعني العبور وانها تعني نهر (ديالى) . اذ يبدو من تفاصيل (هيرودوتس) عن حملة

---

(٣٦) يميل البعض الى تعيين هذا الموضع عند (تلول محمد) ولعلها تلول (أبي حية) أو (تلول الدير) .

(٣٧) يتفق هذا مع وصف شبه الجزيرة الذي أورده (زينوفون) عند وصولهم (سيتاس) ويكاد هذا ينطبق على الواقع اذا كانت المسافة بينها وبين (فيسكس) ٦٠ ميلا قطعت في (٤) أيام .

(كورش) الأكبر على بابل ، أن (أوپس) كانت تقـع الى الجنوب قليلا من مصـب الجيندس (ديالى أو الأدهم ـ العـظيم) بدجلة . لكنّ مصـب ديالى[٢٨] يبعد زهاء (٤٠) ميلا عن الموقع المرجّح أنه (سيتاس) .

لقد استقيتُ المعلومات الآنفة بدون أن أعلّق عليها ، مكتفياً ببعض الحواشي ، وذلك لأتحاشى الأطالة والتكرار غير المجدي .

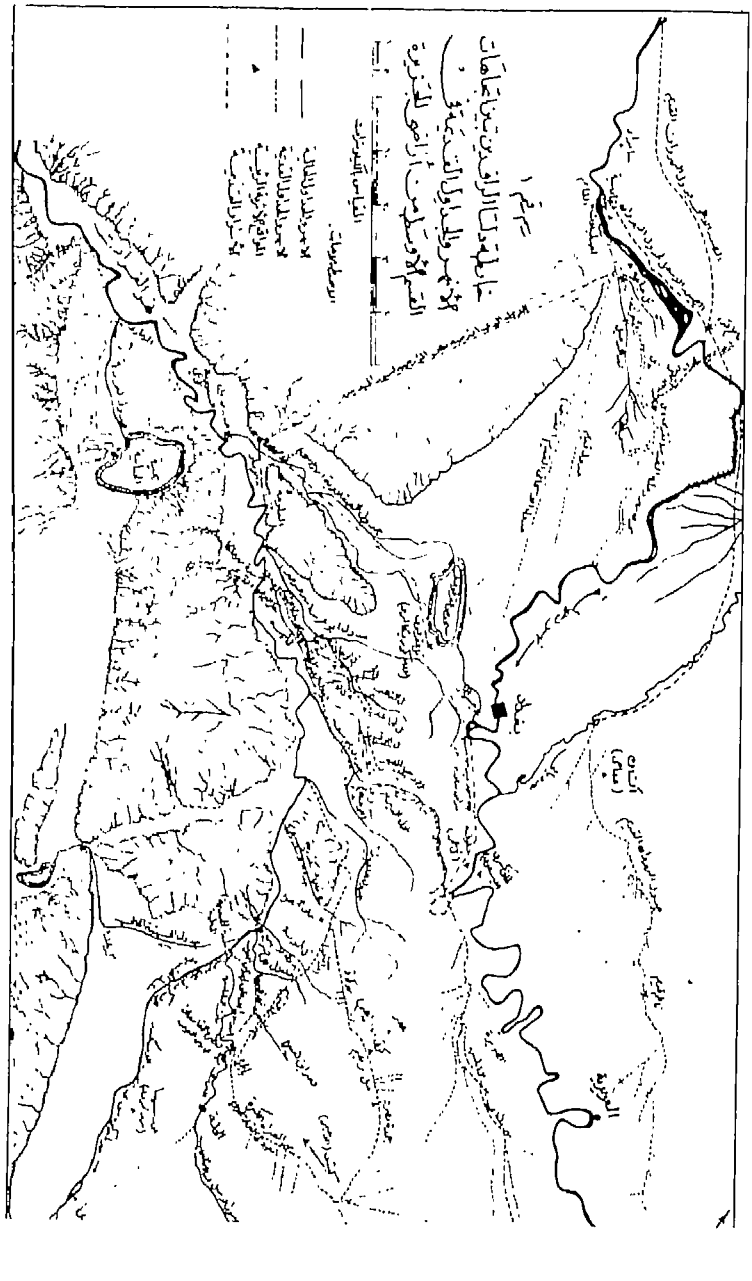
هذا ما أوصلني اليه اجتهادي في هذا المضمار ، وما تسنّى لي أن أسـتعين به من المصادر والمراجع والآراء والبحـوث ، بقـدر ما أتاحـت الظروف وسـنحت الاحوال . والحمد لله في البدء والختام .

بغداد ـ في الثالث من تشرين الثاني ١٩٦٥

المترجم

---

(٢٨) يقول الأستاذ فؤاد سفر إن مصب ديالى القديم يختلف عن مصبه الحالي إذ كان بالقرب من (خفاجي) يجري في مجرى (النهروان) وهذا يعلل عدم ذكره من قبل زينوفون .



خريطة رقم (٤)

تعريف بالاعـــلام

الاسم	التعريـــف
	حرف (الألف) ـ أ
أبروكوماس	أحد قادة جيش العاهل الفارسي أرتحششت
أبروزيلمس	ترجمان الملك سيوتس
أينياس	ضابط مئة ستيمفالي في الجيش الأغريقي
إيسخينيس	ضابط مئة (أكارناني) في صنف المشاة الخفيفة الأغريقية
أجاسياس	ضابط مئة (سيتمفالي) ممتاز في المشاة الثقيلة الأغريقية
أجيسيلوس	عاهل إسبرطي خدم معه (زينوفون) في حملة لاحقة على الفرس
أجياس	(أركادي) وأحد قادة جيش (كورش) اليوناني المرتزق
أمفيكراتس	جندي (آثيني) في الجيش الأغريقي
أناكسيبيوس	أمير البحر (الأسبرطي) في بيزنطية
أپولونيدس	شخص (ليدي) ذو لهجة بيوطية
أرباسس	حاكم (ميديا) وأحد قادة جيش العاهل الفارسي
أرخاجوراس	أحد المنفيين من (آرجوس) وضابط مئة يوناني
أركسيون	عراف (أركادي) في الجيش الأغريقي
آريوس	فارسي يلي (كورش) في الرتبة
أريستارخوس	الحاكم الأسبرطي على بيزنطية

أريستيس	ضابط مئة (خيوسي) في المشاة الخفيفة الأغريقية
أريستيپوس	قائد (ثسالي) جمع الجيش لكورش
أريستون	شخص (آثيني) أرسل منتدباً عن الجيش الى سينوب
أپسثينيس	(أمفيپوليسي) قائد المشاة الخفيفة الأغريقية في معركة كوناكسا
أريستونيموس	ضابط مئة (منيدري) في المشاة الثقيلة الأغريقية
أپياكسا	قرينة عاهل (كيليكيا)
أرتاجرسس	(فارسي) قائد حرس عاهل الفرس
أتيونيكوس	ضابط في حامية بيزنطية
أرتاوزوس	قائد (فارسي) في جيش (كورش)
أرتاپاتاس	أحد أخلص ضباط كورش الأمناء
أرتاكسركسس	هو (أرتحششتا) عاهل الفرس وأكبر أشقاء (كورش)
أرتوخاس	قائد (فارسي) في أرمينيا
أريستاس	ضابط (أركادي) في الجيش الأغريقي عرف بالنهم
إيتامينيس	حاكم (فارسي) على آسيا الصغرى
أسيداتس	نبيل (فارسي) في آسيا الصغرى
أورونتاس	(١) نبيل (فارسي) في جيش (كورش) أعدم كخائن (٢) قائد (فارسي) وصهر عاهل الفرس وحاكم (أرمينيا)

حرف (الباء) ـ ب وحرف (پ) الفارسية

باسياس	(أركادي) في الجيش الأغريقي
بيلسيز	حاكم سوريا الفارسي
بيون	ضابط في جيش (نيبرون) الأسپرطي
بويسكوس	ملاكم (تسالي) في الجيش الأغريقي
پاريزاتس	قرينة داريوس الثاني ووالدة أرتحششت وكورش
پازيون	ضابط مئة (ميجاري) مرتزق في خدمة كورس
پيجرس	أحد مترجمي كورش
پليزئينيس	جندي (أمفيپوليسي) في الجيش الأغريقي
پولوس	أمير بحر (إسپرطي) في بيزنطية
پوليكراتس	ضابط مئة (آثيني) في الجيش الأغريقي
پولينيكوس	موفد (إسبرطي) من جيش (تيبرون)
پروكلس	حاكم (تيوثرانيا). ضابط في جيش كورش
پروكسينوس	ضابط مئة (ثيبي) مرتزق وقائد إغريقي في خدمة كورش
پيرهياس	ضابط (أركادي) في الجيس الأغريقي
پيتاغوراس	قائد بحري (إسبرطي) في خدمة كورش

حرف (التاء) ـ ت

تاموس	أمير البحر المصري في أسطول كورش
تيزس	جد (سيوثس) وملك (ثراشيا)
تيماسيون	قائد (درديني) في الجيش الأغريقي
تيماسيثيوس	مواطن من طرابزوس (طرابزون)
تيرابازوس	حاكم فارسي على غربي أرمينيا
تيسافرنوس	أحد قادة جيش العاهل الفارسي وحاكم الساحل الأيجي من آسيا الصغرى
تولميدس	منادٍ (إيلي) في الجيش الأغريقي.

حرف (الثاء) ـ ث

ثيوجينيس	شخص (لوكريني) في الجيش الأغريقي
ثيوپومپوس	شخص (آثيني) في الجيش الأغريقي
ثيبرون	قائد (إسپرطي) على قوة عاملة ضد الفرس
ثوراكس	فرد (بيوطي) يخدم في الجيش اليوناني

حرف (الجيم) ـ ج

جوليتيس	منفي من (ساموس) في خدمة كورش
جاسون	زعيم بحارة مغامرين في سفينة تدعى (آرجو) بحثاً عن الجزة الذهبية ـ أسطورة يونانية.
جلوس	أحد مترجمي كورش
جنيسيوس	ضابط (آثيني) في الجيش الأغريقي
جوبرياس	أحد القادة في جيش العاهل الفارسي
جونجيلوس	(١) زعيم إغريقي في آسيا الصغرى (٢) نجله
جورجياس	سفسطي (ليونتيني) مشهور
جورجيون	نجل هيلاس وجونجيلوس

حرف (الخاء) ـ خ

خارمينوس	ضابط (إسبرطي) في جيش ثيبرون
خريسوفوس	ضابط (إسبرطي) مرتزق يخدم تحت لواء كورش

حرف (الدال) ـ د

داماراتوس	ملك (إسبرطي) أقصي واحتمى بعاهل الفرس. والأرجح أنه نجل العاهل الأسبرطي أريستون (Ariston) الذي ورد ذكره في تاريخ هيرودتس (ص ٣٨٢ سلسلة بنجوين).

دافناغوراس	صديق (هيلاس) التي هي قرينة جونجيلوس الوارد ذكره تحت حرف (ج) وكانت (هيلاس) هذه شغوف بصديقها المذكور (دافناغوراس)
داريوس الثاني	عاهل فارس ووالد أرتحششت وكورش
ديموقراتس	ضابط (تيميني) في الجيش الأغريقي
درسيلیادس	قائد (إسپرطي) حارب في آسيا الصغرى
دكسيپوس	ضابط (إسپرطي) هجر الجيش الأغريقي
دراكونتيوس	منفي (إسپرطي) يخدم في الجيش الأغريقي

حرف (الراء) ـ ر

راثينيس	قائد (فارسي) تحت إمرة فارنابازوس

حرف (الزاء) ـ ز

زانثيكلس	قائد (آثي) في الجيش الأغريقي
زينياس	ضابط مئة (پرهاسي) في مرتزقة الأغريق
ينوفون	جندي (آثيني) وقائد في الجيش الأغريقي أثناء العودة الى أيونيا . ومؤلف هذا الكتاب .
زيرزيس	العاهل الفارسي الذي قاد الحملة الفاشلة على اليونان سنة (٤٨٠) ق . م . ويعرف بالعربية (إحشويرش)
زيلارخوس	مأمور أو موظف في سيراسوس (جيرسون)

حرف (السين) ـ س

ستيسياس	طبيب إغريقي في خدمة عاهل فارس
سينيسكوس	ضابط (إسبرطي) في منطقة بيزنطية
سايروس	هو (كورش) شقيق أرتحششت الأصغر والمطالب بالعرش
سامولاس	ضابط (آشي) في الجيش الأغريقي
سيوثس	ملك (تراكيا)
سيلانوس	(١) عراف إغريقي في جيش كورش
	(٢) جندي صغير في الجيش الأغريقي
سميكرس	قائد الأركاديين في الجيش الأغريقي
سقراط	ضابط مئة (آشي) مرتزق في خدمة كورش
سوفانتيوس	ضابط مئة (سيتمفالي) مرتزق في خدمة كورش
سقراط	الفيلسوف الآثيني المشهور وصديق زينوفون
سوسس	ضابط مئة (سيراقوسي) مرتزق في خدمة كورش
سوتريداس	جندي في الجيش الأغريقي من (سبكيون)
سپيثريداتس	قائد (فارسي) تحت إمرة فارنابازوس
ستراتوكلس	كريتي وقائد الكريتيين في الجيش الأغريقي
سينسيس	ملك كيليكيه جنوبي آسيا الصغرى
سفيسودوروس	ضابط مئة (آثيني) في الجيش الأغريقي

حرف (الفاء) ـ ف

فالينوس	ضابط إغريقي في خدمة تيسافرنوس
فارنابازوس	حاكم فارسي على الساحل الهيليسپونتي
فيليسيوس	قائد (آشي) في الجيش الأغريقي
فراسياس	ضابط (آثيني) في الجيش الأغريقي
فرينيسكوس	قائد (آشي) في الجيش الأغريقي

حرف (الكاف) ـ ك

كاليماخوس	قائد مئة (پرهاسي) في المشاة الثقيلة الأغريقية
كلينيتوس	ضابط مئة في الجيش الأغريقي
كليندر	حاكم بيزنطية الأسپرطي
كلينور	(أركادي) وأكبر قادة الأغريق سناً
كليراتوس	ضابط مئة في الجيش الأغريقي
كليرخوس	منفي من إسپرطه وأبرز القادة المنضوين تحت لواء كورش.
كويراتيداس	ضابط مئة (ثيبي) مرتزق
كوريلاس	عاهل الپافلاجونيين
كورش	هو النجل الأصغر لداريوس والذي حاول انتزاع العرش من أخيه

حرف (اللام) ـ ل

ليون	جندي (ثوري) في الجيش الأغريقي
ليونيموس	جندي (إسپرطي) في الجيش الأغريقي
ليسيوس	(١) (سيراقوسي) في الجيش الأغريقي
	(٢) قائد (آثيني) على الفرسان اليونانين أثناء التقهقر
ليكون	(آشي) في الجيش الأغريقي

حرف (الميم) ـ م

مايسادس	والد الملك (سيوثس) التراكي
مارسياس	شخصية أسطورية حاول بمزماره أن يبز (أپولو) في الموسيقى
ميدي	ملكة (الميديين) أثناء الفتح الفارسي
ميدوكوس	ملك الأودرياسيين
ميدوسادس	المعتمد السياسي للملك سيوثس
ميجابيزوس	سادن معبد (أرتميس) في أفيسس
ميجـافرنوس	وجيه (فارسي) أُعدمه كورش
مينون	(تسيالي) وأحد القادة الأغريق الرئيسـيين في خدمة كورش
ميلتوكوثس	ضابط مئة (ثراشي) في الجيش الأغريقي
ميثراداتس	قائد (فارسي) في جيش كورش
ميسوس	(ميسي) في الجيش الأغريقي

حرف (النون) ـ ن

نوسيكليدس	ضابط في جيش (نيبرون)
نيون	قائد في الجيش الأغريقي من (أساين)
نيكاندر	(إسپرطي) قتل دكسنيپوس الذي فر من الجيش
نيكارخوس	(أركادي) في الجيش الأغريقي
نيكوماخوس	آمر المشاة الخفيفة الأغريقية من (أويتا)

حرف (الهاء) ـ هـ

هيكاتونيموس	خطيب من سينوپ
هيجاسندر	قائد الأركاديين في الجيش الأغريقي
هيلاس	حليلة جونجيلوس في (ميسيا)
هيراكليدس	معتمد العاهل (سيوتس) التراكي وموضع ثقته
هيرونيموس	ضابط منة (أليسي) في الجيش الأغريقي

حرف (الياء) ـ ي

يركليدس	عراف في لامپساكوس
يوريلوخوس	أحد أفراد المشاة الثقيلة الأغريقية من (لوسيا)
يوريماخوس	فرد (دارديني) في الجيش الأغريقي